
جمال عبد الناصر
و
القومية العربية
الثورة الإجتماعية
محاربة الإستعمار
معهد تدريب ضباط الشرطة



معهد تدريب ضباط الشرطة

جمال عبد الناصر

و

القومية العربية

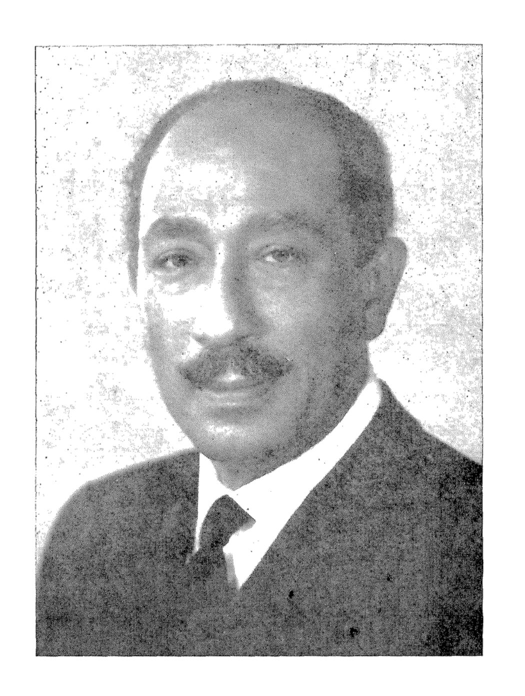
بقلم : المقدم ابراهيم محمد الفحام

الثورة الإجتماعية

بقلم : النقيب حامد محمد أحمد

محاربة الإستعمار القديم والجديد

بقلم : المقدم عبد العظيم لاشين
الرائد سيد مصطفى رضوان





فكرة الكتاب

للعميد الدكتور
عبد الكريم درويش
مدير
معهد تدريب ضباط الشرطة

فكرة الكتاب

كان لمعهد تدريب ضباط الشرطة شرف الاعلان عن مسابقه بين ضباط الشرطة على مستوى الجمهورية للحصول على جائزة عبد الناصر للبحوث القومية ، تخليدا لفكر ونضال الزعيم العظيم . وقد اشترك فى هذه المسابقه ٢٨ ضابطا قدموا ٢٩ بحثا فى موضوعات :

عبد الناصر ومحاربة الاستعمار القديم والجديد .

عبد الناصر والثورة الاجتماعية .

عبد الناصر والقومية العربية .

والحكمة من اختيار هذه الموضوعات الثلاثة فى أول مسابقة تتصل بجمال عبد الناصر ، لا تخفى على أحد . فهى تترجم على التوالى أهداف النضال العربى فى محاربة الاستعمار ، والثورة الاجتماعية ، والقومية العربية ــ كما حددها الميثاق فى « **الحرية والاشتراكية ، والوحدة** » .

وفى عيد الشرطة فى ٢٥ يناير ١٩٧١ ، احتفل المعهد بتسليم جوائز البحوث الفائزة فى المسابقة . وننشر فى هذه الوثيقة البحوث الأربعة الفائزة بالمرتبة الأولى .

والغرض من هذه المحاولة المتواضعة هو استكشاف بعض الأدوار التى كان من قدر جيلنا أن يرقب ــ باعجاب لا نهائى ــ عبد الناصر وهو يلعبها . وحينما تتابع هذه الأدوار فاننا نفعل ذلك من فوق كتفى عبد الناصر . فننظر على امتداد منكبيه العريضين تتابع كفاح متلاحق ومرير ومشرف ، خاضه العملاق العبقرى فى بطولة وجلد ضمن اطار عريض من مسئوليات

قدرية لم تصادف قائدا من قبله ، ويندر أن يدخر الزمان مثيلا لها لغيره ..
فعبد الناصر هو عبد الناصر لا مثيل له .

هـذا المرجع اذا ليس كتابا عن عبـد الناصر . ان عبـد النـاصر
لا يمكن أن نضمنه كتابا . فالذى ينظر اليه عن قرب أو عن بعد كان يراه
رجالا عديدين ، أو رجلا واحدا يلعب أدوارا عديدة . فهو ابن عظيم لمصر ،
ومؤسس لثورتها الخالدة ، وهو رئيس بارز لجمهوريتها ، وقائد لمؤسساتها
الشعبية والسياسية والعسكرية ، وهو بناء قدير لأمته ، وزعيم أجمعت عليه
العرب ، ورمز شامخ لكفاح العالم الثالث ، ومناهض صلب للاستعمار ،
وهو انسان كبير ، وداعية سلام لا يبارى .

***

* **لقد كانت ثورة عبد الناصر ثورة على الاستعمار** . فقد كان عبد الناصر
وطنيا من الطراز الأول . ولم تقف حرب عبد الناصر للاستعمار عند حدود
وطنه ، وانما شملت جميع أرجاء العـالم العربى ، ودول العالم الثالث .
وكان أكبر عامل استمد منه عبد الناصر قوته فى حربه للاستعمار هو ايمانه
بالشعب ، وايمان الشعب به . وقد كان يعتبر الشعب معلمه وقائده ، وكان
الشعب ينظر الى عبد الناصر كأمله وناصره .. يستجيب اليه ، ويتجمع حوله .

ولقد أثبت عبد الناصر للشعوب المغلوبة على أمرها ، انه ليس فى العالم
مستحيل .. وان الانسان أيا كان قدره أو جنسه أو لونه أو موقعه قادر
على الكفاح . وهكذا أثرت ثورة عبـد الناصر بشكل واضح فى معظم
ثورات التحرير ، كما كان للتأييد المطلق المـادى ، المعنوى من جانبه ، أثر
قوى فى استمرار ثورات كثيرة .

وحارب عبد الناصر الاستعمار الجديد عن ادراك ودراسة لخططه وأساليبه • وكانت حربه عن طريق بناء القوة الذاتية ، ومحاربة الأحلاف والتكتلات الاقتصادية ، ومقاومة الحرب الباردة ، وربط التحرر من الاستعمار على المستوى الوطنى بعملية التحرر الاقتصادى • وكان يرى فى الوحدة أساسا لخلق الكيان العربى القادر على مواجهة الاستعمار الجديد والامبريالية •

ولم يكن عبد الناصر فى حربه للاستعمار مدفوعا بمجرد الرغبة فى الحرب ، أو بشهوة معاداته واستفزازه • وانما لأن الاستعمار كان دائما للثورة بالمرصاد ، يناهضها ، ويسد أمام انطلاقاتها كل السبل •• فكان عبئا ثقيلا عليها ، وعلى تقدمنا وأمانينا ، وعلى اقتصادنا وتنميتنا ، وعلى حضارتنا •

ومع ذلك ، فان عبد الناصر كان داعية للسلام فى المقام الأول • ويرجع اليه الكثير من الفضل فى فكرة الحياد الايجابى ، والنظرة الى قيمة الانسان . وتوحيد القوى الثورية والتقدمية سواء فى العالم الثالث ، أو على مستوى القارة الافريقية ، أو العالم العربى • كقوة تدعم السلام ، وتخفف من حدة التوتر الدولى •

***

* **اما ثورة عبد الناصر الاجتماعية** ، فقوامها الثورة الاشتراكية التى أعلنها الزعيم الخالد • ولقد أثبت عبد الناصر امكان قيام الثورة الاجتماعية متوازية مع الثورة السياسية • فسار بالثورة الاجتماعية مع ثورته الوطنية فى غير ما تردد أو مهادنة ، ليحل نظاما اجتماعيا تقدميا محل النظام القديم المتداعى • وليغير بذلك وجه التاريخ جذريا على أرض النيل •

ولقد اختار التحول الاشتراكى طريقا واضحا لتحقيق الثورة الاجتماعية، ولاقى فى طريقه تحديات وصراعات ومعاناة ، لم تثنه عن عزمه أو تغير من فكره وعقيدته . وكان طريقا خاصا لم تطرقه مسيرة ثورات سبقت ، لأنه لم يستورد نظريات ولم يقتبس ، وانما صاغ نظرياته من واقع حياته وتجاربه وفكره ، ومن مجتمعه ، وكفاح شعبه .

وهكذا حقق سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الرئيسية . والتجأ الى التخطيط القومى الشامل ، واستهدف تذويب الفوارق بين الطبقات ، ومنع الاستغلال ، ونقل السلطة السياسية الى يد قوى اجتماعية تمثل تحالف قوى الشعب العاملة .

***

وفى مجال القومية العربية ، فان أعظم ما حققه عبد الناصر من خلال قيادته وتفجيره للثورة العربية فى رأى الكتاب العرب هو تأكيد الانتماء المصرى الى الأمة العربية تاريخيا وحضاريا ونضاليا ومصيريا . وكانت هذه الحقيقة قد حجبت بغشاوة على المستوى الرسمى ، خلال النصف الأول من القرن العشرين ، حين تكاتفت قوى الاستعمار مع القوى الحاكمة التقليدية ، على شن حرب عوان عليها ، وسعت بقوة لاستبدالها بالانتماء الاقليمى المعزول ، الذى يحاول أن يجد له سندا فى أغوار التاريخ السحيق.

وقد كان أسلوب عبد الناصر فى تأكيد الانتماء المصرى الى الأمة العربية ، وضرورة الوحدة ، وربطها بوحدة المصير ، وبلورة مفاهيم القومية العربية على مدى الوطن العربى ، يقوم على استخلاص العبرة من وقائع التاريخ ، التى أكدت وشائج الانتماء المصرى ، ونزول الهزيمة بالعرب

كلما أصابتهم الفرقة . وسعيه الدائب لجمع الشمل ، والتخفيف من حدة الصراع فى داخل الوطن العربى ، وتحويل هـذا الصراع الى أعداء الأمة العربيـة .

وكان سلوك عبد الناصر لا ينفصل عن دعوته . اذ كان يخوض معركة نضالية بعد معركة ، فى سبيل تحقيق هذه الدعوة ، دعوة الوحدة المعبرة عن شمول القومية العربية ، لكل من ينتمى الى الأمة العربية ، وفى قيـادة معارك التحرر ، والوحدة العربية .

***

ان جمال عبد الناصر ـ كما يقول القذافى ـ لم يكن شخصا مجردا . وانما كان مبادىء وحركة تاريخ . ودور جمال عبد الناصر لم ينته بموته . وعلينا كناصريين أن نترجم الناصرية الى مبادىء وأعمال من خلال المؤسسات الجماهيرية التى تركها القائد العظيم .

***

ان ضباط الشرطة بهذا الاسهام ، قد كرموا أنفسهم ، وكرموا هيئتهم بتخليد جانب من فكر وثورة ونضال جمال عبد الناصر . وهو عمل زادهم قدرا وتشريفا .

القاهرة فى أول يونيه ١٩٧١

عميد دكتور
عبد الكريم درويش

البحث الأول

صفحة

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

صفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

البحث الثانى

صفحة

البحث الثالث

صفحة

البحث الرابع

صفحة

صفحة

الفصل الرابع ـ سياسة عبد الناصر فى محاربة الاستعمار على الصعيد العالمى :

الفصل الخامس ـ حرب عبد الناصر ضد الاستعمار فى الوطن العربى :

الفصل السادس ـ حروب الاستعمار ضد عبد الناصر :



معهد تدريب ضباط الشرطة

البحث الأول

جمال عبد الناصر
والقومية العربية

بقلم :

المقدم ابراهيم محمد الفحام



بسم الله الرحمن الرحيم

جمال عبد الناصر والقومية العربية

المقـــدمة

اعتاد الباحثون فى « القومية العربية » أن يبدأوا كتاباتهم بدراسات مطولة، عن النظرية العامة للفكرة القومية ، والنشأة التاريخية لمبدأ القوميات، وانتشاره بين الشعوب الأوربية ثم الشرقية ، والنظريات المختلفة التى تتناول بالتحديد أسس القومية وعناصرها . ثم ينتقلون من ذلك الى الحديث عن القومية العربيـــة ، فيظهرون مدى توفر هـــذه الأسس والعناصر فيها ، ويستعرضون المراحل التاريخية التى مرت بها كفكرة وكمبدأ ، منتهين بالمرحلة الحالية ، التى حمل فيها الزعيم الخالد « جمال عبد النـــاصر » لواء الدعوة القومية ، فأعاد اليها صحوتها وقوتها ، وحدد مفاهيمها وأهدافها ، وأخرجها من ظلمات الرجعية ، وحررها من أغلال الاستغلال والتبعية ، وأضفى عليها طابعها الثورى ، بمضمونه الديمقراطى الاجتماعى ، الذى يتفق مع واقع الأمة العربية ، ومصلحة شعوبها الواعية الكادحة .

ومع اعترافى التام بأهمية مثل هذه الدراسات التمهيدية ، كمدخل للحديث عن هذه المرحلة الأخيرة ، فاننى لا أجد ضرورة للتقيد بهذا المنهج ، فى بحثى هذا ، الذى يحمل عنوانا بالغ التخصص والتركيز ، وذلك حتى لا يطغى مدخل البحث على لبّه وجوهره ، وخاصة اذا كان ما يقدمه من الحقائق والمعلومات الأولية ، فى مثل هذا البحث ، من قبيل القول المعاد ، الذى لا يحسن تكراره الا فى المؤلفات الدراسية ذلك الطابع العام ، التى تعنى بالأصول والتعاريف ، وبالاحاطة الشاملة ، التى تتناول الموضوع من الألف الى اليــاء .

وليس معنى هذا أننى سأستغنى فى بحثى هذا تماما ، عن ذكر هذه الحقائق والمعلومات الأولية ، فاننى وان كنت لن أفرد لها فصولا تمهيدية خاصة ، فان هذا لن يمنع من ذكر بعضها فى مواضع متفرقة من البحث ، كلما دعت الحاجة الى ذلك ، سواء للمقارنة ، أم الاستشهاد ، أم التوضيح .

وتبدو هذه الحاجة على الأخص ، فى تصوير الحالة التى انتهت اليها الحركة القومية فى البلاد العربية ـ وخاصة فى مصر ـ قبل أن تتداركها زعامة جمال عبد النـاصر ، وينتقل لواؤها اليه .

ولمـا كان من أهم صفات هذا البحث أننا نقدمه من زاوية مصرية ، كما أن من أهم ما حققه زعيمنا الراحل فى هذه المرحلة ، هو « تأكيد انتماء الشعب المصرى الى الأمة العربية » وتهيئته للقيام بدوره البطولى فى الحركة القومية ، فسنبدأ البحث بفصل نخصصه لدراسة ملامح هذا الانتمـاء وأعماقه ، مع التركيز بصفة خاصة على الروابط الحديثة والمعاصرة ، التى تربط الشعب المصرى بسائر الشعوب العربية ، على غير ما اعتاد الباحثون من التركيز على الروابط التاريخية القديمة . فمع اعترافى بما يثبته التركيز على الروابط التاريخية القديمة ، من عراقة هذه الروابط وعمقها ، فلا شك أن التركيز على الروابط الحديثة والمعاصرة ، يثبت حيويتها واستمرارها .

والذى أقصده من هذا الفصل ، أمران :

اولا :

اثبات أن ما فعله جمال عبد النـاصر من تأكيد انتماء الشعب المصرى الى الأمة العربية ، كان كما ذكرنا «تأكيدا لهذا الانتماء» وليس «اختلاقاله» . وفى هذه الحقيقة من الانصاف لأهداف قائدنا الراحل ، ما فيه بالنسبة للشعب المصرى ، الذى ينكر بكل صلابة واباء ما يدعيه أعداؤه ، وأعداء الحركة القومية ، من أنه قد ربط بها ربطا وأنه فى الحقيقة دخيل عليها .

ثانيا :

أن هذه الدراسة تعد فى الوقت نفسه مقدمة لا غنى عنها للانتقال الى الفصل الثانى ، الذى سأتناول فيه « حالة الدعوة القومية فى مصر » قبل مرحلة الزعامة النـاصرية .

وسننتقل بعد ذلك ــ فى الفصل الثالث ــ الى ايضاح الحالة التى انتهت اليها هــذه الدعوة فى البلاد العربيــة الأخرى قبل تلك المرحلة ، مع تفصيل الحديث عن أهم خصائصها ٠

واننا وان كنا لن نبدأ الحديث عن مرحلة الزعامة النــاصرية للحركة القومية ، الا فى الفصل الرابع ، الذى سنفصل فيه الحديث عن خصائص هذه المرحلة ، الا أنه لا يمكن بحال اعتبار موضــوعات الفصول الثلاثة الأولى خارجة عن صلب « هذا البحث » ، أو أنها مجرد مقدمة مطولة له ٠ وذلك لأن من أهم صفات هذا البحث أنه مبنى على «التأصيل» و «التبرير» و « المقارنة » ٠

وبعد أن نتحدث عن خصائص هذه المرحلة ، سننتقل الى الحديث عن « فضل الزعامة النــاصرية فى تحرير الشعوب العربية » ٠

وفى الفصل السادس سنتحدث عن المطاعن والانتقادات التى وجهت الى تلك المرحلة ، من حيث مبادؤها ، أو أعمالها ، وحملات التشكيك التى شنت عليها ، مع الرد على كل منها ٠

أما الفصل السابع ، وهو خاتمة هذه الفصول ، فسنخصصه للرد على ذلك التساؤل الذى أثارته أجهزة الاعلام الأجنبية ، وهمســات البلبلة والتشكيك حول « مستقبل الحركة القومية بعد وفاة زعيمنا الراحل » ٠

وقد راعينا توضيح مراجع البحث ، مع الاشــارة اليها بالأرقام ، الا أننا قصرنا ذلك غالبا على المؤلفات التى رجعنا اليها ، أما الصحف فقد أشرنا اليها والى تواريخها فى صلب البحث ٠

وبالنسبة لأقوال الرئيس الراحل التى استشهدنا بها ، فما أخذناه منها عن كتب خاصة ، أشرنا اليها ضمن المراجع ، وأما ما أخذناه منها عن الصحف اليومية ، فقد اكتفينا بذكر الأماكن والمناسبات والتواريخ التى ألقيت فيها ، وفى ذلك ما يكفى لتحديد مصادرها ، وهى الصحف التى صدرت فى اليوم التالى لالقائها ٠

الفصل الأول

انتماء المصريين للأمة العربية

يقول الدكتور أحمد صدقى الدجانى ، فى بحث له بمجلة الهلال « عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠ » عن « عبد الناصر والثورة العربية » .

« ان أعظم ما حققه عبد الناصر من خلال تفجيره وقيادته الثورة العربية ، هو تأكيد الانتماء المصرى الى الأمة العربية تاريخيا ونضاليا ومصيريا » .

ثم يشرح ما يقصده من ذلك فيقول « ونقول «تأكيد» لأن هذا الانتماء حقيقية تاريخية ونضالية ومصيرية ، كانت موجودة دوما ، ولكن هذه الحقيقة حجبت بغشاوة ، وأنكرت على المستوى الرسمى ، خلال النصف الأول من القرن العشرين على الخصوص ، حين تكاتفت قوى الصراع الاستعمارى مع القوى الحاكمة التقليدية ، على شن حرب عوان عليها ، وسعت بقوة لاستبدالها بالانتساء الاقليمى المعزول ، الذى يحاول أن يجد له سندا فى أغوار التاريخ السحيق ، ويستغل مشاعر الوطنية لينحرف بها » .

والواقع أن الشعب المصرى لم يفقد فى يوم من الأيام شعوره بالانتماء الى الأمة العربية ، وأما المناقشات النظرية التى كانت تدور حول عروبة هذا الشعب ، فقد كانت — بصرف النظر عن بواعثها ومبرراتها ، وبرغم نفوذ مصادرها ، وارتفاع ضوضائها — تعجز كل العجز عن مجرد مس هذا الشعور ، وخاصة على المستوى الشعبى ، وليس أدل على ذلك من هذا التعبير العامى الصادق الأصيل ، الذى تخلده المأثورات الشعبية ، والذى يأبى أن يعبر عن « المصرى » الا بأنه « ابن العرب » .

ولا يتسع هذا المقام ، للاستشهاد على ذلك بالعديد من أقوال العلماء الذين أثبتت دراساتهم التاريخية والجنسية والأثرية ، عراقة الصلة ، ووحدة الأصل بين الشعب المصرى ، والشعوب العربية الأخرى ، وحسبنا أن نقدم

ــ على ســبيل المثال ــ بعض ما أثبته الدكتور جمال حمدان فى كتابه « شخصية مصر » .

فبعد أن أثبت أن تعبير « العربية » يحمل مضمونا ثقافيا أكثر منه جنسى ، قال « ومع ذلك فكل الغطاء البشرى الذى يغطى ما يعتبر الآن العالم العربى ، فرشة واحدة ، من جذر واحد ، وعلى الأقل فان الاختلاط والانصهار الدموى بين العرب الوافدين والسكان الأصليين ، حقيقة تاريخية بعيدة المدى » .

ثم قال « شعوب المنطقة ــ قبل العرب والاسلام ــ هم أساسا وأصلا أقارب ، انفصلوا جغرافيا ، ابتداء من العراق الى الشام الى الجزيرة العربية ، ومن مصر الى المغرب أو السودان . والتوطن المحلى والمؤثرات الدخيلة الموضعية ، والتزاوج الداخلى الذى حدث بعد ذلك لا يمكن أن ينتج أكثر من ابتعادات محلية ضئيلة ، لا تغير من حدة الأصل الدموى ، وتجانس العرق فى كثير،وان تطورت اللغات ما بين سامى وحامى ، ويظل العالم العربى أو بيت العرب الجغرافى الكبير هو « دوّار العرب » بمعنى الأسرة الموسعة التى تضم عدة أسر نووية أو خلوية » .

وبعد أن نحيل القارىء الى كتاب محمد عزة دروزة ، عن « عروبة مصر من قبائلها » الذى يتحدث فيــه عن هجرة القبائل العربيــة المتتابعة الى مصر منذ الفتــح الاسلامى ، واسهامها فى مداومة تركيز الخصائص العربية فى الدم المصرى ننتقل الى ايضاح الروابط القبلية والعائلية الحديثة والمعاصرة ، بين الشعب المصرى ، والشعوب العربية الأخرى .

ولقد كان الشعب المصرى ــ حتى طوال العصر العثمانى ــ فى تفاعل واختلاط دائم ، لا يعترف بالحدود ولا القيود مع سائر الشعوب العربية .

وقد قدم لنا نعوم بك شقير فى كتابه « تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها » بيانا وافيا بأسماء عشرات من العائلات المصرية ، التى تنتمى الى أصل (سورى) بالمعنى العام الذى كان يقصد من هذه الكلمة عند وضع ذلك الكتاب (فى سنة ١٩١٦) وهو يشمل اليوم سكان سوريا ولبنان وفلسطين والأردن .

كما قدم لنا الأب بولس قرألى والياس زاخورا معلومات آخرى مماثلة فى كتابيهما اللذين يعرفان باسم واحد وهو (السوريون فى مصر) .

والذى يتابع أسماء القبائل العربية فى المملكة العربية السعودية ، التى جاء ذكرها فى كتاب فؤاد حمزة عن (قلب جزيرة العرب) وهى قبائل ترتبط بروابط القربى بسائر قبائل الجزيرة العربية وجنوبى سوريا والعراق يلحظ أنه لا تكاد توجد قبيلة من تلك القبائل ، الا ولها فروع تحمل هذه الأسماء نفسها ، فى بعض أنحاء مصر ، وان كانت قد توطنت آلاف العائلات التى تنتمى اليها ، وفقدت آقدارا متفاوتة من بداوتها ، وأصبح أفرادها فى حكم الفلاحين المصريين ، وخاصة بعد أن ألغيت آخر امتيازات البدو فى سنة ١٩٤٧

وتصور لنا عمق الروابط بين الشعبين المصرى والليبى ، والتى يوجد ما يماثلها من الروابط بين الشعب الليبى ، وسائر شعوب دول شمال افريقيا تلك المؤلفات العديدة ، التى عنيت بتوضيح أنساب العائلات المصرية والليبية الحالية التى تنتمى الى أصول قبلية مشتركة ، وخاصة كتاب الشيخ عبد السلام حمد الحبونى عن (أنساب قبائل العرب) ، وكتاب محمد السنوسى ابن السيد محمد الغزال عن (السبك الحديث فى تاريخ برقه القديم والحديث) وكتاب أحمد لطفى السيد عن (قبائل العرب فى مصر) وتعليقات الأمير شكيب أرسلان ، على كتاب (حاضر االعلم الاسلامى) للعالم الأمريكى لوثروب ستودارد .

وبرغم أن النظم والروابط القبلية قد فقدت معظم صلابتها وحدتها فى مصر ، بفضل ما أتيح لغالبية الجماعات البدوية الليبية الأصل فيها ، من أسباب التحضر والاستقرار ، فان آلافا من العائلات المصرية ، التى تنتمى الى هذه الجماعات ، والتى يعيش معظمها فى سبع عشرة محافظة من محافظاتنا الخمس والعشرين ، لا تزال تتذكر أصولها القبلية ، وتحس — على الأقل — بعاطفة القربى نحو العائلات التى تشاركها هذه الأصول ، وان اختلفت مواطنها .

وتحرك هذه العاطفة من وقت الى آخر ، زيارات التعارف والمجاملة ، التى يقوم بها بعض الليبيين لأقاربهم من البدو والفلاحين المصريين ، الذين

توطنت عائلاتهم فى مصر ، منذ زمن بعيد ، كما تحركها الحكايات التى يتوارث ترديدها أبناء تلك العـائلات الأولى ، وسير شـيوخهم وأبطالهم القدامى ، التى حدثت بعض أحداثها فى ليبيا وبعضها فى مصر ، مما يجعلها من المأثورات الشعبية الليبية والمصرية معـا .

وبدافع من الاحساس العميق بأواصر القربى بين الشعبين المصرى والليبى ، تألف فى سنة ١٩٤٦ حزب « الاتحاد المصرى الطرابلسى » برياسة الأستاذ على رجب الليبى الأصل ، الذى تزعم أول دعوة حديثة للوحدة بين ليبيا ومصر ، وان لم تتهيأ لانجاحها الظروف السياسية فى كلا البلدين فى ذلك الوقت .

وجاء على لسان رئيس ذلك الحزب فى حديث ألقاه بنقابة الصحفيين فى القاهرة فى ٢٣ مايو سنة ١٩٤٧ :

« مادام فى طرابلس شعب عربى، تربطه بمصروحدة التاريخ، والعقيدة، والجنس ، والجوار ، والثقافة ، والعادات ، والمصالح المشتركة ، وما دامت لاتفصل بين القطرين المصرى والطرابلسى — يقصد الليبى — أية حدود طبيعية ، بل وما دام عدد الطرابلسيين المنتشرين فى ربوع القطر المصرى ، الذين أجلتهم من بلادهم الحوادث وظروف الاستعمار الايطالى ، لايقلون عن عدد الطرابلسيين الذين يغمرون القطر الطرابلسى المترامى الأطراف ، والذى تزيد مساحته عن مساحة القطر المصرى فمن الذى سيقوى على منع قيام اتحاد بين هذين البلدين الشقيقين ، والقطرين المتلاصقين ، وهو اتحاد يتوقف عليه سلامة كيان كل منهما ، واستقرار الحياة فى ربوعهما (١) .

والواقع أن الذى شجع الليبيين على الهجرة الى مصر ، تحت وطأة الاستعمار الايطالى ، هو اللحاق بأبناء عمومتهم الذين سبقوهم للتوطن فيها ، تحت وطأة عوامل أخرى عديدة ، فى عهود مختلفة ، وخاصة فى القرنين السـابقين .

ومن أجلى مظاهر الشعور بالقربى الذى تكنه العائلات المصرية ، التى ترتبط أصولها القبلية بالشعب الليبى ، أنه عندما افتتح باب التطوع لانشـاء نواة الجيش الليبى فى مصر سنة ١٩٤٠ بلغ عدد من تطوعوا فيه

فى ذلك الوقت وحده نحو ١٤ ألف شاب من أبناء تلك العائلات (٢) ، برغم أن الغالبية العظمى منهم قد ولدوا — بل وولد آباؤهم وربما أجدادهم أيضا — على أرض مصر •

وقد أثبتت لى هوايتى المفضلة ، وهو دراسة أصول اللهجات العامية ، والأزياء ، والعادات والتقاليد ، والآداب والفنون الشعبية وأصول العائلات ، وأسماء الأشخاص والمدن والقرى ، فى المناطق التى عملت فى خدمة الشرطة، بالوجهين البحرى والقبلى ، مدى عمق المؤثرات العربية — غير المصرية — فى ملامح مجتمعاتنا الريفية ، الأمينة على أصولها وتجاربها وذكرياتها •

وقد يكفى أن نذكر كمثل لهذه المؤثرات أن نسبة كبيرة من الأولياء الذين تنتشر أضرحتهم فى أنحاء مصر ، وتدور حول سيرهم وأضرحتهم ، مجموعة من أعذب الأقاصيص والأغانى الشعبية ، يرجعون الى أصول مغربية ، وسودانية ، وحجازية ، ويمانية ، وشامية ، وعراقية •

ونذكر الى جانب هذا أن الطرق الصوفية التى يعتنقها عشرات الآلاف من المصريين ، فى المدن والقرى ؛ ويرفعون أعلامها وشعاراتها ، ويترنمون بأناشيدها ، ويرددون فى صلواتهم أورادها وأحزابها ، و يطلقون على أبنائهم أسماء شيوخها ، هذه الطرق يرجع معظمها الى أصول عربية غير مصرية •

ومثال ذلك ، أن الطريقة الشاذلية مغربية الأصل ، والطريقة التجانية جزائرية الأصل ، والطريقة العروسية تونسية الأصل ، والطرق السنوسية والمدنية والسلامية ليبية الأصل ، والطريقة الميرغنية سودانية الأصل ، والطريقة العلوانية يمنية الأصل ، والطرق الرفاعية والنقشبندية والمسلمية عراقية الأصل ، والطريقة السعدية سورية الأصل •

ويقابل ذلك انتشار الطريقتين الأحمدية ، والبرهامية المصريتى الأصل ، فى البلاد العربية الأخرى •

وفى أسماء المصريين وعائلاتهم تلتقى أسمـــاء المغربى ، والجزايرلى ، والتلمسانى ، والتونسى ، والحجازى ، والمكى ، والمدنى ، والجداوى ، والتهامى ، والنابلسى ، والعكاوى ، والرملى ، والعسقلانى ، والشـــامى ، والحلبى ، والعراقى ، والبغدادى .

ولم تكن مظاهر الروابط بين الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية مقصورة على من هاجر الى مصر من عائلات تلك الشعوب ، واستقر فيها ، فهناك كثير من العـــائلات العربية التى تعيش خارج مصر ، وتنتمى الى أصول مصرية .

وعن العائلات الفلسطينية التى تنتمى الى أصل مصرى ، قال الكاتب الفلسطينى عمر الصالح البرغوثى فى مقدمة كتابه عن (الوزير اليازورى) تحت عنوان (علاقة فلسطين بمصر) .

« ان أكثر من عشر سكان فلسطين يمتون الى أصل مصرى ، هاجرت عائلاتهم مع جيش ابراهيم باشا الى فلسطين ، ثم التجأت عائلات أخرى فرارا من السخرة والشدة فى حفر القنال . ولا تزال تحمل الطابع المصرى فى الاسم ، مثـــل عائلات المصرى والدمياطى والزعبـــلاوى والشرقاوى والأنشاصى والعرايشى وغيرهم . وكذلك اللهجة المصرية ، والطعام المصرى ، واللباس الريفى ، والعادات المصرية ، فهى شائعة فى الساحل ما بين خان يونس وعكا » .

وتعرض الكتاب الفلسطينى (عارف باشا العارف) لهذه العـــلاقة فى كتابه (تاريخ غزه) بقـــوله :

« لقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة على مر الأحقاب ، وان كنت فى شك من قولى هذا فما عليك الا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة فى شارع من شوارع غزة ،

فى هذه الأيام (سنة ١٩٣٤) تشـابه فى الرداء واللهجة ، وفى العادات والعنعنات ، وفى الأفراح والمآتم ، وفى السحن وتقاطيع الوجه ، وفى الأبنية والمآكل وفى كل شىء » •

وأشار الكاتب المصرى عباس العقاد الى تلك العـلاقة ومظاهرها ، ضمن الفصـول التى نشرها عن انطباعاته فى رحلة فلسـطين فى صـيف سنة ١٩٤٥ ، والتى أعيد نشرها فى كتابه (حياة قلم) سنة ١٩٦٤

« أحسب أن المصريين الفلسـطينيين فى مجال الهجرة فرسـا رهان ، أو فارسان متقاربان •

فمن فلسطين مهاجرون فى مصر ، ومن مصر مهاجرون فى فلسطين ، وقد يعيش الفلسطينى زمنا فى مصر ثم يعود الى بلاده ، وقد ترى بينهم من يلقب بالأنشاصى والبلبيسى والطنطاوى كما ترى بيننـا من يلقب بالغزى والرملى والعكاوى ، وكأنهم يتسابقون أو يتلاحقون فى حلبـة واحدة ، لا يخرجون منها ، لا يسرعـون الى تبديل معالمها ، سـواء فى التقاليـد الاجتماعية ، أو معيشة البيوت ، حتى « الملوخية » وهى صفحة مصرية لا يتقنها الطهاة من غير وادى النيل ، قد أكلناها فى بيت أبى خضرة كما تؤكل على أفخر موائدها التى تعتز بتقديمها فى بواكيرها أو معقباتها ، لأن أبناء هذا البيت يحافظون على تراثهم القديم منذ كانوا بريف مصر ، ولا تزال لهم قرابة فيـه » •

وقد عنى كثير من الكتاب الذين أرخوا للمدن الفلسطينية ، أمثال احسان النمر فى كتابه (تاريخ جبل نابلس والبلقاء) والقس أسعد منصور فى كتابه (تاريخ الناصرة) وعارف باشا العارف فى مؤلفاته عن مدن القدس وغزة وبير سبع ، بتحديد أسماء كثير من العائلات المصرية الأصل ، التى تنتشر فى أنحاء القطر الفلسطينى ، وأسماء بعض الشخصيات التى تنتمى اليها ، والتى لعبت أدوارا هامة فى تاريخ هذا القطر •

وقد ذكر اللفتننت كولونل فردريك ج . بيك فى كتابه عن (تاريخ شرق الأردن وقبائلها) أسماء كثيرة من العشائر المصرية الأصل التى تعيش فى مناطق عديدة من أنحاء الأردن ويطلق على بعضهم حتى الآن (المصاروة) و (المصريين) .

وأشـــار الى مثل ذلك أيضا خير الدين الزركلى فى كتابه (عامان فى عمان) .

وذكر عيسى اسكندر المعلوف فى كتابه (دوانى القطوف فى تاريخ بنى المعلوف) ومحمد عبد الجواد القاياتى فى كتابه (نفحة البشام فى رحلة الشام) ومحمد ديب آل تقى الدين الحصينى فى كتابه (منتخب التواريخ لدمشق) أسماء كثيرة من العائلات السورية واللبنانية التى تنتمى الى أصل مصرى . كما قدم لنا خير الدين الزركلى فى كتابه (الأعلام) تراجم كثير من الشخصيات السورية واللبنانية والفلسطينية التى أسهمت بنصيب وافر فى الحركة العلمية والوطنية ، والتى تنتمى أيضا الى أصل مصرى .

وقد تحدث العلامة السورى محمد كرد على فى عدد أبريل سنة ١٩٤٠ من مجلة (الهلال) عن السوريين الذين ينحدرون من أصـــول مصرية ، فقـــال :

« ترك جيش ابراهيم بن محمـــد على الكبير فى الديـــار الشـــامية وما اليها ، ألوفا من المصريين أصبحوا بعد حين من الدهر ، كأهل الشـــام فى مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة ألوف من المصريين وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية ، وكانوا السبب الظاهر فى اعلان محمد على باشا الحرب على والى عكا ، بل على الدولة العثمانية لأنه طلب ارجاعهم الى مصر ، فأبى الوالى على محمد على اعادتهم محتجا بأن مصر والشـــام شىء واحد ، وكلتاهما تابع للدولة ، وهؤلاء المهـــاجرون الأول تفـــرقوا فى أنحاء فلسطين ، وأحالتهم بودقتها شاميين » .

أما عن جزيرة العرب ـ وخاصة الحجاز ـ فقد حدثنا محمد لبيب البتانونى عن العائلات والشخصيات البارزة التى تنتمى الى أصول مصرية فيها ، فى كتابه (الرحلة الحجازية) كما حدثنا عن مثلها خير الدين الزركلى فى كتابه (ما رأيت وما سمعت) .

ووردت سير بعض تلك الشخصيات فى (مذكرات الملك عبد الله) التى ذكر بها أن أول من تلقى العلم على يده من علماء مكة ، هو الشيخ على منصورى المصرى الأصل ، وكان شيخ والده الشريف حسين بن على ، ثم استكمل دراسته بالطائف على يد عالم آخر مصرى الأصل هو الشيخ ياسين البسيونى . وقال عنهما « أما الشيخ على منصورى فله الفضل فى تمييز الأصولين فى القراءة القديمة والجديدة ، أما الشيخ ياسين فهو الذى فتح الله على بسبب دماثته وحسن احتماله ، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته » .

وحدثنا المؤرخ السودانى محمد عبد الرحيم فى كتابه (النداء فى دفع الافتراء) عن الأصول المصرية لكثير من القبائل والعائلات والشخصيات السودانية ومنها المهدى الكبير ذاته .

ومن أدق وأوفى المؤلفات التى أوضحت الأصول المصرية لكثير من العائلات السودانية ، تلك التى وضعها النسابة السودانى الشيخ عثمان ابن حمد الله ، وخصص كلا منها لذكر أنساب العائلات السودانية فى منطقة معينة من مناطق السودان .

أما عن شعوب دول المغرب العربى ، فحسبنا أن نذكر أن القبائل العربية التى أسهمت فى تعميق ملامحها العربية ، وروابطها بشعوب المشرق العربى ، قد هاجرت اليها فى مصر ، وخاصة تلك القبائل التى تنتمى الى مجموعتى (بنى هلال) و (سليم بن منصور) والتى تنتمى الى بطونها كثير من العائلات المصرية الحالية .

الفصل الثانى

حالة الدعوة القومية فى مصر قبل الزعامة الناصرية

أثبتنا فى الفصل السابق أن الشعب المصرى كان يحس دائما بانتمائه الى الأمة العربية ، وأن هذا الانتماء كان يتسم بصفة الاستمرار والحيوية ، ولم يكن مجرد ذكرى تاريخية عزيزة ، أو روابط قديمة بالية .

على أنه برغم ذلك فقد تعرضت الدعوة القومية فى مصر لقدر كبير من الفتور ، وكان ذلك يرجع لعدة عوامل أهمها انشغال شعوب الأوطان العربية التى كانت تخضع لسلطات دول مختلفة ، بقضاياها التحررية الخاصة وارتباط مصالح حكامها الرجعيين بمصالح سلطات الاحتلال والاستعمار ، أو خشيتها من أن تقضى دعوى الوحدة على نفوذها ومكاسبها ، وتعاون ذلك الثنائى المتحالف (الاستعمار والرجعية) على اثارة النعرات الاقليمية والطائفية لتنفيذ تلك السياسة .

ومن أجل ذلك حوربت فكرة الارتباط بالحركة القومية فى مصر ، حربا لاهوادة فيها . وتصيد ذلك التيار الجارف كثيرا من المفكرين والكتاب المصريين ، الذين تأثروا بتلك العوامل التى ذكرناها ، وسقطوا فى أحابيلها ، ووجدوا ما يؤيدهم فى بعض المظاهر السطحية ، والظروف السياسية الوقتية ، التى كانت تمر بها الشعوب العربية ، والتى أدت الى تعارض مصالحها الوطنية فى كثير من الأحوال .

فقد وجد كثير من الوطنيين السوريين الذين لجأوا الى مصر فرارا من بطش السلطات العثمانية ، فى عهد السلطان عبد الحميد ، ثم فى عهد تسلط حزب الاتحاد والترقى ، من رعاية سلطات الاحتلال البريطانى لهم ، ما دفعهم الى ممالأتها اعترافا بفضلها ، واكتسابا للمزيد من حمايتها ، وحصروا نشاطهم الوطنى فى مهاجمة الاستبداد العثمانى ، ويبدو ذلك واضحا فى اتجاه

الصحف السورية التى كثر صدورها فى مصر فى أوائل الاحتلال البريطانى ، مثل (المقطم) و (المقتطف) و (النيل) و (الزمان) و (والاتحاد المصرى) و (لى نوفل) (٣) .

وقد خصص عبد الله النديم عددا كاملا من مجلة (الأستاذ) لمهاجمة أصحاب جريدة (المقطم) السوريين ، ومن ذهب مذهبهم من أبناء جنسهم ، وكان ذلك سببا فى ارغامه على اغلاق مجلته ، والهجرة من مصر .

كما هاجم حافظ ابراهيم السوريين فى كتابه (ليالى سطيح) (٤) .

كذلك احتضنت السلطات البريطانية الوطنى التونسى (محمد بيرم الخامس) الذى لجأ الى مصر فرارا من سلطات الاحتلال الفرنسى ، وشجعته على اصدار صحيفة (الاعلام) لتأييد سياستها ، فى مقابل السماح له بمهاجمة سياسة الاحتلال الفرنسى فى تونس .

وقد وصف الفيكونت فليب دى طرازى سياسة تلك الصحيفة بقوله :

« كانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم ، وخدمة مصالحهم فى وادى النيل » .

ثم تحدث عن انتقاد العناصر الوطنية المصرية له ، واتهامها اياه بالتناقض مع سياسته المعادية للاحتلال الفرنسى ، فقال :

« وساء ذلك بعضهم ، وانتقدوا عليه هذه الخطة ، لأنها تعاكس ما كانت عليه سياسته فى تونس التى هجرها من حكم الأجانب ، فكيف يكلف المصريين عكس ذلك (٥) .

وفى الوقت الذى كان الوطنيون من عرب المشرق يجدون فى السلطات البريطانية فى مصر تشجيعا لهم فى صراعهم مع الحكم العثمانى ، كان الوطنيون المصريون يتطلعون الى مساعدة الدولة العثمانية لهم فى صراعهم مع الاحتلال البريطانى .

وقد انتقد الزعيم مصطفى كامل نشاط السوريين المقيمين فى مصر فى خطابه الذى ألقاه فى الاسكندرية سنة ١٨٩٦ (٦) • كما هاجمهم الزعيم محمد فريد فى بعض فقرات مذكراته ، ووصفهم بالدخلاء ، واتهمهم بالاستغلال والتواطؤ مع سلطات الاحتلال •

ومما كتبه فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٤ تعليقا على تعيين السير الدون جورست مستشارا لنظارة الداخلية لاحكام قبضة السلطات البريطانية على تلك النظارة « لا يمضى قليل حتى نرى الدخلاء الشوام انبثوا فى المديريات بوظائف عالية أو ربما عين منهم المديرون وهى الطامة الكبرى التى نخشاها الآن اذ الشوام أضر على مصر من الانكليز أنفسهم (٧) •

وانصافا للحق ، نذكر أن موقف التنافر بين المصالح الوطنية المصرية والعربية لم يمنع كثيرا من أبناء الأقطار العربية المقيمين فى مصر ، من مشاركة المصريين مشاعرهم الوطنية وحركاتهم النضالية فى مناسبات عديدة •

ومن مظاهر تلك الروح اشراك بعض العناصر العربية المقيمة فى القاهرة فى الجمعية العمومية التى انعقدت بنظارة الداخلية فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ لبحث النتائج التى ترتبت على احتلال القوات البريطانية لمدينة الاسكندرية وعندما قررت الجمعية ايفاد لجنة من ستة أشخاص للتوجه الى الاسكندرية لتبليغ قراراتها للخديو توفيق والنظارة ، كان من بين أعضائها الشيخ سعيد الشماخى (وكيل دولة مراكش فى مصر) (٨) •

وكان من السوريين الذين أسهموا فى الحركة الوطنية المصرية ، أديب اسحق ، وسليم فقاش ، ونقولا توما ، ونجيب حداد ، وسعيد البستانى ، كما كان أمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ينتميان الى أسرة سورية (لبنانية) الأصل ، وكان عبد العزيز جاويش ينتمى الى أسرة تونسية الأصل •

ومما يلاحظ أن أول جمعية سرية أنشئت لمقاومة الاحتلال البريطانى ، وهى الجمعية التى أطلق عليها (المؤامرة الوطنية المصرية) واكتشف أمرها فى سنة ٨٣ وكان من أعضائها سعد زغلول ، كان رئيسها رجل مغربى الأصل وهو محمد سعيد الحكيم الذى حكم عليه بالنفى خارج البلاد (١٠) •

ومن شخصيات الحركة الوطنية التى ترجع الى أصل مغربى عمر لطفى بك منشىء نادى المدارس العليا ورائد الحركة التعاونية فى مصر ، وشقيقه أحمد لطفى بك الذى أصبح وكيلا للحزب الوطنى فيما بعد ، وكان والدهما من أشهر التجار المغاربة ، كما كان يمثل حكومة بلاده فى عهد محمد على (١١) .

وقد بلغ التعارض بين المصالح الوطنية لعرب المشرق مع المصالح الوطنية المصرية ذروتها ، عندما أعلن شريف مكة الحسين بن على ثورته على الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٦!

فقد كانت تلك الثورة صفعة قاسية لأمانى المصريين ، الذين كانوا يتطلعون فى ذلك الوقت للخلاص على أيدى القوات التركية الزاحفة نحو حدود مصر الشرقية .

وكانت أنباء نجاح الثورة ، وفشل الحملة التركية على الحدود الشرقية ، ووقوع مجموعات متتابعة من الجنود الأتراك فى أسر القوات العربية والانجليزية المشتركة ، تدمى قلوب المصريين ، وكان شعورهم بالمرارة والأسى تزداد وهم يرقبون جموع الأسرى الأتراك بطرابيشهم الحمراء وهم يساقون الى معسكرات الاعتقال فى شوارع القاهرة والاسكندرية .

وقد روى لنا عبد الفتاح أبو النصر اليافى — أحد ضباط الجيش العربى — فى مذكراته ، واقعة تدل على مدى المشاعر العدوانية التى كان يكنها المصريون نحو الثورة العربية ورجالها فقال :

« أذكر مرة أنه بينما كان ثلاثة من ضباط الجيش الفيصلى — نسبة للأمير فيصل ابن الملك حسين — يقضون مدة اجازتهم فى القاهرة ، خطر لهم أن يقضوا ليلتهم فى مسرح الاجبسيانة ، حيث يمثل رواياته الأستاذ نجيب الريحانى .

واتفق أنه كان يوجد الى جانبهم عدد من الشبان المصريين ، ينتمون الى عائلات مصرية عريقة فأخذوا يسمعون الضباط كلاما جارحا ، لمجرد

كونهم ينتمون الى الجيش الفيصلى ، وقد احتدم الضباط الثلاثة غيظا ، وقامت بينهم وبين الشبان معركة تبودل فيها ضرب العصى والكراسى •

وقد تألف المشاهدون نحو الضباط وانهالوا عليهم بالضرب ، اقتصارا لرفاقهم ، فأثخنوهم جراحا • وعند حضور الدورية انسحب الشبان المعتدون ولاذوا بالفرار ، فنقل الضباط الى الفنادق التى ينزلون فيها بعد أن أجريت لهم الاسعافات اللازمة » •

وكان قد قال قبل ذلك « ان اخواننا المصريين كانوا غير راضين عن أعمال الملك حسين بن على وحركة أنجاله (١٢) •

وقد أثار الصحفى المصرى المعروف محمد توفيق دياب تلك المسألة فى خطابه الذى ألقاه بالحفل الذى أقيم لتكريم بعض الزوار العراقيين فى مصر سنة ١٩٣٦ بقوله « منذ عشرين سنة أو نحوها ، كان أكثر المصريين اذا ذكر البلدان العربية ، ذكرها فى شىء من الموجدة يشبه الالحاد » •

قد ظل التباعد بين القضية الوطنية المصرية والقضايا العربية الأخرى الى ما بعد انتهاء الحرب ، فاغفل العرب دعوة المصريين للمشاركة فى أكبر مؤتمرين عربيين عقدا فى تلك الحقبة بدمشق فى ٢ يونيه سنة ١٩١٩ و ٧ و ٨ مارس سنة ١٩٢٠ • كما رفض سعد زغلول الاقتراح الذى قدمه له بعض الساسة العرب أثناء وجوده فى باريس فى سنة ١٩١٩ للقيام بعمل عربى مشترك ضد القوى المعادية لها ، ورد عليهم قائلا « ان قضيتنا مصرية وليست عربية » وروى عبد الرحمن عزام أنه كان يحدثه يوماً عن الوحدة العربية فقاطعه متهكما « اذا جمعت صفراً مع صفر فالنتيجة صفر (١٣) •

وكان أول اختبار للاتجاه العربى لسعد زغلول ، عند توليه رياسة الوزارة لأول مرة فى أوائل سنة ١٩٢٤ هى مشكلة الزعماء الليبيين الذين لجؤوا الى مصر فراراً من وطأة الاحتلال الايطالى • فانه وان كان قد رفض تسليمهم للحكومة الايطالية تنفيذا لما نص عليه الدستور المصرى من حظر تسليم اللاجئين السياسيين ، الا أنه رفض فى الوقت نفسه قبول اقامتهم فى مصر (١٤) •

وكانت قد حصلت بعض الاتصالات السطحية المفعمة بروح المودة والمجاملة بين الوفد المصرى وبعض الساسة العرب فى باريس ، ولكنها لم تبلغ درجة المشاركة النضالية بعد • ومثال ذلك تلك الكلمة التى ألقاها المجاهد السورى شـكرى غانم فى المـأدبة التى أقامها سـعد زغلول فى فنـدق الكونتننتال فى باريس فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ وقدم فيها «تحية الشام»(١٥)•

والواقع أنه عندما انتهت الحرب العالمية الأولى باقتسـام بريطانيا وفرنسا أشلاء المشرق العربى ، وأخـذ الوطنيون فيه يوجهون نضالهم الى مواجهة سـلطات الاحتلال الجديد ، بدأت ظروف نضالهم تتشـابه وظروف نضال اخوانهم فى مصر ، وبدأ التعارض فى المصالح والاتجاهات يتلاشى • الا أن نتيجـة ذلك كانت لا تخرج عن مجرد اثارة المشـاعر العاطفية ، لانشغال كل مجموعة بمشكلاتها المحلية •

وكانت فلسطين منذ البداية ، من أكثر الأوطان العربية تأثرا بأصداء الحركة الوطنية فى مصر•وذلك بحكم الجوار ، وقوة الارتباط بين شعبيهما، ووقوعها معا تحت وطأة الاحتلال البريطانى •

وكان من مظاهر هـذا التـأثر اطلاق الوطنيين الفلسطينيين لقب (الزعيم الجليل) على اسحق موسى الحسينى باشا رئيس الوفد الفلسطينى الى لندن سنة ١٩١٩ ، وهو يشبه اللقب الذى أطلقه الوطنيون المصريون على سعد زغلول باشا وهو (الرئيس الجليل) •

كما تذكر فرنسيس اميلى نيوتين فى كتابها « خمسون عاما فى فلسطين » أن الوطنيين الفلسطينيين رفعوا فى سنة ١٩٢٠ علما يشبه العلم الذى كان يرفعه الوطنيون المصريون منذ اندلاع ثورة سنة ١٩١٩ والذى يضم هلالا يحتضن الصليب (١٦) •

وذكر مراسل صحيفة (الديلى هيرالد) الانجليزية فى القاهرة أنه فى ٢١ ديسـمبر ١٩٢١ صلى الحجاج العرب الواقفون فى عرفات من أجل نجاح القضـية المصرية ، وحصول الشعب المصرى على استقلاله وتحقيق مساعى سعد زغلول (١٧) •

وعندما توفى سعد زغلول سنة ١٩٢٧ أعلنت معظم الهيئات الوطنية الحداد عليه فى مختلف أنحاء العالم العربى ، وكانت فلسطين من أكثر البلاد العربية اهتماما بتخليد ذكراه ، حتى نشرت صحيفة السياسة الأسبوعية فى عدد ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ نبأ لمراسلها الخاص فى القدس بأن لفيفا من أهالى مدينة يافا طالبوا — بالاشتراك مع لفيف من المصريين المقيمين فيها — الى رئيس البلدية اطلاق اسم سعد زغلول على أحد شوارع المدينة .

وفى ٢٣ ديسمبر فى ذلك العام ، ارتفع صوت المجاهد الفلسطينى حسن صدقى الدجانى مناديا بتنفيذ اقتراح كان قد أعلنه من قبل ، بشأن الاتحاد بين مصر وفلسطين ، كحل حتمى للقضية الفلسطينية ومواجهة الخطر الصهيونى . وذلك فى مقال صحيفة (مرآة الشرق) الفلسطينية ثم نشرت نصه صحيفة السياسة الأسبوعية المصرية فى عدد أول يناير ١٩٢٨ وأنهى المقال بقوله :

« اننى لا أزال أقول وأصرح بأن أحسن شىء يعمله عقلاء الفلسطينيين ، هو أن يطلبوا ويلحوا بلزوم ضم فلسطين الى القطر المصرى ، وجعلهما مملكة واحدة تستظل بظل الراية المصرية ، وتقنع بأن يكون مقدورنا ومقدور مصر واحد . فان ظل اخواننا الانجليز هناك ظلوا هنا ، وان رحلوا من هناك أرسلنا وفدا الى يافا ، يشيعهم ويودعهم ، كما يودعهم المصريون من الاسكندرية أو بور سعيد » .

وكان التقارب بين الوطنيين المصريين وسائر الوطنيين العرب لا يأخذ طابع التضامن العربى الصريح ، بل آثر المصريون أن يضفوا عليه صفة (الطابع الشرقى) العام الذى يشمل الأتراك والايرانيين والأفغانيين والهنود .

وقد ذكر المجاهد الفلسطينى محمد على الطاهر أنه كان فى باريس غداة وفاة سعد زغلول ، فى حفل جمع بعض المصريين والسوريين والعراقيين ، وكان المقصود من اقامته انشاء جمعية لاحياء الروابط الأدبية بين الأقطار العربية ، وثارت مناقشة حادة بين الحاضرين الذين اقترح بعضهم تسميتها (الجمعية العربية) ولكن المصريين أصروا على تسميتها (الجمعية الشرقية) وكانت مناقشة لا نهاية لها (١٨) .

ولم يكن خافيا أن سبب ذلك هو بناء بعض سوء الظن عالقاً بأذهان المصريين نحو الاتجاهات العربية ، كما كانوا مقيدين بمراعاة شعور حكام مصر الذين كانوا أبعد ما يكونون عن الصفة العربية .

وشبيه بذلك ما حدث عندما أصدر المجاهد المصرى المعروف الشيخ على الغاياتى جريدته الفرنسية فى سويسرا فى أعقاب ثورة ١٩١٩ باسم (لاتريبيون دوريان) أى (منبر الشرق) فاقترح عليه المجاهد اللبنانى رياض الصلح أن يطلق عليها (منبر العرب) ولكنه رفض ذلك (١٩) .

وحتى ذلك الطابع الشرقى العام ، كان يلقى معارضة قاطعة من دعاة « المصرية الخالصة » أو « الاقليمية » فعندما دعا بعض الشبان المصريين فى الثلاثينات الى عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين لايقتصر على العرب وحدهم، والتقى وفد منهم بالأستاذ أحمد لطفى السيد مدير الجامعة ، ليحصل على موافقته وتأييده ، لم يوافقهم على مشروعهم وقال لهم « فلنكن مصريين » وليكن تفكيرنا مصريا ، ولنقصر سعينا وجهدنا لرقى مصر وتحسين أحوالها (٢٠) .

ومن العجب أن أحمد لطفى السيد الذى كان من أقدم أقطاب الدعوة الاقليمية فى مصر ، وأكثرهم تشددا ، كان من أبناء قرية (برقين) بمحافظة الدقهلية ، الذى ذكر فى مذكراته أنها استمدت اسمها من قرية (برقين) الفلسطينية ، ويرجح أن يكون أبناؤها الأوائل قد هاجروا اليها من فلسطين (٢١) .

وكانت دعوة أحمد لطفى السيد الاقليمية قد أسفرت عن نفسها ، عندما قامت فى مصر حركة لجمع التبرعات لمعاونة المجاهدين الليبيين الذين هبوا ليقاوموا الحملة الايطالية على بلادهم فى سنة ١٩١١ . فكتب فى صحيفة (الجريدة) التى كان يحررها ثلاث مقالات فى ثلاثة أيام متتالية ، عنوانها جميعا « سياسة المنافع لا سياسة العواطف » ودعا فيها المصريين الى التزام الحياد المطلق فى تلك الحرب ، والى الضن بأموالهم أن تبعثر فى سبيل قلما تفيد بلادهم منه ويذكرهم بأن من الخير أن يبذلوا هذه الأموال لخير مصر ، ولانشاء المرافق المصرية النافعة لأبناء الوطن .

وقد أثارت عليه تلك المقالات عاصفة هوجاء واتهمه البعض بمناوأة دولة الخلافة الاسلامية ، كما اتهمه آخرون بالالحاد (٢٢) •

وكان التيار الاقليمى الذى يدعو اليه بعض رجال الفكر المصريين ، متأثراً بتضارب المصالح الوطنية بين الشعب المصرى والشعوب العربية الأخرى ، الذى أوضحناه من قبل • وكان الاهتمام بشئون بعض الشعوب العربية — كالشعب الليبى فى ذلك الوقت — لا يصدر عن عاطفة عربية خالصة ، بقدر ما كان يصدر عن عاطفة الولاء للدولة العثمانية الأم ، بطابعها الاسلامى ، وهو ولاء لم يكن يلقى تشجيعا من بعض المثقفين والأعيان المصريين ، الذين كان يمثلهم حزب الأمة ذو الاتجاه الاقليمى •

أما الأعيان الموالين للدولة العثمانية الذين ينتمون الى أصول غير عربية ، فكانوا لا يميلون — بحكم هذه الأصول — للاتجاه العربى •

وكذلك كان جمهور الأقباط يفضل الاتجاه الاقليمى بطبيعة الحال على الاتجاه العربى ، الذى لم تكن قد اتضحت معالمه بعد • بل كان مجرد شعار عاطفى غامض ، يخلط أنصاره الدعوة الى (اعادة مجد العروبة) بالدعوة الى (اعادة مجد الاسلام) ولا يقدمون مبررات مقنعة مبينة على فكرة المصالح المشتركة التى تربط بين شعوب العالم العربى ، جميعا على اختلاف طوائفهم وأقاليمهم •

وكان مما يغذى ذلك الاتجاه الاقليمى ما كانت تسفر عنه من آن الى آخر ، دراسة التاريخ المصرى القديم ، والاكتشافات الأثرية المتتابعة من الأمجاد الفرعونية التى تزيد المصريين اعتزازا بمصريتهم •

وقد تمثلت تلك النعرة الاقليمية ذات الطابع الفرعونى ، فى التماثيل التى أقامها مختار ، والطراز الذى أقيم عليه ضريح سعد زغلول ، وفى الشعارات التى اتخذت لكليات الجامعة ، واجتذبت تلك الدعوة كثيرا من المثقفين وأعلام الفكر والصحافة ، مثل طـه حسين ، وسلامه موسى والعقاد وغيرهم (٢٣) ويمثل وجهة نظر العقاد فى تلك الحقبة ذلك الرأى الذى أبداه على صفحات عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٠ من مجلة (كل شىء) عندما طرحت

عليه المجلة وعلى اثنين آخرين من رجال الفكر هما أحمد شوقى ومحمد فريد وجدى استفتاء موضوعه « مصر عربية أم فرعونية » فقال :

« كيف يقال ان مصر عربية أو يراد منها أن تكون عربية ، وهى مصرية لحما ودما واشباحا . وانى لأعجب ممن يتشبث بعروبته من المصريين . وهو يرى تلك الوجوه الفرعونية التى لاتختلف فى سماتها وملامحها عن تلك الوجوه المرسومة لأجدادنا الفراعنة فى تماثيلهم وآثارهم الخالدة ، التى تدلنا على أن بين هذه السلالة الموجودة الآن ، وبين أجيال الفراعنة القدماء ، نسبا متصلا ، وسلسلة تصل الفروع بالأصول » .

ثم عاد فقال « ولكن اذا كنت تنظر الى أن المصريين يتكلمون الآن اللغة العربية التى طرأت بفتوحات العرب وغزوهم لمصر ، فأنا معك أن مصر عربية ، ومن هذه الجهة ينبغى أن تقول أنها شرقية أيضا ، ويجب أن تتعاون مع الأقطار الشرقية الأخرى ،فيما يمضى بالشرق الى المستوى اللائق حتى ينافس الغرب وساكنيه » .

وذكر أحمد شوقى بك فى ذلك الاستفتاء « أن من يقول بعربية مصر ، ومن يقول بفرعونيتها كلاهما غير معيب ، اذا كان لايريد بذلك الاستقلال باحدى الصفتين عن الأخرى ، والانفصال عنها انفصالا تاما . ان مصر بلاد مصر ، ولكن أهلها يشتركون مع سائر بلاد الشرق فى الثقافة العربية ، ويمارسون مثلهم التكلم باللغة العربية ، ومن واجب من يشتركون هذا الاشتراك أن يحافظوا على التعاون فيما بينهم تعاونا ماديا وأدبيا على الدوام » .

أما محمد فريد وجدى ، فقد قطع بزوال الطابع الفرعونى تدريجيا فى مواجهة الفتوح المتتالية ابتداء من الفتح الفارسى ، ثم اليونانى ، ثم الرومانى، وفى خاتمتها الفتح العربى ، وتحدث عن هجرة القبائل العربية الى مصر ودخول القبط الاسلام ، واتخاذهم اللسان العربى ، الى غير ذلك من العوامل التى صبغت مصر بصيغة عربية خالصة ثم قال « فبعد حدوث كل هذه الانقلابات لم يعد من الفرعونية الا اسمها ، فالقول بالعودة الى الفرعونية الأولى رغما من كل هذه الانقلابات ، يشبه القول بالعودة الى الآدمية الأولى » .

والحقيقة أن الدعوة الى الاقليمية أو الفرعونية ، كانت تلقى كثيرا من المعارضة سواء من العرب غير المصريين ، أم من بعض المصريين أنفسهم .

ومن ذلك المقال الذى نشر للعلامة ساطع الحصرى عدد يونيه سنة ١٩٣٨ من مجلة (الرسالة) ردا على ما نشر بمجلة (المكشوف) اللبنانية من حديث للدكتور طه حسين الى بعض الشبان العرب والذى ذكر فيه « أن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وأنها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى وأن المصرى مصرى قبل كل شىء ، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تكن الظروف » .

وجاء فى رد ساطع الحصرى « اسمحوا لى أن أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية . أنا لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال بالنفى ، لأننى أعتقد بأن دعوة المصريين الى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية ، لايتضمن بوجه من الوجوه منهم هذا التنازل عن المصرية. ان دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا من المصريين ضمنا ولا صراحة بأن يتنازلوا عن مصريتهم . بل انهم يطلبون اليهم أن يضيفوا الى شعورهم المصرى الخاص شعورا عربيا عاما وان يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية . فهل لديكم ما يدل على أن العروبة والمصرية ضدان لا يجتمعان وعنصران متعاكسان لا يمتزجان (٢٤) .

وكان الاتجاه العربى قد بدأ يتصاعد فى مصر منذ ثار اهتمام الرأى العام فيها بالقضية الفلسطينية ، وخاصة عندما اندلعت (أزمة البراق سنة ١٩٢٩) الا أن هذا الاتجاه — بحكم طبيعة تلك الأزمة — كان صادرا فى البداية عن وازع اسلامى أكثر منه عربى . وقد مثل المصريين فى « لجنة البراق الدولية » التى عقدت فى العام التالى بعض المهتمين منهم بالشئون العربية والاسلامية (٢٥) .

ومما عزز الطابع الاسلامى للاهتمام بالمشكلة الفلسطينية بالنسبة للمصريين طرحها على (المؤتمر الاسلامى الذى عقد بالقدس فى سنة ١٩٣١) .

وقد أثيرت فى مواجهة الدعوة لهذا المؤتمر ،بعض الاعتراضات فى مصر ، بسبب خشية الملك فؤاد وحكومة صدقى باشا أن يتناول المجتمعون موضوع الخلافة ، والمطالبة بمخصصات الحرمين .

ورأى حزب الوفد أن يستغل موقف الحكومة من ذلك المؤتمر ، فى الأوساط الشعبية المصرية ، فشكل وفدا لتمثيله فيه ، واضطرت حكومة صدقى باشا لارسال وفد آخر يناوئه ، ويتابع أحداث المؤتمر للتصدى لأية دعوة تحقق مخاوف الحكومة المصرية والملك فؤاد .

وفى المؤتمر حدثت عدة احتكاكات بين الوفدين ، وبين الوفد الحكومى وبعض الوفود العربية الأخرى ، وتابع الرأى العام المصرى — الذى كان يعادى اتجاهات الحكومة ويتعاطف غالبا مع اتجاهات الوفد — أنباء المؤتمر وأحداثه باهتمام شديد . وخلال ذلك الاجتماع تضاعف اهتمامه بالقضية الفلسطينية حتى أصبحت تكاد ترتبط بالقضية المصرية (٢٦)

وقد أيدت ذلك الاهتمام الصحافة المعارضة ، وأصبحت القضية الفلسطينية من القضايا التى تستغلها المعارضة فى كل عهد لكسب الرأى العام ، واحراج الأحزاب الحاكمة .

وكان من مظاهر ذلك الاتجاه الجديد ، أحاديث مكرم عبيد (القطب الوفدى) التى ألقاها فى زيارته لبعض مدن سوريا ولبنان وفلسطين فى سنة ١٩٣١ ، وأكد فيها أن الفكرة العربية جديرة بأن يقبلها الأقباط ، وهاجم الدعوة الفرعونية ووصمها بالانعزالية والرجعية ، وتعقب التراث العربى فى مصر الى أقدم العصور (٢٧) .

وكان مما أخذ على حكومة صدقى باشا ، موافقتها على الاشتراك فى المعرض الصهيونى الذى أقيم فى تل أبيب فى سنة ١٩٣٢ واصدارها الأمر بتخفيض أجور السفر بالقطار الى فلسطين ، أثناء انعقاده ، الأمر الذى أثار مشاعر الوطنيين الفلسطينيين وشاركهم فى ذلك الرأى العام المصرى (٢٨) .

ولا نريد أن نسترسل فى استعراض مظاهر استئثار القضية الفلسطينية باهتمام الرأى العام المصرى ، وارتباطها بالقضية الوطنية المصرية ، وحسبنا أن نستخلص من هذا كله أن هذه القضية كان لها الفضل فى اثارة المشاعر القومية العربية فى نفوس المصريين .

ومن العجب حقا أن هذه القضية التى يرجع اليها الفضل فى احيـاء تلك المشاعر ، كانت هى ذاتها التى هددت نفس المشاعر وضربتها فى الصميم فيما بعد .

وكان سبب ذلك هو تلك الظروف الآثمة المخزية التى واجهها الجيش المصرى فى حملة فلسطين سنة ١٩٤٨ والتى أسهمت بأوفر نصيب فى الانحدار الى تلك النهـاية التاريخيـة الأليمة ، التى أحدثت صـدى مريرا فى نفوس المصريين .

.. ويمكن الرجوع الى تفصيلات ذلك كله فيما كتبه الدكتور أنيس صايغ فى كتابه (الهاشميون وقضية فلسطين) وما كتبه (عبد الله التل) فى كتابه (كارثة فلسطين) .

وقد وجد هذا الصدى المرير من يستغله ، أو ما يستدل به على بعد نظره ، لتوجيه مشاعر المصريين القومية التى أشعلها الاهتمام بالقضيـة الفلسطينية ، نحو الاتجاه المضاد . وبكل سـهولة انقلبت مشـاعر الكثيرين من النقيض الى النقيض .

وكان مرجع تلك السهولة أن تلك المشاعر كانت ترتفع على أسس عاطفية هشة ، لا على أسس من الايمان العميق والمبررات القوية المقنعة ، التى ترتبط بفكرة (الوجود أو عدم الوجود أو الحياة أو الموت) التى لا تتأثر بالهزات والأزمات .

وقد تزعم صدقى باشا الدعوة الانعزالية فى تلك الآونة ، وارتفع صوته ليكرر ما سبق أن ردده من وجوب تجاهل القضية الفلسطينية ، وعدم الاشتراك فى نجدة أهلها . وقد نشرت له جريدة (أخبار اليوم) ذلك الرأى الذى أصر عليه يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهو اليوم الذى بدأت تتجه فيه الجيوش العربية نحو حدود فلسطين .

ويؤكد المقال الذى نشره صدقى باشا فى جريدة الأهرام فى ٢٦ مايو سنة ١٩٤٩ للاعتراض على ما أشيع من اعتماد مبالغ لتعزيز الجيش المصرى ، وانشاء مصانع ومنشآت حربية ، أن هذه الفكرية لم تكن صادرة عن وعى

صادق أو وازع وطنى ، بل كانت صـدى لاتجاهه التقليدى المتعـاون مع الاستعمار .

ففى ذلك المقال أعلن صدقى باشا أنه لا سلام لمصر ، الا بالانضمام لأحد الأحلاف الدولية ، مثل (كتلة الأطلنطى) التى وصفها بأنها « أصبحت دعامة السلام ، وأمل كل من أراد خير الانسانية » واقترح « المبادرة الى الاتصال بالدول ذات المصالح غير المضادة لمصالحنا ، وذات القوة التى قد يفيدنا استخدامها لأغراضنا ــ يقصد الدول الغربية ــ كما نبحث معا وسائل هذا الانسجام وذلك الالتئام » .

وقد جدد صدقى باشا دعوته الى تجاهل الخطر الصهيونى ، والابتعاد عن القضية الفلسطينية ، فى حديثه الى أحد محررى مجلة (المصور) الذى نشر فى عدد ١٥ يوليو ١٩٤٩ ردا على سؤاله « ألا زلتم ترون أنه لا خطر على مصر من الصهيونية ؟ » .

فقال « نعم لأنه لا يعقل أن اسرائيل وتعدادها لا يزيد عن مليون يهودى من أجناس مختلفة ، تستطيع أن تجند جيشا وتحارب به مصر . وهى أكثر منها عددا وأكبر ثروة ، بنسبة لا تقبل المقارنة . هذا فضلا عن أن للدول الكبرى وبخاصة بريطانيا مصالح مرتبطة بمصالح مصر ، وهى لذلك لن تسمح ــ مهما تبدلت الأحوال ــ بهذا الاعتداء . ولعل أقرب الأمثلة على ذلك ما حدث فى حرب فلسطين ، عندما حاول اليهود الاعتداء على حدود شرق الأردن فى العقبة ، وقد حالت بريطانيا دون هذه المحاولة» .

وبهذا يدافع صدقى باشا عن سياسة الأحلاف ، ويطالب بالاعتماد على الحماية الأجنبية فى الدفاع عن البلاد ، لا على القوة الذاتية ، والترابط العـربى .

وقد تتابع ارتفاع الأصوات التى تدعو الى ابتعاد المصريين عن قضايا العرب ، وعدم الثقة فيهم فنشرت مجلة (المصور) حديثا لأحمد لطفى السيد فى عدد ٥ مايو سنة ١٩٥٠ تعرض فيه لعلاقة مصر بالعالم العربى والقومية العربية ، ذكر فيه أنه طالمـا ألح فى تأييـد « مصرية المصريين » ثم قال

« نحن المصريين يجب أن نتمسك بمصريتنا ولا ننتسب الى وطن غير مصر ، مهما كانت أصولنا حجازية أو سورية أو شركسية أو غيرها ، ويجب أن نحافظ على قوميتنا ، ونكرم أنفسنا ووطننا ، ولا ننتسب الى وطن آخر ، ونخصه بكل خيرنا وكل منافعنا ، ونحيطه بكل غيرتنا » •

ونشرت مجلة (المصور) مقالا للدكتور حسين مؤنس فى عدد ٤ يناير سنة ١٩٥١ بعنوان (وحدنا) انتقد فيهـا اندفاع الشعب المصرى نحو مساندة الشعوب العربية ، بينما هى تتخلى عنا وتتركنا وحدنا عندما تكون المعركة معركتنا • وطالب بالابتعاد عن قضايا العرب واتباع الطريق الذى فيه مصلحتنا فقط ، حتى لا تثير الدول الكبرى علينا •

وقد علق رئيس التحرير فكرى أباظه على ذلك المقال بقوله :

« نشرنا للزميل هذا الرأى عملا بحرية الرأى وحرية النشر ، ولكننا لا نوافقه على وجهة نظره • فالحكاية هى نضال بين الاستعمار والحرية ، ومصر يجب أن تناضل الاستعمار أيا كان » • كما رد الزعيم المغربى علال الفاسى على مقال حسين مؤنس فى عدد ١١ يناير تحت عنوان « كلا لستم وحدكم » أشار فيـه الى تضامن الشعوب العربية مع أشقائهـا فى مصر فى معركة التحرير •

أما صدقى باشا فقد تمادى فى دعوته ، حتى طالب صراحة بالتعاون مع الصهيونيين ، ووصفهم بأنهم « أنفع لمصر وأقرب عاطفة من العرب » وذكر أن اسرائيل من الصغر بحيث لا تشكل خطرا على مصر وأنه « آن الأوان لأن يشرع العرب واليهود فى محادثات لعقد اتفاقية الصلح » وطالب علنا باجراء صلح رسمى مع اسرائيل فى أوائل سنة ١٩٥٢ (٢٩) •

وهكذا ظل الشعور القومى فى مصر مضطربا تزعزعه الأزمات ، وتعبث به المطامع والأهواء ، حتى قامت الدعوة الناصرية لاحياء الحركة القومية ، فأعادت اليه صلابته ، وأرست قواعده على أسس ثابتة لا تزيده الأزمات الا صمودا •

الفصل الثالث

حالة الدعوة القومية فى البلاد العربية الاخرى قبل الزعامة الناصرية

اذا كان عهد العرب بالفكرة القومية ، يرجع الى الماضى السحيق ، كما يرجع تبلورها الحقيقى ، الى ما بعد ظهور الاسلام ، فان الدعوة القومية بمعناها الحديث ، أى الأخذ بمبدأ القوميات يرجع الى أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، عقب انتشار هذا المبدأ فى أوروبا ثم تركيا .

وقد مرت هذه الدعوة منذ ظهورها هذا بالمراحل الخمس الآتية :

١ ــ مرحلة الدعوة الى اصلاح ما أفسدته الأنظمة الادارية فى الدولة العثمانية .

٢ ــ مرحلة الدعوة الى اللامركزية الادارية فى ظل الحكم العثمانى .

٣ ــ مرحلة الثورة العربية الكبرى لتحرير المشرق العربى من الحكم العثمانى ، وتوحيد أوطانه .

٤ ــ مرحلة مكافحة الاستعمار والاحتلال الأوروبى لأجزاء الوطن ، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

٥ ــ مرحلة الدعوة الناصرية ، التى تتسم بالوعى والتحرر والشمول .

ولقد اتسمت الدعوة القومية ، قبل قيام هذه المرحلة بعدة خصائص ، كانت السبب فيما آلت اليه من التخاذل والتفكك والاستقطاب .

ويمكن تلخيص هذه الخصائص فى النقاط الآتية ، التى تبدو متشابكة ومتشابهة ، لأنها كانت فى الواقع وجوها عديدة لظاهرة واحدة .

١ ـ انها كانت تعتمد على الاثارة العاطفية اكثر من اعتمادها على المبررات العلمية المقنعة :

وذلك أن أكثر ما كان يعتمد عليه المروجون لها ، هو تذكرة العرب بماضيهم العظيم وانتصاراتهم الباهرة ، ودعوتهم الى استعادة أمجادهم الغابرة ، الى غير ذلك من الشعارات البراقة ، التى تخلب الأبصار ، وقلما تنفذ الى البصائر .

وفات أولئك الدعاة أن التاريخ لا يعيد نفسه ، وأن القومية العربية التى يراد احياؤها لن تعود بوجهها القديم ، وأن الوحدة التى يراد تحقيقها لن تكون الا خلقا جديدا : لا محاولة لاستعادة ذكريات بالية ، أو احيـاء كيان قديم . وفى ذلك يقول الدكتور عبد العزيز الأهوانى « ليس أخطر على فكرة الوحدة من أن يتصور أن فى وحدة مصر والسودان اعادة لمـا حدث فى أيام محمد على ، ومن بعده ، وأن الوحدة بين مصر وسوريا هى اعادة لاجتماعهما تحت ظل الفاطميين أو الأيوبيين والمماليك . وأن وحدة المغرب الكبير هى ارجاع لعهد الدولة الموحدية . ومن الخطأ أيضا أن يتصور أن الوحدة العربية ، انمـا تقوم لتؤدى فى العالم نفس الدور الحضارى الذى أدته الثقافة العربية فى العصر الوسيط ، فان لكل عصر رسالة ولكل مجموعة من البشر دور فى العالم يختلف من جيل الى جيل (٣٠) .

واذا كان الأسلوب العاطفى التقليدى ، الذى ركز عليه دعاة القومية العربية فيما مضى مدعاة لايقاظ الهمم ، والمشاعر واجتذاب حماس الجماهير ، فانه لم يعد كافيا لاقناعها بالسير فى ركابها فى هذه الأيام .

وقد كان من أبرز عيوب ذلك الأسلوب العاطفى ، أنه بتغنيه بأمجاد العـرب ، وعراقة أصولهم ، ونبـل صفاتهم وتفوقهم على من عداهم من الأجناس ، يسـتنفز عصبيات بعض الطوائف والأقليات التى تعيش بين ظهرانيهم ، وتجمعها بهم تلك الروابط ذات المفهـوم الثقافى والمصـالح المشتركة ، لا روابط النقاء الجنسى الخالص ، فتسىء الظن بهذه الدعوة ، التى تكتسب فى نظرها الطابع العنصرى .

ويعتقد أولئك الدعاة ، أن ميل الشعور القومى الى الوحدة يصدر عن عاطفة قوية عميقة لا تستلزم أن يكون وراءها مبررات ما أو هدف معين •

ومع الاعتراف بأهمية الدور الذى أدته الاثارة العاطفية فى نشـوء القوميات ، فى مختلف العصور ، الا أن التفكير الواقعى نفسـه ، يحتم فى الظروف الحاضرة للوطن العربى ، ألا يركز فى هذه الدعوة على العاطفة ، بحيث تستأثر بالنصيب الأكبر منها ، بل يجب أن يستأثر أسلوب الاقناع العقلى ، القـائم على فكرة المصلحة المشتركة ، بهـذا القدر الأكبر من النصيب •

وليس معنى هذا أن الدعوة الى القومية العربيـة ، تتطلب تجاهل التركيز بأمجاد العرب ، طالمـا أريد به اشاعة العـزة القومية ، واحيـاء النفوس اليائسة التى غلبتها آلام الحاضر ، وليس الهاء الشعب عن حقائق حاضرة ، كما يجب أن يكون الأسلوب العاطفى ، مجرد أسلوب مكمل ومساعد فى هذه الدعوة (٣١) •

وأصدق مثل على عواقب الاعتماد فى الدعوة القومية على مجرد اثارة العواطف ، ما حدث عندما انفجر الشعور القومى فى مصر ، وبلغ ذروته عندما تقدم الجيش المصرى نحو الحدود الفلسطينية فى سنة ١٩٤٨ ، ثم اذا به ينهـار فجأة ، ازاء المؤامرات التى تعرض لهـا ، والصدمات التى واجهتـه •

٢ ـ أنها كانت دعوة سياسية جامدة ، خالية من أى مضمون اجتماعى :

وذلك لأنها استهدفت تحقيق الاستقلال الشكلى الذى يعنى مجرد اخراج الحاكم الأجنبى ، ليحل محله حاكم عربى •

ولم تعتبر أن الاستقلال الصحيح ، يعنى زوال السيطرة الأجنبية على مقدرات البلاد وثرواته ، أيمـا كانت صورها وأساليبها ، لأن الاستعمار عندما يضطر الى تغيير أسلوبه السـافر ، يختفى وراء العناصر الرجعية المحلية ، التى تقبل ذلك الوضـع ، للمحافظة على مكاناتها ، ومضاعفـة مكاسبهـا •

ولذلك تكون هذه العناصر عادة هى المنتفعة الوحيدة من الاستقلال ، وتظل جموع الشعب فريسة للاستغلال والاستنزاف ، والعبودية .

وقد فضح الميثاق هذا التحالف بين الرجعية والاستعمار ، بقوله :

« ان الاستعمار الآن غير مكانه ، ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، وكان مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصــور الرجعية . ان الاستعمار نفسه دون أن يدرى ساهم فى تقريب يوم الثورة الاجتماعية ، وذلك حين توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة ، يوجهها ويحركها » .

ويعنى ذلك أن الاستقلال الفعلى ، لا يقوم فى الحقيقة الا على دعامتين متشابكتين ، تقوم احداهما على أنقاض الاستعمار ، والأخرى على أنقاض الرجعية ، ولا يمكن أن يقوم على احدى هاتين الدعامتين فقط .

ولذلك لا يمكن للثورة الوطنية (وهى روح الدعوة القومية) أن تحقق ثمرتها المرجوة ، ما لم تقترن بالثورة الاجتماعية .

ولم يكن من المعقول أن يسلك دعاة الثورة الوطنية العربية هــذا السبيل ، وقد أصبحوا وحدهم المستفيدين من الاستقلال الشكلى ، وورثة الاستعمار وظله .

ولذلك ظلت أهداف الدعوة العربية تكاد تقتصر على الميدان الخارجى، فى مواجهة الاستعمار ، طالمــا كان فى هذه المواجهة ما يكفل لزعمائها مزيدا من المكاسب ، أى كانت أشبه بمحاولات التقامر أو المساومة ، وصرفت نفسها — أو كادت — عن الميدان الداخلى ، الذى يستهدف رفع مستوى الشعوب العربية ، وتحريرها من براثن الظلم والاستغلال ، ولذلك ظلت تحمل طابع الرجعية والجمود ، ومقاومة التجــديد والتقدم ، والعــدالة الاجتماعية (٣٢) .

وقد ارتبطت معظم الدعوات القوميــة التى نشأت بأوربا فى القرن الثامن عشر ، بأفكار اجتماعية معينة ، عبر عنه بالمضــمون أو المحتوى الاجتماعى للقومية . وكان ذلك المضمون هو معيار التفرقة بين الدعوات

القوميـــة التى تعبر عن وتطلعات جماهيرية حقيقية ، وبين الدعوات التى استغلت شعار القومية ، لتضليل الجماهير ، واستغلالها .

ولا تجد الدعوات القومية الخالية من هذا المضمون غالبا ، استجابة طويلة المدى بين الجماهير عندما يكتمل وعيها ، وتنكشف لها الحقائق ، وتجد أنها استبدلت سيدا بسيد ، واستغلالا باستغلال .

ولذلك فقد أصبحت الدعوات القومية الحديثة ، لا تقتصر على طلب الاستقلال السياسى والوحدة السياســية ، بل تتجاوز ذلك الى المطالبة بتهيئة حياة اجتماعية أفضل ، تتمثل فى المجتمع الاشتراكى ، أى المجتمع الذى يستهدف تحقيق الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية معا .

وبذلك تصبح الدعوة القومية (وما تستهدفه من تحقيق الوحدة السياسية) والدعوة الاشتراكية (وما تستهدفه من تحقيق مجتمع الكفاية والعدل والتقدم) وجهين لدعوة واحدة (٣٣) .

ولقد أحيط تلك الحقيقة منذ بداية نشوء الدعوة القومية العربيـــة بضباب الجهل ، ولم يكن قد اكتمل الوعى الشعبى الذى يحسن تقديرها ، ويستطيع أن ينفذ ببصيرته اليها . واذا استطاع ذلك فانه لا يجرؤ على الجهر بها . وذلك لأن المواطن العربى حين هب يطرد الغزاة من أرضـــه تحت راية السادة والأشراف ، كان شديد الاعتزاز بمجتمعه ، قوى الايمان بمثلها الخاصة التى كان يعتقد أنها تكفل له من أسباب التقدم والسعادة ، مالا تحققه له المثل الاجتماعية ، لمجتمع أولئك الغزاة . ولذلك كان جهاده فى تلك المرحلة ، ينطوى على فكرة المحافظة على ما هو قائم من أوضاع اجتماعية وثقافية ، باعتبار أنها الأوضاع الصحيحة السليمة ، والتى ينبغى التمسك بها ، ومقاومة كل تبديل يراد بها .

أما اليوم فان المواطن العربى وقد اكتمل وعيه ، ونضجت بصيرته ، وحنكته التجارب ، وأيقظته الخيانات والصدمات ، فقد أصبح يؤمن بأن المجتمع الذى يعيش فيه مجتمع متخلف ، وأن هذا التخلف يرجع — الى جانب الأسباب الخارجية — الى أسباب داخلية اقتصادية واجتماعية وثقافية تتمثل فى نقص الموارد ، وسوء توزيع الثروات ، وفساد الحكم ، والتأخر العقلى ، فأخذ يتطلع الى تغيير تلك الأوضاع والثورة عليها .

وبعد أن كان جهاده ضد الاستعمار القديم ينطوى على معنى المحافظة، أصبح جهاده ينطوى الآن على معنى الثورة الاجتماعية ، وأصبح الاستعمار فى نظره عاملا لتثبيت الأوضاع القديمة ، بعد أن كان يتصوره عاملا من عوامل هدمها (٣٤) .

٣ ـ انها كانت دعوة تعتمد فى نضالها على السادة لا على الجماهير :

وذلك لأن الاشتغال بها كان مقصورا على طبقة معينة من المفكرين والساسة ، الذين ينتسبون الى الأسر الكبيرة ، التى تستمد نفوذها وقوتها من العصبيات القبلية والاقطاعية والطائفية التى تمثلها .

وكان ذلك الوضع وليد الظروف السياسية والاجتماعية والدينية، التى انبثقت فيها الحركة القومية فى العصر العثمانى ، عندما كانت مجالات التعليم محدودة ، وكان النصيب الأوفر فيها للأثرياء ، وأبناء البيوتات الكبرى ، وأصحاب الوجاهات التقليدية .

وظلت تلك الطبقة تحتكر الحكم ، والصراع الحزبى بعد الاستقلال ، مثلما كانت تحتكر الدعوة الى التمرد على التسلط العثمانى ، ومظالمه قبل ذلك . وبذلك انقطعت علاقة الشعب ــ أو كادت ــ بالحركة القومية ، وأحس أنها ليست حركته وأنه مجرد وقود لها ، وليس له رأى فيما يساق اليه ، أو يستغل لتحقيقه .

وكانت تلك الطبقة تمزج بين النضال الوطنى ، والكسب الشخصى ، ولا تفرق بين ولاء أنصارهم فى الجهاد لهم ، وخضوع عبيدهم وأتباعهم (٣٥) .

واعتبر أولئك الساسة والمجاهدون المحترفون (المتميزون بأصولهم ، وأدوارهم فى الحركة القومية) المناصب الحكومية التى توصلوا اليها فى عهد الاستقلال ، مجالا للنفع الذاتى ، فملؤوا اداراتها بالأقارب والأصدقاء (٣٦) . ولم يشركوا الغالبية العظمى من أفراد الشعب ، فى أى مظهر حيوى من مظاهر نشاطهم السياسى ، الا بالقدر الضرورى الذى يكفل تخديرهم والهاءهم بالفتات . وحتى هذا القدر كاد أن يكون مقصورا على الوصوليين والذين يقبلون التنصل من انتمائهم الطبقى .

٤ ـ انها كانت تفتقر الى الزعامة الواعية المخلصة :

أدى احتكار أبناء الطبقات المتميزة للحركة القومية ، واقتصار عضوية مؤسساتها من جمعيات ومنتديات وأحزاب عليهم فقط ، الى اقتصار زعامات تلك الحركة عليهم •

ولما كان أولئك الزعماء يستمدون قوتهم ونفوذهم من مراكزهم القبلية والاقطاعية والطائفية ، فقد كان ذلك كفيلا بأن يجعلهم ملتزمين بخدمة مصالح الجماعات والطبقات التى كانوا ينتمون اليها ، كما ترتب على ذلك عجزهم عن أن يبسطوا زعامتهم على الجماعات والطبقات الأخرى التى لم ينجحوا فى القضاء على نفوذها ، أو محالفتها على أساس من المساومة فى اقتسام المكانات والمكاسب • وكان ذلك كفيلا بطبيعة الحال بأن يضفى على الزعامات التى ظهرت ـ مهما اتسع نفوذها ـ صفة الاقليمية أو الطائفية ، ويحرمها من صفة الشمول •

ولم تكن احدى تلك الزعامات تطمع فى أن تحظى بولاء الشعوب خارج أوطانها ، ورضائها بتحقيق حلم الوحدة تحت رايتها ، الا بالالتجاء الى المؤامرات ، والاستناد الى الحراب الأجنبية •

كما كانت بطبيعتها تنفر من أية دعوة للوحدة ، تهدد بالقضاء على مراكزها ، وسحب ولاء شعوبها لها •

أما هذه الشعوب ، فكانت لا تملك الا أن تقبل الزعامات التى تفرض نفسها على خصومها ، وتخرج من حلبة الصراع الحزبى والعائلى ، فائزة بمقاليد السلطة • وكانت تلك الزعامات بدورها لا تشعر بأن هنالك فضلا يذكر للجماهير فى اختيارها ، أو تثبيت سلطانها •

٥ ـ انها كانت ضعيفة الثقة فى نفسها ، فسقطت فى حبائل التبعية :

فكما اعتمدت بعض الحركات العربية الأولى ، على التشجيع البريطانى والفرنسى وقامت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ اعتمادا على تشجيع البريطانيين ومساعدتهم ، فقد ظل زعماء تلك الحركة يعتمدون على ذلك التشجيع ، وتلك المساعدة ، فى المرحلة التالية • فقامت مملكة العراق ، وامارة شرق الأردن على تلك الدعائم •

كما قامت عليها أيضا كثير من دعوات الوحدة ، ومشروعات الأحلاف فيما بعد ٠

وكان مرجع الاعتماد على القوى الأجنبية ، هو افتقار قادة الحركة القومية العربية الى الثقة فى أنفسهم ، وفى ولاء شعوبهم لهم ٠

ولقد كان الانجليز هم أنفسهم الذين اختاروا زعامة الثورة العربية ، ومدوها بكل تأييد مادى وأدبى ، فاختاروا الملك حسين بن على للزعامة الروحية والسياسية ، واختاروا ابنه فيصل للزعامة العسكرية ٠

وقد استندت دعوات الوحدة فى عهود الاحتلال الأوروبى ، الى تأييد سلطات ذلك الاحتلال ، على اعتبار أن ما يحققه الحكام العرب الخاضعون لتلك السلطات من توسيع فى (الممتلكات) والنفوذ ، تستفيد منه تلك السلطات فى النهاية ٠

وقد أيد بعض الساسة الفرنسيين حينا من الدهر تلك الدعوة التى ارتفعت فى سوريا ، مطالبة بالاتحاد مع العراق ، عندما وجدوا فى ذلك ما يحقق بسط النفوذ الفرنسى الى ذلك القطر (٣٨) ٠

وبينما بادرت بريطانيا الى افساد المشروع ، لوقف امتداد النفوذ الفرنسى الى منطقة نفوذها ، اذا بها تؤيد بعد ذلك المشروعات الوحدوية الأخرى ، التى كان يراد أن تخضع لنفوذها ، مثل مشروع سوريا الكبرى (الذى يستهدف توحيد سوريا وشرق الأردن) ومشروع الهلال الخصيب (الذى يستهدف توحيد العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن) ٠

وحتى جامعة الدول العربية ، لم تبدأ محاولات تشكيلها الا بعد أن أعلنت الحكومة البريطانية ترحيبها بقيامها ، وكانت تطمع من ذلك فى اتخاذها أداة لفرض سيطرتها على الدول العربية ، والانفراد بالنفوذ فى الحرب العالمية الثانية ، وصدر ذلك الترحيب من وزير خارجية بريطانيا فى تصريحه الذى أعلنه فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ وقال « ان العالم العربى قد خطا خطوات عظيمة فى طريق الرقى ، وهو يطمع الآن فى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالما متماسكا ويرجو أن تساعده بريطانيا العظمى

فى بلوغ هذا الهدف • ويسرنى أن أعلن باســم حكومة صاحب الجلالة عن ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة ، وعن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالمـا تتوفر لديها الأدلة على تأييد الرأى العام العربى لها » •

ثم أكدت بريطانيا هذا الاتجاه الجديد بتصريحين آخرين فى سنة١٩٤٢ ثم سنة١٩٤٣ • واستجابة لتلك الرغبة بدأت المشاورات التى انتهت باعلان ميثاق الدول العربية فى سنة ١٩٤٥ (٣٩) •

وكانت موافقة بعض الزعماء العرب على الانضمام الى حلف بغداد فى ســنة ١٩٥٥ ثم قبول مشروع أيزنهاور ســنة ١٩٥٧ مظهرا صارخا من مظاهر الاستسلام للنفوذ الأجنبى فى المنطقــة والاعتقاد بأنه لا يمكن للعرب أن ينعموا بالسلام ، ما لم يستظلوا بالحماية الأجنبية •

ومن المشروعات الوحدوية الأخرى ، التى كانت تستند الى التأييد الأجنبى وتقوم على الارتبــاط بأحلافه ، مشروع « وحــدة المغرب » ، و « حلف شمال أفريقيا » و « حلف البحر الأبيض المتوسط » (٤٠) وكانت تلك الأحلاف ، والمشروعات الوحدوية الضيقة تعد فى الحقيقة من وسائل تفتيت الدعوة الى الوحدة العربية العامة ، وتقسيمها الى كيانات مفككة •

٦ ــ انها كانت دعوة محدودة ، لا تتسم بالشمول :

كان نشاط القائمين بالدعوة القومية الأولى ، يقتصر من الوجهــة العملية على المشرق العربى ، وهو ذلك الجناح من الوطن العربى ، الذى كان يعانى وطأة المظالم العثمانية ولذلك لم تشمل تلك الدعوى الدول العربية الافريقية ــ وفى مقدمتها مصر ــ التى لم تكن بدورها تتعاطف جديا مع تلك الحركة ، للأسباب التى ذكرناها من قبل •

وقد حدث عندما عقــد المؤتمر العربى الأول فى مارس سنة ١٩١٣ أن تساءل الطالب المصرى السيد كامل الذى كان يدرس الحقوق هناك ، « ان كان للمصرى أن يشترك فى مناقشات المؤتمر ؟ » •

فأجاب الرئيس « نحن نحترم اخواننا المصريين ، ونحترم آراءهم • ولهــذه المناسبة أعتذر لأنى لم أجد فرصة قبل الآن لتحية الأمة المصرية ،

ولأن تحيي اخواننا المصريين ونبدى حرمتنا لآراءهم • ونعرف أن مصر عربية عثمانية ، ولكن بما أنها ادارة خاصـــة لا ينفذ فيها رأى العثمانيين ، وكذلك البلاد العثمانية ادارة لا ينفذ فيها رأى المصريين ، لذلك أرجو أن يكون هذا عذرا لبقاء مناقشة الشئون العثمانية الداخلية ، منحصرة فيمن لآرائهم تأثير على أحوالهم » (٤١) •

ومعنى ذلك أنه يعترف بعروبة مصر ، ولكنه لا يجد ضرورة لاشراك المصريين فى الحركة العربيـــة لأنها كانت فى تلك المرحلة ، مجرد انتفاضة ، فى مواجهة المظالم العثمانية ، ومقصورة على الخاضعين للحكم العثمانى ، وكان من آثار ذلك أن مفهوم الوطن العربى ، فى عرف الجمعيات القومية العربية ، كان ينحصر فى المنطقة التى تمتد « من دجلة والفرات الى برزخ السويس ، ومن البحر المتوسط الى بحر عمان » •

وقـــد حرص الملك الحسين الأول ألا يتطرق فى مباحثـــاته الأولى (١٩١٥ ــ ١٩١٦) الى ذكر مصر ، ورفض أن يعين مصريا ــ وهو عزيز المصرى باشا ــ قائدا لجيش الثورة ثم أقصاه بعد أن عين رغما عنه •

وقد أسقط الهاشميون مصر من حسابهم بعد انتهـــاء الحرب العالمية الأولى ، وأيد ذلك الاتجاه موقف مصر ذاتها ، وشعوب المغرب العربى ، التى كانت لا تتفق مصالحها السياسية وظروف نضالها مع مصالح وظروف شعوب المشرق العربى •

وكان من مظاهر الطابع المحدود للدعوة القوميـــة ، فى ظل الزعامة الهاشمية ، أن أخرج فيصل أثناء امارته ثم توليه ملك سوريا (١٩١٩ ــ ١٩٢٠) موضوعى فلسطين ولبنان من القضية العربية العامة خلال مباحثاته مع ممثلى بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية فى لندن وباريس •

والواقـــع أن الهاشميين كانوا يخشون ان امتدت الدعوة القوميـــة الى مصر ، أن تستأثر دونهـــم بزعامتهـــا ، كما كانوا يفضلون الانكماش بدعوتهم فى النطاق الذى يكفل لهم الملك ، ويجنبهم فقد الحماية الأجنبية •

ولذلك أستهدف مشروعا « سوريا الكبرى » و « الهلال الخصيب » حصر نطاق القضية القوميــة فى هذين الاتحادين ، اللذين كانا مظهرا من مظاهر الاقليمية الجديدة ، أكثر منها مظهرا من مظاهر الوحدة •

وكان طرح مشروع (سوريا الكبرى) الذى تبنى الدعوة اليه الأمير عبد الله (أمير شرق الأردن) عند بدء التشاور لانشاء جامعة الدول العربية، دليلا على ذلك الاتجاه الاقليمى المتوقع الذى يخشى ضياع النفوذ الهاشمى، فى ضم مشروعات الوحدة الموسعة ، وتسفر تلك الحقيقة عن نفسها فى البرقية التى بعث بها ذلك الأمير فى ٢٤ يونية سنة ١٩٤١ الى نورى السعيد رئيس وزراء العراق ، وقال فيها « ان مسألة ايجاد وحدة عربية أو اتحاد عربى مسألة موهومة خطيرة ولذلك فمن واجب بغــداد وعمان السعى للســير على سياسة هاشمية موحدة ، مع صرف المساعى للقضاء على من يريــد اخراج القضية العربيــة من مبادىء النهضــة الأولى فى القطر السورى ، الذى قام به تفاهم سعودى مصرى لبنانى خطير ، وبذل الهمة لاحياء أنصار الثورة مرة أخرى بهذه الديار ، واعادة الدعوة الهاشمية » (٤٣) •

وهو بذلك لم يعترض على مبدأ الوحــدة ، الذى أرادته بريطانيا ، لتنفيذ سياستها فى المنطقة ولكنه خشى من اتساع نطاقها ، الأمر الذى يهدد بفقد البيت الهاشمى لزعامته المفروضة •

وقــد اتخذت محاولات عزل مصر عن تيار الحركة القومية ، سبيلين متلازمين :

أولهما : تشجيع الدعوة الاقليمية فى مصر ، وتأليب الرأى العام المصرى على الدعوة القومية ، عن طريق المؤتمرات ، والتصرفات الاستفزازية ، من بعض العناصر العربية المغرضة ، التى كانت تريد أن تشوه له تلك الدعوة ، وتنفره فيهــا •

ثانيا : تخويف الحكام العرب ، والشعوب العربية ، من اشتراك مصر فى الحركة القومية ، واتهامهــا بالرغبة فى التسلط على العالم العربى ، طمعا فى ثرواته ، وبحثا عن مجال حيوى لتزايد سكانها •

الفصل الرابع

خصائص المرحلة الناصرية للحركة القومية العربية

أشار رئيسنا الراحل فى (فلسفة الثورة) التى أعلنها سنة ١٩٥٣ الى رسالة مصر ، ومسئوليتها ازاء العالم العربى ، عندما تساءل :

« أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها أمتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها ، حقيقة وفعلا ، وليس مجرد كلام ؟ »

وبعد أن حدد دور مصر فى هذه الدائرة ، والدائرتين الافريقية والاسلامية ، قال : « وما من شك فى أن الدائرة العربية هى أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا .

فلقد أمتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاه ، كانوا معنا تحت نفس السنابك » .

ومن ذلك يبرز مدى ميله الى الفكرة العربية ، وترجيحه رابطتها ، على الرابطتين الافريقية والاسلامية ، وان لم يغفل أمرهما تماما ، كما أثبتت ذلك أقواله وأفعاله ، وما نص عليه (الميثاق) فيما بعد .

وكان دور عبد الناصر فى احياء القومية ذا اتجاهين : يتمثل أولهما فى تأكيد انتماء الشعب المصرى للأمة العربية ، ويتمثل الثانى فى احياء تلك الحركة بصفة عامة ، وتحديد ملامحها ، وتوسيع نطاقها ، وربطها بالثورة الاجتماعية ، واعادة الثقة بها الى نفوس العرب .

والذى لا شك فيه ــ كما ذكرنا ــ أن عبد الناصر لم يجعل من المصريين عربا دون أن يكونوا كذلك ، وانما يرجع اليه الفضل فى تدارك الدعوة القومية فى مصر ، واعادة حيويتها اليها ، بعد أن تخاذل دعاتها ، فانزوت مؤقتا ــ أو كادت ــ بين ذكريات التاريخ ، وعادت نغمة الانعزال ترتفع من جديد ، وتحتل التفكير المصرى ، وتسيطر على تصرفاته (٤٥) .

وفى ذلك يقول الصحفى الهندى المعروف (كارانجيا) « ان جمال عبد الناصر هو الذى أعاد مصر الى ركب العروبة ، بعد أن حاول المستعمرون ابعادها عنه ، والدعوة بأن مصر لا شأن لها ولا مصلحة فى العمل للقضايا العربية . وبهذه الحركة الجديدة الحاسمة جعل مصر على رأس الحركة العربية التحررية ، فنادى باستقلال العرب جميعا ، وتوحيدهم صفا واحدا لا يريد من وراء هذا جزاء ولا شكورا ، ولا ملكا ولا زعامة » (٤٦) .

وقد كرر الرئيس الراحل دعوته الى تحمل مصر مسئولياتها العربية ، فى المؤتمر العربى الاسلامى الذى عقد بالقاهرة فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٣ حيث قال :

« اننى لأشهد الله على أن مصر التى طالما انبعث منها صوت الحق والحرية والتى طالما امتشقت حسامها للدفاع عن العروبة والاسلام ، لتقطع على نفسها عهدا ــ كما جاء فى ميثاق هيئة التحرير ــ أنها ما قامت الا لتحرير مصر والسودان ، ودعم اتصالاتها مع الشعوب العربية ، لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين ، وتعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها المشتركة .

أيها الأحرار فى كل دولة عربية .

أيها الأحرار فى كل شعب عربى .

أيها الأحرار فى كل مكان .

صابروا وجاهدوا فى الله حق جهاده ، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة » (٤٧) .

وعبر الرئيس عن سياسة الثورة ازاء الوحدة العربية فى خطابه الذى ألقاه على الجماهير فى العيد الثانى لقيام الثورة (٢٣ يوليو سنة ١٩٥٤) فقـــال :

« كل فرد فى البلاد العربيـــة ، مصريا كان أو ســـودانيا أو لبنانيا أو حجازيا أو عراقيا أو اردنيـــا أو يمنيا أو ليبيا أو كويتيا ، يؤمن ايمانا قاطعا بأن الوحدة الحقيقية بين البلاد العربية هى السبيل الوحيد لتحقيق أمانيهم وآمالهم ، ودرء الأخطار عنهم » .

والواقع أنه وان كانت الدعوة العربيـــة فى مصر ليست دعوة مختلقة أو مفتعلة ، فانه لا يمكن انكار فضل الرئيس جمال عبد الناصر فى احيائها وغرس مبادئها فى النفوس ، عن اقتناع وايمان . وفى ذلك يقول الدكتور أنيس صايغ فى كتابه (الفكرة العربية فى مصر) « اننا نعتبر رجال الثورة فى مصر من عوامل قبول مصر بالفكرة العربية ، وتجنيدها لخدمة هـــذه الفكرة ونشرها ، وتحقيق غاياتها ، ولكننا لا نغـــالى اذا قلنا أن الفضـــل الأكبر فى ذلك يرجع الى شخص واحد هو الرئيس جمال عبد الناصر » .

وكان مما عزز ذلك الاتجاه العربى ، وأكد ضرورة السير فيه عن وعى واصرار ، تلك النوايا العدوانية والتوسعية ، التى كشفت عنها الهجمات الاسرائيلية الغادرة المتلاحقة ، التى شنتها على قطاع غزة ، وحدود مصر الشرقية منذ أواخر فبراير سنة ١٩٥٥ ، واستشهد فيها أكثر من مائة مصرى وفلسطينى .

وقد أثبتت تلك الهجمات التى استهدفت تخويف العرب جميعا ، وحملهم على اللوذ بالأحلاف الأجنبية ، والاحتماء بها ، والاستسلام لمطامع اسرائيل ، أن التحذير من تلك الدولة الغاصبة ومطامعها ، ودعوة العرب الى التضامن للصمود فى وجهها ، لم يكن مجرد شعارات جوفاء .

ولم يكن من الغريب أن تعاصر تلك الحمـلات العدوانية ، توقيع الحلف التركى العراقى الذى أطلق عليه (حلف بغداد) ونص فى مقدمته على أن من أهدافه «المحافظة على الأمن والسلام فى منطقة الشرق الأوسط» ولا شك أن الابقاء على السلام فى المنطقة ، يعنى المحافظة على الأوضاع التى قامت فيها ، ومن ذلك التسليم بوضع اسرائيل ، وعدم منازعتها فيه .

وقد صار من الواضح بعد توقيع ذلك الحلف أن الاستعمار لم يعد يحاربنا من قواعده فى بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو غيرها ، بل من قواعده فى العالم العربى نفسه . الأمر الذى يتطلب مزيدا من الاهتمام بالقضـايا العربية ، وتبصرة العرب بتلك الأخطار ، للعمل على الصمود فى مواجهتها ، وتكتيل جهودهم حتى يستمدوا قواهم من امكانياتهم الذاتية ووحدتهم ، وليس من الأحلاف الأجنبية ، التى لا تمنحهم من الحماية ، الا بالقـدر الذى تنتقصه من استقلالهم .

وكان مما ساعد أيضا عن مضاعفة الخطوات فى مسيرة مصر ، فى هذا الاتجاه العربى نجاح الثورة المصرية فى تنفيذ أهدافها الداخلية ، بالتخلص من الملكية والحزبية ، وتصفية الاقطاع ، وتطهير الأداة الحكومية ، وتقوية الجيش . وارساء قواعد العهد الجديد على أسس قوية ثابتة (٤٨) .

وقد اكتسب هذا الاتجاه صفته الرسمية ، عندما أعلن الدسـتور المصرى الجديد فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ ونص فى مقدمته على « أن شعب مصر يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ، ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك ، لنصرة الأمة العربية ومجدها » .

كما نصت المـادة الأولى من ذلك الدسـتور على « أن مصر دولة عربية » و « أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » .

وأكد ذلك الاتجـاه أيضا فيما بعد ما نص عليه (الميثاق) من أن شعبنا شعب عربى ، ومصيره يرتبط بوحدة مصير الأمة العربية .

وكانت تلك بداية مرحلة جديدة ، فى مسيرة الدعوة القومية العربية ، وهى المرحلة التى آلت فيها قيادة تلك الدعوة ، الى زعيمنا الراحل .

وكان من أعظم ما اتسمت به الدعوة العربية فى تلك المرحلة ، تجنبها الأخطاء التى تردت فيها ، فى المراحل السابقة ، فاكتسبت بذلك خصائص جديدة ، سنحاول ايضاحها فى النقط الآتية :

١ ــ أنها أصبحت دعوة تقوم على أسس ومبررات مقنعة ، لا على مجرد الاثارة العاطفية :

لم يغفل قائدنا أهمية الشعور العاطفى ، كدافع لبعث الحركة القومية ، واثارة حماس الجماهير لها . ولكنه كان يؤمن فى الوقت نفسه ، بأن هذا الشعور ليس كافيا وحده لارساء قواعد ثابتة للعمل القومى ، يمكن أن تصمد فى مواجهة الأزمات .

وقد أشار الى هذا المعنى فى خطابه الذى ألقاه فى ميدان الجمهورية بالقاهرة فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٩ وقال فيه :

« ان القومية العربية ليست فقط حركة سياسية ، انما هى أيضا فلسفة اجتماعية . انها نداء عاطفى ، وهى مصلحة مشتركة ، وهى ضرورة استراتيجية ، ولكنها قبل هذا كله فلسفة اجتماعية ، وكما هى شعارات ، لابد أن تكون أيضا تخطيطا اجتماعيا ، وكما هى جموع وحشود ، لابد أن تكون قضية اقتصادية كاملة ، وكما هى طاقة حماس ، لابد أن تكون أيضا جهدا وعرقا . وكما هى حلم لابد أن تترجم الى مستوى معيشة لائق لجميع العرب . تلك هى الغاية الحقيقية للقومية العربية ، وذلك أنه لا كرامة لجائع ، ولا قوة لمريض ، ولا طمأنينة لمن لا بيت له ولا مقاومة ولا صمود ، لمن لا يطمئن الى غده ، ولمن لا يشعر أن حوله مجتمعا يكفله ويرعاه لا يسلبه حقه ، ولا يستغله ، ومن ثم لا يهدد حريته » .

وكان الرئيس الراحل يركز أحاديثه وخطبه وتصريحاته دائما على مقومات الوحدة العربية وعناصرها ، لا على مظهرها البراق وبريقها الخلاب . ومن ذلك ما قاله فى خطابه الذى ألقاه فى المؤتمر الجمهورى الأول للاتحاد القومى فى ١٠ يولية سنة ١٩٦٠ وهو :

« انه ليشرفنا أيها المواطنون أن نكون دعاة وحـدة عربية شاملة ، تستمد مقومات وجـودها من الطبيعة ذاتها ، ولسنا فى حاجة الى أن نعد الأسانيد والحجج التى تجعل من هذه الوحـدة غاية لا بد أن يصل اليها كفاحنا من أجل القوة ، وانما يعنينا أن نؤكد حقيقتين حاسمتين : أولهما أن الأمة العربية برغم الحدود المصطنعة ، عاشت تاريخا واحدا ، والثـانية أن الأمة العربية برغم اختلاف الغزاة ، احتفظت بلغـة واحدة ، واذا كان تاريخ أى أمة هو صانع ضميرها فان لغة أى أمة هى صانعة فكرها ، فاذا كانت للعرب وحدة الضمير ، ووحدة الفكر ، فمعنى ذلك بوضوح هو أن العرب أمة واحدة » .

وتحدث الرئيس عن تلك المقومات فى خطابه الذى ألقاه فى هيئـة الأمم المتحدة فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦٠ وقال فيه :

« اننا لنعلن أننا نؤمن بأننا أمة عربية واحدة ، لقد كانت للأمة العربية دائما ، وحدة اللغة ووحدة اللغة هى وحدة الفكر . وكانت للأمة العربية دائما وحدة التاريخ ، ووحدة التاريخ هى وحدة الضمير . ولسنا نرى أساسا قوميا ، أمتن من هذا الأساس » (٤٩) .

ولم يكتف الرئيس بالاعتماد فى دعوته الوحدوية على تأكيد توفر مقومات وعناصر الوحدة القومية ، بل كان يشير دائما الى العوامل والظروف الملموسة الأخرى التى جعلت منها ضرورة ملحة ، فى زمن أصبحت الحاجة فيه الى التكتل أكثر لزوما من أى وقت مضى . عالم لا مجال فيه للدول الصغيرة الضعيفة ، والأمم المفككة الى دويلات هزيلة . لأن العصر الذى نعيش فيه يقوم على التعاون والتقارب والاتحاد بين الدول المختلفة ، وعلى ذلك فان الوحدة العربية تعد فى الوقت الحاضر ضرورة عسكرية ، كما أنها ضرورة اقتصادية ، وضرورة سياسية (٥٠) وقد عبر الرئيس الراحل عن هذه المبررات فى حديثه للأستاذ كامل الشناوى رئيس تحرير جريدة الجمهورية فى ٣٠ مايو سنة ١٩٥٦ عندما سألة « هناك كثيرون يسألون : لمـاذا اندفعنا فى طريق العروبة وهل لنا سياسة عربية وأخرى مصرية » .

فقال « لقد تغير الزمن الذى كانت السياسة فيه تسير طبقا لنظريات محدودة ، أو تسير على نهج معين ،والسياسة المصرية تقوم على الاستراتيجية

المصرية ، فهى ليست مسألة عاطفية ، أو جزئية تتعلق بنا وحدنا ، ولكنها عملية تتعلق بمصالح الجميع ، ومصالحنا ومصالح العرب . قوتنا فى قوميتنا . اذ يجب أن تتماسك هذه القومية ، وتترابط فى الدفاع عن مصالحها ، ضد المؤامرات الاستعمارية ، التى تتربص بنا ، وتريد أن تضع يدها على الضعيف منا لتلتهمه أولا ، ثم تلتهم الآخرين » .

كما أكد على تلك المبررات ، وألقى مزيدا من الأضواء عليها فى خطابه الذى ألقاه على وفد الأساتذة والطلبة السوريين الذين زاروه فى ١١ فبراير سنة ١٩٥٧ . فقال :

« ان مصر حين نادت بالقومية العربية لم تكن تنادى بذلك عن عاطفة أو عن مآرب سياسية ، ولكنها كانت تنادى بذلك عن ايمان عميق بأن قوتنا تنحصر فى هذه القومية العربية .

ان القوميـــة العربية هى الدرع الواقى الذى يحمى مصر ، ويحمى سوريا ، ويحمى بقية الدول العربية من مؤامرات المستعمرين ، وأطمـــاع الطامعين . ان مصر حينما نادت بالقومية العربية وحينما أعلنت أنهـــا جزء من الوطن العربى ، انما كانت تشعر بذلك شعورا عميقا .

وان مصر تشـــعر بأن العرب حينما اجتمعوا استطاعوا أن ينتصروا على أقوى القوى فى العـــالم ، وحينما تفرقوا كانوا لقمة سائغة للطامعين الفاتحين .

هذا أيها الأخوة هو هدفنا من القومية العربية : مصلحة مشتركة ، مصلحة متبادلة ، حماية كلنا نعمل فى سبيلها ضد الطامعين ، وضد الغاصبين ، وضد المستعمرين » (٣١) .

وهكذا بلغت الدعوة القومية ، فى المرحلة الناصرية ، هـــذا القـــدر من النضج ، والقدرة على الاقناع ، حتى لقد أطلق عليها الدكتور جمـــال حمدان فى كتابه (شخصية مصر) « المرحلة الواقعية أو العلمية » ، بينما أطلق على المراحل السابقة جميعا « المرحلة العاطفية أو الرومانتيكية » .

ولو أن الدعوة القومية التى أحياها جمال عبد الناصر ، قد أقيمت على أسس عاطفية فقط ، لكانت قد انهارت فى مواجهة الصعوبات المتتالية ، والمؤامرات الخفية ، التى كانت تنطلق من أوكار الرجعية العربية ، بالتعاون مع حليفها الاستعمار ، ولا تقلب ايماننا بالعروبة ، كفرا بها ، ولكن قيـام هذه الدعوة على هذه الأسس الثابتة ، هيأت لها أسباب الصمود ، ومازادتها تلك الصدمات والمؤامرات الا قوة وصلابة •

وتتجلى أروع مظاهر هذا الصمود ، فى ذلك البيان التاريخى الذى وجهه قائد العروبة الراحـل الى الأمة العربية ، اثر نكسة الانفصال ، وقال فيــه :

« انى لأثق فى نفسى ثقتى بالله أن هذه التجربة لن تكون الأخيرة • وأنها كانت تجربة عملية رائدة ، أفدنا منها الكثير فى تقديرى ، وسـيكون ما أفدناه ذخيرة للمستقبل العربى ، وللوحدة العربية التى أشعر أن ايمانى بها يزيد قوة وصلابة •

ان التاريخ طويل أمام الأمة العربية ، والكفاح يزداد عمقا بالتجربة • ان أملى هو حرية الوطن العـربى ، وحرية المواطن العـربى • وانى لأثق فى حتمية الوحدة بين شعوب الأمة العربية ، ثقتى بالحياة ، وثقتى بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال » •

٢ ـ انها اصبحت دعوة ذات مضمون اجتماعى :

قال الرئيس الراحل فى خطابه الذى ألقــاه فى الاحتفال الذى أقيم بالقاهرة بمناسبة العيد الأول للجمهورية العربية المتحدة (فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٩) :

« ان أهدافنا هى تحقيق الديمقراطية السياسية ، وتحقيق الديمقراطية الاجتماعية فى نفس الوقت • فلا فائدة أبدا من ديمقراطية سياسية تمكن أصحاب المصالح أو بعض أصـحاب المصالح من أن يتحكموا فى رقابنا ، حتى يستطيعوا أن يستغلونا كما استغلونا فى المـاضى ، وحتى يستطيعوا أن يستغلوا نتيجة عملنا حتى تتحكم فيها الاحتكارات » •

وفى ذلك يقول الميثاق أيضا « ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية » .

وتؤكد هــذه المبادىء المضمون الاجتماعى (أو الاشتراكى) الذى تتميز به الدعوة القوميــة فى المرحلة الناصرية . وذلك بربــط تحقيــق الديمقراطية الاجتماعية (الاشتراكية) بتحقيــق الديمقراطية الســياسية فى المجتمع الذى تنشده هــذه الدعوة ، وذلك لأن تحقيــق الديمقراطية السياسية وحدها لا يعنى الا تجنيد الأغلبية لخدمة الأقلية ، أى لخــدمة الرجعية ، وحليفها الاستعمار .

وتتميز الديمقراطية الاجتماعية (أى الاشتراكية) بقاعدتها العريضة التى تضم جميــع قوى الشعب العــاملة ، وتتيح لها التمتع بحرية الفكر والتعبير والتنظيم .

وقد بدأ جمال عبد الناصر يهيىء الأذهان لقبــول دعوته الاشتراكية (أو الدعوة القومية ذات المضمون الاشتراكى) بعد ســنوات قلائل من الثورة ، وظل يركز على هذا الشعار ، حتى تمثلت أقوى مظاهر تنفيذه ، فى اصدار القوانين الاشتراكية المشهورة فى يوليو سنة ١٩٦١ . وكانت تلك أول ضربة مباشرة وفعالة لرأس المــال المستغل . وقد تبعتها عدة تشريعات واجراءات أخرى مماثلة ومكملة فيما بعد .

وقد استهدفت تلك التشريعات والاجراءات تحقيق نوع من التكافؤ الاقتصادى بين المواطنين ، يحقق العدل المشروع ، ويقضى على آثار احتكار الفرص للقلة على حساب الكثرة ، ويساهم فى الوقت نفسه فى عملية تذويب الفوارق بين الطبقات ، بما يعزز احتمالات الصراع السلمى بينها ، ويفتح أبواب الحلول الديمقراطية للمشاكل الكبرى التى تواجه عالمية التطوير ، كما استهدفت زيادة كفاية القطاع العام الذى يملكه الشعب ، وتعزيز قدرته على تحمل مسئولية التخطيط ، وتمكينه من دوره القيادى فى عملية التطوير الصناعى على الأساس الاشتراكى .

وقد أصبحت الدعوة القومية بهــذا المضمون الاشتراكى الجديد ، تستهدف التحرر السياسى ، والتحرر الاجتماعى معا . وفى هذا ما يؤكد الاعتراف بأن الاشتراكية هى الحــل الحتمى لمشكلة التخلف فى العــالم

العربى ، كما هو شأنها فى المناطق الأخرى ، لأنهـا الطريق الذى يؤدى الى الحـرية الحقيقية ، التى تقـوم على التخلص من القلق والاطمئنان الى المستقبل •

فاذا كانت كثير من البلاد العربية قد حصلت على استقلالها السياسى ، فان الاشتراكية هى طريق المحافظة على هذا الاستقلال ، وتدعيمه فى مواجهة القوى الاستعمارية ، والقوى الرجعية الحليفة لها (٥٢) •

وقد أضفت هـذه المرحلة ذات المضـمون أو الطابع الاشتراكى ، على مفهوم الوحدة العربية (الذى يعد المظهر العملى للدعوة القوميـة ، ويمثل أعز وأسمى أهدافها) معنى جديدا يختلف عن معناها القـديم • فلا شك أن التحام النضال الاجتماعى بالنضال الوطنى ، جعل قضية الوحدة فى يد القيادات الشعبية ، وأصبحت العلاقة بين الوحدة والتقدم الاجتماعى والتحرر الوطنى وثيقة ، يقابلها العلاقة بين التجزئة والتخلف [٥٣] •

ولا شك أن الربط بين الوحدة والمضمون الاجتماعى أو الاشتراكى أمر حتمى ، فالوحـدة ـــ كمطلب جماهيرى ـــ تتعارض تعارضـا جذريا مع مصالح الاستعمار المتحالف مع الرجعية والمستغلين فى الوطن العربى ، فالوحدة ليست هدفا بذاتها ؛ بل هى وسيلة لمقاومة ما يتعرض له المجتمع العربى من استغلال أيا كان مظهره [٥٤] •

وقـد ظل عبد الناصر يحمـل لواء دعوته القومية ذات المضـمون الاجتماعى بكل شجاعة وحزم واصرار ، ولم يبال بعداوة الرجعية العربية ، التى أزعجها هذا الاتجاه ، وهدد مصالحها •

وكانت تلك العداوة من أهم دوافع الحركة الانفصـالية فى الاقليم السـورى ، التى قادتها العناصر الرجعية فيه ، تلك العناصر التى بايعت الرئيس وأيدته عند بحث امكانيات الوحدة ، ثم حاربته بعد قيامها وتنفيذ السياسة الاشتراكية •

وكان ذلك أيضا هو موقف العناصر الرجعية فى سائر الدول العربية ، الأخرى ، ولكن جمـال عبد الناصر ضحى بتعاطف تلك العناصر معه ، برغم ما لها من نفوذ فى كل قطر ، وذلك فى سبيل مبادئه ، وفى سبيل مصالح الجماهير العربية • •

٣ ــ انها اصبحت تعتمد فى مسيرتها على الارادة الشعبية ، ونضال الجماهير :

كان الرئيس يؤمن دائما بالقوى الكامنة ، فى أعماق الشعب العربى ، وضرورة الاعتماد عليه وحده فى معركة القومية والوحدة ، وأن ارادة الشعوب العربية ، تعلو رغبات القادة ، وأن القادة لا يستمدون سلطاتهم الا من هذه الارادة .

وفى ذلك يقول فى خطاب له ، ألقاه فى مدينة حلب بالاقليم السورى فى ١٨ فبراير سنة ١٩٦٠ :

« هذا الشعب هو شعب خلاق ، ولا يمكن لفرد أن يخلق الشعب ، ولكن الشعب يستطيع أن يمكن الفرد من أن يعمل ، لا يمكن لقائد مهما كانت صفاته ، أن يخلق الشعب ، ولكن الشعب الذى رأيته والذى لمست فيه الروح يستطيع أن يخلق القادة ، ويستطيع أيضا أن يوجههم الى الطريق الصحيح ، الطريق السليم ، الطريق السوى ، الذى يتمشى مع أهدافه ، ومع أمانيه ومع آماله » .

ثم قال « ان الشعب الذى تضمه جمهوريتنا هو شعب خلاق ، هو شعب يقود ، ولا يقاد » .

وأكد فى بيانه الذى ألقاه أمام مجلس الأمة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٤ قدرة الشعوب على خلق قياداتها ، حيث قال :

« ان الارادة الشعبية هى التى تملك أن تصنع قياداتها وتحدد لها مكانها . وانى لأرفع صوتى هنا أمامكم محذرا من الاعتماد على الفرد » .

« ان الشعب يجب دائما أن يبقى سيد كل فرد وقائده » .

وايمانا بقوة الشعوب العربية ، ووعيها ، كان عبد الناصر يتخاطب معها مباشرة ، فيطرح عليها القضايا ويبصرها بالحقائق ، متخطيا الحواجز والحدود . وفى ذلك يقول (ولتن وين) فى كتابه « عبد الناصر : قصة البحث عن الكرامة » ــ « ان الذى أزعج الزعماء العرب الآخرين ، وأثار

حفيظتهم هو أن عبد الناصر كان يخاطب الشعوب العربية مباشرة ، متجاهلا الحكومات ، متجاوزا اياها • انه كان يحظى بتأييد عظيم لدى شعوب تلك الحكومات بالذات • وكان رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شـمعون ، والملك حسين ملك الأردن يغضبان كلمـا رأيا صورة عبد الناصر ترتفع فى شوارع بيروت وعمان ، على نحو أضخم من صورهما • ولكن حتى أوائل عام ١٩٥٦ لم يكن أى زعيم عربى يجرؤ على أن يقول كلمة واحدة ضد عبد الناصر ، لقد كان عبد الناصر شعبيا الى درجة جعلت كل معارضة له تعنى الانتحار السياسى » •

وهكذا اكتسب عبد الناصر ثقة الجماهير العربية ، عندما أودعها ثقته واكتسب زعامتها ، عندما استمد من ارادتها مقومات زعامته •

وكانت تلك الجماهير دائما عند حسن ظنه ، كما كانت أهلا لأمانة النضـال التى حملهـا اياها • وكان أول اختيار نجحت فيه ، فى التعبير عن ارادتها ، وأول تجربة عمليـة خاضتها مع الاستعمار ، وخرجت منها مرفوعة الرأس عمـلاقة ، هو موقفهـا من العـدوان الثلاثى على مصر فى سـنة ١٩٥٦ ، عندما خرجت جموعها للاعلان عن غضبتها العـارمة ، ووضعت حكامهـا أمام مسئولياتهم ، وأجبرتهم على الوقوف الى جانب الشعب العربى فى مصر •

وفى ذلك يقول الرئيس فى الخطاب التاريخى الذى ألقاه فى عيد النصر الأول بمدينة بور سعيد فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٧ :

« انتصرت القومية العربية ، وكانت بور سعيد أول تجربة فى معركة تدخلها القومية العربية • واشترك العرب كلهم فى معركة بور سـعيد ، فى كل مكان كان العرب ينادون للقتال • وفى كل مكان كان العرب يهددون مصالح المستعمرين ، اتسع ميدان القتال فأصبح ليس ببور سعيد فقط ، ولكن أصبح ميدان القتال فى البلاد العربيـة كلها • لم يكن العسـاكر الانجليز فى بور سعيد وحدهم مهددين بالفدائيين ، وبحرب العصابات ، فى داخل بور سـعيد ، ولكن أصبحت مصـالح الاستعمار كلها مهددة فى كل مكان فى الوطن العربى ، فانتصرت القومية العربية وكانت معركة بور سعيد أول انتصار حقيقى للقومية العربية » •

وكان من أعظم الاختبارات التى تعرضت لها ارادة الجماهير العربية ووعيها تلك التى تجلت فى خروجهـا يومى ٩ و ١٠ يونيو سـنة ١٩٦٧ فى أعقاب النكسة تطالب زعيمها بالعدول عن تنحيه .

وكان تعاطف الجمـاهير العربيـة مع الشعب العربى بمصر ، فوريا وجماعيا ، شمل مختلف البلدان العربية ، من المحيط الى الخليج .

وتقديرا لارادة الشعوب العربية ، أجمعت أقوال الرئيس وأفعاله ، على ضرورة توافرها كشرط لاقرار الوحدة . وقد تجلى هـذا المبدأ أول ما تجلى عندما طلبت حكومة الثورة المصرية الاحتكام الى ارادة الشعب السـودانى وتحقيق رغبتـه فى تقرير مصـيره ، فأرسلت بذلك المذكرة التاريخية المعروفة ، الى الحكومة البريطانية فى ٢ نوفمبر سـنة ١٩٥٢ . وما تبع ذلك من المراحل والأحداث التى أدت الى اختيار الشعب السودانى طريق الاستقلال ، وتسليم السلطة للسودانيين فى أول يناير سنة ١٩٥٦ . وكانت مصر أول دولة عربية اعترفت بالسودان المستقل .

وحدث مثل ذلك أيضا بالنسبة للوحدة بين مصر وسوريا ، التى تست — بناء على الاستفتاء الشعبى الحر — فى البلدين فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨

وقد تحدث الرئيس كثيرا عن أهمية توافر ارادة الشعوب العربية ، لاتخاذ أية خطوة للوحدة ، ونفى بشـدة ما يروجه أعداؤه من أنه ينوى فرض الوحدة على الشعوب العربية فرضا . وعبر عن ذلك فى حديث له مع المستر جوردون بوروواسن كبير مراسلى هيئة الاذاعة الكندية ، ونشرته جريدة الأهرام فى ٩ فبراير سنة ١٩٦٠ ، اذ قال :

« كان هناك من يدعون أننا نريد أن نفرض الوحدة على الشعوب العربية فرضا . ولم يكن هناك ما يؤيد ذلك سواء من آرائنا أو من أعمالنا . **وانما كان ذلك كله مجرد اصطناع يستهدف الاساءة الى الجمهورية العربية المتحدة ، وقد لجأ الى هذا الطريق كثيرون ممن أرادوا الاساءة الى الحركة** القومية .

ويتمثل دستور الاستفتاء الشعبى للوحدة ، فى الشروط التى أقرها المؤتمر الجمهورى الأول للاتحاد القومى ، عقب قيام الجمهورية العربية المتحدة ، باتحاد سوريا ومصر . وهى :

أولا :

أن يكون الاختيار الحر المستقل طريق أى شعب من الأمة العربية الى الوحدة .

ثانيا :

أن يكون هذا الشعب قد استكمل مقومات وحدته الوطنية داخل حدوده القائمة ، قبل أن يدخل فى ارتباط أوسع مدى من هذه الحدود .

ثالثا :

أن يكون هذا الشعب قد عقد اجماعه على طلب الوحدة ، وتثبت من يقينه ورغبته فيها .

وقد أكد الميثاق هذه المبادىء عندما نص على أن « الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغى أن تكون فرضا ، فان الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها . ومن ثم فان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة . انه ليس عملا غير أخلاقى فحسب وانما هو خطر على الوحدة الوطنية ، داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم بالتالى فهو خطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل » . .

وكان الرئيس يعتبر أن العلاقة بين الشعوب العربية ، أقوى من العلاقة بين حكامها . كما كان يرفض أن يعتبر التصرفات غير القومية لبعض أولئك الحكام ، تعبيرا عن ارادة شعوبها .

ومن أمثلة ذلك أنه عندما انحرفت حكومة عبد الكريم قاسم فى العراق ، واتبعت خطة مضادة للجمهورية العربية المتحدة ، رفض أن يعتبر ذلك تعبيرا عن ارادة الشعب العراقى وأكد أن روابط الأخوة بين الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة ، والشعب العربى فى العراق ، أقوى من السياسة العدائية التى اختلقتها الحكومة العراقية آنذاك فقال :

« ان الأخوة بين الشعوب العربية أقوى وأوثق من أن تؤثر فيها ظروف أو اعتبارات طارئة . ولقد يحدث فى بعض الأحيان أن تقوم الأزمات

والخلافات بسبب تصرفات بعض القادة ، ولكن الأخــوة العربية تحل فى نهاية الأمر كل المشاكل ، مهما بدت عويصة ومستعصية ، وانه لا خلاف بين الشعب العربى فى العراق ، وبين الشعب المصرى فى الجمهورية العربية المتحدة (٥٥) .

وقد آثبتت ردود الفعل التى أحدثتها الاجراءات الاشتراكية التى تمت فى شهر يولية سنة ١٩٦١ فى الأوساط الرجعية ، والتى تمثلت بصفة خاصة فى الانفصال بين سوريا ومصر ، أنه من المتعذر التعاون مع هــذه **الجماعات فى حركتنا القومية المتحررة ، وخاصة بعد أن تأكد مضمونهـا الاجتماعى .**

فقد انقسم الوطن العربى الى معسكرين متصــارعين يضم أحدهما أعداء التقدم العربى من ناحية ، ويضم الآخر القوى التحررية ، واتضــح أكثر من أى وقت مضى وجوب استناد حركة النضال العربى على قاعدتها الأساسية العريضة الراسخة وهى قاعدة الايمان بالشعب .

ومن هنا رفع قائدنا الراحل شعار «وحدة الهدف ، قبل وحدة الصف» وأن الحركة القومية المتحررة ، لا يمكن أن تقوم على ســواعد القــوى الشعبية وحدها فقال :

« ان وحدة الهدف لا بدأ تكون شــعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية » .

وتنفيذا لهذا الشعار ، واقتناعا بمنطقه ، انطلقت الدعوة الى تضامن القــوى الثورية فى أنحاء العــالم العربى ، فتمت عدة لقاءات بين ممثلى تنظيمات القوى ذات المسار العربى ، الذى يجمع فى خطواته بترابط عميق وشــامل بين التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، وذلك لبحث تحقيق المساندة الفعالة والحماية الجدية لكل النظم الثورية والمتحررة فى البلاد العربية ، وخلق المنــاخ الصحى لقيام تضامن فعــال ومنتج بينها فى كل المجالات ، مع مساندة وتأمين القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد العربية غير المتحررة ، فى كفاحها من أجل تطوير الأوضــاع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا والوقوف ضد مؤامرات التخريب الذى تمارسه الرجعية العربية بالتعاون مع الاستعمار (٥٦) .

ولم يمنع رفع شعار « وحدة الهدف » من الاعتماد على جامعة الدول العربية فى أداء الخدمات التى تدخل فى حدود امكانياتها مهما تضاءلت ...

وقد نص الميثاق على ذلك صراحة ، مع تبريره . فبعد أن نص على «أن قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه فى المراحل القادمة من النضال » قال « ان ذلك لا يؤثر ــ ولا ينبغى له أن يؤثر ــ على قيـام جامعة الدول العربيـة . واذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشوط العربى الى غايته العظيمة البعيدة ، فانها تقدر على السير به خطوات .

ان الشعوب تريد أملها كاملا .

والجامعة العربية ــ بحكم كونها جامعة للحكومات ــ لا تقـدر أن تصل الى أبعد من الممكن .

ان الممكن خطوة فى طريق المطلوب الشامل .

ان تحقيق الجزء مساهمة فى تقريب يوم الكل .

ولهذا فان الجامعة العربية تستحق كل التأييد على ألا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف ، وهم تحميلها أكثر من طاقتها العملية التى تحددها ظروف قيامها وطبيعته » .

ولم يمنع رفع شعار « وحدة الهدف » أيضا من الالتجاء الى مؤتمرات القمة العربية ، عند ظهور الضرورات التى تتطلب ذلك . فليس فى الدعوة الى هذه المؤتمرات لبحث موضوعات محددة ، ذات طابع خاص ، لا يناهض هذا الشعار ، لأنها لا تدعو الى قيام وحدات سياسية ، أو ارتباطات دائمة بين الدول التى تدعى للاجتماع ، ولكنها تدعو الى عقد اجتماعات مؤقتة ، لمناقشة موضوعات معينة ، تخص الجميع ، لدرء أخطار تتهدد الجميع ، اجتماعات يقصد بها التعاون فى أعمـال موحدة ، لدرء أخطار موحدة ، بمجهودات موحـدة ، يستطيع كل بلد عربى أن يسهم فيها مع احتفاظه باتجاهاته السياسية الداخلية ، ولذلك فان مثل هذه الاجتماعات لا يستدعى وحدة الأهداف العامة ، وان كان قد قام على هدف معين [٨٥] .

٤ ـ انها تقدم نموذج الزعامة الواعية الصالحة :

ظلت الزعامات العربية وقفا على بعض الشخصيات التى تستمد نفوذها وقوتهـا من العصـبيات القبلية أو الاقطاعية أو العائلية ، أو التكتلات الطائفية التى تنتمى اليها ، والتى كانت تجعل مصـالحها ومصـالح تلك العصبيات فى المرتبة الأولى من اهتمامها ، حتى بزغت فى أفق العالم العربى شخصية جمـال عبد الناصر التى انبثقت من صـميم الارادة الشعبية ، واستمدت زعامتها للعرب من ثقتها فيها وايمانها باخلاصها ، ومبايعتها لها بلا تحفظ ولا اكراه ، ولا ولاء سابق . فكانت زعامته أول زعامة تتخطى دوائر النفوذ التقليدية ، والدوائر الاقليمية ، وتشمل العـالم العـربى أجمع [(٥٨)] .

ويرغم اتساع أفق الزعامة الناصرية ، وقوة تمكنها من نفوس العرب ، فقد كان زعيمنا الراحل حريصا دائما بأن ينفى عن نفسه ـ بكل تواضع واحساس بثقل الأمانة التى حملته اياها الشعوب العربية ـ ما أسبغه عليه المعجبون به من صفات العظمة والتفرد . وكان يأبى أن يعترف بفضله وحده فى احياء الدعوة القومية ، وحمل لوائهـا ، بل كان ينسب ذلك كله الى ما أودعته الشعوب العربية فيه من ثقة ، وما بعثته فيه من قوة وأمل ، كما كان ينسب كل انتصار تحققه الدعوة القومية الى صلابة الشعب ووعيه وتضحياته وبطولته .

فقد قال الرئيس فى خطابه الذى ألقاه فى مدينة دمشق فى ١٨ يوليو سنة ١٩٥٨ « ان القومية العربية التى انطلقت لا يمثلها أحد ، ولا يمثلها حفنة من الناس ، ولا يمثلها جمـال عبد الناصر ، ولا يمثلها أى شخص آخر ، ولكنها أنتم . كل فرد منهم » .

ويقصد من ذلك أن المبالغة فى تقدير عظمة الزعماء ودورهم ينفى دور شعوبهم فى مساندتهم ، وتهيئة مقومات نجاحهم ، بما يمنحونهم من الثقة ، وما يبذلونه فى سبيل انجاح دعواتهم من التضحيات . كما كان يقصـد أن الرسالات العظيمة لا تنتهى بموت دعاتها .

وقد أكد الرئيس ذلك المعنى فى خطابه الذى ألقاه فى مدينـة المنيا فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨ بقوله :

« هذه القومية العربية سيرتفع علمها • لم يرفعه جمال عبد الناصر وحده • ان جمال عبد الناصر هو جندى القومية العربية ، ولكن سيرفعها الشعب العربى فى كل بلد عربى • هذه القومية العربية ـ أيها الاخوة ـ لا تعنى مطلقا • ولا تعنى بأى حال رياسة فرد أو رياسة أفراد ، ولكنها تعنى سيادة الأمةالعربية ، وتعنى سيادة الشعب العربى • هـذه القومية العربية اذا كنا رفعنا لواءها ، واذا كنا تسلمنا قيادتها فان قيادها سيستمر من يد الى يد ، وعلى مر الزمن ، وعلى مر الأيام ، بيد كل أفراد هـذه الأمة العربية ، وبيد كل أفراد هذا الشعب العربى » •

وقد روى لنـا محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جـريدة الأهرام فى حديثه (بصراحة) فى العدد الصادر فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ، واقعـة تثبت مدى ايمان قائدنا الراحل ، بقـوة الشعب العربى ، وبخلود الدعوة العربية ، وايمانه بأنه ليس الا تعبيرا عن ارادة هذا الشعب فى ظرف تاريخى معين • فقال :

« أذكر مرات بغير عدد ، حضرت فيها مقابلات جمال عبد النـاصر مع معظم الصحفيين الأجانب الذين قابلتهم ، وكان السؤال المتكرر على ألسنة كثيرين منهم موجها اليه ، هو : ما هو السبب الذى تعزو اليه تأثير قيادتك فى العالم العربى ؟•

وكان رده الذى لا يتغـير ، وعن يقين نافذ الى الصـميم هو ، اننى لا أقود العالم العربى ، لست قائدا لهذا العالم العربى ، ولكنى مجرد تعبير عنه فى ظرف معين ، وفى زمان معين » ، ثم كان يضيف « دورى فيه هو بمقدار تعبيرى عنه » •

ولعلى أستكمل الصورة هنا بمشهد من أعمق المشاهد التى أعتقـد أن جمال عبد الناصر أثر فيها على تأثيرا غير محدود • كان ذلك فى شـهر فبراير سنة ١٩٥٩ ، وفى دمشـق التى أحبها من أول نظرة ، حبا بقى معه

الى آخر لحظة . كان قد وصل الى دمشق ـ لأول مرة فى حياته ـ بعد اتفاقية الوحدة ، وكان قد انتخب رئيسا لسوريا فى اطار « الجمهورية العربية المتحدة » بينما قدمه لم تطأها بعد .

وكان استقباله فى عاصمة الأمويين مذهلا .

وقف فى شرفة قصر الضيافة ، بينما عشرات الألوف يزحفون الى الساحة الواسعة أمامه ، بعد أن عرفوا بوصوله اليهم . كان فى الشرفة وتحته بحر متلاطم الأمواج من الناس الذين ذابوا حماسة له . فلم يعد على الشفاه غير اسمه يدوى كالرعد ، ترتد اصداؤه على جبل قاسيون الذى يبدو من بعيد أمام الواقف فى شرفة القصر .

وقف ساعات ، ويداه مرفوعتان بالتحية ، ومشاعره هو الآخر ذائبة ، كأنها ومشاعر الجماهير تيار يتدفق فى مجرى واحد .

ثم دخل الى قاعة مكتب تطل على الشرفة ، يستريح بعض الوقت ويشرب كوب ماء .. أول قطرات من ماء بردى .

وسألنى وأنا جالس بجواره .

هل رأيت ... ؟

ثم استطرد : ما هو رأيك .. ؟

قلت بأمانة : لو أنك كنت شخصا آخر غير من أعرف ، لكنت قلت لك ، وأنت واقف فى الشرفة . « تذكر أنك بشر » . لكننى معك لا أحتاج أن أقولها .

وكان رده على الفور « غريبة .. لقد كنت أفكر فى شىء غير ذلك طول الوقت ، لقد كنت أقول لنفسى وأنا أشاهد ما شاهدت : لا تنسى نفسك . هذا كله ليس لشخصك ، ذلك كله لأمل عند الناس فى الوحدة . وما لك فيه هو بمقدار اخلاصك لهذا الأمل .

ومع ايماننا بصدق ما ذكره معلمنا الراحل ، فى هذه العبارة البليغة المتواضعة ، فاننا نجد فيها ما يضاعف ايماننا بعظمة هذا الطراز من الزعامة ، ونزداد ايمانا بفضله فى بعث الحركة القومية ، وتحقيق منجزاتها ، الأشبه بالمعجزات • فاذا كانت الشعوب العربية تدخر فى أعماق قوميتها طاقة كبرى ، فان جمال عبد الناصر ، هو الذى استطاع أن يفجر هذه الطاقة ، ويوجهها التوجيه السليم •

وفى ذلك يقول الكاتب الفلسطينى مازن البندك :

« ليس من المبالغــة القول بأنه فى شخص جمال عبد الناصر تتبلور كل آمال أمتنا وأمانيها وكبريائها أيضا ، وشخصيته البطولية ، بما تبلوره من معان ، لها عند الجماهير العربية قدرة سحرية على تحريكها ، ودفعها الى العمل والتضحية •

وقبول دور البطولة ، والاعتراف بايجابيته ، هو فهم صحيح لطبيعة الأشياء والتاريخ » (٥٩)

٥ ـ انها دعوة مستقلة نابعة من الارادة العربية وحدها :

أعلن الرئيس الراحل مرارا ، وفى جميع المواقف التى أريد فيها ربط الارادة العربية بمشيئة لدول الأجنبيــة الكبرى ، مبدأ اســتقلال الحركة القومية العربية وتحررها من أية تبعية أجنبية ، أو توجيه خارجى •

وقد تمثــل ذلك المبــدأ فى رفض الارتبــاط بالأحلاف الأجنبية ، والمساعدات الأجنبية المشروطة والتوجيهات التى تحمــل معنى التدخــل فى سياستنا التحررية ، وقد عبر الرئيس الراحل عن تمسكه بهذا المبدأ ، فى خطابه الذى ألقاه فى ٩ يوليو سنة ١٩٥٥ وأوضح فيــه أسباب رفضه الانضمام (الى حلف بغداد) وغيره من الأحلاف ، وقال فيه :

« اننا اليوم لنا سياسة خارجية مستقلة ، تنبعث من وعى هذا الشعب ، أعلنا فيها مبادىء الحرية وأننا ننصرها دائما ، وأننا ضد الاستعمار وأعوانه ، وأننا مع تقرير المصير ، وتدعيم السلام ، وأننا نعمل للقضاء على الاستعمار ،

وعلى مساعدة كل حركة تحريرية فى هذه المنطقة من العالم . ان علينا واجبا نحو اخواننا ، ولهذا فانا نقول ما نؤمن به . لا نستجدى ولا نسترضى .

وعندما وجدنا أن هذه السياسة لا تتفق مع سياسة الدول الكبرى ، وقفنا ضد هذه القوى جميعا ، لأننا نريد القوة والاتحاد للشرق العربى بجميع دولة .

على هذا رفضنا الدعوة الى الأحلاف ، وقلنا ان لنا نظرية ، ولنا فكرة نؤمن بها كل الايمان ، لأن أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة ، ولأن هذه الأحلاف هى أحلاف الذئب والحمل ، لابد أن يأكل الذئب الحمل » .

وقد استجاب الشعب العراقى لدعوة الرئيس الراحل الى نبذ ذلك الحلف ، بعد أن فضح أغراضه ، فأعلن سخطه عليه ، وعلى حكومة نورى السعيد ، الا أنه قوبل بالقمع الشديد ، وظل ذلك الحلف قائما حتى اندلعت ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ ، فسقط تحت أنقاض الحكم البائد فى العراق .

كما استجاب الشعب الأردنى لتلك الدعوة ، وطالب برفض الانضمام الى الحلف ، وقام بثورة عارمة ، انتهت بالاطاحة بحكومة حابس المجالى واقالة الجنرال جلوب قائد الجيش الأردنى ، وأعوانه من الضباط البريطانيين ، وتعيين حكومة وطنية برياسة سليمان النابلسى أعلنت صراحة رفض هذا الحلف [٦٠] .

وفضح الرئيس أيضا أهداف « مشروع أيزنهاور » الذى أريد به تدعيم حلف بغداد ، واحلال النفوذ الأمريكى محل النفوذ البريطانى والفرنسى ، فى المنطقة العربية .

وأكد الرئيس فى تصريح له ، لصحيفة الأوبزرفر البريطانية نشرته فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٦ على رأيه القاطع فى مثل هذه المناورات ، واصرار العرب على رفضها حفظا لاستقلالهم ، وحماية لدعوتهم القومية من الانحراف أو التبعية ، فقال :

« العرب لا يستطيعون الآن أن يكونوا ذيلا لسياسة بريطانية ، أو أن تملى عليهم سياستهم من لندن . فهذا أمر لم يعودوا يستطيعون

قبوله ، ويجب أن يعلم علم اليقين أن أى نظام دفاعى يفرض من الخارج لن تكون له أية قيمة ، اذا انهارت الجبهة الداخلية ، فالجبهة الداخلية هى التى ستحمى المصالح الحقيقية للعرب • وهذا هو السبب فى أنه يجب أن يكون للعرب هيئتهم الاقليمية على أساس الضمان الجماعى ، بدون اشراك أية دولة فى نظام آخر تحت سيطرة أجنبية (١٦)

وفى خطابه الذى ألقاه فى القاهرة فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٧ عبر بكل صراحة وحزم عن التزام مصر بتلك السياسة ، ودعا الشعوب العربية للالتزام بها ، فقال :

« شخصيتنا الدولية ليست موضع مساومة ، ودورنا العالمى ليس سلعة مقايضة ، وحقنا فى لقاء الشعوب المتحررة ، والتعاون معها من أجل سلام البشرية جميعا ليس للبيع أو الشراء ، حتى ولو كان الثمن سلاحا نحن فى مسيس الحاجة اليه ، لكى ندافع به عن حدودنا وبيوتنا وأرواحنا وأولادنا » •

ثم قال « ان السلاسل تحطمت والوصاية سقطت ، والشخصية المستقلة برزت ، واحتكار السلاح انتهى ، لا فى بلد يمكن عزله وحصاره ، وانما فى منطقة شاسعة الأطراف ، يتدفق فيها تيار واحد ، هو تيار القومية العربية فيما بين المحيط الأطلسى والخليج العربى » •

وانسجاما مع هذا الاتجاه الاستقلالى التحررى ، اختط الرئيس لعلاقاتنا الدولية وموقفنا من أحداث العالم ومشكلاته ، سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وقد شرح الحكمة من هذا الاتجاه فى حديثه الى وفد الصحفيين الأمريكيين فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٨ فقال :

« اننا نعتبر أن فكرة عدم الانحياز ، وعدم الاشتراك فى حلف دفاعى مع دولة كبرى ، مقاومة لسيطرة الدول الكبرى • اننا نعارض حلف بغداد • وقد صرحنا بأننا نعارض هذا الحلف لأن هدفه الرئيسى • انما هو زيادة نفوذ الدول الكبرى فى المنطقة • ومستر ايدن نفسه قال فى مجلس العموم فى أبريل سنة ١٩٥٥ فى معرض حديثه عن هذا الحلف « أنه سيكون لنا بواسطته صوت عال فى هذه المنطقة ، كما ستزداد سيطرتنا عليه » •

من أجل ذلك قاومنا أى محاولة للزج بنا داخل منطقة نفوذ دولة أخرى •

كذلك — ونحن دولة صغيرة — لن نقف على قدم المساواة مع دولة كبرى • فالقرارات ستتخذ فى مقر الحكومة الأمريكية ، أو بعد استشارة قواد القوات المسلحة الأمريكية ، وعلينا نحن أن نتبع ما يتخذون من قرارات وما يرسمون من سياسة (٦٢) •

وقد أشار الميثاق الى دور الشعب العربى ، فى رفع راية الحياد ، فقال « ان اصرار شعبنا على محاربة الأحلاف العسكرية التى تريد أن تجر الشعوب رغم ارادتها الى فلك الاستعمار كان صوتا عاليا بالحق ، ارتفع فى جميع المجالات منبها ومحذرا » •

٦ — انها اصبحت دعوة الى الوحدة الشاملة :

ظلت الحركة القومية فى مراحلها الأولى — كما رأينا — مقصورة على نطاق محدود من الأقطار العربية وهى أقطار المشرق العربى ، كما استمرت دعوات الوحدة فيما بعد محصورة فى حلقات أضيق ، مثلما تتمثل الدعوة الى مشروعى (سوريا الكبرى) ، و(الهلال الخصيب) • حتى انتقل لواء هذه الحركة الى يد الرئيس الراحل ، فبدأت تحطم الحواجز ، وتكتسب صفة الشمول •

ويرجع ذلك القصور الذى ذكرناه ، الى ارادة القائمين بأمر تلك الحركة ، فى تلك المراحل ، الذين خشوا أن يفقدوا زعامتهم ، اذا امتدت الحركة الى ما بعد مناطق نفوذهم فقنعوا بطلب اللقمة التى يستطيعون بلعها • كما يرجع ذلك أيضا الى اصطدام تلك الحركة بدعاوى الاقليمية والطائفية ، والظروف السياسية الخاصة بالدول الأخرى التى لم تدخل فى ذلك النطاق •

وقد رددت اذاعة « صوت العرب » عند افتتاحها فى شهر يوليو سنة ١٩٥٣ أول شعار للدعوة القومية الشاملة ، أى قبيل أن ينقضى عام كامل على قيام الثورة ، وكان شعارها جملة من احدى خطب الرئيس تنادى العرب جميعا ، «كلنا سنعمل ، كلنا سندافع عن عروبتنا ، حتى يتحرر الوطن العربى ، من المحيط الأطلسى ، الى الخليج الفارسى »(٦٣) •

وقد تكرر هذا المعنى فى خطبه وتصريحاته وأحاديثه التى كان يؤكد فيها أن شمول الدعوة القومية ، هى من أهم الضمانات التى تكفل لها القوة ، والصلابة ، والصمود .

ومن ذلك قوله فى الاحتفال باعلان الدستور الذى أكد فيه عروبة مصر ، وارتباطها بالأمة العربية فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦

« ان الكيان العربى يمتد من المحيط الأطلسى ، الى الخليج العربى . كلنا شعب واحد ، شعب عربى واحد ، نكافح جميعا متحدين متكاتفين من أجل حقنا فى الحرية ، ومن أجل حقنا فى الحياة . نكافح جميعا ضد الاستعمار ، وضد أعوان الاستعمار ، لن تقطع أوصالنا مرة أخرى ، كما قطعت بعد الحرب العالمية الأولى » .

وهكذا كانت الثورة العربية فى مصر ، هى التى فجرت الحماس لفكرة الدعوة العربية الشاملة ، فى المشرق والمغرب على السواء ، وحملت ذلك اللواء ، حتى شملت الدعوة الناصرية شعوب العالم العربى جميعا .

وكان الرئيس يضرب الأمثلة دائما ، على أهمية هذه الفكرة ، بأحداث التاريخ العربى القريب ، وبظروف العرب المعاصرة ، ويفضح الأساليب السياسية للدول الاستعمارية ، التى اذا أرادت أن تعتدى على دولة عربية ، لا تتورع عن اتخاذ قواعد عدوانها فى دولة عربية لأخرى ، واذا أرادت أن تضرب دولة عربية ، ربما لجأت الى الضغط على شقيقاتها الأخرى .

ولم يكتف الرئيس فى دعوته الشاملة بالأقوال ، بل كان يضعها موضع التنفيذ دائما . فالى جانب الدفاع عن قضايا الدول والشعوب العربية ، فى المنظمات والهيئات الدولية ، فقد عمل على تأييد جبهات التحرير الشعبية ، سواء بتدريب أفرادها ، أم بمدهم بالأموال والأسلحة والذخائر ، أم بحماية اللاجئين منهم ، وكفالة حرية الدعوة والجهاد لهم ، مع تجنيد جميع أجهزة الاعلام لخدمة قضاياهم ، وتوضيح حقائقها للرأى العالمى ، وابلاغ نداءاتهم وتوجيهاتهم الى شعوبهم المكافحة .

وقد شهد الجنرال جلوب فى مذكراته التى نشرتها جريدة الديلى ميل فى سنة ١٩٥٧ بأهمية اذاعة صوت العرب فى توحيد مشاعر العرب ، وجمع كلمتهم ، بقدر ما أفلحت فى اذكاء الشعور بالانتماء للأمة العربية ، بين المصريين أنفسهم (٦٤) .

الفصل الخامس

فضل الزعامة الناصرية فى تحرير الشعوب العربية

قال الرئيس أنور السادات فى خطابه الذى ألقاه فى الاحتفال الذى أقيم بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاة سلفه العظيم ، وشرح فيه النتائج التى حققتها الدعوة الناصرية فى معركة تحرير الشعوب العربية .

« يكفى أيها الاخوة أن نلقى نظرة على خريطة أرض الأمة العربية قبل جمال عبد الناصر ، والآن بعد أن ذهب عنا جمال عبد الناصر ، وانما ظل باقيا بفكره ، وبالمثل العليا لنضاله وبأعماله الباهرة .

مصر والسودان وليبيا تحت الاحتلال البريطانى .

شمال افريقيا كله حتى شاطىء الأطلنطى تحت الاحتلال الفرنسى . بل ان بعض بلادها لم تكن مجرد بلاد محتلة ، وانما كانت كما كان الحال فى الجزائر جزءا لا يتجزء من أرض الدولة المستعمرة .

وكانت سوريا ولبنان تحت ظلال علم يبدو مستقلا ، ولكن النفوذ الأجنبى كان ضاربا فى الصميم .

وكان العراق والكويت تحت الاحتلال البريطانى .

وكان اليمن الشمالى تحت حكم ما هو أسوأ من الاستعمار .

وكان اليمن الجنوبى واحدة من ممتلكات التاج البريطانى .

وكانت الأردن محمية .

وكان الخليج فى عزلة .

وكانت المملكة العربية السعودية حقل بترول ناشىء ينمو بسرعة لمصلحة المستغلين .

وكان شعب فلسطين لاجئا فى الخيام .

وكانت اسرائيل خنجرا فى قلبنا كما هى الآن خنجر فى قلبنا ، ولكننا قبل جمال عبد الناصر لم نكن نقاوم . بل لم نكن حتى نتألم .

وكانت الأمة العربية بأسرها معزولة عن العصر ومعزولة عن التطور .

ولم تكن كلمة التصنيع أو التخطيط أو الكهربة الكاملة قد ترددت على أرضها ، ولا كانت الحقوق الاجتماعيــة لجماهير الشعب معنى له قيمة حقيقية .

ولا كان للعمال والفلاحين دورهم وهم الأغلبية ، وانما كانت السلطة كلها فى يد الأقليــة من الأجانب ، مع مجموعات من الحكام والباشوات والشيوخ ، تعتصر الجماهير بالاستغلال بواسطتهم ويحصلون على فروق الغنيمة ، والباقى كله يتسرب الى الخارج نزيفا مستمرا للجهد القومى .

وذلك ما كان من أمر الثورة القومية ، وذلك ما لم يعــد موجودا الآن .

وتلك هى شهادة التاريخ لجمال عبد الناصر .

انه لم يصنع بيده كل تحول ، ولا فجر بجهد ، كل ثورة ، ولكنه — وهذا هو دوره التاريخى العظيم — نبه جماهير أمتنا الى حقيقة ومعنى وجودها القومى ، وربط جماهير أمتنا بحقائق ومعانى العصر الحديث الذى نعيش فيه .

هكذا تحركت الجماهير وزحفت الى النضال المستمر ، وانتصرت فى معارك ، وما زال عليها أن تنتصر فى معارك » .

والواقع أن من أهم ما حققته الدعوة الناصرية هو اعادة ثقة الشعوب العربية فى البلاد المستغلة والمحتلة بنفسها ، واقناعها بأن عوامل قوتها تكمن فى أعماقها ، وأن قدرتها على التحرر ليست من قبيل المعجزات .

وكان مما هيأ لهذه النتائج أسباب النجاح ، أن هــذه الدعوة لم تقتصر فى التعبير عن نفسها بالأقوال ، بل كان ذلك التعبير يخرج دائمــا

الى حيز الأعمال ، اذ كانت الحركات التحررية للشعوب العربية تحظى من مصر الناصرية بكل عون مادى وأدبى مستطاع ، حتى تحقق آمالها • وتحطم قيودها ، وتحتل مكانها اللائق فى عالم الحرية والاستقلال •

وقد كان السودان الشقيق أول دولة عربية حصلت على استقلالها بفضل السياسة الناصرية التحررية ، المنزهة من الأهواء والمطامع ، والتى اكتسبت ــ بما تظهره دائما من النوايا الطيبة ، وما تقدمه من الخدمات والتضحيات احتسابا ــ ثقة الشعوب العربية بها ، واعترافها بفضلها •

وقد عبر الرئيس السودانى الأسبق الفريق أحمـد عبود فى كلمة الترحيب التى ألقاها عندما زار رئيسنا الراحل السودان فى سنة ١٩٦٠ عن تقدير الشعب السودانى لخدماته الجليلة واعجابه بمبادئه ورسالته فقال ••

« لن ينسى السودان تلك اليد الكريمة التى أسدتها له الثـورة المظفرة بقيادتكم الحكيمة فى سبيل استقلاله وحريتـه ، وما تسهمون به فى ميدان الثقافة والتعليم (٦٥) » •

وكان لمساندة مصر للسلطان محمد الخامس سلطان المغرب ، عندما خلعته السلطات الفرنسية فى شهـر أغسطس سنة ١٩٥٣ والوقوف الى جانب الشعب المغربى الثائر فى الصعيدين الرسـمى والشعبى ، أثر كبير فى اذكاء معركة التحرير فى ذلك القطر الشقيق ودعمها ، وتهيئة أسباب النجاح لها •

وقد شرح الرئيس الراحل موقف مصر من القضية المغربية فى حديث له فى جريدة الأهرام قال فيه :

« ان مصر لتناصر الشعب المراكشى فى جهاده المقدس ، ولن تقف مكتوفة الأيدى أمام هذا العدوان • ان قصة المستعمر تتكرر كل يوم على مسرح الدول الصغيرة وقضية مراكش واحـدة منها ، وان اختلف الممثلون ، وعلى الشعب المراكشى أن يصمد أمام هذا العدوان ويقاومه ، فقد جاء الوقت الذى يجب على الشعب أن يعمل لينال حريته واستقلاله • ومصر لن تغفل عن هذه القضية وستقوم بالتشاور مع باقى الدول العربية فى الموقف الموحد الذى ستتخذه فى هذا الشأن (٦٦) •

وظلت مصر الناصرية تساند شعب المغرب فى نضاله العادل الشريف ، حتى نال استقلاله فى مارس سنة ١٩٥٦ وأعيد السلطان الى عرشه ، وكانت مصر فى مقدمة الدول العربية التى تعاونت مع الحكومة الجديدة تعاونا مثمرا ، وخاصة فى مجال التعليم والتعريب .

وقد أشاد الأمير الحسن — ولى عهد المغرب وقتذاك — فى خطابه الذى ألقاه فى حفل العشاء الذى أقامه له الرئيس الراحل عند زيارته لمصر فى شهر يوليه من السنة التالية بفضل قائد العروبة فى تسهيل حصول المغرب على استقلاله فقال ..

« ان المغرب المستقل الذى لم ينل استقلاله الا فى سنة ١٩٥٦ لمدين لكم شخصيا ولصحبكم ولشعبكم على الخصوص ، وللشعوب العربية على العموم ما قمتم به مدة كفاحنا من اعانة جبارة قلبية مخلصة ، لامصلحة لها ولا شهوة الا أن ترى بلدا شقيقا عربيا مسلما يصل الى ما يتمناه من حرية وكرامة واستقلال ، حتى يسهم بنصيبه هو كذلك فى بناء مستقبل الأمة العربية (٦٧) .

ولم تتردد مصر فى تأييد الشعب التونسى فى نضاله من أجل استكمال حريته واستقلاله . وأقوى ما يتمثل ذلك فيما أعلنه الرئيس الراحل من التعهد بتسليح الجيش التونسى ، بعد أن رفضت بعض الدول الغربية مد هذا القطر الشقيق بما طلبه من الأسلحة والذخائر .

كما أيدت مصر الثورة الجزائرية منذ اعلانها فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وقدمت لها كل مساعدة وتأييد ، سواء على مستوى المنظمات الدولية الرسمية والشعبية ، أم عن طريق مدها بالعون المادى ، ووضع امكانيات مصر التدريبية والاعلامية فى خدمتها .

وقد استهدفت مصر — نتيجة لنصرتها شعوب تلك المنطقة — لغضبة الحكومة الفرنسية ، فراحت تضع العراقيل فى وجهها ، وتحتج على كل تأييد مصرى رسمى أو شعبى لحركات التحرر فيها ، وتهدد المصالح المصرية الواقعة تحت النفوذ الفرنسى ، وتمنع ارسال الصحف والكتب المصرية

الى تلك البلاد ، كما أوقفت تنفيذ صفقات الأسلحة التى كانت قد تعاقدت عليها مع مصر، وبلغت تلك الغضبة ذروتها عندما اشتركت فرنسا فى العدوان الثلاثى الغادر على مصر فى أواخر سنة ١٩٥٦

وكل ذلك لم يحل دون استمرار تأييد مصر لثورة الشعب الجزائرى، حتى ظفر باستقلال بلاده فى سنة ١٩٦٢ ، وقد أتيح لهذا الشعب الشقيق أن يعبر عن تقديره لهذه المواقف والتضحيات العظيمة عندما زار الرئيس الراحل الجزائر فى سنة ١٩٦٣ ، فاستقبل هنالك أروع استقبال ، ووقف الزعيم أحمد بن بلا يشيد بجهوده فى معركة التحرير الجزائرية فقال :

« وقف معنا عبد الناصر فى الوقت الذى لم نجد فيه من يؤازرنا فى الشرق أو الغرب » •

وفصل ذلك الموقف البطولى بقوله :

« لقد ذهبت الى مصر وقابلت الرئيس جمال عبد الناصر وشرحت الأزمة الموجودة فى الجزائر ، وأوضحت له أن آمالنا هى فى هذا الشعب القوى • وطلبنا منه أن يظل واقفا الى جانبنا فى هذا الوقت المضطرب ، وقد رد الرئيس عبد الناصر بأن امكنيات مصر تحت تصرفكم • ووقف معنا وأيدنا فى الوقت الذى لم نجد فيه أحدا فى الشرق أو الغرب ، لم نجد سوى جمال عبد الناصر يؤازرنا ويقف بجانبنا » •

وتحدث عن توالى المعونات المصرية للجزائر فقال :

« وعندما كانت الثورة فى بدايتها أى فى الشهر الأول من اندلاع الثورة فى ديسمبر ١٩٥٤ جاءت أول باخرة مصرية محملة بالأسلحة الى ليبيا الشقيقة ، واتفق جمال عبد الناصر مع المسئولين فى ليبيا أن يسلموها لنـا ، ثم جاءت بعد ذلك سفينة ثانية وثالثة ورابعة » •

وقد أسهمت مصر الناصرية فى تعريب لسان الشعب الجزائرى وثقافته لتساعده على تأكيد شخصيته العربية ، واسترداد وجدانه العربى ، وكان ذلك استجابة لنداء الرئيس السابق بن بيلا فى خطابه الذى ألقاه يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٢ فى المجلس التأسيسى الجزائرى وقال فيه « ان شعورنا عربى ولكن تعبيرنا فرنسى وثقافتنا فرنسية • وفى هذا خطر قد يؤدى الى تمزق شخصيتنا وفقدانها لتوازنها وأصالتها (٦٨) •

ومن أصلب المواقف التى اتخذها الرئيس الراحل للدفاع عن حرية الشعوب العربيــة واستقلالها ، موقفــه من ذلك الضغط العســكرى الأمريكى الذى استهدفت له سوريا فى سنة ١٩٥٧ عن طريق تهديد أسطولها للموانىء السورية ، واشتركت فيه حليفاتها تركيا واسرائيل بحشودهما على حدودهما ، كما استلمت الحكومة الأردنية أسلحة أمريكية فى ذلك الوقت العصيب ، وبدت كأنها تنوى الهجوم على سوريا بحجة حماية نفسها من الخطر الشيوعى المزعوم . فهنا ارتفع صوت عبد الناصر معلنا موقف مصر الحازم من تلك المؤامرة ، وتصميمها على مساندة الشعب السورى بكل قوة ومهما كانت التضحيات فقال :

« ان مصر ستقف بجانب سوريا الى غير حد ، وبدون أى قيـــد أو شرط ومهما تكن تطورات الضغط على سوريا ، فان شيئا واحدا لا يجب أن يغيب عن الأذهان ، ذلك أن جميع امكانيات مصر السياسية والاقتصادية والعسكرية كلها تســاند سوريا فى معركتها ، بل معركتنا نحن ، معركة القومية العربية كلها » .

وكان من المظاهر العمليــة الحاســمة لهذا الانذار المصرى ، تلك النجدات العسكرية الضخمة التى أرسلت الى سوريا عن طريق مينــاء اللاذقية فورا ، والتى كان لها أطيب الأثر فى رفع الروح المعنوية للشعب السورى وتعزيز جيشه . وما تلا ذلك من نكوص قوى العدوان على أعقابها (٦٩) .

وكانت ثورة العراق فى سنة ١٩٥٨ ثمرة من ثمار الدعوة الناصرية ، وقد عبر عن ذلك الأستاذ فؤاد الركابى الوزير العراقى الأسبق فى كتابه (على طريق الثورة) بقوله :

« فى اللحظة التى قامت فيها الجمهورية العربية المتحـــدة ، وكنتيجة مباشرة لقيامها ، تطور هدف التحرر ، وهدف الوحدة الى مستوى جديد نوعيا ، بحيث أصبح نضال الجماهير فى العـــراق هدفه طرد الاستعمار والقضاء على عملائه ، ولأصبح هـــدف الوحدة يعنى فعلا الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، التى أصبحت نواة للوحدة العربية الشاملة .

وبسبب هذا التطور الاستراتيجي تجاه هدف الوحدة والتحرر ، وأثر هذا التطور فى عقلية ونفسية وتطلع الجماهير ، بسبب هذا التطور النابع من قيام الجمهورية العربية المتحدة ، أمكن قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ .

ولولا خيانة عبد الكريم قاسم ، والمؤامرات البعثيــة ، والنزعات الاقليمية والطائفية ، التى أثيرت ، لاستطاعت تلك الثــورة أن تستأنف مسيرتها فى الاتجاه القومى القويم ، الذى يحقق للشعب العراقى آماله فى الوحدة ويجنبه السقوط فى براثن الاستغلال والتضليل .

وكذلك كانت ثورة الشعب اليمنى فى سنة ١٩٦٢ صدى من أصداء الدعوة الناصرية ، كما لقيت منها بعد قيامها كل مناصرة وتأييد . وقد أبرق الرئيس الراحل الى قائد الثورة الزعيم عبد الله السلال عندما أعلن بقيامها يقول :

« ان شعب الجمهــورية العربية المتحــدة تابع بكل اهتمام وعناية تطورات الأحداث الكبرى فى اليمن ، ومحاولة الشعب والجيش اقامة حياة جديدة تحقق على أرض اليمن عزة الانسان وكرامته . ان شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤمن بأن هــذا العصر هو عصر الشعوب وحدها ، تصنع بأيديها أقدارها وتحقق بارادتها الحرة كل أمانيها ، ان الله جلت قدرته خلق البشر أحرارا متساوين فى الفرصة ، متكافئين فى العدل ، ولا يرضيه جل وعلا أن تقف دون قدرته حواجز الاستعمار وطغيان الرجعية » .

وقد بادرت الدولتان الى توقيع اتفاقية للدفاع المشترك ، لمواجهة تحركات الاستعمار وأعوانه ، ولم تتوان مصر عن ارسال قواتها لتأييد الثورة وحمايتها ، وظلت تساندها حتى رسخت أقدامها ، وأخذت تسير فى طريق التقدم والاستقرار .

وقد اعترف قائد تلك الثورة فى خطابه الذى ألقــاه بالحفل الذى أقيم لتكريمه بمحافظة الاسكندرية فى ٤ يوليــه ١٩٦٣ بجهود الشعب

المصرى بقيادة عبد الناصر فى تهيئة أسباب النجاح لثورة اليمنية ،ومؤازرتها فى معركتى التحرر والتقدم فقال :

« ان الشعب العربى فى اليمن يكن لشعب الجمهورية العربية المتحدة الاخاء الصادق . وقد وصلنا من اليمن بعد معركة طاحنة ، اشتركت فيها الجمهورية العربية المتحدة والقوات اليمنية جنبا الى جنب ضد الرجعية . وهناك امتزج الدم بالدم ، وامتزجت القلوب والأرواح ، وأصبح الشعب العربى فى مصر واليمن شعبا واحدا ، وقلبا واحدا ، وروحا واحدا .

باسم الشعب العربى فى اليمن ، والوفد اليمنى الرسمى ، أتقدم بشكرى لشعب الاسكندرية وشعب الجمهورية العربية المتحدة عامة ، وعاش محرر العروبة ورائد القومية العربية (٧٠) » .

وكان لموقف مصر من الثورة اليمنية فضل كبير فى اذكاء الثورة الشعبية فى الجنوب العربى ، وقد اضطرت بريطانيا فى البداية الى تدعيم اتحاد الجنوب ، بضم مستعمرة عدن اليه وبعض المشيخات المجاورة ، وتعديل دستوره ، ولكن الثورة ازدادت اشتعالا بفضل العون والتأييد المصريين ، حتى اضطرت بريطانيا فى النهاية الى اخلاء قاعدة عدن ومنح المنطقة استقلالها (٧١) .

وهكذا كانت الدعوة الناصرية التى تعبر عنها تصريحات الرئيس وأحاديثه وخطبه ، تترجم الى مثل هذه المواقف البطولية التى اتسمت بالشجاعة والحزم والاخلاص ، وكان لها أعظم الفضل فى ايقاظ الشعوب العربية ، فظفر أغلبها بحريته واستقلاله ، وقطع الباقى منها مراحل طويلة نحو التحرر والاستقلال .

الفصل السادس

المطاعن والانتقادات التى واجهتها الحركة القومية فى هذه المرحلة

كان طبيعيا أن تتضافر قوى الاستعمار ، مع حليفتيها الصهيونية العالمية من جهة والرجعية العربية من جهة أخرى ، لمحاربة الدعوة الناصرية لاحياء القومية العربية ، التى شنت عليها هذه الحرب السافرة ، وكشفت ألاعيبها ومؤامراتها ، وانتصرت عليها فى المعارك المتتالية ، وقضت على مصالحها فى ميادين عدة ، وهددت ما بقى لهـا من المصالح فيما بقى من الميادين .

ويلجأ هذا الثالوث ، فى معركته اليائسة الى أساليب الدس والتضليل واشاعة المزاعم الباطلة ، التى يراد بها تشويه أيديولوجية الدعوة الناصرية ، والتشكيك فى أهدافها ، وزعزعة الثقة فى دعاتها ، حتى يسلبوها أقوى أسلحتها ، التى تتمثل فى اعتمادها على ايمان الشعوب بها ، وتجاوبها معها .

وكثيرا ما تجتذب هذه الاضاليل والأباطيل بعض العناصر التى أساءت فهم هذه الدعوة أو فشلت فى استغلالها ، أو أحست بأنها تقف حجر عثرة فى سبيل تطلعاتها ومطامعها . فتحاول بدورها أن تبث سمومها فى غيرها من العناصر الساذجة البريئة ، التى لم يمنحها الله ملكة التقدير ، والتمييز بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث .

ونستعرض فيما يلى مجموعة من المطاعن والانتقادات التى يثيرها هذا الثالوث فى حملة التشكيك التى تشنها على ايديولوجية الدعوة القومية وأهدافها فى هذه المرحلة ، وهى حملة تختلف موضوعاتها ونغماتها باختلاف الأوساط التى تبثها فيها :

١ ـ تشكيك الشعب المصرى فى جدوى السير فى موكب القومية العربية :

حاولت هذه الحملة أن تتخذ من بعض هذه المواقف والأزمات التى تثيرها التناقضات السياسية والاجتماعية فى العالم العربى ، للعمل على زعزعة ثقة الشعب المصرى فى الشعوب العربية الأخرى ، وتشكيكه فى جدوى السير فى موكب القومية العربية ، ضاربة فى ذلك على النغمة الاقليمية البائدة .

وكان يمكن أن تحقق هذه الحملة أغراضها ، لو أن الدعوة القومية اقتصرت فى هذه المرحلة على الأسلوب العاطفى ، ولم تعمد الى ارساء قواعدها على أسس من العناصر الثابتة ، والمبررات المقنعة (السياسية والعسكرية والاقتصادية) .

وقد أشار الرئيس الراحل الى هذه الحملة المغرضة ، وفضح أهدافها . فى خطابه الذى ألقاه يوم اعلان دستور سنة ١٩٥٦ الذى أكد عروبة مصر ، فقال :

« نحن اليوم حينما نعلن أننا نتقابل مع الشعوب العربية ، ونعلن أننا جزء من الكيان العربى ، نعلن هذا من أجل مصلحتنا ، ومن أجل مصلحة العالم العربى كله . لقد حاولوا أن يخدعونا وحاولوا أن يضللونا ، وكانوا يقولون لنا مالكم وللعرب ، ولكنا اليوم وقد تنبهنا ، لن نخدع أبدا » .

ثم قال : « واليوم أيها المواطنون ، نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ، ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا ، حتى لا يتكرر ما مضى ، وحتى لا يتكرر ما فات . لقد ضاعت قطعة من أرضنا ، لقد محيت قومية العروبة فى فلسطين، لأننا انخدعنا ، ولأننا تبعنا الاستعمار ، وتبعنا أعوان الاستعمار . وكانوا يقولون هنا فى مصر ما لكم وللعرب ، وكانوا يقولون للبلاد الأخرى ، ما لكم ولمصر .

ولكننا اليوم بعد أن تنبهنا ، وبعد أن انتصرنا فى ثورتنا التى انبثقت من شعورنا ، نعلن أننا نتكاتف مع العرب جميعا ، من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ، من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ، ومن أجل الحق فى الحياة (٧٢) .

والحقيقة أن الأحداث والمواقف المتتابعة ، التى تعرضت لها شعوب العالم العربى وفى مقدمتها الشعب المصرى ، فى الآونة الأخيرة ، قد أكدت منطق الدعوة القومية وأهدافها كطريق الى التحرر والخلاص . وأثبتت أن المواقف والأزمات التى يتخذها أعداء الدعوة القومية مدعاة للتنفير منها ، هى فى الواقع مدعاة للايمان بها ، لأن هذه الدعوة لم تقم ، الا لمواجهتها والقضاء على مصادرها .

٢ ـ تشكيك الشعوب العربية فى نوايا مصر والزعامة الناصرية :

يتمثل الأسلوب التقليدى لمحاربة الدعاوى القومية ، فى اثارة النعرات الاقليمية وتخويف الأقاليم الصغرى ، من طغيان الأقاليم الكبرى ، وابتلاعها لكياناتهـا .

وكان العالم العربى دائما مجالا خصيبا لتنفيذ هذه السياسة . وعندما تقدمت مصر لتؤدى دورها ، فى الحـركة القومية ، التى قبلت مختـارة أن تتحمل من التضحيات والأعبـاء فيها ، ما يناسب مكانتها وامكانياتها العملاقة ، ووفقت الزعامة الناصرية الى ايقاظ الشعوب العربية وتحريرها ، حتى ركز أعداء هذه الحركة هجومهم عليها ، متهمين اياها بمحاولة التسلط على البلاد العربية الأخرى ، واستغلال خيراتها .

وذلك فى الوقت التى تعلن فيه مصر الناصرية دائما ، أن اشتراكها فى موكب العروبة ، وحركتها القومية ، لا يحمل معنى (التسلط) وانما يحمل معنى (تحمل المسئولية) . وفى ذلك يقـول الميثاق « ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة ، فى صنع التقدم وتدعيمه وحمايته ، تمتـد لتشمل الأمة العربية كلها » .

« والجمهورية العربية المتحـدة ، وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية ، لابد لها أن تنقل دعوتها والمبـادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى . ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البـالية القديمة ، التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها .

ولا شك أن تزعم مصر للحركة القومية ، أمر منطقى لا افتعال فيه ، فالى جانب أن مصر تضم نحو ١/٣ تعداد الشعوب العربية جميعا ، ويعادل تعداد سكانها على الأقل تعـداد سكان دول المغرب العربى كله ، ويكاد يعادل تعداد سكان دول المشرق العربى من جهـة أخرى ، فان مركزها الدولى ، وأهمية موقعها الجغرافى ، وعظمة امكانياتها الاقتصادية والزراعية والصناعية ، وتفانيها فى خدمة البلاد العربية ، جعل الدعاة المخلصين للقومية العربية — حتى من غير أبناء مصر — يؤيدون زعامتها للأمة العربية .

وفى ذلك يقول عبد الله الطريقى وزير البترول الأسبق فى الحكومة السعودية

« يصعب على الانسان أن يتصور أمة عربية بدون مصر . فمنذ عرف الانسان العربى نفسـه ، وأقام فى المناطق الواقعـة بين المحيط الأطلسى والخليج العربى وطنا له ، وشمال وادى النيل هى النقطة التى يلتقى فيها العرب فى طريقهم من المشرق الى المغرب ، ومن المغرب العربى الى المشرق . وقد ساعد ظهور الاسلام على استمرار وتقوية هـذا الاتصال بين مشرق البلاد ومغربها ، ولعبت القاهرة على مر العصور دور الشقيق العطوف المضياف ، واستطاعت الأجيال المصرية المتعاقبة الوقوف أمام كل الصعاب التى تعرضت لها الأمة العربية ، فحافظت على الدين واللغـة ، وأصبحت ملجأ الأحرار العرب فى كل الأزمنة ، وملجأ للهاربين بدينهم أو قوميتهم من نير الاستعمار والظلم والاستعباد . كما كانت القاهرة قبـل الثورة مصدر الاشـعاع الفكرى للانسان العربى ، وكانت مدارسها وجامعاتها وصحافتها وأدباؤها ، ووسائل الاذاعة فيها ، معلما مثقفا وموجها للانسان العربى فى كل أوطانه . فلما قامت الثورة ضاعفت ما تبذل من جهـود فى هذا السبيل ، وعندما استقرت الأمور للنظام الجديد فى مصر ، وأعلن الثـوار برنامجهم ، كان من أهم بنوده بأن مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وأنها لا تستطيع العيش بدون مجالها العـربى ، كما أن واجبها الوقوف تحت جميـع الظروف فى صف الشعوب والحكومات الوطنية العربية ، التى تناضل فى سـبيل تخليص نفسها من سـيطرة الاستعمار والاستغلال ، وقد صدقت الثورة كل ما قالت » (٧٣) .

والحقيقة أنه منذ زمن مبكر ، وحتى قبل أن تأخذ مصر مكانها في الصف العربي القومي بصفة رسمية وقاطعة ، كان أدباء العرب ومفكروها ودعاة القومية فيها ، يتغنون بزعامة مصر للعالم العربي . ومن ذلك ما قالته الشاعرة الفلسطينية المعروفة (مي) في كتابها (بين الجزر والمد) الذى صدر سنة ١٩٢٤ .

« أصبحت مصر كعبة العالم العربي ، وحاضرته المعنوية ، فما لاح فيها نور الا استضاءت به الأقطار الأخرى ، ولا مضت في أرجائها صيحة ، الا اهتزت لها القلوب ، ولا ظهر فيها أسلوب جديد في الأدب والاجتماع والسياسة ، الا نظر فيه الآخرون باهتمام ، ومالوا الى تحديه قائلين « أليس أن مصر فعلت ذلك ؟ » .

ولئن كان هذا مما يبعث في مصر عاطفة الاغتباط والفخار ، فهو كذلك يلقى عليها مسئولية كبيرة ، لأن في الاعجاب تشجيعا ووازعا وايماء الى النهج القويم الذى يتحتم السير فيه ، نحو العلى » .

وكان ساطع الحصري فيلسوف القومية العربية ، من أول من نادوا من دعاة القومية ، بدعوة مصر الى مسايرة موكب العروبة ، وأثبت حقها في تولى زعامة الأمة العربية ، ومن أمثلة ما كتبه في هذا المقام ، ما جاء في مقاله الذى نشر في جريدة البلاد في ١٩ أبريل سنة ١٩٣٦ :

« لقد زودت الطبيعة مصر بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة في انهاض القومية العربية » .

واذا كان ذلك هو تقدير مفكرى العرب ، ودعاة القومية العربية لمكانة مصر وزعامتها ، قبل أن تأخذ مكانها في الصف العربي ، فلا شك أنها الآن أصبحت أجدر بهذه الزعامة ، بعد أن أكدت انتماءها للأمة العربية ، وأصبحت تقوم بهذا الدور البطولى الرائد ، في معركة القومية العربية ، متحملة في سبيله أعظم التضحيات .

ويشير المؤرخ والمفكر الفلسطيني الدكتور أنيس صايغ عن الظروف والأوضاع التى تؤكد الزعامة المصرية للعالم العربى « مصر كما هو معروف أكبر الدول العربية فى عدد السكان وفى الامكانات ، وأشهرها فى المجال الدولى ، وأعرقها فى التاريخ ، وأكثرها تمرسا فى الاستقلال ، وأقدمها فى اثبات الوجود عالميا ، وهى قاعدة الوطن العربى سياسيا وحضاريا ونفسيا وتكتيكيا وفنيا ، وتحتفظ باعتبار خاص ، فى نفوس المواطنين العرب ، لا يتوافر لدى اقليم عربى آخر من الناحية السياسية والنفسية ، حتى ولا للمدن ذات الأماكن المقدسة » .

ثم أشار الى ما أضافه جمال عبد الناصر ، الى أهمية مصر فى العالم العربى ، بقوله « أضاف عبد الناصر فى قيادته العربية الشاملة ، الى الامكانات التى تتمتع بها بفضل حكمة مصر — وهى قاعدة العمل العربى — روحا جديدا ، ميزت هذه القاعدة بها فى عهده ، فلم تعد مصر أمل العرب بجمالها وأهرامها وأبى هولها ، ورموز الماضى ، كما كانت قبلا ، بل أصبحت أملهم بثورتها ، وصناعاتها ، وجرأتها ، ومركزها الدولى ، وشخصية رئيسها بالطبع .

ويشير هذا الى أن مصر أفادت من ناصر فى تجديد مركزها العربى ، وبعثه على أسس جديدة ، بقدر ما أفادته فى تأمين مركزها التقليدى [٧٤]

والواقع أن ظهور جمال عبد الناصر فى مصر بالذات ، واتخاذ الحركة القومية الحديثة من مصر منطلقا لها ، دون غيرها من البلاد العربية ، كل ذلك كان له أعظم الأثر فى تقوية هذه الحركة واكسابها هذه القوة الخارقة ، والصوت العالى ، والقوام العملاق . ولا شك أنه اذا كانت مثل هذه الدعوة قد ظهرت فى بلد عربى آخر ، لما كان لها كل هذا الشأن .

وقد روى مازن البندك أن هذه النقطة قد أثيرت بينه وبين الثائر الكوبى تشى جيفارا اذ قال له « ان نقطة الضعف فى ثورة أمريكا اللاتينية هى أنها بدأت فى كوبا . فكوبا بامكانياتها المحدودة وبسبب وضعها الجغرافى ، فى أحضان الشاطىء الأمريكى ، كان قصارى جهدها وأعظم آمالها أن تحمى نفسها .

وفى المقابل فان انتصار الثورة فى مصر وقدرتها على الصمود ـ وهى أكبر بلد عربى ـ جعل فى الامكان أن تنطلق الثورة العربية بقوة هائلة ، مستندة الى قوة الثورة الأم ، ولذلك فان انتصار الثورة فى مصر ، كان مقدمة ضرورية لانتصارها فى الجزائر ، وكذلك فان ثورة اليمن ما كانت لتبقى لولا أن نجدتها ثورة عبد الناصر ، وكذلك الأمر أيضا بالنسبة لثورة العراق سنة ١٩٥٨

ويوم اشتركت فرنسا فى العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ بفكرة ضرب ثورة الجزائر فى مقرها الأساسى (فى القاهرة) ، كان حسابها صحيحا . واذا تحققت فعلا وحدة الثورة العربية فان هـذا يعود بسبب انتصارها الحاسم فى مصر بالذات [٥] » .

٣ ـ تشكيك الأقليات الجنسية والطائفية ، فى نوايا الدعوة القومية ازاءها :

يحـاول أعداء الدعوة القومية ـ فى مختلف مراحلهـا ـ تخويف الأقليات الجنسية والطائفية التى يضمها العالم العربى ، من نوايا الدعوى القومية ازاءها ، ويتهمونها بأنها تسعى الى اهتضام حقوقها ، وطمس معالمها الخاصة ، واكتساحها فى تيار العروبة الغلاب ، ويعمدون الى اثارة الشكوك حول انتماء هذه الأقليات الى الأمة العربية ، ويركزون الأضواء على أصول أسلافهم الأولى من فينيقية وأشورية ، وفرعونية وبربرية ، وزنجية .

ويعد « الحزب القومى السورى » و « حزب الكتائب اللبنانية » من أخطر التكتلات السياسية التى تعبر عن هذا الاتجاه ، وتحارب الدعوة القومية بكل صلابة وعناد .

وبرغم أن هذا الاتجاه المعادى للقومية العربية ، لم يكن وليد المرحلة الناصرية الا أن القوى المعـادية أصبحت أكثر ميـلا لاستغلاله ، من أى وقت مضى .

ومن أمثلة الاسفاف فى اثارة النعرات الجنسية البـائدة ، ما ذكره (كيركبرايد) أحد سفراء بريطانيا السابقين بالأردن . بتعليقه على محاربة عبد الناصر لحلف بغـداد « ان الصراع بين العراق ومصر ، هو صراع تاريخى أزلى ، منذ حروب الأشوريين والفراعنة » .

والواقع أن القومية العربية بطبيعتها ، وعبر تاريخها الطويل لم تتخذ الفوارق الجنسية وسيلة لاهتضام حقوق الناطقين بالضاد ، من غير العرب . فمما يروى عن الرسول الكريم « لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى » . وكان مقياس العروبة يقوم على أنه « كل من تكلم العربية فهو عربى »[٧١]

ولم تقم فكرة القومية العربية فى يوم من الأيام على فكرة « النقاء الجنسى » . والتاريخ العربى غنى بأسماء كثيرة من الحكام والقادة والعلماء والأدباء ، الذين لم يكونوا ينتمون الى أصول عربية خالصة ، ومع ذلك فان أحدا من العرب لم يعتبرهم غرباء عنه ، ما داموا ينطقون لغته ، وفى ذلك ما يؤكد عراقة الفكرة القائلة بالمضمون الثقافى للقومية العربية ، والتى عبر عنها الدكتور جمال حمدان ، فى كتابه (شخصية مصر) بقوله :

« ما دام الأصل الجنسى القاعدى مشتركا فى العالم العربى ، قبل الاسلام ، فليس يهم تماما بعد ذلك كم قطرة دم عربى انصبت هنا أو هناك . ولهذا تبقى العروبة والتعريب فى جوهرها المنشود مضمونا ثقافيا أساسا . واذا كان لابد من مقياس مدرج للعروبة ، فليس جنسيا هو . ليس كمية الدم العربى التى أضيفت ، ولكنه كمية اللسان العربى التى استعيرت . بمعنى آخر ، مقياس العروبة — مثلما هو أساسها — اللغة لا الجنس » .

ولقد كانت الحركة القومية العربية منذ نشأتها فى مواجهة الاستبداد العثمانى ، درعا لوقاية الجماعات التى توصف اليوم بالأقليات الجنسية والطائفية ، فوجدت الأمن والطمأنينة والأخوة الصادقة ، فى ثوب العروبة السمح الفضفاض .

واحقاقا للحق ، فانه مما ساعد على اذكاء النزعة الطائفية ، هو ذلك الغموض الذى كان يشوب معنى القومية العربية ، فى أذهان دعاتها وعلى ألسنتهم ، قبل المرحلة الناصرية عندما كانت « العروبة » و « الاسلام » تعتبران فى كثير من الأحيان ، كلمتين مترادفتين .

وكان لبنان دائما خير مرتع لهذه البلبلات والأراجيف ، التى تجسمت خطورتها فى الأحداث الدامية التى حدثت فى سنة ١٩٥٨ فى عهد الرئيس الأسبق كميل شمعون .

وقد أكد الرئيس الراحل فى حديثه لأحد الزعماء اللبنانيين ، أنه لا موجب للمخاوف التى تساور بعض العناصر اللبنانية المسيحية (كالموارنة) فى وحدة مصر وسوريا ، كما أعرب له عن تقديره لخدمات المسيحيين من أبناء لبنان للعروبة ، فقال :

« اننى أريد أن يظل لبنان بلدا مستقلا ، وأريد أن يتمتع بسيادته . اننا نحترم المسيحيين اللبنانيين كل الاحترام ، فهم الذين أدخلوا الطابع العربى الى مصر ، وهم الذين حفظوا لنا لغة القرآن . كل ما أريده من لبنان ألا يستخدم قاعدة للمؤامرات ضد الوطنية ، وضد الجمهورية العربية المتحدة » [١٧١] .

وقد أكد الرئيس الراحل تقديره لروابط الأخوة المسلمين والمسيحيين من أبناء الأمة العربية ، فى تصريحاته وخطبه وأحاديثه العديدة ، ونختار منها بعض كلمات من خطابه الذى ألقاه بمناسبة وضع حجر الأساس لدير الراهبات فى حلب فى ١٨ فبراير سنة ١٩٦٠ أثناء الفترة التى قضاها فى ربوع الاقليم السورى ، لحضور احتفالات العيد الثانى للوحدة وهى :

« قد حاول أعداؤنا دائما أن يبثوا الفرقة بين صفوفنا ، بين صفوف الوطن الواحد لينفذوا فى وطننا ، وينفذوا فى بلدنا . ولكننى كنت دائما أقول لاخوانكم فى مصر : ان رصاص الأعداء أو قنابل الأعداء ، لا تفرق بين ملة وملة ، أو بين دين ودين ، أو بين عقيدة وعقيدة ، ولكنها تجمع أبناء الوطن الواحد ، تحت علم واحد . فان القنابل التى نزلت على بور سعيد ، لم تفرق بين المسلم والمسيحى . لم تفرق بين المذهب والمذهب ، ولكنها كانت تستهدف أبناء الوطن باعتبارهم عربا تجمعهم الراية » .

وفى الوقت الذى يعارض فيه عبدالناصر الدعوات الانفصالية التى تثيرها بعض الأقليات الجنسية التى تغالى فى مطالبها ، ويكشف دور الاستعمار فى توجيهها ، واثارتها ، نجده يعترف بحقوقهم كمواطنين

فى الأسرة العربية الكبرى ، فيقول فى حديث له مع وفد الصحفيين العراقيين فى ٢١ فبراير سنة ١٩٦٦ تعليقا على تمرد بعض الأكراد فى شمال العراق ومطالبتهم بالانفصال ، وبأن يكون لهم جيش منفصل :

« طبعا نحن لا نوافق أبدا على الانفصال بأى حال من الأحوال ، ولا نوافق على أية دعوة انفصالية داخل العراق ، كما أننا لا نرى فى التفاهم مع ما يطلب هؤلاء الناس أن يكون لهم جيش مستقل ، عن الجيش العراقى ، ففى كل البلاد فى العالم حتى ما كان منها اتحاديا أو فدراليا يكون الجيش جيشا واحدا ، ولكننا نرى أن يكون للأكراد حقوقهم القومية مثل اللغة وغيرها من الحقوق القومية المعروفة ، وأنتم قد اعترفتم بهذا فى دستور العراق ، ونرى أيضا أن الحكم المحلى لا يمثل انفصالا ، ولكنه ينظم السلطات على أساس لامركزى » .

ثم قال « هذا يمكننا من القضاء على ما يراد من اقتصاص البلاد العربية واحدة بعد أخرى . ونحن نتمنى أن ينتهى هذا العصيان ، وتقوم العراق القوية بجميع أبنائها ، وبذلك لا يكون هناك أى محل لأية ألاعيب استعمارية فى الوطن العربى أو فى العراق (٧٨) » .

٤ — تشكيك الشعوب الاسلامية فى موافقة الدعوة القومية (بمضمونها الاجتماعى) للقيم الدينية :

آثار اتباع شعار « الحركة القومية ذات المضمون الاجتماعى » أو « الاشتراكى » ثائرة القوى الرجعية ، ربيبة الاستعمار ، وحليفته الطبيعية ، فانطلقت تدعى أن هذه الحركة بمضمونها الجديد ، قد انحرفت عن جادة الدين ، وأن ما يعبر عنه بالاشتراكية ، وبالأخص (الاشتراكية العلمية) ، هو فى الحقيقة الكفر بعينه .

وليس بخاف على كل ذى عقل ، أن قصارى ما تهدف اليه هذه القوى من حملتها المغرضة هو المحافظة على مراكزها ومكاسبها ، التى لم تتوصل اليها ، ولم تحافظ عليها الا بالأساليب الاستغلالية ، التى تعد فى حقيقتها من أبشع مظاهر الاخلال بالقيم الدينية .

وقد رد رئيسنا الراحل تلك المزاعم المغرضة المتجنية مرارا ، وكان أبلغ رد له عليها ذلك الذى ضمنه خطابه الذى ألقاه بالجلسة الافتتاحية لمجلس الأمة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ وقال فيه :

« لقد قيل ان كلمة الاشتراكية العلمية هى من الكفر ، وانها ماركسية ، وسمعت أنا هذا الكلام . وأظن كثيرين منكم سمعوا أيضا هذا الكلام . فما معنى الاشتراكية العلمية ، وأننا اشتراكية عربية ولسنا اشتراكية علمية . هذا الكلام ان دل على شىء فانه يدل على مغالطة .

فمثلا عندما تتصفح الجرائد فى الصباح ، نرى أنها تقول أحيانا أن فرق كرة القدم تخسر . وكى تكسب يجب أن تتدرب وأن تلعب بطريقة علمية ، ان أى فرد كى ينجح يجب أن يسير على طريقة علمية ، واذا كنا نريد اشتراكية سليمة ناجحة ، يجب أن تكون بطريقة علمية ، وعكس الطريقة العلمية هى الطريقة الفوضوية ، فاشتراكيتنا اذن اشتراكية علمية قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى ، وهى ليست أبدا اشتراكية مادية ، ولم نقل أن اشتراكيتنا ، اشتراكية ماركسية ، ولم نقل أننا خرجنا عن الدين ، بل قلنا أن ديننا هو دين اشتراكى وأن الاسلام فى القرون الوسطى حقق أول تجربة اشتراكية فى العالم(٧٠) » .

وبهذا الأسلوب المبسط المقنع . يفضح الرئيس الراحل أباطيل أولئك الأدعياء ، ويسلط الأضواء على حقيقة الأسلوب الذى تتبعه حركتنا القومية ، تحت قيادته ، فى طريقها الصاعد الجديد .

وقد تولى الترويج لهذه الحملة المغرضة . بعض المتجرين بالدين ، الذين لجؤوا الى معاقل الرجعية المتعاونة مع الاستعمار ، ليجعلوا من أنفسهم لسانها الناطق بالأراجيف .

وانه لمن العجيب أن يرفع الاستعمار والرجعية شعار الدفاع عن القيم الروحية ، فى الوقت الذى تمارس فيه أشد النظم الاجتماعية اغراقا فى الماديات ، وأبعدها عن كل ما تسمو به الروح ، وتزهو به الفضيلة والأخلاق .

عجيب حقا أن نرى أشد الدول الرأسمالية والرجعية ، امعانا فى استغلال الانسان داخل بلادها وخارجها ، وفى العدوان على كل النوازع والاعتبارات الانسانية ، تتباكى على القيم الروحية ، وتعلن أنه لا حيـاة لها الا فى ظل نظامها الاجتماعى والاقتصادى الخاص .

فلا شك أن من الخطأ الجسيم ، أن نعتقد أن القيم الروحية لاتعدو أن تكون تراثا قديما ، علينا أن نحتفظ به سليما ، لأن هـذه القيم فى أساسها خلق متجدد ، فى ميدان العمل ومرشد يهدينا فى محاولاتنا لبنـاء مستقبل أفضل ، « فان القيم الروحية تختنق لو أصبحت مجرد مجموعة من المبادىء الموروثة ، وتحيا وتزدهر اذا استحالت الى قوة دافعة توجه المرء فى حاضره ومستقبله »[٨٠]

وقد اتفقت الندوات والمؤتمرات العديدة التى نوقش فيها موقف الاسـلام من الاشتراكية ، على أنه لا خلاف بينهما ، وصدرت كثير من المؤلفات التى أثبتت ذلك على أسس من البحث العلمى الدقيـق ، الذى أجراه المختصون فى العلوم الاسلامية ، والعلوم الاجتماعية والاشتراكية معـا .

وقد بلغت تلك الحملة ذروتها ، واتخذت مظهرها السياسى الرسمى ، عندما ارتفعت أصوات بعض حكام الدول العربية والاسلامية ، عقب فشل العدوان الثلاثى على مصر ، تنادى بانشاء « حلف اسـلامى » لمواجهـة ما أسمته بالخطر الذى يهدد القيم الاسلامية ، بينما هو فى الحقيقة ان كان خطرا ، فانه لا يهدد سوى مصالحها وأطماعها .

ومما يلفت النظر ، أن نرى بين الدول الاسلامية ، غير العربية التى دعت الى انشاء ذلك الحلف ، أو رحبت به ، من هو أكثر امعانا فى التعاون مع اسرائيل ، والارتباط بها ، من كثير من الدول غـير الاسلامية ، التى أيدت الحق العربى ، من غير تحيز ولا مصلحة . كما أن من هذه الدول ما لا يزال يلتهم — ظلما وعدوانا — بعض أجزاء الوطن العربى ، ويتطلع الى المزيد .

ومما يفضح نوايا ذلك الحلف ، تلك السلسلة من المقالات التى كتبها الوزير البريطانى السابق أنتونى ناتنج بعد جولة فى الشرق الأوسط اثر اخفاق العدوان الثلاثى وقال فيها :

« ان الوسيلة الفعالة للتفاهم مع القومية العربية ، يجب أن تكون عن طريق اقامة جامعة اسلامية فى المنطقة . وعندئذ تخرج هذه البلاد من حيز القومية العربية الضيق ، الى حيز العقيدة الاسلامية الواسعة ، حيث ينسى التركى والعربى والايرانى والباكستانى جنسياتهم، ولا يفكرون الا فى الاسلام . وعندئذ يمكنهم التفاهم مع الغرب ، وحتى مع اسرائيل[٨١] » .

وقد فضح الرئيس الراحل نوايا تلك الدعوة ، فقبرت فى مهدها .

وعندما بذلت المحاولات لاحيائها مرة أخرى فى سنة ١٩٦٢ ، اثر اجراءات التحول الاشتراكى ، التى هزت صروح الرجعية ، منيت تلك المحاولات بنفس المصير الذى لحق بالمحاولة السابقة . وكان الفضل فى ذلك لأسلوب الاقناع والتوعية ، الذى اتبعه الرئيس الراحل فى خطاباته وتصريحاته ، والدور الذى قامت به أجهزة الاعلام العربية فى ذلك الوقت .

وقد كان موضوع « الحلف الاسلامى » وما يشاع عن التعارض بين الاسلام والاشتراكية ، من الموضوعات التى ناقشها مؤتمر العلماء المسلمين فى مجمع البحوث الاسلامية فى دور انعقاده الثالث فى سنة ١٩٦٦

وكان مما قاله فيه الشيخ على عبد الرحمن ، رئيس حزب الشعب الديمقراطى بالسودان « ان الاسلام بطبيعته حلف شرعى وأصيل من صنع الله ، يوحد بين المسلمين ، ولا يحتاج الى حلف سياسى دخيل ، كما أنه دين اشتراكى يحارب الطبقية والعنصرية ولا يسمح بقيام طبقة تستغل الناس وطبقة أخرى تستغلها الطبقة الأولى ، وأن حملة الرئيس جمال عبدالناصر ، ضد الاستعمار حملة اسلامية صحيحة تستوجب تأمين جميع المسلمين » .

وقال مفتى طرسوس بسوريا « لا أتصور أن تدعو دولة تسير فى ركاب الاستعمار الى حلف اسلامى . والحقيقة أنها دعوة الى تفرقة المسلمين لا الى تعاونهم » .

وجاء فى قرارات المؤتمر فى النهاية « يستنكر مجمع البحوث الاسلامية ، ما تنطوى عليه الدعوة لهذا الحلف من فكرة سياسية واستعمارية ، ويدعو الدول الاسلامية الى أن تأخذ حذرها من خداع الأساليب السياسة الاستعمارية [٨٢]

٥ — تشكيك الشعوب الافريقية فى نوايا الحركة القومية العربية :

يقول « مازيموكولوماكيوا » عضو اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الوطنى الافريقى ، وممثل جنوب افريقيا فى السكرتارية الدائمة لمؤتمر التضامن الافريقى الآسيوى ، عن أصداء الثورة العربية المصرية فى القارة الافريقية .

« كان للثورة المصرية الآثار الهائلة على الثورة الافريقية ، كنموذج حى للامكانيات الجبارة التى تفتحت أمامها ، والمساندة الحقيقية المنزهة المادية والأدبية ، التى تلقاها حركة التحرير الافريقية ، من الثورة المصرية » .

ثم قال « كان الطريق الذى تنتهجه مصر فى صراعها الداخلى ضد الامبريالية أبعد أثرا فى ثورة أفريقيا من كل ما سبق [٨٣]

ولقد أثارت أصداء الحركة الناصرية فى أرجاء القارة الافريقية ، وتأثر وشعوبها بها ، حفيظة القوى الاستعمارية ، فانطلقت تجند أجهزتها الاعلامية ، لتشكيك الشعوب الافريقية من نوايا هذه الحركة ، وبث الفرقة والوقيعة بالعرب بصفة عامة ، وسائر سكان القارة الافريقية مستغلة فى ذلك تلك النغمة المبتذلة المبالغ فيها التى كانت تدور حول تجسيم الذكريات البالية لاستعمار العرب القدامى للشواطئ الافريقية منذ مئات السنين ، وحملات استرقاق الزنوج فيها .

ولم تخجل تلك الأبواق الاستعمارية المغرضة ، ما قامت وما تزال تقوم به دولها من استبعاد الشعوب الافريقية ، واستغلالها ، واخضاعها لأبشع أنواع وأنظمة التفرقة العنصرية .

وكان طبيعيا أن تتعاون الصهيونية العالمية فى هذه الحملة ، لوقف المد الثورى العربى فى هذه القارة وتشويه أهدافه ، واثارة الروح العدائية للشعوب الافريقية ازاء العرب .

وكان مما يسر لها ذلك ، ما أتاحتـه الدول الاستعمارية لاسرائيل ، من المشـاركة فى مؤامراتها الاستعمارية المستترة ، التى اتخـذت شكل الوسـاطة .

وتعتمد اسرائيل فى تنفيذ مخططها هذا على نفوذ الدول الاستعمارية وثرواتها ، وعلى بعض الدعايات الكاذبة التى تحاول أن تقنع الافريقيين بأنهم ـ هم واليهـود ـ قد عانوا ضغطا ، وعاشـوا فى ظروف اضطهاد متشابهة . كما تحاول الادعاء بأن بعض الشعوب أو الجماعات الافريقية (فى سيراليون ونيجريا والحبشة مثلا) تنتمى الى أصول يهودية .

وتستغل اسرائيل دائما تلك الأسطورة التى تردد أن الأسرة المـالكة الحبشية تنحدر من أصل يهودى ، لأنها تنتمى الى (منليك) ابن الملكة بلقيس من الملك سليمان ، الذى تربى فى بيت المقدس ، ثم عاد الى الحبشة ومعه مجموعة من الشباب الاسرائيلى ، عندما عينه والده ملكا عليها وكان معهم (تابوت العهد) فحفظوه فى عاصمة الحبشة القديمة التى أطلقوا عليها (أرض صهيون الجديدة) .

وقد ناقش العـلامة (أولندروف) فى كتابه « الأثيوبيون » تلك الأسطورة ، وأثبت ما تتضمنه من المبالغات والاضافات المغرضة . [٨٤]

وتحاول أبواق الاستعمار كذلك أن تستغل الخلافات الناشبة بين الحكومة الحبشية والشعبين الأريترى والصومالى ، وتعاطف الشعوب العربية مع هذين الشعبين ، لاثارة روح العداء بين الأحباش والعرب ، ضاربة فى ذلك على الوتر الدينى الحساس ، كما تحرص على الايقاع بين الحبشة ومصر والسودان ، وتخوفها من وجود دولتين اسلاميتين قويتين على حدودها . ومن أمثلة ذلك المقال الذى نشرته صحيفة (نيوزويك) فى عدد ٥ مارس سنة ١٩٥٧ التى خوفت فيه الحبشة من (مصر عبد الناصر الطموح) [٨٠] .

والواقع أن الخلط بين معنى كلمتى « العروبة » و « الاسلام » وبين الاتجاهات التى تصدر عن وازع عربى ، وتلك التى تصدر عن وازع اسلامى ، قد استغلت فى بعض الدول الأفريقية التى يتسم الخلاف بين الأغلبية والأقلية من سكانها ، أو بين سكانها وسكان الدول المجاورة لها ، بالطابع الدينى .

ومن أظهر المشكلات التى تنطوى على هذه الخلافات ، مشكلة الاقليم الشرقى فى نيجريا وانفصاله باسم (جمهورية بيافرا) ومشكلة جنوب السودان ، التى تتخذ وجهة انفصالية مشابهة .

وكذلك فقد استغل أعداء القومية العربية أخطاء بعض أفرادالجاليات العربية المقيمة منذ أمد طويل فى سواحل افريقية الغربية (ومعظمهم من أصل لبنانى) ، وفى سواحل افريقية الشرقية (ومعظمهم من أصول يمنية وحضرمية ومسقطية) . وذلك بسبب نشاطهم التجارى الذى هيأ لهم أسباب التعاون مع العناصر الأوربية المستغلة ، ذات المصالح المتعارضة مع مصالح الشعوب الافريقية .

ويصور لنا التصرفات المنفرة لأولئك التجار فى الشاطىء الافريقى الغربى ، ذلك التصريح الذى أولى به السيد وجيه أبو ظهر رئيس الغرفة التجارية فى مدينة صيدا لصحيفة بيروت المساء فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٦١ عقب عودته من تلك المنطقة .

ومما يدل على أن أولئك التجار يقومون بتصرفاتهم هذه عن وازع استغلالى لا قومى ، ما ثبت من تعاونهم مع النشاط الاسرائيلى فى بعض العواصم والثغور الافريقية [٨٦]

وتشبه هذه الظروف ــ التى يحسن أعداء العرب استغلالها ــ تصرفات بعض العناصر العربيــة المستغلة فى جزر وشواطىء افريقية الشرقية ، وقد تمثلت ذروة السخط عليها فى تلك الثورة العارمة ، التى انتهت بخلع سلطان زنجبار فى أوائل سنة ١٩٦٤ وقيام الوحدة السياسية بين زنجبار وتنجانيقيا باسم « الجمهورية المتحدة لتنزنيا [٨٧]

وقد اتبعت قوى الاستعمار والصهيونية مخططا محكما ثابتا ، لاستغلال تلك الظروف جميعا فى الايقاع بين الشــعوب العربية الافريقية ، وسائر شعوب القارة .

ومما يعبر عن هذا الاتجاه ذلك البحث الذى كتبه ج. ش. فروليخ عن مؤتمر أديس أبابا فى عدد يوليه سنة ١٩٦٣ بمجلة الدفاع القومى الفرنسية وقال فيه « ان الجو الودى الذى ساد المؤتمر باستمرار يجب ألا يجعلنا ننسى أن السود لا يثقون تماما بالعرب والبربر » .

كما قال « أما الوحدة الافريقية ــ وأنا هنــا أردد ما قاله صحفى افريقى ــ فيمكن أن تتوقع أنها سوف تتم ، ولكن بدون افريقيا البيضاء » . يقصد الجزء العربى من القارة الافريقية .

وقد فضح الرئيس الراحل فى خطبته بمؤتمر أديس أبابا المقصود من تلك المحاولة الاستعمارية وغيرها من المحاولات المشابهة ، التى تستهدف اشاعة الفرقة بين صفوف الشعوب الافريقية ، على أسس عنصرية وطائفية مفتعلة فقال :

« ان جميع التقسيمات التقليدية التى حاول الاستعمار فرضها على القارة وتمزيقها الى شمال الصحراء وجنوب الصحراء ، والى افريقيا بيضاء وسوداء وسمراء ، الى شرق وغرب ، الى افريقيا ناطقة بالفرنسية وأخرى ناطقة بالانجليزية ، قد انهارت جميعا ، وجرفتها الحقيقة الافريقية الأصيلة • ولم يبق على أرض افريقيا غير لغة واحدة ، هى لغة المصير المشترك ، مهما اختلفت أساليب التعبير » •

وقد عبر فروليخ عن خشيته من امتداد تيار الحركة القومية الى داخل القارة الافريقية وأمله فى أن تظل الخلافات بين دعوتى الوحدة العربيــة والافريقية فقال :

« ان المساعى التى تبذلها مصر من أجل توحيد الدول العربية تحت سيطرتها ، تنقل مركز الثقل الى افريقيا البيضاء ، فدعوة مصر الى الوحدة العربية من ناحية ، والمحاولات التى تبذلها الجزائر للقيــام بدور هام فى الشئون الافريقية من ناحية أخرى • هذه العوامل تقلقل افريقيا السوداء • ليس من الممكن التوفيق بين الوحدة العربية ، والوحدة الافريقية » •

ويرى الدكتور بطرس غالى أن هــذا الرأى لا يستقيم مع الواقع السليم ، وأنه لا تناقض بين سياسة مصر العربية ، وسياستها الافريقية لأن مصر ليست دولة افريقية خالصة بل هى تبعا لموقعها وحدودها الجغرافية دولة افريقية أسيوية ، كما أن روسيا السوفيتية ، وتركيا تعتبر كل منهما دولة أوربية آسيوية • وهذا الموقع الجغرافى مفروض على مصر ، وبالتالى فهو مفروض على القارة الافريقية ، ما دامت مصر جزء منها •

كما يقول « العروبة لا تناقض الافريقية ، بل هى فى الواقع مكملة لها ، لأن الوحدة العربية لا تقتصر على الدول التى هى من أصول عربية ، ولا على الدول التى تدين بالاسلام دون سواه • ولكنها مفتوحة لقبول الدول التى تتكلم اللغة العربية ، وتشترك مع العرب فى هدف واحد ، وتراث

واحد ، وأى دولة افريقية تستكمل هذه العناصر ، تصبح صالحة للانضواء تحت لواء الوحدة العربية . فالصومال وموريتانيا مثلا ، اذا تمت السيادة فيها للغة العربية يمكن أن تشملها الوحدة العربية ، وقس عليها عدة دول افريقية أخرى كالسنغال ومالى وغينيا (٨)

وكان مما ضاعف من اثارة حفيظة الاستعمار واسرائيل ، على الحركة القومية العربية ، وقائدها جمال عبـــد الناصر ، تلك القرارات التى وفق لاستصدارها لصالح القضايا العربية ، من المؤتمرات الافريقية ، والافريقية الآسيوية ، الرسمية منها والشعبية ، وما تكسبه هذه الحركة كل يوم من عطف ، وما تقدمه من قدوات لدى الشعوب الافريقية .

وقد انتقد المعلق السياسى لجريدة (ازفستيا) السوفيتية فى مقال له بعد أغسطس سنة ١٩٦٣ من مجلة انترناسيونال أفير ، أساليب الايقاع بين الشعوب العربيـــة ، والشعوب الافريقية الأخرى بالقارة ، وبين القوميـــة العربية والقومية الافريقية وقال :

« الواضح أن الذين رددوا مثل هذه الأمور انما يريدون أن يتجاهلوا حقيقة الأوضاع فى النصف الثانى من القرن العشرين » .

ولقد استطاع قائدنا الراحل عن طريق تشجيع الحركات الوطنيـــة الافريقية ، ومدها بكل ما تحتاجه من عون مادى وأدبى ، ومواقفه الصلبة الى جانب قضاياها التحررية فى المجالات الرسمية والشعبية ، دون أن يضن عليها بأعظم التضحيات بما فى ذلك التعرض لغضب الدول الكبرى .

أدى ذلك كله الى اكتساب ثقة هذه الشعوب ، وتعاطفها مع الحركة القومية العربية ، واعتبارها بمثابة القدوة لها ، وتكذيبها الدعاوى والأباطيل الاسرائيلية .

وكان لذلك أثره الفعال فى تزايد ميل الدول الافريقية نحو تأييد الحق العربى ، والتصويت الى جانب القضايا العربيـــة ، مع التنبه الى خطورة التسلل الاسرائيلى الى قلب القارة • وحقيقة دور اسرائيل كمخلب قـــط للدول الاستعمارية • وقد أحست اسرائيل بخطورة هذا التحرك الفعال ، للسياسة العربية ، فى قلب القارة الافريقية ، وتصدع سياستها التى ترمى الى التشكيك فى نوايا الحركة القومية العربية ، وقائدها ازاء الشـــعوب الافريقية ، فقـــام أبا يبان وزير الخارجية الاسرائيلية برحلة لبعض الدول الافريقيـــة ، صاحبتها حملة من الصحف الاسرائيلية ، التى تهـــدد بوقف مساعدات التنمية التى تقدمها اسرائيل لتلك الدول ، كما هددت صراحة بالمساهمة فى قمع حركات التحرر الافريقية •

ولقد لخصت مجلة (هوريتسونت) الألمـــانية الديمقراطية أهداف هذه الرحلة بقولها « انها محاولة لعزل حركات التحرر الوطنى الافريقى عن النضال العادل للشعوب العربية » وأنهـــا تستهدف أيضا الضغط على البلدان الافريقية ، بعد أن ازدادت مطالبها بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة » (٨٩) •

وهكذا تخطو السياسة الناصرية كل يوم خطواتها الموفقة المتتابعة نحو اكتساب ، ثقة الشعوب الافريقية فى نوايا حركتنا القوميـــة وتعاطفها مع القضايا العربية ، فى الوقت الذى تفضح فيه حقيقة النوايا الاسرائيلية ، نحو الشعوب ، وتعمل على محاصرة التسلل الصهيونى وحملة على التراجع ، فتكسب كل يوم مواقع جديدة ، فى الوقت الذى تخسر فيه اسرائيل موقعا بعد آخر • وبذلك يحقق التعاون الحر الشريف بين الحركة القومية العربية ، والحركات الوطنية الافريقية ، الغاية المشتركة لنضال شعوبها جميعا •

الفصل السابع

مستقبل الحركة القومية بعد وفاة الزعيم الراحل

ما ان انتقل زعيمنا الراحل ــ باعث الحركة القومية ، وشهيد نضالها الحر الشريف ــ الى رحاب الله ، حتى بدأت أبواق الأعداء تتساءل عن مصير هــذه الحركة ، بعد وفاة قائدها وتردد من التخيــلات والتنبؤات ما تستهدف به تثبيط همم العرب ، واشاعة البلبلة فى صفوفهم ، وافقادهم الثقة فى أنفسهم ، وبث روح الهزيمة والاستسلام فيهم .

وكان من الأراجيف التى أذاعوها فكرة « الفراغ» الذى تصوروا حدوثه بعــد وفاته .

وفى الوقت نفسه ارتفعت بعض الأصوات معلنة أن الرسالة التى أداها جمال عبد الناصر قد بلغت من التمكن فى النفوس والتمرس على مواجهة العواطف والأعاصير ، ما يشبه انطلاق المــارد من القمقم الذى حبس فيه منذ أجيال وأجيال (٩٠) .

وكان مما ذكرته جريدة (التــايم) الأمريكية فى عددها الخاص عن (العالم العربى بعد ناصر) « ان جمال عبد الناصر ان كان قد رحل عن المنطقة فمبادىء الناصرية ستظل باقية الى الأبد » .

ولكنها تساءلت « هل ستظل مصر منار العالم العربى ، ومصــدر الثورات ، كما كانت فى عهده ، وهل ستظل الناصرية (بذرة الثورات) ، كما وصفها بتير شفيلد فى كتابه (مصر ناصر) ، وقالت صحيفة (نيوزدوتشلاند) بألمــانيا الديموقراطية فى مقــال نشرته فى عدد ١٢ أكتوبر سنة ١٩٧٠ عن استمرار سياسة الجمهورية العربية المتحدة « لقد وحدت القيادة المصرية صفوفها ، والتحمت ، واتخذت الخطوات اللازمة لتضمن استمرار سياستها، ومواجهة الأعباء الجسام التى تواجهها ، ولحماية وازدياد المنجزات التى حققها الشعب فى مجال الانتاج ، وهذا بفضل موقف الاتحاد الاشتراكى العربى السليم ، وكذا موقف المسئولين فى الحكومة المصرية » (٩١) .

والواقع أن التساؤل عن مستقبل الدعوة الناصرية ، كان يتردد دائما على ألسنة الكثير من الكتاب الأجانب ، فى حياة رئيسنا الراحل ، وكان بعضهم يحاول أن يظهر أن هذه الدعوة لن يكتب لها البقاء عندما تطوى صفحة حياته ، بينما أكد الكثيرون أن هذه الدعوة قد بلغت من النضج والصلابة والانتشار ، ما سوف يحقق لها الصمود والخلود الى الأبد ، وأن جمال عبد الناصر قد مهد لهذه الدعوة طريقها السليم الذى لن تضل فيه ، وحدد لها الهدف الواضح الذى لن تنحرف عنه ، وأثار فيها كوامن العزة والكرامة ، وحطم قيودها ، وكشف عن بصيرتها ، وفجــر فى أعماقها من الطاقات الثورية الخلاقة ، ما سوف يعجز أية قوة عن كبتها ، أو الوقوف فى طريقها •

ومن ذلك ما قاله الكاتب الأمريكى ولتون وين فى كتابه (عبد الناصر : قصة البحث عن الكرامة) الذى نشر باللغة العربية فى سنة ١٩٥٩ « لقــد أصبح جمال عبد الناصر زعيم العالم العربى ، لأنه يمثل فى ذات نفسه أمانى العرب ومشاعرهم الحاضرة أكمل تمثيل ، ولقد أقام الدليل على أنه ليس فى استطاعة أى زعيم عربى أن ينجح كزعيم اذا ما عارض هــذه المشاعر أو ناقضها • أولئك الذين يناقضون هذه المسألة لابد أن ينتهوا الى مثــل نهاية الملك عبد الله أو نورى السعيد ، أو الملك فاروق • وكثير ما وقع الزعماء الغربيون فى نفس الحماقة التى ما بعدها حماقة ، والتى تقول بأن الناصرية سوف تنتهى اذا ما أزيح شخص عبد الناصر من الطريق • ولقد سقط ايدن وموليه فى هذا الشرك • كانا قد مثلا الصورة التشبيهية الزاعمة بأن عبد الناصر هو « هتلر الصغير » أقول أنهما كانا قد قبلا تلك الصورة قبولا كاملا ، حتى لقد توهما أن القضاء على عبد الناصر سوف يعنى نهاية الناصرية ، كما هى القضاء على هتلر نهاية النازية •

ان الناصرية مستقلة عن عبد الناصر ، ولسوف تستمر سواء يقى عبد الناصر على قيد الحياة أم لم يبق » •

وقال جاك دومال ، ومارى لوروا فى كتابهما عن (جمال عبد الناصر : من حصـــار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلية) والذى نشر بالعربيـــة سنة ١٩٦٨ ٠

« قد ينتهى جمال عبد الناصر ، ولكن سرعان ما ينهض غيره ليحل محله كما سبق أن أعلن مرارا وتكرارا » ٠

وقد كان ذلك فعلا ما كان يردده قائدنا ومعلمنا العظيم الذى كان يؤمن بأن راية القومية العربية التى ارتفعت ستظل باقية وستنتقل من يد الى يد ، ولن يتحقق أمل أعدائها فى سقوطها أبدا ، ان شاء الله ٠

ومن ذلك قوله فى خطاب ألقاه فى مدينة المنيا فى ١٣ نوفمبرسنة١٩٥٧ « هذه القومية العربية سيرتفع علمها ٠ لم يرفعه جمال عبد الناصر وحده ، ان جمال عبد الناصر هو جندى القومية العربية ٠ ولكن سيرفعها الشعب العربى فى كل بلد عربى ٠

وهذه القومية العربية ــ أيها الاخوة ــ لا تعنى مطلقا ، ولا تعنى بأى حال رياسة فرد أو رياسة أفراد ، ولكنها تعنى سيادة الأمة العربيـــة وتعنى سيادة الشعب العربى ٠

هذه القومية العربية اذا كنا رفعنا لواءها ، واذا كنا تسلمنا قيادها ، فان قيادها سيستمر من يد الى يد ، وعلى مر الزمن ، وعلى مر الأيام ٠ بين كل أفراد هذه الأمة العربية ، بين كل أفراد هذا الشعب العربى ٠

هذه القومية العربية لا يمكن أبدا أن تكون لواء لفرد ، أو أن يرفع لواءها جمال عبد الناصر ، لأن القومية العربية هى أنتم هى مشاعركم ، هى آمالكم ، هى كفاحكم ، هى قتالكم ، هى دماء شهدائكم وأجدادهم »٠

ولا نجد أخيرا ما نختتم به هذا الحـديث ، خيرا من تلك الكلمات المؤمنة الحكيمة ، التي نقتطفها من كلمة الرئيس الليبى معمر القذافى ، التى ألقاها فى احتفال ذكرى الأربعين لوفاة الزعيم الراحل والتى قال فيها :

« عزاؤنا اليوم هو أننا كلنا أمل وثقة ، فى أن صحبة جمال ورفقاء الكفاح معه ، يكونوا قادرين على رفع الرايات التى رفعها جمال ، ومواصلة مسيرة النضال ، لينتصر الحق العربى وتنتصر الكرامة العربية التى جرحت .

وأنا شخصيا كلى أمل فى الأخ العزيز المناضل أنور السادات ، الذى كان رفيقا لجمال ، والذى وهب شبابه من أجل مصر ، ومن أجل المبادىء ومن أجل الثورة » .

الى أن قال :

« ان جمال لم يكن شخصا مجردا ، ان جمال كان مبادىء ، وكان حركة للتاريخ ، وان الحركة الناصرية اليوم التى تتطلب كل جماهير الأمة العربية ، المؤمنين بالحرية والاشتراكية والوحدة انما تعى اليوم جيدا أنهـا تواجه المؤامرات من الداخل ، والتحديات من الخارج ، وهى أقوى ماتكون وعيا وأشد ما تكون صلابة ، وسوف لن ينال منها أحد وسوف تستمر هذه الأمة رافعة لأعلام جمال عبد الناصر ، لأنها أعلام القومية والعروبة ، وأعلام الوحدة ، وأعلام الثـأر ، وأعلام الكرامة .

وسوف يستمر شعب مصر العظيم طليعة لكفاح هذه الأمة » .

كشف المراجع

(١) محمود الشنيطي (قضية ليبيا) ص ٣٥٨

(٢) المرجع السابق ص ١٦٥

(٣) الدكتور سامي عزيز (الصحافة العربية : ومواقفها من الاحتلال الانجليزى) ص ٩٦ و ١٨ و ١٨٤ والدكتور محمود نجيب أبو الليل (الأماني الوطنية والمشكلات العربية في الصحف الفرنسية منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الأولى) ص ٤٦

(٤) الدكتور م. محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر)ج ١ ص ٢٠٥

(٥) الدكتور سامي عزيز (المرجع السابق) ص ٩٤ والفيكونت فيليب دى طرازى (تاريخ الصحافة العربية) ج ١ ص ١٣٩

(٦) الدكتور م . محمد حسين (المرجع السابق) ج ١ ص ٢٠٤

(٧) مذكرات محمد فريد — مجلة الكاتب عدد ديسمبر سنة ١٩٦٩ وعدد فبراير سنة ١٩٧٠

(٨) عبد الرحمن الرافعي (الثورة العرابية ؛ والاحتلال الانجليزى) طبعة ١٩٦٦ ص٤٣١

(٩) الدكتور أنيس صايغ (الفكرة العربية في مصر) ص ١٠٨

(١٠) أحمد شفيق باشا (مذكراتي في نصف قرن) ج ١ ص ٢١٢

(١١) زكى محمدمجاهد (الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية) ج ٢ ص ١٦ و٤٨ ومجلة الهلال عدد ٥ مارس ١٩١٢ ص ٣٢٣

(١٢) عبد الفتاح أبو النصر اليافى (مذكرات قائد عربى من الحرب العامة والشئون العربية) ص ١٩٢

(١٣) الدكتور أنيس صايغ (المرجع السابق) ص ٩١ و١٤٢

(١٤) أحمد شفيق باشا (حوليات مصر السياسية) الحولة الأولى ص ٦٨

(١٥) محمود أبو الفتح (المسألة المصرية والوفد) ص ٩٤

(١٦) ترجمة وديع البستاني ص ٨٦

(١٧) الدكتور أنيس صايغ (المرجع السابق) ص ١٥٧

(١٨) محمد على الطاهر (نظرات الشورى في الأحوال الشرقية الحاضرة) ص ١٣١

(١٩) فتحى رضوان (عصر ورجال) ص ٣١٠

(٢٠) المرجع السابق ص ٤٠٦

(٢١) أحمد لطفى السيد (قصة حياتى) ص ١٨

(٢٢) حسن عبد العزيز (حركة الفكر القومى في مصر من حكم محمد على الى الحرب العالمية الثانية) مجلة الطليعة عدد يناير ١٩٦٧

(٢٣) الدكتور م . محمد حسين (المرجع السابق) ج ٢ ص ١٣٢

(٢٤) ساطع الحصرى (ابحاث مختارة في القومية العربية) ص ٢٠٢

(٢٥) محمد عزة دروزه (حول الحركة العربية الحديثة) جـ ٣ ص ٧٣

(٢٦) محمد على الطاهر (المرجع السابق) ص ٩٧

(٢٧) الدكتور انيس صايغ (المرجع السابق) ص ١٧٢

(٢٨) محمد على الطاهر (المرجع السابق) ص ١٤٣

(٢٩) الدكتور انيس صايغ (المرجع السابق) ص ٢٥٩

(٣٠) الدكتور عبد العزيز الأهوانى (الوحدة العربية بين المد والجزر) مجلة الكاتب الحلقة الأولى من البحث عدد يناير ٩٦٦ و (الوحدة العربية والتقدمية) عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠

(٣١) عبد الرحمن البزاز (من وحى العروبة) ص ١٤٧

(٣٢) الدكتور أبو الفتوح رضوان (القومية العربية) طبعة ١٩٦٥ ص ٣٦٤

(٣٣) الدكتور عبد العزيز الاهوانى (الوحدة والتقدمية) مجلة الكاتب عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠ وعبد الكريم أحمد (المضمون الاشتراكى للقومية) عدد مارس سنة ١٩٦٨

(٣٤) الدكتور عبد العزيز الأهوانى (الوحدة العربية بين المد والجزر) الحلقة الثالثة من البحث عدد مايو سنة ١٩٦٦

(٣٥) الدكتور انيس صايغ (الهاشميون والثورة العربية الكبرى) ص ٢٨

(٣٦) الدكتورة نجلاء عز الدين (العالم العربى اليوم) ص ٥١٣

(٣٧) الدكتور انيس صايغ (من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر) ص ٦٨

(٣٨) المرجع السابق ص ٢١

(٣٩) الدكتور محمد حافظ غانم (محاضرات عن جامعة الدول العربية) ص ٣٤ والدكتور نور الدين حاطوم (محاضرات عن حركة القومية العربية) ص ١٠٨

(٤٠) الدكتور عبد المنعم محمد حسنين واحمد فريد على (المشروعات الاستعمارية فى افريقيا) ص ٥٥و٥٨

(٤١) توفيق على برو (العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨ — ١٩١٤) ص ٥٢٠

(٤٢) الهاشميون والثورة العربية الكبرى ص ٢١٤ والفكرة العربية فى مصر ص ٩٢

(٤٣) مذكرات الملك عبد الله ص ٢٤٩

(٤٤) الدكتور جمال حمدان (شخصية مصر) ص ٥٠٠

(٤٥) الدكتور محمد كامل ابو ليله (المجتمع العربى ومبدأ القومية العربية ص ٤

(٤٦) ر . ك كارنجيا (الفجر العربى) ص ١٤٠

(٤٧) مجموعة اخترنا لك (خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٥٢ — ١٩٥٩ جـ ١ ص ١٤٠

(٤٨) الدكتور محمد طه بدوى الدكتور محمد طلعت الغنيمى (دراسات سياسية وقومية) ص ١٨٠ والفكرة العربية فى مصر ص ٢٧٥

(٤٩) دراسات سياسية وقومية ص ١١٢ . والدكتور مصطفى فهمى أبو زيد « فى الحرية والاشتراكية والوحدة » ص ٤٧٦

(٥٠) الدكتور سليمان الطماوى (التطور السياسى للمجتمع العربى) طبعة ١٩٦٦ ص ٢٦٠ والدكتور رمزى الشاعر (المجتمع العربى) طبعة ١٩٧٠ ص ٢١٤

(٥١) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ٨ ص ١٥٥١

(٥٢) كمال الدين رفعت (من وحى الوحدة) مجلة الكاتب عدد مارس ١٩٦٨

(٥٣) مصطفى طيبه (المرونة مع الحسم طريق وحدة النضال العربى) مجلة الطليعة عدد يوليه سنة ١٩٦٧

(٥٤) التطور السياسى للمجتمع العربى ص ٤١٥

(٥٥) أنور الجندى (القومية العربية والوحدة الكبرى) ص ٢٣٤

(٥٦) افتتاحية مجلة الطليعة عدد أغسطس وعدد سبتمبر سنة ١٩٦٦

(٥٧) الدكتور ابو الفتوح رضوان (المرجع السابق) ص ٣٨٦

(٥٨) من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر ص ٢٥و١٥٧و١٩٤

(٥٩) مازن البند ك (دعوة الى الثوريين العرب) مجلة الكاتب عدد يونيه ١٩٦٥

(٦٠) الدكتور نور الدين حاطوم (والمرجع السابق) ص ٦٠ و ٦٣

(٦١) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ٣ ص ١١٠٧

(٦٢) المرجع السابق ج ١٠ ص ١٨٨٣

(٦٣) فى الحرية والاشتراكية والوحدة ص ٥٣١

(٦٤) الفكرة العربية فى مصر ص ٣٠٦

(٦٥) المستشار محمد أحمد رجب (ثورة رائدة) ص ١٤٧

(٦٦) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ١ ص ١٢١

(٦٧) فؤاد دياب (المغرب الأقصى بين الماضى والحاضر) ص ٥٧

(٦٨) ثورة رائدة ص ١٥٦

(٦٩) الفكرة العربية فى مصر ص ٢٩٦

(٧٠) ثورة رائدة ص ١٩٠

(٧١) التطور السياسى للمجتمع العربى ص ٣٦٣ ومحاضرات عن حركة القومية العربية ص ٦٧

(٧٢) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ٣ ص ١٠٥٢

(٧٣) عبد الله الطريقى (رؤية قومية للواقع العربى) مجلة الطليعة عدد يوليه ١٩٦٦

(٧٤) من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر ص ١٧١

(٧٥) مازن البند ك « دعوة الى الثوريين العرب » مجلة الكاتب عدد يونيه ١٩٦٥

(٧٦) الدكتور يوسف عز الدين (تطور الفكر العربى) مجلة المجتمع العلمى العراقى المجلد ١٥ سنة ١٩٦٧

(٧٧) دكتور حمدى بدوى الطاهرى (سياسة الحكم فى لبنان) ص ٤٦٠

(٧٨) التطور السياسى للمجتمع العربى ص ٢٣٧ والعقيد أ.ح أمين سامى الغمراوى (قصة الاكراد فى شمال العراق) ص ٤٠٢

(٧٩) كتب قومية — العدد ٢٧٤ (اقامة الحياة الديمقراطية السليمة) من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر

(٨٠) الدكتور فؤاد زكريا (الاشتراكية والقيم الروحية) مجلة الفكر المعاصر عدد اكتوبر سنة ١٩٦٩

(٨١) مجلة الطليعة عدد سبتمبر ٩٧٠ مكتبة الطليعة (كتاب من حلف بغداد الى الحلف الاسلامى)

(٨٢) مجلة الطليعة — عدد أكتوبر ١٩٦٦ من تقارير الشهر (الاسلام يحارب الطبقية والعنصرية)

(٨٣) مازيموكولا ماكيوا (آفاق حركة التحرير الافريقية بعد ٢٣ يوليو) مجلة الطليعة عدد يوليو ١٩٦٦

(٨٤) المهندس فتحى غيث (الاسلام والحبشة عبر التاريخ) ص ٢٣

(٨٥) الدكتور محمد صبرى (توفر التضامن الافريقى الاسيوى) مجلة معهد الدراسات الاسلامية العدد ١ السنة / ١ سنة ١٩٥٨ ص ١٨٠

(٨٦) سياسة الحكم فى لبنان ص ٤٥٤

(٨٧) محمد عيسى (جوليوس نيريرى ثائر من أفريقيا) مجلة الفكر المعاصر عدد ابريل ١٩٦٨ ، ومجلة الطليعة عدد اكتوبر سنة ١٩٦٦ تقارير الشهر (تنزانيا خطوة جديدة فى طريقة اللقاءات الثنائية).

(٨٨) الدكتور بطرس غالى (منظمة الوحدة الافريقية) ص ١٤٣ و ص ١٤٦

(٨٩) مجلة الطليعة عدد يناير ١٩٧٠ تقارير الشهر (اسرائيل وأفريقيا)

(٩٠) دكتور شريف حتاته (فصل جديد فى جمعية الأمم) مجلة الكاتب عدد نوفمبر ١٩٧٠

(٩١) زينات الصباغ (وجهة نظر الصحف الأجنبية) : العالم العربى بعد عبد الناصر) عدد نوفمبر ١٩٧٠



معهد تدريب ضباط الشرطه

البحث الثانى

جمال عبد الناصر
والثورة الإجتماعية

بقلم :
النقيب حامد محمد احمد



بسم الله الرحمن الرحيم

الكافـــة ...

تكون ...

وتعيش ...

وتموت ...

ولكن الصفوة يخصها القدر بالخلود ...

فيكون الفرد منهم انسانا ...

ويعيش مناضلا ...

ويمـوت شــهيدا ...

وهكذا كان قدر جمال عبد الناصر ...

انسانا كاسمى ما يكون الانسان ...

مناضلا كاعظم ما يكون النضال ...

شهيدا كاعذب ما تكون الشهادة ...

اهـــداء

الى : اعـــز الرجال ...

الى : صانع تاريخ مصر الحديث ...

الى : روح الشهيد الذى مات لتحيا امته ...،

الى : الملايين الذين ودعوه مرددين ...

(ســنكمل المشوار)

اهــدى هذا الجهد المتواضع ؟

نقيب : حامد محمد

مقــدمة

ليس هذا البحث عن جمال عبد الناصر والثورة الاجتماعية، كما هو موضح بعنوانه . نعم . ذلك لأن جمال عبد الناصر وثورة عبد الناصر أكبر من أن تكون موضع بحث فى صفحات معدودة . كما أن عبدالناصر وثورته أكبر بكثير من أن أتسرع أو يتسرع غيرى ويكتب عنهما . واذا ما حــدث وحاول أحد مثلمـا فعلت فاننى أعتقــد أنه لم يف ولن يفه عبد الناصر أو ثورته حقهما لأن الحديث عن عبد الناصر كثير وطويل . وأن أعماله ومآثره فى مصر والعالم العربى والعالم أجمع سيحتاج لسنين طويلة . لأن معالجة هذا الموضوع الهام والحيوى أكبر من طاقة أى فرد وفى مثل هذه الفترة الزمنية الوجيزة التى أتيحت ومع ذلك فاننى أود هنا وبقدر ما أستطيع أن أجعل عبد الناصر نفسه هو الذى يتكلم . لا بصوته. فقد ذهب جسده وروحه الى رحاب الله . ولكن يتحــدث هنا بمبادئه وأعماله . وكل ما أود هو أن أمهد الطريق لكى تأتى كلمات عبدالناصر نفسه معبرة عما يريد عبد الناصر .

فلننظر كيف أعيد صياغة العلاقات الاجتماعية فى المجتمع بعــد أن كانت علاقة « سيد ومسود » لقد جعل المعدم مالكا . والعمل عضــوا فى مجلس الادارة ، والمريض وجد علاجا ودواءا ، المواطن المحطوم ارتفع عزة وكرامة .. وقد صاغ صرخات وأنين المظلومين ، ضحايا الحزبية ، ضحايا الاقطاع ، ضحايا الاستبداد ، ضحايا المتألهين بالاحساب والانساب .. صاغ من كل هذا ثورته الاجتماعية الاشتراكية ..

والثورة الاجتماعية هى الثورة الاشتراكية التى أعلنها الزعيم الخالد يوم قيام الثورة سنة ١٩٥٢ وقد ســار بثورته الاجتماعيــة مــع ثورته الوطنية ، وقابل فى مسيرته عناصر الثورة المضــادة ومعوقات كثيرة .. الا أن كل ذلك لم يثنيه عن عزمه وسار فى طريقه الذى حــدده ليحقق أهدافه التى أعلنها .. وقد اختــار الثورة الاجتماعية طريقــا للتحول الاشتراكى ولم يستورد نظريته الاشتراكية بل صاغها من واقــع حياته ومجتمعه ومن كفاح شعبه .

وأنجزت ثورة عبد الناصر الكثير ، وليس فى طاقتى أو طاقة أحــد أن يحصى ما أنجزته الا أن السد العالى العظيم يشهد بذلك فى أسوان وقلاع الصناعة فى حلوان وزيادة المساكن والعمران والصــحة والاعلام والتقدم الصناعى وتحرير العمل والعمال وتحرير الفلاح وكل مجال من مجالات الحياة لمستها انجازات ثورته فأحالتها الى حياة من بعد عدم .

وأن ثورة عبد الناصر الاجتماعية باقية وستظل مهما كانت الظروف ومهما كانت العقبات وطريق عبد الناصر هو طريق النصر وطريق الكرامة وطريق الحرية والاشتراكية والوحدة .

فنلتقى فى الفصل الأول : بجمال عبد الناصر

وفى الفصل الثانى : بمفهوم الثورة الاجتماعية

وفى الفصل الثالث : بحتمية الحل الاشتراكى

وفى الفصل الرابع : ببعض انجازات ثورة عبد الناصر

وفى الفصل الخامس : بثورة عبد الناصر بعد رحيله

الفصل الأول

جمال عبد الناصر

فى كل عام ، وفى كل شهر من العام ، وفى كل يوم من الشـــهر يولد هنا وهناك مئــات الألوف ، ثم يقضى منهم من يقضى ويبقى من يبقى ، ولكن التاريخ ربما لا يحفل بهؤلاء جميعا ، وربما يلقى قلمه أعواما متوالية لا يحفل بمن يولدون ، لأنه لا يخط فى ســجل الخلود ســوى العظماء والأبطـــال ..

ويثور السؤال التالى .. من هو عبد الناصر ؟؟ .

انه ابن الشعب البـــار الذى قال فى ١٩٦٥/٣/١٦ : « ان جماهير شعبنا العظيمة المناضلة تمنحنى فى كل يوم من رضاها ما يفوق طاقتى على الوفاء ولست أملك غير عملى وحياتى .. أريدكم جميعكم وبغير استثناء معى .. احتاج فكركم مع فكرى وضمائركم مع ضميرى وأيديكم مــع يدى .. ويا وطن الحرية والأحرار سلمت دائما وظللتك الى الأبد رايات العزة والعدل والتقدم والسلام » .

ان الفـــلاحين الذين وزعت عليهم أراضى الاقطـــاعيين ، والذين خفضت لهم الايجارات ، والذين تسوق محاصيلهم الآن تسويقا تعاونيــا مجزيا ، والذين يزودهم النظام بكل احتياجاتهم فى الزراعة ، وكذلك الفلاحين الأجراء الذين يعملون فى الأرض يعرفون جميعا جمال عبد الناصر الذى كان وراء كل الاجراءات التى اتخذت فى صالحهم وتتخذ لصالحهم .

ان العمـــال الذين رفعت أجورهم وزيدت مكاسبهم وحددت لهم ساعات العمل ، وفتحت لهم المصـــانع وفتحت لهم معهــا فرص العمــل العديدة بالأجور المجزية ، والذين أخذوا مكانهم الجدير بهم فى الحيــاة الاجتماعيــة ، يعرفون جميعــا جمــال عبد الناصر الذى كان وراء كل الاجراءات التى اتخذت وتتخذ لصالحهم .

ان الفلاحين والعمال أغلبية الشعب الكبرى الذين ارتفعت راياتهم فى عهد عبد الناصر والذين صاروا يمثلون بأغلبيتهم فى مجلس الأمة ومجالس الشعب والادارة يعرفون ويدركون أن جمال عبد الناصر كان وراء كل ما فى أيديهم من حقوق ، وأنه تعرض من أجل الدفاع عن هذه الحقوق لحملات مسعورة من كل القوى المضادة محليا وعالميا كل القوى المعادية للفلاحين والعمال .

ان المثقفين الذين يعملون فى أجهزة الدولة وفى منشآت القطاع العام وفى المهن المختلفة وفى مجالات العلم والفكر والأدب والفن والثقافة عموما يدركون ويعرفون جيدا من هو جمال عبد الناصر لأنه كان ولا يزال وراء كل الأعمال التى تمت لصالحهم وأنه كان يعطى مشاكلهم واهتماماتهم جزاء كبيرا من عنايته واهتماماته .

ان الجنود الذين صاروا فى عهد عبد الناصر يؤلفون أقوى جيش فى المنطقة العربية يعرفون تماما أن هذا الجندى الكبير هو الذى صنع لهم ويصنع معهم أمجاد وطننا وشعبنا وثورتنا وانتصارات الأمة العربية كلها ..

ان أصحاب رؤوس الأموال الوطنية غير المستغلة يعرفون أن جمال عبد الناصر فتح لهم بسياسته الوطنية الاستقلالية وبخطته للتنمية الاقتصادية فرصة المساهمة فى البناء الاقتصادى للمجتمع .

ان الاستعمار والصهيونية والرجعية وكل قوى العدوان والتخلف التى لا تزال تتحدانا وتقاومنا وتقف ضدنا . تعلم جيدا من هو عبدالناصر الذى قادنا وكان يملك القدرة والكفاءة والاستعداد لقيادتنا فى كل المعارك . دفاعا عن الاستقلال والاشتراكية والديمقراطية والوحدة .

ان عبد الناصر ليس مجرد زعيم وقائد ، ولكنه رسالة ، وهو عقيدة ، وهو مبدأ ، وهو أسلوب للحياة انه ثورة . كان ثائرا ، ولكنه كان انسانا .. وحتى آخر لحظاته ، لم يتخل عن ثوريته ، ولم يتخل عن انسانيته .. لقد كان يؤمن بالضرورة أنه لا بد من تغيير شكل المجتمع ، كان يؤمن بضرورة انهاء السيطرة الأجنبية وانهاء سيطرة الأفراد .. كان يؤمن بضرورة انهاء الاقطاع ، وحتمية تملك الشعب لوسائل انتاجه وخدماته ..

لقد مضى حقق ثورته الاجتماعية ، بعقل وحرص حتى لا تتعرض بلاده الى أية هزات .. ولا تتعرض ثورتها الى الانتكاس .

بدأ بالقضاء على الاقطاع وتصفية نفوذ الاقطاعيين .. وحرر الفلاح المصرى من العبودية والرق وعادت الأرض الى الذين يشقون فى حرثها وزرعها وجنى ثمارها .. وأصبح القطاع الأكبر من الشعب سيدا للأرض ولم يعد عبدا لمالك الأرض .

ولم يكن الاقطاع وحده هو هدف ثورة عبد الناصر الاجتماعية ، كان القضاء على سيطرة الأجانب على ثروة البلاد هدفا من أهداف هـذه الثورة .. وكان القضاء على سيطرة الرأسمالية الوطنية واستغلالها هدفا آخر للزعيم الراحل .

هذا وقد كانت الجيوش البريطانية وقتها تحتل أرض مصر .. ومن أهدافها حماية السيطرة الأجنبية على ثروات مصر .

ودخل الزعيم الخالد معركتين فى وقت واحد .. معركة مع الجيوش المحتلة .. وأخرى مع القوى الأجنبية المسيطرة .. ففى الوقت الذى كان يتفاوض فيه مع الانجليز على الجلاء ويخطط لضربهم فى قناة السويس لاجبارهم على انهاء الاحتلال كان يصفى صرح الاقطاع والرجعية .

وفى لحظة من لحظات التآمر على الزعيم وثورته الاجتماعية .. قرر الغرب الامتناع عن تمويل السد العالى .. ورد الزعيم بتأميم شركة القناة .. أكبر قوة أجنبية تسيطر على أغنى مرفق فى مصر .. وكان تأميم القناة هو بداية المعركة الحقيقية لتصفية السيطرة الأجنبية على ثروات مصر ..

ووقع العدوان الثلاثى فـرد عليـه بوضـع ممتلكات البريطانيين والفرنسيين تحت الحراسة كوسيلة من وسائل تصفية السيطرة الأجنبية

على الاقتصاد . وذلك لأن انجلترا وفرنسا فى ذلك الوقت كانت تمتلك أكثر من ربع رأسمال المصانع التى كانت قائمة فى مصر .

وفى يوليــو عام ١٩٦١ أصــدر القوانين الاشتراكية العظيمة التى قضت بتأميم وسائل الانتاج والخدمات الرئيسية وتمليكها للشــعب .. كما قضت بمشاركة العاملين فى ادارة وسائل العمل .. وفى أرباح العمل .. وفى تحديد حد أدنى لأجورهم .. وضمان معاشاتهم ومستقبلهم .. ويومها تحرر العمل والعمال من سيطرة أصحاب رؤوس الأموال .. ولم تعد لقمة العيش تضطرهم الى احناء رؤوسهم وأصبح العمل حقا وأصبح واجبــا ..

ولم يكن هدف الثورة الاجتماعية مجرد انهاء الاقطاع والقضــاء على السيطرة الأجنبية وسيطرة رأس المــال وتحرير لقمة العيش .. انما كانت هذه وسائل لهدف أكبر وأسمى .. كان الهدف الكبير رفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل .

وكان عبد النــاصر حريصا على التنميــة الاقتصادية والاجتماعية وضرورتها .. وكان حريصا على أن تهتم الخطط بتوسيع قاعدة الخدمات بنفس القدر الذى تهتم فيه بزيادة الانتاج .

وتحققت لعبد الناصر ولثورته الاجتماعية كل ما أراد ، ونجح القائد والزعيم فى خلق مجتمع جديد بثورة فذة رائدة تجنبت الصراع الدموى والصراع الطبقى .. ثورة صفت النفوذ ولم تصفى الفرد .. قضت على السيطرة ، ولم تقض على الحقوق الانسانية .. ومضى عبد الناصر ولكن ثورته مستمرة وستظل مستمرة .. لأن أجيــال عبد الناصر لن تتوقف عن المسير .. ستمضى رغم الصعاب .. ستكافح من أجل الحرية .. وتبنى من أجل المستقبل .. مسترشدة بخطى القائد المعلم باعث الثورة .

وفى مقـــال للأستاذ الصاوى محمد بجريدة الأخبار عام ١٩٦٥ جاء ما يلى :

« وقلما سمعت حديثا أمتع وأعمق عن جمال عبـــد الناصر كالذى سمعته ، خلال هذه السنوات من أنور الســادات على الرئيس •• وهو اذ يحدثك عن جمال تشعر ، وتكاد تسمع ، فى كل كلمة خفقات قلبــه الوفى النابض بحب الرئيس وتقديره الى أبعد حد •• وقد تحدث بالأمس أنور السادات ابن المنوفية فى مؤتمر المحافظة ، وهو يرحب بالرئيس جمال عبد الناصر ويلمس شغاف القلوب وهو يقول :

ان جمال عبد الناصر فى ايماننا ، وفى وعينا ، وفى قلوبنا قبلما يكون رئيسنا هو زعيم الثورة ، ومؤسس الدولة ، وصاحب رسالة • ونحن نضعه من نفوسنا فى مكانة أعز وأعظم من رئاسة جمهوريات العالم كله •

وأى قول أشد تأثيرا من قول أنور السادات وهو يخاطب المواطنين الذين جاءوا بعشرات الألوف لاستقبال الرئيس فى المنوفية ••

أيها الاخوة •• علمنا جمال عبد الناصر نحن زملاء • أول ما قامت الثورة أن أروع مبدأ وأقوى دعامة يمكن أن تقوم عليها علاقاتنا •• هى علاقة الاخوة والصداقة والحب •• علمنا هذا ومن أجل ذلك وأنتم أهلى ومواطنى أطلب اليكم وأنا أعلم ما فى قلوبكم أن تحبوه أكثر ، فهو فى حاجة الى حبنا » (١) •

ولى تجربة شخصية معه ، فقد مضت السنوات وأنا أفكر فيه وأقرأ عنه وأحلم به •• ولكنى لا أراه عن قرب ••

وقرأت عنه كلاما لا يكاد يصدق •• أناس أحبوه وأجلوه حتى رفعوه فوق مرتبـــة البشر •• وأناس صـــبوا كراهيتهم عليه حتى جعلوه مصدر كل شر ••

وفكرت فيه طويلا •• فرضت على ظروف الحياة أن أطيل التـــأمل والتفكير فى هذا الرجل وفى عمله وفى آرائه وحلمت به كثيرا ، فى اليقظة

---

(١) جريدة الأخبار (ما قل ودل) أحمد الصاوى محمد ــ بتاريخ ١٩٦٥/٣/١٣

والمنام .. كلما تجمعت السحب فى السماء ، كنت أحلم به كلما أصفت الدنيا وانتشر بين الكائنات قدوم الربيع ، كنت أحلم به وحاولت كثيرا أن أراه عن قرب لكن الظروف دائما كانت تعاكسنى . الى أن كان يوم ١٩٧٠/٢/٢٤ وكنت منتدبا بمأمورية بأسوان بمناسبة زيارة الزعيم الراحل والرئيس تيتو . للسد العالى وكانت خدمتى فى داخل محطة الكهرباء . وكان مهندسو المحطة قد اصطفوا لمصافحة الزعيم وصحبه وكنت أقف الى جوارهم وبعد انتظار ولهفة . أقبل الموكب العظيم .. ونزل من سيارته وانتقلت عيناى اليه ذاك الذى طالما حلمت به ، فارتد الى الطرف مبهورا ان آلاف الصور التى رأيتها له لا تكفى للدلالة عليه . انى لم أر فى حياتى رجلا تجسد فيه شعبية لهذا الرجل . انه قطعة من تاريخنا . بل هو كل تاريخنا الحديث .

لقد فجر ثورة لا يزال صداها يدوى فى العالم كله .. قارع الاستعمار والصهيونية ، والخيانة والتخلف والجهل .. سجل لأمته وللانسانية جمعاء انتصارات رائعة أعترف بها العدو قبل الصديق .

ألهمنا جميعا أسس ومبادىء العمل الثورى لأنه المعلم العبقرى الفذ الذى علمنا السير فى طريق المبادىء السامية والأهداف النبيلة . ولم يتردد فى أى لحظة من اللحظات من الوقوف فى صلابة مساندا ومؤيدا للحركات الوطنية العالمية والعربية وتقديم العون المادى والمعنوى لها .

كان المثل الأعلى والأمل المنشود فى تحقيق حلم الأمة العربية فى اقامة دولة الوحدة . وبادله ملايين العرب والأحرار فى كل مكان حبا بحب وتفان بتفان .

أبدا .. أبدا .. لم يمت عبد الناصر .. انما انتقل بجسده الى العالم الآخر مع الصديقين والأبرار .. ليبقى معنا فى كل شىء قاله . وكل شىء فعله . ولكم قال الكثير . وفعل الكثير من أجل حريتنا وكرامتنا .. من أجل مستقبلنا ومصيرنا .. من أجل بناء حياتنا على أسس من الحق والعدل والكرامة .

وكم كنا نتمنى لو افتديناه بالألوف منا .. بل بالملايين ..

الفصل الثانى

الثورة الاجتماعية

قبل أن تتكلم عن الثورة الاجتماعية فلابد أن تتكلم عن الثورة :

« لقد اثبتت التجربة وهى ما زالت تؤكد كل يوم أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال العربى أن يعبر عليه من الماضى الى المستقبل».

(الميثـاق)

يستخدم لفظ الثورة استخداما عاما وشائعا واستخداما علميا محددا واستخدامه على الوجه الأول يعطى معنى يتلخص فى عدم الرضى عن وضع معين سواء كان وضعا اقتصاديا أو سياسيا أو ثقافيا .

واستخدامه على الوجه الثـانى يعنى بالثورة .. التغيير الجذرى الشامل لكل ما فى المجتمع من أوضاع .. والتغيير بهذا المعنى عملية ضخمة واسعة تمس كل جوانب الحياة من صميمها أنها عمليـة تبدأ بالاستيلاء على السلطة .. ليس من أجلها فى ذاتها وانما لتنطلق منها الى أحداث التغيير المنشـود .

فالثورة فى كلمة ؟ « انهاء لنظام قائم مرفوض واقامة نظام آخر مكانه أكثر تقدما وأقدر منه وفاء بمطالب الجماهير وآمالها .. » .

ويقول الزعيم الخالد : « ان الثورة ليست عملية هدم أنقاض المـاضى ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل » .

هذا وقد يستخدم لفظ الثورة استخـداما ضيقا فيقال مثلا : ثورة ثقافية أو ثورة صناعية أو ثورة اقتصادية أو ثورة علمية .. مثـل هـذا الاستعمال يلجأ اليه عند القصد الى ابراز السمة الرئيسية لثورة ما ، أو عند القصد الى تحديد مجال التغيير المطلوب .. هذا التعدد فى استعمال لفظ الثورة يجعل من الضرورى أن يحدد معناه بدقة وتزداد أهمية هذا التحديد اذا لاحظنا ما يقع من خلط بين مفهوم الثورة ومفهوم الانقلاب . والثورة المضادة فما هى المعانى الدقيقة لهذه المصطلحات .. ؟

المبحث الأول
الثورة والانقلاب

اولا ــ الثورة :

الثورة فى المفهوم الناصرى « هى علم تغيير المجتمع » ونرى الناصرية أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع أن تعبر عليه الشعوب من الماضى المظلم الى المستقبل المشرق لمغالبة التخلف والقهر والاستغلال .

فالثورة اذن هى تغيير المجتمع تغييرا جذريا شاملا وحاسما باقامة علاقات اجتماعية جديدة محل علاقات اجتماعية كانت قائمة .. بحيث نستطيع أن نقول : ان نظاما اجتماعيا قد انتهى وانتقل المجتمع الى نظام اجتماعى جديد متقدم .. فالمجتمع الاقطاعى مثلا حينما يتحول الى مجتمع رأسمالى (كما حدث فى أوربا ... أو الى النظام الاشتراكى كما حدث فى مصر .. يقال أن ثورة حدثت فى هذا المجتمع .. أو ذاك ..

الثورة والسلطة :

يقول الزعيم الخالد : « كل ثورة فى الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة .. وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى [١] .

فالثورة بهذا لابد لها من الاستيلاء على السلطة فهى اداتها ووسيلتها لاحداث التغيير لصالح الجماهير وليس من المعقول أن تقوم ثورة بعملية التغيير الشامل لمصلحة جماهيرها وسلطة الحكم فى يد قوى من مصلحتها ابقاء المجتمع ساكنا بأوضاعه وعلاقاته الاجتماعية القديمة التى ما قامت الثورة الا لتغييرها .

والميثاق الوطنى يقول :

« أن التطلع الثورى بكل آماله .. ومثله العليا .. يهتم بالبناء الجديد أكثر من اهتمامه بالانقاض التى تداعت [٢] .

(١) محاضر جلسات مباحثات الوحدة ١٧ ابريل سنة ١٩٦٣ ص ٢٠٤

(٢) الميثاق الوطنى (الباب الرابع) .

ثانيا ـ الانقلاب :

يقول الزعيم الخالد :

« تبدو القيمة الحقيقية للثورة فى مدى شعبيتها ومدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ومدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل ومدى ما يمكن أن توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة ونحن لن ننسى أنها كانت ثورة ولم تكن انقلابا .. كانت ثورة على الاستعمار والرجعية ، ثورة على الحقد والكراهية والبغضاء (١) .

يختلف الانقلاب عن الثورة اختلافا أساسيا .. فالثورة فى جوهرها عملية تغيير شامل تتخذ من الاستيلاء على السلطة وسيلة لتحقيق مهمتها ، أما الانقلاب فيتخذ من الاستيلاء على السلطة هدفا وغاية .. دون أن يتخطى هذا الى اجراء تغييرات أساسية فى أوضاع المجتمع وعلاقاته الاجتماعية ... فبينما الثورة تكون حافلة بمضمون اجتماعى تقدمى واضح .. نجد الانقلاب خاليا من مثل هذا المضمون وهو فى غالب الأحيان لا يزيد عن تغيير فى شكل السلطة واستبدال حكام بآخرين ومثل هذا القدر من التغيير حتى ولو تم بطريق العنف لا يعتبر ثورة ما دامت العلاقات الاجتماعية باقية على ما هى عليه .

وعند تحليل أى انقلاب نجد دائما أن الحكام الجدد يأتون دائما من داخل الطبقة أو الطبقات ذات المصلحة فى بقاء الأوضاع والعلاقات السائدة وأنهم ليسوا من أبناء القوى الجديدة التى تطالب بالتغيير تناضل من أجل انجازه . ومن أمثلة الانقلاب ما حدث فى سوريا (بقيادة أديب الشيشكلى وحسنى الزعيم) .

هذا المعنى الذى حددنا به (مفهوم الثورة ينطبق بدقة على ما يعرف فى الفكر السياسى بالثورة الاجتماعية .. لكننا نجد فى الفكر السياسى أيضا استخدام مثل هذه المصطلحات . الثورة الوطنية .. الثورة الاجتماعية) فهل ثمة فروق بين بعضها وبعض ؟

---

(١) خطبة للزعيم الخالد فى عيد العلم ١٩٦٤/١١/١٤

المبحث الثانى

الثورة الوطنية .. والثورة الاجتماعية

أولا ــ الثورة الوطنية :

وقد يطلق عليها اسم الثورة التحررية أو السياسية .. وكلها بمعنى واحد ويقصد بها ذلك النوع من الثورات التى تقوم فى بلد محتل وتستهدف تحرير الوطن من الحكم السياسى الأجنبى المباشر وغير المباشر واجلاء قوى الاحتلال التى تحتل أرض هذا البلد ومن أهداف تلك الثورة اقامة حكم وطنى ينتقل بالسلطة كاملة من يد الأجنبى الى يد أصحاب البلد ممن هم أصحاب الحق الشرعى فيها .. ومن النماذج التاريخية للثورة الوطنية ثورة الاستقلال الأمريكية عام ١٧٧٩ .. وغيرها وثورة لبنان التى انتهت باستقلاله عام ١٩٤٥ وثورة غانا بقيادة نكروما ...

ثانيا ــ الثورة الاجتماعية (الثورة الاشتراكية) :

يقول الزعيم الخالد : « سارت الثورة وهى ترسى مبادىء انسانية سارت الثورة نحو هدف كبير نحو هدف عظيم ، سارت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم ، تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية ولامكان فيه لسادة ، ولا مكان لعبيد .. كلنا أحرار فى هذا الوطن ، كلنا نشعر بالحرية كلنا نشعر بالمساواة . وقامت الثورة وهى تعلن أهدافها حتى تحقق هذا الغرض [١] .

ويتضح من ذلك أن الزعيم الخالد لم يجد حلا للقضاء على الظلم الاجتماعى واقامة مجتمع الكفاية والعدل (المجتمع الاشتراكى) سوى الثورة الاجتماعية ــ الاشتراكية . وتتميز الثورة الاجتماعية فى مصر بما يلى :

* أنها تجذب الى صفوفها جميع القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى القضاء على الاستغلال ومعنى هذا أنها ثورة جماهيرية الطابع سرعان ما تلتقى بها الجماهير وتلتف حولها ..
* أن قيادة مثل هذه الثورة وطليعتها لا يمكن أن تكون غريبة عن الجماهير وانما تنبع عنها وتلتحم بها ..

(١) خطبة للزعيم الخالد بتاريخ ١٩٥٦/١/١٦

الثورة الاجتماعية .. والاصلاح الاجتماعى :

ان كل ثورة اجتماعية ووفقا للمفهوم الذى اقتهينا اليه تحوى اصلاحا اجتماعيا • وليس الاصــلاح الاجتماعى يعنى ثورة اجتماعية • وذلك لأن الثورة الاجتماعية تعنى تغيير المجتمع تغييرا جــذريا شاملا باقامة علاقات اجتماعية جديدة محل علاقات اجتماعية كانت قائمة • أى اعادة صــياغة العــلاقات الاجتماعية وليس ترميم أو اصلاح تلك العــلاقات القديمة المتداعية • وهذا هو ما أكده الميثاق الوطنى « أن احتياجات الوطن لم تكن تكفى بترميم البناء القديم المتداعى وصلبه بقوائم تسنده واعادة طلائه •• وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب بناء جــديدا ثابت الأســاس صلبا شامخا » •

ومن أمثلة الثورات الاجتماعية الاشتراكية •• ثورة أكتوبر فى الاتحاد السوفييتى • وثورة كوبا وثورة الصين •• ونستطيع أن نقول أن هنــاك نوعين أساسيين من الثورات :

الثورة الوطنية •• والثورة الاجتماعية أى الثورة الاشتراكية •••

المبحث الثالث

العلاقة بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية

من السهل أن نميز فى التاريخ البشرى ونرصد فى حركات الشعوب نماذج وأمثلة واضحة لكل من هذه الثورات •• فحرب الاستقلال الأمريكية مثلا نموذج للثورة الوطنية والثورة الروسية نموذج للثورة الاجتماعية الاشتراكية •• والوصف الأخير يغنى عن الأول فيكفى أن يقال الثــورة الاشتراكية لأنها لا تكون الا اجتماعية فمن المهم أن يلاحظ أن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية طرأت عليه عوامل كان من نتيجتها ظاهرة جديدة • يشهدها التاريخ المعاصر وهى ما يعبر عنه فى الفكر السياسى بالتحام الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية • فشعوب العالم التى خاضت تجربة الثورة بعد الحرب العالمية الثانية من أجــل استقلالها وتحررها تجدها فى نفس الوقت تثور ضد الرأسمالية كتنظيم اجتماعى •• وتجد التحاما واضحــا بين الثورتين الوطنية والاجتماعية •

فالشعب الذى يثور من أجل استقلاله وحريته طمعا فى حياة أفضل يجد نفسه محوطا بقيود التخلف التى كبله بها الاستعمار ولا سبيل أمامه لكسر هذه القيود الا بالتنمية وقد أثبتت التجربة لهذه الشعوب بأنه ليس أمامها سوى طريق وحيـد للتنمية وهو طريق الاشتراكية .. أى اقامة مجتمع اشتراكى .

يقول الزعيم الخالد : « لكل شعب من شعوب الأرض ثورتان .. ثورة سياسية . يسترد بها حقه فى حكم نفســه بنفسه من يد طاغية فرض عليه أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه . وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يســتقر الأمر فيها على ما يحقق العـدالة لأبناء الوطن الواحد (١) .

ولقد أثبت تاريخ معظم دول العالم أن الثورات السياسية صاحبـة السبق فى الاندلاع على الثورات الاجتماعية ، وما من شعب وقع فريسة للاستعمار واستطاع أن يعالج مشاكل التخلف والتبعية الاقتصادية الا بعد تخلصه من براثن الاستعمار أولا :

وفى نظرة عابرة الى الدول الآسيوية والافريقية التى نالت استقلالها حديثا من براثن الاستعمار تجد أن الثورة الاجتماعية لم تبدأ فيها الا بعد أن نجحت الثورة السياسية فى الحصول على استقلالها السياسى ومن ثم تبدأ فى معالجة المشــاكل الاقتصــادية الناجمة عن التخلف والتبعية وأثر ذلك كله على الأوضاع الاجتماعية السائدة فى البــلاد ومن المحقق أن التغيير الجذرى للأوضاع السائدة فى المجتمع لا يمكن تحقيقه الا بعد السيطرة على مقاليد السلطة السياسية .. ولهـذا فانه فى كثير من الحالات تسبق الثــورة السياسية الاجتماعية .. الا أن الزعيم الخــالد بمنهجه الجديد وبثورته الاجتماعية عاش التجربتين معا . ففى الوقت الذى خلع فيه فاروق عن العرش . صدر قانون الاصلاح الزراعى للقضاء على الاقطاع وتحديد الملكية . وكانت مشروعات الثورة الاجتماعية تسير على قدم وساق فكانت تبنى المدارس والمستشفيات فى الوقت الذى كانت المعارك دائرة فى القنال ضد الاحتلال البريطانى لاجبارها على الجلاء .

(١) فلسفة الثورة الجزء الأول .

وفى هذا المعنى يقول الزعيم الخالد : « هذه الثورة كما كانت وطنية للقضاء على الاستعمار وأعوانه . ثورة اجتماعية للقضاء على الظلم الاجتماعى وتقريب الفوارق بين الطبقات . هذه الثورة فريدة فى نوعها . كانت الثورة الاجتماعية تحتاج منا الى تآلف وحنو من الغنى على الفقير وعطف من القوى على الضعيف ، وكانت الثورة السياسية تحتاج منا الى أن نحارب فى جبهات متعددة [1] .

كما أننا نجد أن من الأسباب الأساسية فى انتكاس الثورات هو اغفال جانب التغيير الاجتماعى « فمثلا ثورة ١٩١٩ أغفلت قياداتها اغفالا يكاد يكون تاما مطالب التغيير الاجتماعى وان كانت قد قامت لتحقيق أغراض سياسية تمثلت فى الاستقلال والحكم النيابى وما يتصل بهما من اعادة النظر فى الأوضاع الاقتصادية الناجمة عن الوضع القديم سبب الثورة . ولما كان النظام السياسى فى بلد ما ليس سوى انعكاس مباشر للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى ذلك البلد ، فانه كان على قيادات ثورة ١٩١٩ أن تدرك أن الاصلاح يجب أن يتجه أساسا ومباشرة بدون تلكؤ الى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبالتالى ستظهر النتائج فى الصورة السياسية ولكن يبدو أن هذه القيادات قد فعلت العكس متصورة أن تحقيق الاستقلال والحكم الدستورى النيابى سيؤدى الى تحقيق العدالة الاجتماعية ولم يكن ذلك بمستطاع لأن الاستقلال وفقا لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ كان مقيدا والحكم الدستورى نفسه جعل السلطة موزعة بين ممثلى الاحتلال فى مصر والسراى ورجالها المستهدفين جمع الثروات . وفى هذا يقول الزعيم الخالد :

« الثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترابطها وتساندها ونكرانها لذاتها فى سبيل الوطن كله . الثورة الاجتماعية من أول مظاهرها تزلزل القيم وتخلخل العقائد . تصارع المواطنين مع أنفسهم أفرادا وطبقات . وتحكم الفساد والشك والكراهية .. والأنانية ..

---

(١) خطبة للزعيم الخالد فى يوم ٢٣ يوليه ١٩٥٥

وبين شقى الرحى هذين قدر لنا أن نعيش اليوم ثورتين • وبين شقى الرحى هذين مثلا ضاعت ثورة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن تحققها (١) •

وهكذا تصبح الثورة الوطنية جزءا من الثورة الاشتراكية مقدمة لها أو مرحلة من مراحلها وهى ظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة لكل الدول النامية وكأنها قانون الثورة العام بعد الحرب العالمية الثانية ••

والسؤال هنا ؟ •• ماذا طرأ على العالم بعد الحرب العالمية الثانية حتى يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ •• يلخص الميثاق فى الباب الثانى هذه التفسيرات فى :

* تعاظم قوى الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية حتى لقد استطاعت هذه الحركات أن تقود معارك عديدة ومنتصرة ضد القوى الاستعمارية ومن ثم أصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير عالمى وفعال •

* ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يزداد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى •

* التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاقا غير محدودة أمام محاولات التطوير •• كما أنه حقق طفرة فى أسلحة الحرب بلغت خطورتها الى أنها أصبحت رادعا يحول دون نشوبها بسبب ما تقدر على الحاقه من الأهوال بجميع الأطراف فى أى معركة •

هذا فضلا عن التغيير الأساسى المذهل الذى حققه هذا التقدم العلمى فى وسائل المواصلات لدرجة أن تلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل ما بين الأمم فعليا وفكريا •

* نتائج هذا كله فى محيط العلاقات الدولية وأهمها زيادة تأثر القوى المعنوية فى العالم كالأمم المتحدة والدول غير المنحازة وقوى الرأى العالم العالمى •

---

(١) فلسفة الثورة الجزء الأول •

المبحث الرابع

الثورة الاجتماعية والثورة المضاده

قال الزعيم الخالد : « ان كل الثورات التى قامت فى العالم قابلتها ثورات مضادة ، ان الثورة المضادة هى مجرد عناصر (ضد الثورة) ووصفها أكبر من مضمونها وأتفه من أن توصف . العناصر التى تؤلف الثورة المضادة هى عملاء أمريكا وبريطانيا وبقايا الاقطاع والرأسماليين والانتهازيون والذين يتظاهرون بتأييد الثورة (١) .

فالثورة المضادة اذن .. انما تقوم بها طبقة أو طبقات ترى فى حركة المجتمع خطرا عليها وعلى مصالحها ، فتحاول الانقضاض عليها وتصفية منجزاتها والقضاء على ما حققته من مكاسب شعبية . وتحطيم آمال الجماهير التى التفت حولها .

يقول الزعيم الخالد : « فى أى حكم تقدمى وفى أى حكم اشتراكى أما تيجى تحقق العدل اللى هو أحد طرفى الاشتراكية — لازم تتأثر طبقة .. اللى هى تحالف الرأسمالى والرجعى .. أنت لما بتقول اشتراكية معناها أنك بتقف ضد لاستعمار العالمى وضد الرأسمالية العالمية .. اذن سيكون هناك تحالف شئت أم أبيت بين الرجعية والاستعمار العالمى (٢)

وتمارس الثورة المضادة نشاطها على صعيدين داخلى وخارجى .

اولا — الصعيد الداخلى :

ويتمثل نشاط الثورة المضادة فى مواجهة النظام الثورى التقدمى فى مصر بقيام ثورة ٢٣ يوليو فى بعض الحركات التى ما قصد منها الا الى الرجوع لسيطرة التحالف بين الرجعية ورأس المال المستغل وفساد الحكم والظلم الاجتماعى . ودخلت الثورة معها فى معارك انتصرت فيها جميعا .

(١) خطبة للزعيم الخالد (عيد العمال) ٢ مايو ١٩٦٧

(٢) محاضر جلسات الوحدة . أبريل سنة ١٩٦٣ ص ٤٥٥

ثانيا ــ الصعيد الخارجي :

وتمارس فيه الثورة المضادة نشاطها فى محاولة القضاء على الثــورة أو محاصرتها محاصرة تامة تجعلها قاصرة فى اشعاعها على النطاق المحلى خوفا من اتتقال التحرر الى أبعد من الحدود الاقليمية مما يدفع الى تشجيع الجماعات المغلوبة على أمرها فى الدول الأخرى لتحذو حذو الثورة الناجحة فتقلدها فى أسلوبها بل وقد تستجدى العون منها (مثلما حدث بالنســبة لليمن واليمن الجنوبية والجزائر وتونس والعراق وليبيا والسودان ••) وذلك لأن كل نجاح لثورة جــديدة هو تدعيم وتثبيت للثــورة الأم •• وأضعاف للثورة المضادة •

وتتمثل الثورة المضادة من الخارج فى الاستعمار وما يقوم به ضــد ثورتنا التحررية •

لن أتناول فى بحثى الحديث عن الثورة المضادة من الداخل لأنهــا لا تعدو عن بعض الحركات التى لا يتسع المجال لها فى هذا البحث نظرا لعدم أهميتها فانها قد باءت جميعها بالفشل • ولكننى سوف ألقى الضــوء على الاستعمار الذى كان وما زال يشكل الثورة المضادة من الخارج •

أن أول أهداف الثورة التى أعلنتها هو القضاء على الاستعمار وأعوانه فبدأت الثورة بأعوان الاستعمار •

ــ طردت الملك فاروق فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢

ــ ألغت الرتب والألقاب فى ٣٠ يوليو ١٩٥٢

ــ بدأت فى القضاء على الاقطاع فى ٨ سبتمبر ١٩٥٢

ــ حلت الأحزاب فى ١٨ يناير ١٩٥٣

وبعد ذلك أعلن الزعيم الخالد كلمته المشهورة : « يجب أن يحمل الاحتــلال عصاه على كاهلــه ويرحــل أو يقــاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده [1] •

---

(١) خطبة للزعيم فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣

وبدأت أول مفاوضات بين الثـورة وقوات الاحتلال البريطانى فى القاهرة يوم ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٣ وتوقفت المباحثات فى مايو سنة ١٩٥٣

وكانت قد عنيت حكومة الثورة منذ اللحظة الأولى لقيامها بتنظيم الكفاح المسلح وأشتدت هجمات الفـدائيين وبدأت القوات الانجليزية فى التهديد والانذار • الا أن ذلك كان يزيد قيادة الثورة اصرارا على جلاء القوات لانجليزية • ولم تجد بريطانيا بدا تجاه هذا الكفاح المنظم وتلك المقاومة من استئناف المباحثات مع حكومة الثورة فى مصر فى يوليو ١٩٥٤ وكان من بين من تولاه من الجانب المصرى الزعيم الخالد •

وفى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ تم التوقيع بالحروف الأولى على اتفاقية الجلاء• ويقول الزعيم الخالد : « انا نقف الآن على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا • لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى (١) •

وبدأت فعلا القوات الانجليزية فى الجلاء عن أرض مصر حتى يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ •• حيث غادرت آخر قوة بريطانية الميـاه المصرية فى بور سعيد •

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه بريطانيا المفاوضات مع حكومة الثورة على الجلاء كانت تتآمر على هذا النظام التحررى الجديد فى مصر •

وظهر دور اسرائيل ولا ننسى قصة اسرائيل مع انجلترا والعرب • وبدأت تتحرش بقواتنا وقامت بسلسلة من الاعتداءات الاستفزازية منذ سبتمبر سنة ١٩٥٣ عنـدما اعتدت على منطقة العوجة واحتلتها • وكان واضحا من هذا الاعتداء أنه كان متفقا عليه بين اسرائيل وبريطانيا للضغط على مصر أثناء مباحثات الجلاء •

وفى ٥ أكتوبر اكتشفت مؤامرة صهيونية هدفها اثارة القلاقل لعرقلة توقيع اتفاقية الجلاء وضبط فى حوزة أعضائها كميات كبيرة من المفرقعات أرادوا استخدامها فى أعمال النسف والتدمير والتخريب وكان هدف الشبكة

---

(١) خطبة للزعيم فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣

هو محاربة الثورة • واتضح من محاكماتهم أن المركز الرئيسى للجاسوسية الصهيونية التى كانت تحرك الشبكة وتخطط أعمالها فى باريس • وأن الحكومة الفرنسية كانت ضليعة فى أعمال الشبكة •

حاولت انجلترا أن تربط مصر بأحلاف معها الا أن الزعيم الخالد رفض ذلك • فاتجهت الى محاولة لعزل النظام الثورى فى مصر ونجحت فى ذلك • وبتاريخ ٢٩ يناير أعلن نورى السعيد اصراره على عقد حلف عسكرى بين العراق وتركيا وآخر مع ايران وباكستان وثالث من بريطانيا والولايات المتحدة • وبتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ عقد ميثاق حلف بغداد •

ونتيجة لذلك فبتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٥ شن اليهود هجوما غادرا مفاجئا على غزة وهو أخطر اعتداء وقع من اليهود منذ توقيع اتفاقية الهدنة وتكشفت حقيقة هذا الاعتداء بأنه كان مدبرا بالاتفاق مع الاستعمار الغربى للضغط على مصر والدول العربية للانضمام الى حلف بغداد •

وترتب على هذا الهجوم ونتيجة لموقف الجمود الذى اتخذه مجلس الأمن حياله • حفز مصر الى التزود بالسلاح •

وقصة السلاح تكمن فى أن الزعيم الخالد كان قد أوفد على صبرى على رأس بعثة فى نهاية عام ١٩٥٢ لشراء السلاح من أمريكا وكان يساعد على صبرى ، اللواء عبد الحميد غالب الملحق العسكرى فى واشنطن ولكن لم تتم الصفقة ورجع على صبرى الى مصر •

وتكرر طلب الزعيم الراحل السلاح من أمريكا • ورفض أمريكا لتسليح مصر وفى الوقت نفسه استمر تدفق المساعدات الأمريكية على اسرائيل وحكومة اسرائيل •

وفى منتصف عام ١٩٥٥ استدعى جمال عبد الناصر السفير الأمريكى (بايرود) وقدم اليه تحذيرا •

« اما أن تلبى الحكومة الأمريكية رغبتى فى شراء السلاح •• وأما أن اشتريه من الروس » •

وبدأ الزعيم الخالد فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥ يتعاقد مع تشيكوسلوفاكيا على صفقة أسلحة وبدون شروط — وكان لهذه الصفقة أثرها البعيد على المحيط العربى والدولى وقد ظهر جمال عبد الناصر بأنه القائد الذى يحطم الاغلال ولا يتراجع أمام تهديدات الدول الكبرى وقوبلت الصفقة بانزعاج شديد فى دوائر الغرب وخاصة فى لندن وواشنطن وباريس كما قوبلت بالوجوم فى اسرائيل •

وخرج عبد الناصر من معركة التسليح ليدخل فى معركة انشاء السد العالى • تأكيدا لسياسته فى الثورة الاجتماعية • وبدأ منذ عام ١٩٥٥ فى مفاوضة البنك الدولى للانشاء والتعمير وحكومتى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بشأن توفير المبالغ اللازمة بالعملات الأجنبية لتنفيذ المشروع ، وفى مايو من نفس العام صدر بيان فى القاهرة أعلنت فيه حكومة الثورة عزمها على توفير المبالغ اللازمة للمشروع من العملات المحلية باصدار سندات وأذون على الخزانة المصرية •• وفى ديسمبر سنة ١٩٥٥ أعلنت كل من الولايات المتحدة رسميا أنها وبريطانيا قد عرضنا مساعدات مالية على حكومة الجمهورية المصرية لتيسير البدء فى مشروع السد العالى واجتمع جمال عبد الناصر بالمستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى للانشاء والتعمير لاستكمال مباحثات تمويل المشروع التى كانت قد بدأت فى واشنطن وضغطت أمريكا وانجلترا فى محاولة أن تضع شروط واعتراضات للتمويل تمس استقلال مصر الاقتصادى ورفض عبدالناصر• وفجأة فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن البنك الدولى سحب عرض تمويل مشروع السد العالى بعد أن أعلنت كل من أمريكا وبريطانيا تخليهما عن المساهمة فى المشروع • وكان رد عبد الناصر حاسما • وبعد أسبوع واحد • أعلن تأميم قناة السويس •

وقبل معركة تأميم القناة دخل عبد الناصر معركة الحصار الاقتصادى ورفضت الدول الغربية شراء القطن المصرى طويل التيلة وتعاقد مع الصين الشعبية عليه • وقام عبد الناصر بتحدى الدول الاستعمارية والامبريالية العالمية متمثلة فى الولايات المتحدة الامريكية فبتاريخ ١٦ مايو سنة١٩٥٦ اعترفت مصر بجمهورية الصين الشعبية وأعلنت أن أسباب هذا الاعتراف هى :

— أن حكومة الصين الشعبيه تمثل ٦٠٠ مليون نسمة •

ـ أن الصين الشعبية احدى دول مؤتمر باندونج ولأن ٣٣ دولة اعترفت بها •

ـ ولأنها اشترت من مصر قطنا بمبلغ ١٥ مليونا من الجنيهات •

وأثار هذا الاعتراف ثائرة جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الذى أعلن أن بلاده آسفة لاعتراف مصر بالصين الشعبية•وبدأت محاولات الضغط من جديد لتحويل حكومة الثورة عن سياستها المستقلة ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل •

* معركة تأميم شركة قناة السويس •• بعد أن سحب البنك الدولى عرضه فى تمويل مشروع السد العالى فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن الزعيم الخالد فى خطاب ألقاه بمدينة الاسكندرية القرار التاريخى رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦ الذى يقضى بتأميم (الشركة العالمية لقناة السويس البحرية) « شركة مساهمة مصرية » وانتقال جميع مالها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات الى الدولة • وفى ٢٧ يوليو أى فى اليوم التالى للتأميم ، أعلنت بريطانيا وفرنسا أنهما ترفضان الاعتراف بتأميم القناة • وأنهما ستتخذان جميع التدابير اللازمة لسلامة رعاياهما واحترام مصالحهما • واحتجا على قرار التأميم ورفضت مصر مذكرة الاحتجاج البريطانية التى أرسلت اليها بواسطة السفارة الانجليزية فى القاهرة وردتها الى السفارة • ورفض سفير مصر فى باريس أن يتسلم من كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا قرار الاحتجاج • اذ رأى فى ملابساته خروجا على قواعد اللياقة وتهديدا ووعيدا وصمدت مصر لتحديات الاستعمار •

* معركة تجميد الأرصدة المصرية فى البنوك الأجنبية •• وجمدت بريطانيا منذ ٢٨ يوليو مبلغ ١١٢ مليون جنيه ووضعت (تحت الرقابة جميع رؤوس الأموال المصرية لديها) وحجزت فرنسا جميع أرصدة مصر وأموالها لديها • وكذلك فعلت الولايات المتحدة الامريكية فجمدت أرصدة مصر فى بنوكها وقدرها ٦٠ مليون دولار كانت مصر جعلتها وديعة لديها لسداد ما تشتريه منها •

* يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٥٦ صدرت الأوامر الى الجيش البريطانى بالاستعداد والى الأسطول بأن يكون قريبا من القنال . وصدر بيان ثلاثى عن انجلترا وفرنسا وأمريكا بمعارضة التأميم وقرروا أن القناة ذات صفة دولية .

* أول أغسطس سنة ١٩٥٦ وجه الزعيم الخالد انذارا لانجلترا وقال : « اننا نعرف كيف ندافع عن وطننا وكيف نرد الغاصبين » .

— تعهدت بريطانيا وفرنسا بعدم استخدام القوة ضد مصر يوم ٢ أغسطس .

— يوم ٢ أغسطس ١٩٥٦ أصدرت بريطانيا الأوامر لرعاياها بمغادرة مصر ومنعت السباحين المصريين من الاشتراك فى سباق المانش . ويوم ٤ أغسطس طلبت فرنسا من رعاياها مغادرة مصر .

— يوم ٨ أغسطس حرضت انجلترا وفرنسا المرشدين الأجانب على الاضراب عن العمل لكى تتعطل الملاحة فى قناة السويس وتجد الدولتان معاذير للتدخل .

— يوم ١٢ أغسطس عقد مؤتمر فى لندن لبحث فكرة تدويل القناة . ورفضت مصر حضور المؤتمر وأعلن جمال عبد الناصر أن مصر ستحارب اذا لجأ الغرب الى استخدام القوة . ورفضت مصر فكرة تدويل القناة .

— يوم ٥ سبتمبر حشدت بريطانيا وفرنسا قوات كبيرة فى قبرص ، وهدد سلوين لويد وبينو بالحرب يوم ٨ سبتمبر سحبت انجلترا وفرنسا وبعض الدول الغربية مرشديها من قناة السويس لتعطيل الملاحة فيها . وطلبت بريطانيا من شركات الملاحة العالمية مقاطعة قناة السويس .

— يوم ١٥ سبتمبر أعلن جمال عبد الناصر فشل مؤامرة سحب المرشدين وانتظام الملاحة فى القناة .

ـ دخل عبد الناصر معركة حرب التجويع والحصـــار الاقتصادى والحرب النفسية ورفضت الولايات المتحدة أن تبيع لمصر القمح واشترت مصر ٢٠٠ ألف طن قمح من الاتحاد السوفييتى ودفعت ثمنها على أساس الجنيه المصرى .

* يوم ٢٨ أكتوبر أعلنت اسرائيل التعبئة العامة فى قواتها العسكرية . وفى نفس اليوم أمرت أمريكا رعاياها فى الشرق الأوسط بمغـــادرة المنطقـــة .

* يوم ٢٩ أكتوبر وقع العدوان الاسرائيلى على مصر ، يوم ٣٠ أكتوبر وجهت بريطانيا وفرنسا انذار الى مصر تطلبان فيه انسحاب القوات المصرية الى مساحة عشرة أميال من قناة السويس وأن تقبـــل مصر احتلال أراضيها بواسطة القوات الفرنسية والبريطانية وطلب الانذار الاجابة عليه فى الساعة ٦٫٣٠ ص يوم ٣١ أكتوبر وهدد الانذار بأن بريطانيا وفرنسا ستتدخلان بالقوة بالقدر الذى ستريانه .

ـ يوم ٣١ أكتوبر بدأت القوات البريطانية والفرنســـية العـــدوان على مصر .

ـ يوم ٩ نوفمبر ألقى الزعيم الخالد خطابا فى الأزهر الشريف قال فيه : « أن الاستعماريين المعتدين فرضوا علينا القتال ولكنهم لن يفرضوا علينا الاستسلام » .

ـ يوم ٤ ديسمبر بدأت القوات المعتدية تنفـــذ قرار مجلس الأمن بالانسحاب من بور سعيد حتى يوم ٢٣ ديسمبر وحطم الأهالى تمثـــال فرديناند دليسبس ، ويوم ٢٦ ديسمبر بدأت اسرائيـــل تنسحب من سيناء .

ـ أول يناير سنة ١٩٥٧ قام الزعيم الخالد بإصدار ثلاثة قوانين لتحرير الاقتصاد الوطنى من السيطرة الأجنبية منها قانون بتمصير تسعة بنوك وهى : باركليز ، كريدى ليونيه ، العقارى المصرى والشرقى ، بنيون بنك والعثمـــانى والرهـــونات المصرى والأراضى المصرى والخصم الأهلى الباريسى .

— يوم ١٩ يوليو ١٩٥٧ صـدر قانون بتمصير بورصات الأوراق المـالية وقانون بجعل البنك الأهلى المصرى هو البنك المركزى للدولة •

* ولم تنته المعارك مع الاستعمار عند هذا الحد الى أن تآمر الاستعمار العالمى لضرب التحـول الاشتراكى فى مصر التى تقف أمام سيطرته ونفوذه فى العالم • وقد أوضح ذلك الزعيم الخالد حين قال أن من بين أهداف العـدوان الاسرائيلى فى سـنة ١٩٦٧ هو ضرب الاشتراكية فى مصر وأنه يؤدى هذا الدور لحسابه ولحساب الاستعمار العالمى •

وأننا يجب أن نضع دائما فى حساباتنا التناقض بين ثورتنا والاستعمار الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد صاحب التطور فى مسار ثورتنا الاجتماعية خطوطا نضالية على المستوى العربى والعالمى الذى وضع الثورة المصرية فى مركز من مراكز الصدارة فى حركة النضال العالمى ضـد الامبريالية •• وهذه حقيقة فى حد ذاتها ضاعفت من التناقضات بين ثورتنا والمصالح الاستعمارية والرجعية فى المنطقة المحيطة بنا وفى العالم أجمع • ولا سيما أن الثورة استطاعت استقطاب عددا من حركات النضال الثورى فى العالم العربى والأفريقى •• وكان آخرها ثورتى : ليبيا والسودان •

وفى هذا المعنى يقول الزعيم الخالد : « أنت لمـا بتقول اشتراكية معناها انك بتقف ضد الاستعمار العالمى وضد الرأسمالية العالمية » [1] •

* وعند نقطة الغليـان فى التناقض بين ثورتنا والثورة المضـادة كان القائمون لمهمة توجيه الأخيرة فى واشنجتون يخططون لضرب الثورة المصرية وتصفيتها •• اعتقادا منهم أنه بهـذا سوف تتسـاقط كافة المواقع النضالية فى العالم العربى والافريقى وتصاب حركة النضال العالمى بضربة قاضية ، وليس غلق مضايق تيران هو السبب المبـاشر لعدوان ١٩٦٧ الذى استهدف أساسـا لتصـفية التجربة الثـورية الاشتراكية فى ج•ع•م وما سيترتب عليها من نتائج فى العالم العربى وحركة النضال العالمى •

---

(١) محاضر جلسات الوحدة ابريل ١٩٦٣ ص ٢٥٥

* وفى هذا المعنى يقول الزعيم الخالد :

« أن الغرض الحقيقى لعملية العدوان علينا كان هو القضـــاء على الثورة الاشتراكية فى مصر .. هذه الثورة تصـــدوا لها بكل الوسائل لمحاولات الاغتيال والاخوان المسلمين بالمؤامرات وبقطع المعونات(١) ..

المبحث الخامس

خصائص الثورة

نستطيع ان نستنتج الآن أهم ما يميز الثورة من خصائص فى الآتى :

أولا ــ ان الثورة فى طبيعتها حركة نحو التقدم ، ذلك أنها تقــوم لتصفية واقع متخلف واقامة واقع جديد تسوده علاقات اجتماعية تستطيع الجماهير فى ظلها أن تحيا حياة أفضل متخلصة من رواسب الاســـتغلال والقهر الطبقى ... الخ .

ثانيا ــ ان الثورة فى طبيعتها أيضا حركة بالجماهير تقوم بها وتستند عليها وتنجز أهدافها بواسطتها ومن أجلها .. فالجماهير غايتها ووسيلتها فى كل ما تحاوله وتنجزه وقد لا تبدو جماهيرية الثورة واضحة فى بدايتها الأولى فقد تفرض ظروف بلد ما أن يضطلع بعبء الاعداد للثورة والتمهيــد لها طليعة معينة تحيطها ظروف تتطلب نوعا من سرية الحركة والعمل والبدء فى نطاق ضيق حفاظا على سلامة الخطط وتجنبا لتنبيه القـــوى الحاكمة أو القوى المضادة التى لن تتوانى عن القيام بمحاولات قد تفسد كل خطط وتقضى على كل جهد فى ســـبيل انجاز الثورة خاصة اذا كان البلد محتلا أو واقعا تحت سيطرة مباشرة أو غير مباشرة للاستعمار وهذا يفسر ما يبدو من غموض فى اتجاه بعض الثورات فى مراحلها الأولى ، ولكن برغم هذا فمن السهل التنبؤ بمسار الثورة من خلال قرائن جيدة الدلالة ، فالمنابت الشعبية للقائمين بها من طليعتها وما يعلنون من أهداف وشعارات تساعد

---

(١) من خطاب الزعيم الخالد فى ٢٣/٧/١٩٦٧

على تعرف اتجاه الحركة ومداها وأهم من هذا تتبع منجزاتها وفهم دلالتها فقد لا تكفى الشعارات وحدها ريثما يستقر الأمر للسلطة الجديدة ثم تتكشف الحقيقة بصدمة مروعة لآمال من خدعوا بها .

تتميز الثورة اذن بسمتين أساسيتين (شعبيتها ، تقدميتها) ... وشعبية الثورة تقاس بحجم ونوع القوى التى تقوم بها وتلتف من حولها وكلما تزايد حجم الجماهير التى تلتحم بهـا اندفاعا نابعا من احساس حقيقى بأنها تحقق مطالبها وترتبط بآمالها كان ذلك دليلا على أن الثورة تسير فى مسار صحيح .

وتقدمية الثورة تقاس بمضمونها الاجتماعى وبمدى ما تنجزه فى تغيير العلاقات الاجتماعية غير العادلة وفى مقدمتها ضرب العلاقات الاستغلالية واحلال أساس جديد فى علاقات الملكية وقواعد توزيع الدخل القومى بما يقضى على الاستغلال ويضيق الفوارق بين الطبقات الى أقصى مدى ممكن .

وفى تحديد خصائص الثورة يقول الميثاق فى الباب الخامس :

« ان الثورة بالطبيعة عمل شعبى وتقدمى ، انها حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيد لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته كما يتصورها وكما يريدها ، كما أنها قفزة عبر مسافة التخلف الاقتصادى والاجتماعى تعويضا لما فات ، ووصولا الى الآمال الكبرى التى تبدو من خلال المثل العليا لما يريده للأجيال القادمة » .

ويستخلص الميثاق من خصائص الثورة خصائص العمل الثورى فيقول عقب الفقرة السابقة مباشرة : « من هنا فان العمل الثورى الصادق لا يمكن بغير سمتين أساسيتين : أولهما شعبيته وثانيهما تقدميته ، ان الثورة ليست عمل فرد والا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع بأكمله .. والثورة ليست عمل فئة واحدة والا كانت تصادما مع الأغلبية وانما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها وبمدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة وبمدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل وبمدى ما يمكن أن توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة ، والثورة

تقدم بالطبيعة أن الجماهير لا تطلب بالتغير ولا تسعى اليه وتفرضه لمجرد التغيير نفسه خلاصا من الملل وانما تطلبه وتسعى اليه وتفرضه تحقيقا لحياة أفضل وتحاول بها أن ترتفع بمواقعها الى مستوى أمانيها .. ان التقدم هو غاية الثورة والتخلف المادى والاجتماعى هو المفجر الحقيقى لارادة التغير والاندفاع بكل قوة وتصميم ممــا كان قائما بالفعل الى ما ينبغى ان يقوم بالأمل » .

والعمل الثورى يرفض المنهج الاصلاحى الذى يقــوم على ترقيع الأوضاع القائمة ويكتفى بعملية التصحيح دون اجراء تغيير أساسى فى هذه الأوضاع المتخلفة .

المبحث السادس

قدرات الثورة

جوهر الثورة هو عملية التغيير الاجتماعى والتغير الجذرى للأوضاع فى المجتمع وعلاقاته بما يتفق وصالح الجماهير وآمالها ، واذا كانت الثورة تبدأ مسيرتها بالاستيلاء على السلطة فان مسيرة التغيير بعد هذه الخطوة تمتد وتستمر ولا تتوقف فهى عملية معقدة ومتشابكة تتأثر بالعديد من العوامل المتمثلة فى واقعها المحلى وفى الواقع الدولى من حولها ..

والثورة وهى تمارس التغيير وتنجز تحوله الى صور من العمل اليومى يمتد الى كل جوانب الحياة يهزها ويغير فيها وفقا لتصور واضح ومنهج محدد وهى تعبر عن نفسها بهذه الحركة اليومية الساعية الى التغيير المنشود وهذا ما يطلق عليه (العمل الثورى) واذا كانت الثورة بأهدافها الكبرى تتخذ من العمل الثورى اليومى أداتها لتحقيق هذه الأهداف وهى معرضة للمخاطر من الداخل والخارج على السواء كانت فى حاجة الى أن تتسلح بالوسائل التى تكفل لها سلامة الحركة وأمانها حتى تخوض معركة التغيير الاجتماعى بتحقيق أهدافها لصالح جماهيرها .

ويحدد الميثاق أسلحة الثورة وقدراتها التى لابدلها منها حتى تضمن لنفسها النجاح .. (فى الباب الثانى من الميثاق ـــ ضرورة الثورة) .

وهذه القدرات هى :

أولا — الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير والناتج من المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب والارهاب •

ثانيا — الحركة السريعة الطليقة التى تستجيب للظروف المتغيرة التى يجابهها النضال العربى على أن تلتزم هذه الحركة بأهداف النضال وبمثله الأخلاقيــة •

ثالثا — الوضوح فى رؤية الأهــداف ومتابعتهــا باستمرار وتجنب الانسياق الانفعالى الى الدروب الفرعية التى تبتعد بالنضال الوطنى عن طريقه وتهدر جزءا كبيرا من طاقته • وحينما يتوفر للثورة هذه القدرات ويتسلح بهــا العمل الثورى يصدق عليها ما قيل بحق (الثورة هى علم تغيير المجتمع) •

المبحث الســابع

عوامل قيام الثورة

الثورة كما وضح الآن — عمل كبير وضخم — تغيــير مجتمع بأسره لا يكفى لانجازه مجموعة من العواطف تتراوح بين الانفعــال والغضب والسخط على الأوضاع القائمة فى مجتمع ما ••• صحيح أنه يسبق كل ثورة مرحلة من مراحل الغليان الشعبى تكون مظاهرها هذه الانفعالات الغاضبة الساخطة وارتفاع الأصوات بضرورة التغيير • ومع هذا لا تقوم الثورة لمجرد هذه الغضبات الفردية مهما اتسع مداها فهى مرحلة تمهــد للثورة وتهيىء لقيامها الذى لا بد لحدوثه من توفر شروط أساسية بدونها يصبح قيام ثورة احتمالا بعيدا أو بفرض قيامها فان نجاحها يصبح أمرا أبعد احتمالا ••• ويقول الميثاق فى وصف أمثال تلك المراحل التى تسبق الثورة • (فى الباب الرابع) :

(لم تكن تلك هى الثورة وانما كان ذلك هو التمهيد لها ، كانت تلك هى مرحلة الغضب التى تمهــد لاحتمالات الثورة ، ان الغضب مرحلة سلبية • ان الثورة عمل ايجابى يستهدف اقامة أوضاع جديدة) •

المبحث الثامن

متى تقوم الثورة اذن ؟؟ ••

تقوم الثورة متى توفرت العوامل الآتية :

١ — أن يثبت للشعب فشل النظام القائم وأنه أصبح عاجزا عن حل مشاكله وانه بهذا العجز يتعرض من جانب الحكم للضغط والقهر بمعنى أن يحدث انفصال كامل بين الجماهير وبين النظام القائم (كما حدث قبل ثورة يوليو ١٩٥٢) •

٢ — أن نؤمن الجماهير بضرورة اسقاط النظام القائم وأن نؤمن بأن الثورة هى الطريق الوحيد لذلك •

٣ — أن يترجم هذا الايمان عمليا فى تحركات جماهيرية وفى معارك جزئية متفــرقة •

٤ — وأهم من كل هذا — لأنه بدونه لا قيمة لبقية العوامل — أن تكون هناك طليعة ثورية تعمل للثورة وتعد لها — سرا وعلانية — عن طريق تنظيم سياسى أو شعبى يجمع حــركة الجماهير ويوجهها فى اتجاه انجاز الثــورة •

ويمكن تلخيص هذه العوامل فى أمرين :

(أ) أن تنشأ فى المجتمع ارادة جماهيرية للتغيير •

(ب) أن يوجد تنظيم طليعى أو جماهيرى يعى هذه الارادة ويحملها ويحاول أن يفرضها بالثورة على الواقع القائم •

وحديثنا حتى الآن أقرب الى أن يكون حديثا عن الثورة بوجه عام •• وضح من خلاله مفهوم الثورة وما بينها وبين الانقلاب والحركة المضادة من اختلاف •• وتبين كذلك أمامنا أنواع الثورات (وطنية واجتماعية) ثم ركزنا على الثورة الاجتماعية الاشتراكية وأشرنا الى ظاهرة تلاحم الثورة

الوطنية بالثورة الاشتراكية فى تجارب الشعوب بعد الحرب العالمية الثانية وذكرنا ما طرأ على العالم من تغييرات تفسر هذه الظاهرة وشرحها •

وانتقلنا بعد هذا الى خصائص الثورة وذكرنا خاصيتين أساسيتين : شعبية الثورة وتقدميتها متجاوزين هاتين السمتين الى قـدرات الثورة أو شروط العمل الثورى الناجح وانتهينا بتلخيص أهم العوامل أو الشروط التى لا بد منهـا لقيام الثورة • وتتكلم فى الصفحات التاليـة عن الظلم الاجتماعى والطبقية ••

المبحث التاسـع

الظلم الاجتماعى

يقوم الزعيم الخالد :

« هذه الثورة التى قامت عام ١٩٥٢ هى ثورة اجتماعية وثورة سياسية وهى التى ستحقق الأهداف الاجتمـاعية والسياسية ولن نسـمح للظلم الاجتماعى ولا للاستبداد السياسى أن يعود ولكننا سنعمل على اقامة حياة ديمقراطية سليمة وحياة اجتماعية نظيفة » (١)

ويثور السؤال التالى : ما هو الظلم الاجتماعى فى فكر الزعيم ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نجد أنه من العسير أن نتفق على مفهوم عام للظلم الاجتماعى أو أن نخرج بتعريف جامع مانع له • ولكن فى نظرنا أن الظلم الاجتماعى هو استئثار أقلية من الأفراد بالجزء الأكبر من الثروة ومن الدخل القومى وترك الجزء الباقى لأغلبية الأفراد على الرغم من أن هذه الأغلبية هى التى عملت وكدحت وتعمل دائما من أجل انتاج تلك الثروة وهذا الدخل مع ما يترتب على هذا من قدرة الأقلية على اشباع حاجاتهـا كافة مهما كانت كمالية •• والحكم على الأغلبية بالبقاء على الدوام عند مستوى الكفاف •• وفى أسفل السلم الاجتماعى •• وقد كان هذا الحال هو الواقع الحزين الذى عاشه مجتمعنا قبل الثورة ، ولم تكن تلك الفئة

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢١ يناير عام ١٩٥٦

القليلة من المصريين فقط بل كان بينها نسبة كبيرة من الأجانب والمتمصرين الذين لم يروا فى مصر سوى .. أرض للاستغلال .. وللمزيد من هـذا الاسـتغلال ، وقد وصلت قيمة ما تملكه ١٠٠ أسرة فقط من المصريين والأجانب أو ما استرد منها عن طريق الاصلاح الزراعى والتأميم حوالى (١٠٠٠ مليون جنيه) ، ولو نظرنا الى توزيع الملكية فى مصر قبل الثورة لرأينا عجبا .. وأدركنا أى ظلم كان يرزح تحت أعبائه الفلاح فى العهـد البائد ، وأى اهدار لكرامة الانسان ، وبعد عن العدالة الاجتماعية كانا يسـودان المجتمع المصرى فى تلك الأيام ، فلم يكن عدد الذين يملكون الأرض الزراعية فى مصر يزيد عن المليونين والنصف ، أما بقية المصريين الذين كان يربو عددهم فى ذلك الوقت على الثمانية عشر مليونا فلم يكن لهم شىء من الأرض ــ أرض الله .. وليس هذا فقط فان الاقطاع كان يتجلى فى مصر فى تلك الفترة بأبشع معانيه ، وبكل ما يحمله بين طياته من ظلم وغدر وجشع .. فقد كان ٧ر٠٪ من الملاك يمتلكون ٣٥٪ من الأراضى الزراعية فى حين أن حوالى ٧٢٪ منهم يملكون فدانا فأقل ..

وتحت ظلال هذا الظلم الاجتماعى وجدت المبادىء الهدامة مجالا للتغلغل والانتشار وكان لا بد للطبقات المستغلة والحاكمة ، أن تغرس القيم والأخلاقيات والعادات التى تستطيع أن تدعم بها استغلالها واضطهادها للشعب . وكانت تلجأ فى ذلك الى كل الأدوات التى تقع تحت سيطرتهـا من جهاز الدولة ، الى أجهزة الاعلام والنشر ، الى الآداب والفنون وليس من المستغرب فى ذلك الوقت أن نجد سيادة للمفاهيم والتقاليد ، التى تعمل على اتلاف النفوس البشرية واخضاعها لحكم الاستغلال والمستغلين .

هذا وكان يساق الفلاحون كالسوائم الى صناديق الانتخاب لينتخبوا رجلا فرض عليهم .. وكيف كان الحكم والسلطان محصورين فى نطاق الأقلية .. من المـلاك . وانتشر المرض . والجهـل والحرمان حتى من ضروريات الحياة وانفصمت عرى الثقة والتآلف بين الحاكم والمحكوم .

ومن خلف هذه الصورة الأليمة ، كانت هناك مظالم تبدو فى أقصى صورها ، فقد تميز النظام الحاكم بالحرص على جمع المـال والتنـافس فى الحصول عليه . فتحول الانسان فى ظله الى عبد يقدس المـال ، ولم يكن

للمساواة الاجتماعية وجود فى نطقه ، وكيف تتحقق المساواة فى ظل نظام شعاره « اعمل لنفسك وليذهب الشيطان بالآخرين » .

ولقد وصف أحد الكتاب العالميين عدم المساواة الاجتماعية فى مصر فى ذلك الوقت حين قال :

« أنه كان فى ناحية من نواحى القرية ولائم دون شهية وفى الناحية الأخرى شهية ولكن بدون وليمة » .

وصدق من قال : « كان هناك ناس يأكلون أكثر مما ينبغى أن يأكلوا ، ويرغدون أكثر مما ينبغى أن يرغدوا ويجلسون فوق أهرامات من الذهب ، بينما بقية أفراد المجتمع تقتات من آلامها وحرمانها » .

وقد استطاع جمال عبد الناصر بصدق حسه الثورى أن يلمس الصراع الطبقى الحاد فى مصر ، وأن يكتشف قوانين الصراع فى معركة المجتمع وأن يتبين العلاقة الوثيقة بين الديمقراطية السياسية والاجتماعية . فبحث عن السبيل الى العدل الاجتماعى وفلسف نظريته الثورية فى بحث هـذه المشكلة التى تمثل عدة مشاكل مرتبطة ومعقدة .

ورأى أنه بالقضاء على مصادر هـذه المشكلة (مشكلة التناقض فى المجتمع) التى أوضحها من خلال مبادىء الثورة الستة فظهرت فلسفته الجديدة العامة التى لا تبالى بالنفوذ الأجنبى ولا تعتمد عليه ، ولا تبـالى بالاستغلال ولا تهاب المستغلين ولا تبالى بالرتب والألقاب ولا ترتب عليها مكافئة اجتماعية ، وبالتالى لا ترتب المجتمع ترتيبا طبقيا عازلا بين الناس عزلا يحرك الأنانية فى النفوس ، وكان من شأن هذه الفلسفة أن مهدت لاسقاط الحكم الفاسد فى مصر سقوطا تلقائيا ، وأمكن التمهيد لزحف العدل الاجتماعى زحفا تصاعديا حتى يصل الى غاية قمته فى خلق مجتمع عبد الناصر المنشود مجتمع الرفاهية ، مجتمع الكفاية والعدل .

ورأى الزعيم أن الثورة الاجتماعية هى الطريق الى الاشتراكية وبدأ السير على الدرب منذ اليوم الأول لقيام الثورة . فيقول سيادته : « سارت الثورة وهى ترسى مبادىء الانسانية ، سارت الثورة نحو هدف كبير ،

نحو هدف عظيم ، سارت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم . تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية لا مكان فيه لسادة ، ولا مكان لعبيد كلنا أحرار فى هذا الوطن ، كلنا نشعر بالحرية ، كلنا نشعر بالمساواة • وقامت الثورة وهى تعلن أهدافها حتى تحقق هذا الغرض » (١) •

ويتضح من ذلك أن السيد الرئيس لم يجد حلا للقضاء على الظلم الاجتماعى واقامة مجتمع الكفاية والعدل (المجتمع الاشتراكى) سوى الثورة الاجتماعية وبهذا المفهوم نستطيع القول بأن بداية الثورة الاجتماعية هى بداية مرحلة التحول الاشتراكى •

وفى هذا المعنى يقول الزعيم الخالد :

« كان الظلم الاجتماعى يتجسم فى كابوس الاقطاع البغيض • فقد ورثنا طبقـة الحكام والأشراف ترفعوا عن الشعب ، وراحوا يستمتعون بنفوذهم وأموالهم • وانقسمت البلاد الى فئتين كل منهما تكره الأخرى ، وهم من طينة واحدة : معسكر العبيد ، وطائفة الأسياد ورأينا الاستبداد السياسى يتجسم فى ماردين هدامين : الاحتلال الأجنبى البغيض والتـاج المستهتر العربيد ، وبين هـذا وذاك استغل النفوذ واستبيحت الحرمات وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين • وعمت الرشوة ، ومن كل مكان جاءت أصوات الشعب المغلوب على أمره بالشكوى ولا من مجيب • فهل من الممكن أن تظل الأوضاع على هذا الحال ؟ » (٢) •

الطبقية :

لقد أدى هذا كله الى وجود طبقتين متميزتين فى مجتمعنا • طبقةاقطاعية رأسمالية وطبقة الفلاحين والعمال • ولم يقتصر التفاوت بين الطبقات على مجرد الفروق الشاسعة فى دخول أفرادها ، بل امتد الى مستوياتها التعليمية والثقافية ومظاهر حياتهـا الاجتماعية ، واستمتاعها بالخـدمات الصحية والترويحية ، وليس من المبالغة فى شىء أن نقول أن فئة قليلة من الشعب

---

(١) خطبة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر القيت فى الاحتفال باعلان الدستور بتاريخ ١٩٥٦/١/١٦

(٢) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣

لم تكن لتعيش حياة شعبها أو تشعر بآلامه أو تبادله التعاطف والمشاعر ، بل يمكن أن نقول أنها كانت تعيش عيشة غريبة عليه . فاختلفت الطبقات اختلافا كبيرا فى الدخل وفى السكن وفى الملبس وفى تربية الأطفال وفى فرص التعليم والصحة ، وفى طمأنينتها النفسية على يومها وغدها .

ويمكن أن نعزى هذه الفوارق الطبقية الواضحة التى كانت فى مجتمعنا الى عاملين أساسيين هما عدم تكافؤ الفرص والحرية المطلقة فى استغلال الأرض ورؤوس الأموال . يولد الغنى بالوراثة ويستمر فى غناه وتتفتح أمامه كل الفرص حتى ولو أساء الاستفادة منها . ويزداد ثراء حين يبحث عن زوجة وارثة ، ويستمتع خيرات الأرض والثروة ولو لم يبذل جهدا أو يتعب فى عمل . ولذلك أطلق عليهم الزعيم الخالد « المتعطلون بالوراثة » وهم الطبقة التى ترث ولا تعمل ، وانما تستفيد من استغلالها لجهود غيرها . ومن الناحية المقابلة يولد الفقير فقيرا بالوراثة . ويجد فرص التعليم والصحة والعمل محدودة أمامه ، ويزداد فقرا اذا تعطل أبوه عن العمل أو أصابته كارثة وبذلك كان الثراء فى طبقة واحدة ترث بعضها بعضا . وتتميز على غيرها بالحسب والنسب والأصل العريق . والفقر فى طبقة واحدة ترث بعضها بعضا . وبذلك حافظ المجتمع على تلك الفروق . وعلى هذا التناقض الطبقى الكبير وفى هذا المعنى يقول الزعيم الخالد :

« كان ابن الباشا يطلع بيه ، وابن الخولى يطلع فلاح » .

وأما عن حرية استغلال الأرض ورأس المال ، فان صاحب الأرض أو رأس المال ازداد غنى لأنه مجرد مالك . والأرض قليلة والراغبون فى استئجارها كثيرون مما كان يؤدى الى ارتفاع قيمة الايجار ، وبذلك يزيد دخل المالك وبالتالى ينقص محصول المستأجر من عمله . أو يستطيع مالك الأرض أن يتحكم فى العمال الزراعيين ويملى عليهم شروط العمل وأجره . وصاحب رأس المال يوظف رأس ماله فى المصارف أو الشركات

أو الصناعة « وتأتى اليه الأرباح فى آخر العام دون تعب أو مجهود وانما نتيجة استغلاله لمجهود العمال الذين يشتغلون بتلك المؤسسات .

ويقول الزعيم الخالد :

« كان المجتمع منقسم الى قسمين ، أو منقسم الى طبقتين : طبقة الملاك والمستغلين وطبقة الأجراء . والملاك المستغلين الذين أقصدهم هنا ليس كل الملاك ولكن المالك الذى يستغل ملكيته حتى يحقق أكبر قدر من الانتاج على حساب الشعب ، وكان فيه طبقة الأجراء اللى هى تمثل العامل وتمثل الفلاح وتمثل الموظف وتمثل كل واحد يأخذ أجر ليعّيش . كل واحد يعمل من أجل أن يعيش .

والاقطاع والطبقة الرأسمالية جعلت من الحكم دائما أداة فى يدها لتحقيق أغراضها لحماية مصالحها ، ولاستغلال الأجراء ومنعهم من المطالبة بحقوقهم » (١) .

وكان من مظاهر الفوارق الشاسعة بين الناس فى المجال الاجتماعى قبل الثورة الرتب والألقاب .

---

(١) خطبة للزعيم الخالد فى العيد التاسع للثورة ١٩٦١/٧/٢٢

الفصل الثالث

حتمية الحل الاشتراكى

المبحث الأول

حتمية الحـل الاشـتراكى

* جاء بالميثاق الوطنى : « ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى وانما كان الحل الاشتراكى حتمية فرضهـا الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين » .

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم . ان أى منهج آخر لا يسـتطيع بالقطع أن يحقق التقـدم المنشـود » .

« والذين ينادون بترك الحرية لرأس المـال ويتصورون أن ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » .

* ويثور السؤال التالى : لمـاذا كان الحل الاشتراكى فى مصر حتميا ؟

* للرد على هذا السؤال فانه من الضرورى أن تتبين ماهى الظروف الموضوعية التى كانت سائدة فى مصر عند قيـام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ وما هى الأهداف التى استهدفتها الثورة وكيف حتمت الظروف الموضوعية أن يتم الوصول الى هذه الأهداف عن طريق الحل الاشتراكى .

* ان المجتمع المصرى فى ظل أوضاعه القديمة من التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى التى كانت السبب المباشر فى قيام الثورة التى أعلن قادتها أثر تحقيقها الأهـداف الستة التى تضمنت القضـاء على

الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على سيطرة رأس المال على الحكم ، وتحقيق ديمقراطية سليمة وتحقيق العدالة الاجتماعية وخلق جيش وطنى قوى .. وفى سبيل تحقيق هذه الأهداف عملت الثورة على تحقيق النمو الاقتصادى عن طريق تنفيذ المشروعات المختلفة التى عطلتها الرجعية خلال العهود الماضية .. ويمكن أن نلخص الأهداف الرئيسية للثورة فى المجال الداخلى بأنها قد تضمنت منذ اليوم الأول لها هدفين رئيسيين :

ـــ التنمية الاقتصادية ـــ أو زيادة الانتاج والدخل القومى .

ـــ عدالة توزيع هذا الدخل بين فئات الشعب المختلفة .

* وقد تحددت هذه الأهداف نفسها كنتيجة للظروف الموضوعية التى كانت تسود مصر فى ذلك الوقت فالوضع الاقتصادى الذى كان قائما عند حدوث الثورة كان يتصف بالصفات الآتية :

ـــ ان الدخل القومى فى مصر بالنسبة للفرد الواحد يقل كثيرا عنه فى الدول المتقدمة .

ـــ اعتماد الاقتصاد المصرى اعتمادا رئيسيا على الزراعة التى وصلت الى مرحلة من الركود وعدم التقدم .

ـــ ان معدل النمو الاقتصادى كان منخفضا اذا ما قورن بمعدل نمو السكان وبمعنى آخر فان متوسط دخل الفرد كان يميل الى الانخفاض سنة بعد أخرى .

ـــ انه على الرغم من أن متوسط الدخل للفرد فى مصر كان منخفضا فان توزيع الدخل كان يتصف بتركيز شديد للجزء الأكبر من الدخل فى يد عدد قليل من الأفراد يقابله مستوى معيشة منخفض جدا بين الغالبية العظمى للشعب .

ـــ ان التوزيع السابق الاشارة اليه للدخل قد أدى الى ضيق السوق المحلية وبالتالى الى عدم وجود فرص حقيقية للتنمية على أساس من الاستثمارات الفردية للمالكين والذين يهدفون الى الربح .

- ان فترة الحرب العالمية الثانية والفترة التى تلتها قد استنزفت جزءا كبيرا من الثروة القومية وأضعفت من القدرة الانتاجية للاقتصاد المصرى .. فقد أدى استخدام الآلات القائمة فى مصر وأدوات النقل فى خلال الحرب دون امكان استبدالها كما أدت زراعة الأرض دون امكان مدها بالأسمدة اللازمة الى ضعف القدرة الانتاجية لمصر نظير تراكم أرصدة من الجنيهات الاسترلينية كدين على بريطانيا .. ولكن الدين المذكور استنزف فى الفترة التالية للحرب والسابقة للثورة فى امداد البلاد بسلع استهلاكية ترفيهية دون تعويض للثروة المفقودة .

- ان الرأسمالية فى مصر فى هذه المرحلة كانت تتصف بعدد من الصفات التى يجعلها أعجز من أن تقوم بعملية التنمية المطلوبة ، فقد كان النشاط المالى والتجارى فى البلاد خاضعا تماما للاشراف الاحتكارى الأجنبى أو لبعض الأفراد المتمصرين الذين يهدفون الى الحصول على أكبر ربح ممكن فى أقل فترة تاريخية ممكنة ، وكان جزء كبيرمن أرباح الاستثمارات الأجنبية يرحل الى الخارج دون اعادة استثماره فيما يزيد الثروة القومية والقدرة الانتاجية للبلاد ، ورغم ذلك فقد كانت الصناعات تتمتع بالحماية الجمركية التى تؤدى الى القاء عبء متزايد على المستهلكين وذلك فى سبيل تحقيق الأرباح السريعة والكبيرة لعدد قليل من المغامرين .

- زيادة حدة الصراع الاجتماعى فى الداخل بين الفئات المعدودة من المالكين التى يسندها الاستعمار من جهة وبين باقى طبقات وفئات الشعب من جهة أخرى .

وفى ظل هذه الظروف حاول الزعيم الخالد أن تشق الثورة طريقها لتحقيق هدفيها فى زيادة الانتاج .. وعدالة التوزيع . وقد مرت الثورة بتجارب متعددة وخطت خطوات مختلفة انتهت الى وضوح ضرورة الانتقال الى الاشتراكية باعتبارها الحل الصحيح لمشاكل التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى كان سائدا .

ـ وكان الاجراء الاقتصادي الأول للثورة فى طريق التحول الاشتراكى هو الاصلاح الزراعى الذى هدف الى تحرير الفلاح واعادة توزيع الثروة كما هدف من ناحية أخرى الى القضاء على المضاربة فى الأراضى الزراعية حتى يمكن أن تتجه الأموال المتراكمة الى الاستثمار الصناعى من أجل التنمية • وفى سبيل دفع الاستثمار الصناعى الى الأمام اتخذت الثورة عدة اجراءات لتوفير الجو الملائم لتشجيع الاستثمار الأجنبى والمحلى •

* فمن ناحية تم تعديل قانون الشركات بحيث يسمح للرأسمال الأجنبى بامتلاك ٥٠٪ من الأسهم كما سمح له بارسال الأرباح للخارج ، كما تم تعديل قوانين الضرائب بحيث تستثنى من الضرائب الأرباح الناتجة عن الاستثمارات الصناعية الجديدة •

والى جانب ذلك قامت الحكومة عن طريق مجلس الانتاج الذى يحدد من الدراسات للمشروعات التى تهدف الى التصنيع ، وحاولت وضع هـذه المشروعات موضع التنفيذ عن طريق مشاركة رأس المـال الأجنبى والمحلى على أن هـذه الفترة لم تدم طويلا ، فسرعان ما أصبح من الواضـح أن ما يستنزف من الأرباح المحلية بواسطة رأس المـال الأجنبى لا يقبل الا على هذه المشروعات التى تدر ربحا سريعا • والتى تعتبر امتـدادا لمشروعات أجنبية أو التى تمد البلاد الأجنبية بالخامات اللازمة لها •• وأن الرأسمال الأجنبى لا يهتم أساسا بمشروعات التنمية ولا بأهداف الاقتصاد القومى • ومن ناحية أخرى فقد استخدم الرأسمال الأجنبى من أجل المخطط السياسى •

وقد ترتب على ذلك سحب الدول الأجنبية تمويل مشروع السـد العالى أن تغير الموقف تجاه الرأسمال الأجنبى وتم تأميم قنـاة السويس • وترتب على ذلك الموقف العدائى الذى وقفته الدول الاستعمارية من مصر وكان من نتيجته عدوان ١٩٥٦ الذى أوضح وضوحا لا يقبل الشك كيف تستخدم الاحتكارات الأجنبية مركزها الممتاز فى تخريب ذلك الاقتصـاد فى ابان العدوان • ويثور السؤال التالى : متى بدأت الثورة الاجتماعية ؟

المبحث الثانى

متى بدأ الزعيم ثورته الاجتماعية ؟
(التحول الاشتراكى)

ان الثورة الاجتماعية وكما أوضحنا آنفا هى بداية التحول الاشتراكى فى مصر قد بدأت منذ قيام الثورة فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ • ويعنى هذا أن ٢٣ يوليو هو ميلاد الاشتراكية فى مصر فعندما قامت الثورة قامت من أجل القضاء على الظلم الاجتماعى واقامة مجتمع الكفاية والعدل فطردت الملك رأس الاقطاع يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، وألغت الألقاب الهالة المقدسة ومظهر الطبقية يوم ٣٠ يوليو ١٩٥٢ ، وأصدرت قانون الاصلاح الزراعى الأول يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وحلت الأحزاب السياسية أداة سلب الحرية فى ١٨ يناير ١٩٥٣ • كل هذا كان تعبيرا عن رغبة الثورة فى تعديل البناء الاقتصادى والاجتماعى وسيرا حثيثا على طريق الاشتراكية وفى عام ١٩٥٥ أنشأت الثورة لجنة التخطيط وفى عام ١٩٥٦ تأسست وزارة الصناعة ووضعت أول برنامج للتصنيع على مدى خمس سنوات وكان هذا البرنامج يفترض أن تقدم الدولة ٦١٪ من التمويل للاستثمارات ، وكان أغلبها مشروعات التصنيع الثقيل الذى يحجم عنه رأس المال الخاص • وفى عام ١٩٥٨ صدر أول قانون للتنظيم الصناعى الغرض منه تدخل الدولة لتحديد نوع الاستثمارات الجديدة فى الصناعة • وواضح أن كل تلك القوانين والاجراءات هى سير فى طريق الاشتراكية والتحول الاشتراكى — ويقول الزعيم « كان لابد أن تسير فى طريق الثورتين معا ، ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه ، سرنا خطوة مماثلة فى طريق الثورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية » (١) •

الا أننا نجد أن بعض الشراح والباحثين يرون أن التحول الاشتراكى قد بدأ فى عام ١٩٦١ أى بعد قيام الثورة فى ٢٣ يوليو بفترة طويلة ويقول الدكتور العطيفى فى كتابه أيام خالدة :

---

(١) كتاب فلسفة الثورة — الجزء الأول •

« فى يوم ١٩ يوليو ١٩٦١ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر عدة قوانين ثورية كانت ايدانا ببدء تحول مجتمعنا مع الاشتراكية» (١) ويقول عبد الخالق الشهاوى فى الديمقراطية فى الريف :

« ان ثورة ٢٣ يوليو لم تولد اشتراكية .. ولكنها من خلال مسيرتها واستمرارها قد اختارت الطريق الاشتراكى بعد سنوات من المعاناة والبحث عن طريق التطور ، وقبل أن تخط الثورة على أعلامها أهداف الاشتراكية» (٢) وفى تقرير لمنظمة الشباب الاشتراكى (دراسة حول عبد الناصر والشباب) .

« الزعيم والشباب منذ بدء مرحلة التحول الاشتراكى عام ١٩٦١ حتى بناء منظمة الشباب الاشتراكى عام ١٩٦٦ » (١) .

وأعتقد أنه لا يمكن أن يستقيم القول بأن الثورة الاجتماعية أو بدء مرحلة التحول الاشتراكى تمت فى يوليو ١٩٦١ — أو أن ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ لم تولد اشتراكية ولكن الحقيقة أن ثورة ٢٣ يوليو ولدت اشتراكية ، والاشتراكية كانت فى فكر الزعيم وفى تطبيقه لكل مبدأ من مبادىء العدالة الاجتماعية وفى كل معركة من المعارك التى خاضها ضد الظلم الاجتماعى وضد تحالف الرأسمالية والرجعية منذ اليوم الأول للثورة .

ويؤكد الزعيم الخالد هذا المفهوم فيقول :

« فيه نقطة هامة جدا وهى كيف تم التطبيق الاشتراكى فى مصر . احنا فى الأسلوب بتاعنا طبقناه بعد أن استطعنا أن ننزع السلطة أو ننتزع الحكم بثورة ٢٣ يوليو . واحنا اشتراكيتنا مبنية على مبادئها الستة التى أعلنت أول يوم فى الثورة اللى هم : القضاء على الاستعمار وأعوانه والقضاء على الاحتكار ورأس المال المستغل ، اقامة عدالة اجتماعية ، اقامة جيش وطنى قوى ، اقامة ديمقراطية سليمة .

---

(١) أيام خالدة — الدكتور جمال العطيفى ص ٩٢

(٢) مجلة الكاتب العدد ١١٧ الديمقراطية فى الريف — عبد الخالق الشهاوى ص ٥٨

(٣) تقرير منظمة الشباب الاشتراكى (دراسة حول عبد الناصر .. والشباب) اسبوع الصداقة السوفيتى من ٨ — ١٩٧٠/١٢/١٨ ص ٣

بمجرد انتزاعنا السلطة من تحالف الرجعية مع رأس المال كان يجب أن نبدأ فى التطبيق باعتبار الثوريين هم الطليعة .. طليعة الشعب العامل .. احنا ما طلعناش أبدا نمثل الاقطاع .. ما طلعناش نمثل الرأسمالية .. وباعتبارنا نمثل الثوريين اللى أسقطوا الاستعمار وتحالف رأس المال مع الاقطاع . فيبقى فيه غلط كبير لو نقول احنا عايزين ناس يطلعوا يمثلوا الطلائع الثورية ليطالبونا بالثورة ..

ولو كنا احنا انتظرنا بعد ثورة ٢٣ يوليو حتى نطالب بالتحويل الاشتراكى نأخذ مثل على هذا أيضا من الثورات الاشتراكية كلها اللى حصلت فى العالم .. بعد نجاح الثورة يبدأ فى التطبيق ولا أظن أبدا أن حد عمل ثورة اشتراكية ثم انتظر ما عملش حاجة وانتظر الناس تطالب .. وده من عام ١٩١٧ لوقتنا هذا » [١] .

المبحث الثالث

ملامح التحول الاشتراكى

* أن التحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة جاء امتدادا للثورة الوطنية التى ابتدأت فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتى قضت على سيطرة الاستعمار والاقطاع وفتحت بذلك الطريق لأن يتم التحول الثورى الى الاشتراكية دون حدوث ثورة دموية .

* أن التحول الاشتراكى فى مصر قد تم عن طريق :

(أ) القضاء على الملكية الاقطاعية وتوزيع الأرض على الفلاحين وأنه باستثناء مديرية التحرير التى تملكها الدولة لم تلجأ الى تأميم الأرض الزراعيـة أو تكوين التعاونيات وانما ملكت الأرض

(١) محاضر جلسات الوحدة ١٧ ابريل ١٩٦٣ ص ١٥٤

للفلاحين مع عمل الدولة . على نشر وتشجيع التعاون والتجميع الزراعى وعمل تجارب مختلفة للتطوير العلمى للزراعة مع محاولة المحافظة على قاعدة الملكية الفردية فى هذا القطاع .

(ب) وجود قطاع عام كبير يسيطر سيطرة كاملة على البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية وسيطرة شبه كاملة على الصناعة وأعمال المقاولات وتجارة الجملة ويشارك فى تجارة التجزئة بنسبة هامة ، وقد تكون هذا القطاع تدريجيا كما سبق وأشرنا وقد أدى هذا بجانب طبيعة التحول غير الدموى الى الاشتراكية الى امكانية الاستفادة من الفنيين من بين طبقات الأمة المختلفة دون أى اشراف أو تفريط فى ادارة المشروعات التى يتكون منها القطاع العام وتسييرها .

(ج) مشاركة العاملين فى المشروعات المختلفة فى ادارة مشروعاتهم الى جانب مشاركتهم فى أرباح هذه المشروعات وذلك تذويبا للفوارق بين الطبقات ودفعا للانتاج الى الأمام .

* أنه الى جانب القطاع العام لم يزل فى الجمهورية العربية المتحدة قطاع خاص نشط فى مجال تجارة التجزئة وفى الزراعة وفى بعض النواحى الأخرى .. على أن القطاع الخاص يعمل تحت اشراف القطاع العام وفى حدود القوانين واللوائح التى يسنها والتى تحدد الأجور وساعات العمل وحقوق العاملين وغير ذلك من التشريعات التى تحدد من القدرة الاستغلالية للقطاع الخاص .

* وجود تخطيط شامل للنشاط الاجتماعى والاقتصادى فى مصر — وقد نشأ التخطيط فى واقع الأمر قبل اتمام الانتقال الى الاشتراكية .. ولكن تنفيذ الخطة استدعى اتمام التحول الى النظام الاشتراكى كما سبق وبينا .

* وتهدف الخطة القومية الى تعبئة كافة الموارد القومية من أجل زيادة قدرة المجتمع الانتاجية وبالتالى زيادة الدخل القومى ومحاولة مضاعفته مرة كل عشر سنوات .. وذلك عن طريق التصنيع السريع وزيادة انتاج الأرض الزراعية وزيادة المساحة المزروعة من الأراضى ، ويهدف التخطيط فى نفس الوقت الى السماح بزيادة حجم الاستهلاك سنة بعد أخرى دون أن يخل ذلك بامكانية المجتمع على زيادة قدرته الانتاجية وبالتالى مضاعفة دخله فى الأجل المحدد ، ويهدف التخطيط أيضا الى اعادة توزيع الدخل القومى عن طريق الخدمات التى تقدمها الدولة مجانا الى مجموع الشعب .

* تجميع قوى الشعب العامله فى اتحاد اشتراكى ينظم حركتها ويعتبر السلطة السياسية العليا فى البلاد وتمثيل هذه القوى بواسطة مجالس شعبية لها حق محاسبة الأجهزة التنفيذية فى كافة مستوياتها وتتكون من ٥٠٪ على الأقل من ممثلى العمال والفلاحين .

* الايمان بالدين والروحانيات باعتبارها من أساسيات المجتمع العربى .

هذه هى بعض السمات الأساسية التى تميز التجربة الاشتراكية والتى تبرزها عن غيرها من التطبيقات للأسس العامة للاشتراكية فى المجتمعات الأخرى .

الفصل الرابع

بعض انجازات الثورة الاجتماعية

انبثقت الثورة من ضمير الشعب وقامت معبرة عن آماله فى تحقيق حياة يتخلص فيها من الظلم الاجتماعى الذى اكتوى بناره ردحا طويلا من الزمن وتوارثه أبا عن جد .. كما يتوارث غرائزه وعاداته وتقاليده حتى غمض عليه فهم نقطة بدايته وأن بدت آثاره واضحة ملموسة يعانى منهـا فى صمت يائس بدا ذلك فى التفاوت الكبير فى مستوى المعيشة بينه وبين غيره من الأقلية التى تتمتع بالنفوذ والسلطان وكأن الله قد خلق الأرض وما عليها من خيرات لتتمتع بها هذه الأقلية وحدها دون سائر خلقه وبدا أيضا فى عدم تكافؤ فرص الرزق أمام المواطنين مما لم يدع فرصة لأحد من أفراد الشعب لكى يطمئن على مستقبله أو يأمن لمصير أولاده ـ كأن المجتمع فى تلك الفترة الحالكة يمثل قاع بحر أو محيط أحالتـه الرياح والأعاصير الى مكان مظلم يهدد بالخوف والقلق يتربص السمك الكبير فيه الفرص لينقض على السمك الصغير ويلتهمه ويشبع بتألمه شهواته ورغباته .

فكان من الطبيعى وقد نبعت الثورة من وجدان الشعب وحمل لواءها فتية من بين صفوفه آمنوا بربهم وبوطنهم وعاشوا فترات الظلم وعانوا من غدر الطغاة وأحسوا بمصائب قومهم وآلامهم وما يجيش فى صدورهم من آمال مكبوتة لا تجد سبيلا الى الظهور أو التعبير .

كان من الطبيعى أن تضع الثورة فى قمة أهدافها ارساء دعائم الوطن على أسس قوية تحقق له العزة والمهـابة والاحترام وتضـع حدا للظلم الاجتماعى بشتى مظـاهره وتردع الاستغلاليين ومصاصى الدماء وتوفر الطمأنينة والأمان والاستقرار لأفراد الشعب الذين طالمـا قاسوا من مرارة اليأس والقلق والحرمان ـ ولقد عملت الثورة منذ البداية على أن تحقق للشعب مستوى من العيش يليق بكرامة الانسان ولن تتمكن فى هـذه الوريقات المعدودة أن نحصى انجازات التحول الاشتراكى فى مصر بل سنورد بعضا منها فى الصفحات التالية :

* معركة تحرير الفلاح .

* معركة تحرير العمل والعمال •
* مديرية التحرير •
* سد ناصر •
* الكهرباء •
* التقدم الصناعى •
* التعليم •
* الاسكان •
* الخدمات الصحية •
* النقل والمواصلات •
* السياحة •
* الاعلام •
* التنظيم السياسى •

المبحث الأول

معركة تحرير الفلاح

* لقد كانت الثورة منذ أول يوم من قيامها ثورة ضد الاقطاع والاحتكار والاستغلال ودكتاتورية رأس المال المستغل ، ثورة من أجل تحقيق العدالة والقضاء على الظلم الاجتماعى ومن أجل اقامة المجتمع المتحرر من الاستغلال الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، وكان السبيل لذلك هو القضاء على الاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال •

* قال الزعيم الخالد : « اتجهنا الى القضاء على الاقطاع واستطعنا بعد معركة طويلة شاقة أن نقضى على الاقطاع واستطاع أبناء هذا الوطن •• جميع أبنائه جميع الأفراد أن يقرروا بأنهم أحرار ليسوا ملكا لأحد ، ليسوا ملكا لاقطاعى ، ليسوا ملكا لصاحب أرض ، ليسوا ملكا لصاحب جاه لن يهددوا فى رزقهم • لن يهددوا فى قوت يومهم ولن يهددوا فى عيشهم » [1] •

---

(١) خطبة للزعيم الخالد بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥٦

* وقبل قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان توزيع الأراضى على النحــو التــالى : ([1]) .

أفدنه	عدد المزارعين	ما يملكه الواحد
٦٠٠,٠٠٠	٨٥,٦٢٢	يملكون من ٥ أفدنه إلى ١٠ ف
٦٠٠,٠٠٠	٤١,٤٥٥	« « ١٠ « « ٢٠ ف
٣٠٠,٠٠٠	١١,٩٠٧	« « ٢٠ « « ٣٠ ف
٣٥٠,٠٠٠	٩,١٧٩	« « ٣٠ فدان « ٥٠ ف
٤٥٠,٠٠٠	٦,٧٧٣	« « ٥٠ « « ١٠٠ ف
٥٠٠,٠٠٠	٣,١٤٨	« « ١٠٠ « « ٢٠٠ ف
٣٠٠,٠٠٠	١,٤٤٨	« « ٢٠٠ « « ٤٠٠ ف
١٠٠,٠٠٠	٤١٢	« « ٤٠٠ « « ٦٠٠ ف
١٠٠,٠٠٠	١٦١	« « ٦٠٠ « « ٨٠٠ ف
٨٠,٠٠٠	٩٢	« « ٨٠٠ « « ١٠٠٠ ف
١٠٠,٠٠٠	٩٠	« « ١٠٠٠ « « ١٥٠٠ ف
٧٠,٠٠٠	٤٠	« « ١٥٠٠ « « ٢٠٠٠ ف
٣٠٠,٠٠٠	٦٨	يملكون أكثر من ٢٠٠٠ فدان

ووراء ذلك يوجد ١٦٫٨٩٤٫٠٨٣ من المواطنين لا يملكون شيئا ..

* كانت القرية محرومة من جميع الخدمات الصحية والاجتماعية ، ولم يكن الفلاح يعرف الحكومة الا عن طريق نقطة البوليس وعن طريق الصراف حينما يحضر الى القرية ليحجز على ماشيته ومحصولاته وكان يعرف موظف وزارة الزراعة الذى يوقع عليه المخالفات . كل هــذا دون تفهم لمشاكل الفلاحين ودون بذل أية محاولة لكسب ثقتهم أو حتى اقناعهم بضرورة التعاون مع موظفى السلطة التنفيذية .

(١) القرية المصرية بين ماض وحاضر ــ محمود الشرقاوى ص ٩

* ولم تكن هناك عدالة اجتماعية ، لأن الاقطاع فى حد ذاته ظلم اجتماعى يمكن فئة قليلة من التحكم فى أرزاق الغالبية العظمى من الشعب كما يمكنها من السيطرة السياسية فتنعدم بذلك الأسس الديمقراطية الحقه ، فضلا عن أن الاقطاع هو العون الأكبر للاستعمار كلاهما يهدف الى السيطرة على الشعب والوقوف ضد أمانيه وآماله ومصالحه .

* كان المالك الكبير يطرد عائلات بأسرها من أرضه ويحرمها لقمة العيش، وكان هؤلاء الاقطاعيون يمتلكون القرى بأكملها . أرضها ومبانيها وماشيتها ، بل وما فيها من بشر ، فانعدمت القيم الانسانية وانهارت الروح المعنوية للفلاحين وأصبح لا حكم لقانون أو دستور وتلاشت القيم الخلقية والدينية .

* (ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد) « جمال عبد الناصر »

* عندما قامت الثورة كانت تؤمن بأن للفلاح حقا فى الحياة يجب أن يحصل عليه وأنه لا معنى لأية حركة من حركات التحرر أن لم يكن الفلاح محورا من محاورها الرئيسية .

* ان صيحة الزعيم الخالد فى جموع الفلاحين وهو يوزع عليهم أراضى الاقطاع بأنه (فلاح) وأن أفرادا كثيرين من أهله يحملون الفأس ويعملون فى الأرض ، كانت رد القدر على آلام هذه الفئة الصامتة الصابرة العاملة .

* ان الاصلاح الزراعى هو أول خطوة فى طريق الثورة الاجتماعية التى قضت على الاقطاع وأعادت الأرض الى أصحابها الأصليين .. وهو بذلك حجر الأساس فى بناء المجتمع الجديد الذى يقوم على العدالة والحرية والمساواة والذى يشعر فيه جميع أبناء الشعب أنهم أحرار وأنهم يعيشون فى مجتمع تتكافأ فيه الفرص وتتوافر فيه الامكانيات ليعلم الرخاء والرفاهية جميع المواطنين .

* ويستهدف قانون الاصلاح الزراعى (عندما صدر فى ٩ من سبتمبر ١٩٥٢ وكذلك قانون الاصلاح الزراعى عندما صدر فى ٢٥ من يوليو ١٩٦١) خدمة السواد الأعظم من الشعب ، وهم الفلاحين وذلك عن طريق توزيع الملكيات الزراعية وتحديد العلاقة بين المالك والمستأجر بما يكفل عدم طغيان أحدهما على الآخر .

* وسياستنا الاشتراكية فى التمليك تتضح فى نظامنا فى توزيع أراضى الأصلاح الزراعى التى تم الاستيلاء عليها من كبار الملاك نظير التعويض بسندات والتى تبلغ مساحتها حوالى ثلاثة أرباع المليون فدان بمقتضى قانون الأصلاح الزراعى الأول والثانى . وقد تم التوزيع منها على ١٣٥ ألف أسرة وبلغ عدد المستفيدين من هذا التوزيع والتأجير مليونا من الأفراد .

* وقد صدر قانون الاصلاح الزراعى متضمنا تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر فوضع حدا أعلى للقيمة النقدية الايجارية وهو سبعة أمثال الضريبة وأعطى المستأجر حق الحصول على نصف المحصول الناتج من الأرض عند الايجار بالمشاركة ، وبذلك حقق العدالة فى توزيع ريع الأرض بين المالك والمستأجر كما حقق المستأجر استقرارا فى الأرض التى يزرعها لآجال طويلة . يستطيع خلالها أن يبذل فيها مجهودات ترفع من انتاجه وتزيد من دخله ويقدر صافى زيادة الدخل التى عادت على الفلاحين نتيجة لذلك بما لا يقل عن ٤٠ مليون جنيه .

* وقد عملت الدولة الى تخصيص المساحات المضافة الى الرقعة الزراعية حاليا للتوزيع على صغار الزراع بالتمليك لهم .

* وينبغى أن تذكر هنا أن متوسط المساحة التى كان يجرى استصلاحها فى خلال الفترة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٥٢ كانت لا تتجاوز ٥٨٠٠ فدان سنويا ، بينما ارتفع هذا المتوسط فى الفترة من ١٩٥٣ الى ١٩٦٠ الى ١٥ ألف فدان سنويا .

* واذا استعرضنا بعد ذلك التوسع الأفقي فيما بعد سنة ١٩٦٠ وجدنا أن خطة التنمية قد عالجت هـذا الأمر ببرنامجي الاصلاح الزراعي العاجل والآجل أما العاجل فيتضمن استصلاح وزراعة مساحة جديدة مقدارها ٥٨٥٫٠٠٠ فدان في خمس سنوات منها ١٠٠٫٠٠٠ فدان تروى بالرش من المياه الارتوازية ومياه الفيضان و ٤٨٥٫٠٠٠ فدان تروى بمياه عادية . وقد بلغت المبالغ الاستثمارية المطلوبة لمشروعات التوسع الأفقي ١١١٫٣ مليون جنيه في سنوات الخطة الخمسية . وسيترتب على تنفيذ التوسـع العاجل استفادة نحو مائة ألف أسرة تضم نحو ٦٠٠٫٠٠٠ فرد .

* أما برنامج التوسع الآجل فقد تضمن اضافة مساحات جديدة من الأرض بعد اتمام تنفيذ مشروع السد العالي وتبلغ في مجموعها نحو مليـون فدان ، علاوة على ٧٠٠ ألف فدان سيتم تحويلها من ري الحيـاض الى ري مستديم . وسيستفيد من هذه المساحة المضافة الى الرقعـة المزروعة نحو ٢٥٠ ألف أسرة تضم نحو مليـون ونصف مليون من الأفراد .

—

* أما عن اشتراكيتنا لزيادة الانتاج ، فان سبيلنا اليها هو تمليك صغار الزراع الأرض ملكية حرة على أن تشكل جمعيات تعاونية زراعية تضم هؤلاء الزراع . وأن تمليكنا الأرض لصغار الزراع يهدف الى رفع مستوى معيشة هذه الطائفة وهو ما لم يمكن تحقيقه الا بزيادة الانتاج والوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف هي تنظيم الجمعيات التعاونية . وقد بلغ عدد الجمعيات التعـاونية الآن في الريف ٤٠٨ جمعية تضم ١٨٠٫٠٠٠ عضو تعـاوني . وقد بلغت التـوريدات التي قامت بها الجمعيات الزراعية من تقاوي وأسمدة ومبيدات وآلات مقاومة وغيرها في سنة ١٩٦٢ مبلغ ٥٫٢٩٧٫٣٠٢ جنيهـا بينما كانت في سنة ١٩٥٧ مبلغ ٢٫٤٥١٫٢٩٩ جنيها .

* كما زادت الخدمات الزراعية من ري وحرث ودراسة ومقاومة اذ بلغت في سـنة ١٩٦٠ مبلغ ٢٫١٢٥٫٢٨٨ جنيها مقابل ٣٥٠٫٠٠٠ جنيـه في سنة ١٩٥٣ .

* كما سار التسويق التعاونى للقطن على هذا المنوال فبدأ فى سنة ١٩٥٣ بتسويق ٢٧٧٠٠ قنطار حتى وصـــل فى سنة ١٩٦٠ الى ٤٥٥٫٠٠٠ قنطـــار .

* وليس من شك فى أن كل مواطن شمله قانون الاصلاح الزراعى يتذكر يتذكر قول الزعيم الخالد :

« احرصوا على ما ردته الثورة لكم .. هذه الأرض ليست للتمليك فقط ولكنها ضمان لتحريركم وتحرير أبنائكم وأحفادكم من بعـــدكم، وهذه الأراضى ليست وسيلة لرفع مستواكم فحسب بل لخلق العزة والكرامة وشعور الفرد بالمساواة والحرية » .

* لم تتوان الثورة عن تقديم خدماتها ووضع امكانياتها لرفـــع المستوى المعيشى للفـــلاح بزيادة دخله عن طريق خفض قيمـــة أقساط الأراضى الموزعة فقضى القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٦١ بخفض ما لم يرد من ثمن الأراضى الموزعة أو التى توزع مســـتقبلا على المنتفعين عملا بأحكام المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ بالاصلاح الزراعى الى النصف وخفض الفوائد المستحقة أيضا بهذا القدر .

* وتقف الثورة دائما الى جانب الفلاح خاصة فى حالة حدوث كوارث تنال من دخله وتعنى به فى حالة اصابة حاصلاته فبالاضافة الى الاعانات التى تم صرفها للفلاحين نتيجة الاصابة الشديدة لمحصول القطن وتعديل نظم التحصيل المختلفة ثم تأجيل تحصيل السلف الخاصة بالقطن بنسبة ١٠٠٪ حتى نهاية عام ١٩٦١ على أن تقسط على ثلاث ســـنوات ابتداء من عام ١٩٦٢ وتبلغ قيمة هذه السلف ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ جم .

مشروع ناصر :

* قضى قانون الاصلاح الزراعى على نوع آخر من الاقطاع كان يتمثل فى المشاركة على ماشية الفلاح . فعمل القانون على القضاء على هذا الاستغلال بين المنتفعين بتوزيع العجول وتربيتها وتوزيع الدواجن ذات الكفاية الانتاجية .

* وقد تم انشـــاء ١١ مزرعة متخصصة فى الانتاج الحيوانى تربى بهـــا الحيوانات بلغت مساحتها حوالى ألفى فدان .

* ومنذ بداية المشروع حتى سنة ١٩٦١ تم شراء ٣٥٧٠ عجلة زودت بها مزارع المشروع كنواة للتربية والتوزيع وتم توزيع ٤٠٩٢ عجلة عشراء على المنتفعين تسدد أثمانها على أقساط بلا فوائد فى مدة سبع سنوات • وفى مناطق الاصلاح وزعت بمنطقتى ادكو وأبيس الهيئة الدائمة لاستصلاح الأراضى ٢٢٥٧ عجلة عشراء •

* ويقوم المشروع بتوزيع الدواجن المعروفة بالانتاج العالمى فى البيض واللحم فتم توزيع حوالى مليون ونصف مليون من الكتاكيت على المنتفعين بأرض الاصلاح الزراعى •

* ويهدف المشروع الى انشاء خمس محطات للتفريخ والتربية بقدر انتاجها عند التشغيل بأربعة ملايين كتكوت كل موسم • وتم انشاء المحطة الأولى سنة ١٩٥٥ لتغطية احتياجات محافظتى القليوبية والشرقية • والمحطة الثانية لتغطية احتياجات محافظتى كفر الشيخ والبحيرة والمحطة الثالثة لتغطية احتياجات محافظتى الغربية والدقهلية •

الخدمات فى القرى :

مياه الشرب :

* الملايين من الفلاحين الذين عاشوا فى القرى كانوا محرومين من أبسط ما يتمتع به الانسان المتمدين ـ الماء النقى ـ فتعرضو لفتك الأمراض نتيجة لشرب المياه الملوثة •

* وصرع المرض الألوف من المواطنين على مر السنين ، وأسلم آلافا أخرى الى حياة مريضة عليلة ونتج عن ذلك أن أصيب الاقتصاد القومى بخسارة كبيرة بسبب الضرر الكبير الذى أصاب القوى العاملة وخاصة فى الريف وكان هذا هو التراث الذى تسلمته الثورة •• فماذا فعلت الثورة لمواجهة هذا الموقف ؟

* بدأ التفكير فى ضرورة تعميم مياه الشرب وقامت الثورة بعمل دراسات شاملة لتنفيذ هذا المشروع الحيوى واتضح بعد الدراسة أن عدد سكان الريف الذين يتمتعون بشرب المياه النقية لا يتجاوز ١ر٧٣٠ر٠٠٠ نسمة من مجموع عدد الفلاحين الذين يزيد على ٥ر١٣ مليون نسمة •

* وفى سنة ١٩٥٥ تم تنفيذ مشروع تعميم مياه الشرب بالريف المصرى بمبلغ ١٥ مليون جنيه على أن ينتهى العمل منه فى أوائل سنة ١٩٥٩ وقد تم هذا المشروع .

* ويستهدف هذا المشروع توزيع المياه مجانا على الفلاحين عن طريق مجموعات من الحنفيات توضع فى مكان متوسط فى القرية ، كما توصل الى بعض المنازل بواسطة مواسير داخل خنادق مغطاة ويشترط فى المنازل التى توصل اليها المياه أن تشمتل على دورات مياه تتوافر فيها الشروط الصحية .وكذلك تغذى دورات المياه فى المساجد والحمامات والمغاسل الشعبية والمجموعات الصحية والمدارس والوحدات المجمعة والمنشآت الحكومية والمبانى العامة فى القرية .

ـ وفيما يلى بيان عن حالة الريف قبل عام ١٩٥٢ وبعده :

الفتره	عدد المنتفعين من عمليات المياه الكبرى	عدد المنتفعين من عمليات المياه الصغرى الجوفية	مجموع عدد المنتفعين
٣٦—٥٢	٣٥٠,٠٠٠	١,٣٨٠,٠٠٠	١,٧٣٠,٠٠٠
٥٢—٦٣	٤,٥٠,٠٠٠	٧,٦٥٠,٠٠٠	١١,٧٠٠,٠٠٠

* ويغذى الريف المصرى بعمليات ميكانيكية حيث تصلح المياه الجوفية أما مناطق شمال وشرق الدلتا والفيوم وغرب محافظة بنى سويف وهى المناطق التى لا تصلح بها المياه الجوفية فتتغذى من محطات المياه الكبرى الرئيسية .

اولا ـ محطات المياه الكبرى المرشحة :

* بالجمهورية العربية المتحدة ست محطات كبرى لترشيح المياه لخدمة الريف وبعض المدن بشمال الدلتا والفيوم والجزء الغربى من محافظتى بنى سويف ويبلغ عدد المنتفعين منها حاليا ٤٫٠٥٠٫٠٠٠ نسمة موزعة على ١٠٨٥ قرية ومدينة و ٤١٣٢ عزبة .

ثانيا ـ عمليات المياه الصغرى :

بالريف المصرى ١١٨١ عملية ميكانيكية ينتفع منها حاليا حوالى ٧٫٣٥٠٫٠٠٠ نسمة فى ٢٧٠٩ قرية وعزبة و ٦٥٠ عملية مياه يدوية ينتفع منها حاليا حوالى ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة أى أن مجموع ما سبق أن ذكرنا من ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة الى ١١٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة .

* ان ما تم تشغيله من محطات المياه الكبرى والعمليات الجوفية فى خلال الخمسة عشر عاما السابقة للثورة يعتبر جزءا ضئيلا بالنسبة لما تم تشغيله فى عهد الثورة . فقد ارتفع عدد المنتفعين كما سبق أن ذكرنا من ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة الى ١١٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة وبلغ مجموع ماانتقصته الحكومات السابقة لعهد الثورة فى الخمس عشرة سنة السابقة لعام ١٩٥٢ ـ ٧ مليون جنيه بينما بلغ ما انفقته حكومة الثورة ما يقرب من ٢٨ مليون جنيه .

ـ وليس من شك فى أن هذا المشروع له نتائج ايجابية فى حياة الريف ولا شك أن نتائج هذا المشروع فى النواحى الصحية والثقافية والاجتماعية والانتاجية سيظهر أثره فى حياة الفلاح وارتقاء به الى المستوى اللائق به فى المجتمع الجديد .

٢ ـ الكهرباء :

كانت القرية المصرية محرومة من الكهرباء فى الماضى .. وعندما قامت الثورة ساوت بين المدينة والقرية ، فوجهت عنايتها لرفع مستوى المعيشة بين القرى بنشر الصناعات الريفية وتحسين مواردها المالية والاقتصادية .

* وقد رئى أن أنسب القرى التى تبدأ الانارة الكهربائية بها هى القرى المنشأ بها وحدات مجمعة وعددها ٢٠٠ وحدة ومركب بكل منها مجموعة كهربائية وباضافة مجموعة أخرى يمكن انارة الشارع الرئيسى بالقرية والطريق الموصل بين القرية والوحدة المجمعة ، كما يمكن امداد المبانى الرئيسية أو الحكومية بالتيار الكهربائى وقد بدىء فى تنفيذ ذلك بعمل تجربة عملية بناحيتى اسطال وبنى هلال ونجحت التجربة

ويجرى تعميم انارة القرى فى الوحدات المجمعة أو فى خطوط نقل الضغط المتوسط الواقعة بالقرب من القرى وسيستمر برنامج انارة القرى حتى تتم انارتها جميعا .

٣ ـ الوحدات المجمعة :

يستهدف مشروع الوحدات المجمعة تحقيق الرعاية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية للريف بحيث يصبح الأهالى قادرين على خدمة أنفسهم وتحمل المسئوليات التى يستلزمها النهوض بمجتمعهم المحلى ويقتضى هذا اعداد الريف للحكم المحلى الديمقراطى السليم باشتراكهم فى مجلس ادارة الوحدة ولجانها المختلفة .. كما يتطلب ذلك تجميع الخدمات وتقديمها الى مكان منطقة كل وحدة بطريقة منسقة شاملة طبقا لبرنامج مدروس ومناسب لاحتياجات البيئة .

* ومن أجل تحقيق هذا الهدف أتبعت الوحدات المجمعة الخطوات التالية :

- اجراء المسح الاجتماعى الشامل لقرى منطقة الوحدة المشتمل على جميع مقومات المجتمع المحلى .

- تكوين اللجان المختلفة من الأهالى وخاصة من انتخبوا فى لجان الاتحاد الاشتراكى العربى والعمل على مساعدتهم فى الندوات الارشادية المختلفة التى تعقد دوريا فى مقر الوحدة ويوجهها الموظفون المختصون سواء من الوحدة أو من رجال الوزارت الأخرى بالمنطقة .

- وضع برامج النشاط المختلفة لمشروعات عامة اقتصادية واجتماعية على أسس ثابتة ، واقناع الأهالى عن طريق اجراء تنفيذ نماذج ناجحة للمشروعات المستحدثة والتى يراد أن يتبناها الأهالى فيما بعد .

- تنسيق جهود المنظمات القائمة كالجمعيات التعاونية والأندية الريفية والجمعيات والمؤسسات الخاصة ولجان الاتحاد الاشتراكى العربى وذلك رغبة فى قيامها بالعمل المشترك وتحسين نوع الخدمة وتقديم الخدمات المتبادلة .

* هذا وقد أقر الرئيس جمال عبد الناصر مشروع الوحدات المجمعة فى ٧ أبريل ١٩٥٤ ضمن برنامج ضخم للرعاية الاجتماعية أعده المجلس الدائم للخدمات العامة ويقضى المشروع بأن يقسم الريف الى مناطق تضم كل منطقة حوالى ١٥٠٠٠ من السكان تقوم بخدمتها وحدة مجمعة ، وقد بلغ عدد الوحدات اللازمة ٨٦٨ وحدة منها ٢٦٨ منطقة يضمها مجموعات صحية ومراكز اجتماعية والخطة الموضوعة لتعميم المشروع تتضمن انشاء ٦٠٠ وحدة جديدة وتم استكمال المراكز الاجتماعية والمجموعات الصحية لتحويلها الى وحدات مجمعة .

٤ ــ الصناعات الريفية :

أصبح المفهوم الجديد للصناعات الريفية بعد الميثاق يرمى الى اعتبار هذه الصناعات صناعات أساسية تقوم فى القرية لاستغلال خاماتها على أفضل وجه وتستوعب الطاقات البشرية المعطلة عطلة دائمة أو موسمية فى عمل يؤدى الى زيادة دخل الفرد وتحسين مستواه [1] .

* والصناعات الريفية وان كانت توصف بأنها صناعات صغيرة الا أنها فى مجموعها تمثل اقتصاديات كبيرة ، وانعاش هذه الصناعات بجانب ماله من آثار اقتصادية له آثار اجتماعية فهو يتجه بالتفكير الريفى المنحصر فى العمل الزراعى الى أفق الصناعة ، وبذلك ينمو الوعى الصناعى بين الريفيين مما يساعد على تقبل لاتجاهات الصناعية الجديدة.

* وقد اقتصرت خدمات الدولة فى ميدان الصناعات الريفية قبل الثورة على عمليتين .

الأولى : ارشاد الصناع الريفيين وتوجيههم .

والثانية : تدريب بعض النشىء على الصناعات الريفية .

* وكانت امكانيات الريفيين المادية والفنية ضئيلة للغاية ولا تمكنهم من مزاولة النشاط الصناعى على وجه يحقق ازدهار هذه الصناعات والتوسع فيها للدرجة التى تسمح بأن يكون لها أثر فعال فى الارتفاع بمستوى المعيشة لسكان الريف .

(١) القرية المصرية بين ماض وحاضر ــ محمود الشرقاوى ص ٢٩ ، ٣٠

* وكانت الجهود المبذولة لرعاية الصناعات الريفية موزعة بين أكثر من جهة حكومية ، وكان أول عمل قامت به الثورة فى ميدان الصناعات الريفية والبيئة أن وحدت الأجهزة التى تعمل فى هذا الميدان .

* وقد وضعت سياسة ثابتة للنهوض بالصناعات الريفية تشمل مختلف المقومات بهذه الصناعات وخصوصا أن المشتغلين بها يزيد عددهم على مليون نسمة بين صانع منقطع لهذه الصناعة وآخر يأخذ من الصناعة الريفية عملا اضافيا يزيد من دخله .

* وفيما يلى أهم ما قامت به الثورة فى هذا الميدان .

(١) قامت باجراء التجارب لتحسين صناعة البلح والعجوة وعاونت الجمعية التعاونية الانتاجية برشيد على استكمال مصنعها كما منحت الجمعيات المتخصصة فى صناعة البلح قروضا من صندوق دعم الصناعات الريفية والبيئة .

(٢) عقدت دراسة تدريبية لتدريب العمال على أعمال تربية النحل بمحافظة المنيا لمدة موسم كامل وذلك لنشر هذه الصناعات بالمنيا ومحافظات الوجه القبلى .

(٣) اقامة معارض للصناعات الريفية .

(٤) النهوض بصناعة نسيج السمار واستعماله فى صناعة الشنط الحريمى والستائر وغيرها .

(٥) اجراء التجارب على تجفيف الأخشاب المحلية والافادة منها فى صنع الأثاث الشعبى ، ودراسة الأنواع المختلفة من الطفيليات للافادة منها فى ترقية صناعة الفخار واقامة مركز للتدريب الصناعى الريفى بالمنيا .

(٦) اعداد فرق لتدريب البنات بالمراكز الاجتماعية على الصناعات النسوية وأشغال الأبرة ، وقد بلغ عدد هذه الفرق ٢٥٠ فرقة دربت أكثر من ١٠٫٠٠٠ فتاة على أعمال الحياكة والتطريز .

(٧) تم انشاء صندوق لدعم الصناعات الريفية والبيئية بموجب القانون رقم ١٦٧ لسنة ١٩٥٦ وبذلك وجد الجهاز الذى يمول الصناعات الريفية والذى يتولى اقراض المشتغلين بهـذه الصناعة دون أن يطالبهم بتقـديم الضمانات التى يعجزون عنها • ويقدم هذا الصندوق للجمعيات التعاونية والهيئات المشتغلة بالصناعات الريفية الخدمات التالية :

أولا — يمنح الجمعيات والهيئات المشتغلة بالصناعات الريفية قروضا بلا فوائد وبضمان أعضاء مجالس اداراتها على نوعين :

(أ) قروض قصيرة الأجل للأغراض السريعة مثل عمليات تمويل أو التسويق وتسدد هذه القروض فى مدة أقصاها سنة واحدة •

(ب) قروض متوسطة الأجل لعمليات الانشاء أو التوسع فى الصناعة وتسدد على أقساط سنوية تصل الى عشر سنوات •

ثانيا — ينفق الصندوق على التجارب التى من شأنها تحسين الآلات المستعملة فى الانتاج الصناعى الريفى والارتقاء بالمنتجات •

ثالثا — يمنح الصندوق الهيئات المشتغلة بالصناعات الريفية اعانات للتدريب وللأغراض الأخرى غير الانتاجية •

رابعا — أقام الصندوق معرضا دائما للصناعات الريفية بالقاهرة يتولى تسويق المنتجات الريفية نظير عمولة اسمية قدرها ٢٪ من قيمة المبيعات •

* وفيما يلى جـدول يبين القروض والاعانات التى منحها صندوق دعم الصناعات الريفية والبيئية :

	١٩٥١	١٩٥٩	١٩٦٠
— إعانات	١٨٤٧٥	٤٠٢٩٠	٧٢٦٥٠
— قروض	٢٠٤٣	١٠٠٨٥	٢٠١٧
المجموع	٢٠٥١٨	٥٠٣٧٥	٧٤٦٦٧

* ان الصناعات الريفية اليدوية هى الأساس الطبيعى لمرحلة تالية لتصنيع الريف . وكما حدث فى مدينة المحلة الكبرى من تطور النسيج اليدوى الى مصانع نسيج عالمية ، فسيحدث أيضا فى هـذه الخلايا الصناعية اليدوية التى تنشئها الثورة فى كل ركن من أركان الريف .. وسيأتى اليوم القريب الذى تحقق فيه هذه النواة الصغيرة ثورة كاملة فى حياة أبناء الريف الذين تعمل الثورة على رفع مستواهم لتحقيق التـوازن بين الدخل فى القرية والدخل فى المدينة .

* وقد جاء فى لميثاق ما يلى : « ان تصنيع الريف اتصالا بالزراعة يفتح فيه أبعادا هائلة لفرص العمل وينبغى أن نذكر دائما أن الصناعة بالتقدم الآلى ليست فى مركز يسمح لها بامتصاص كل فائض الأيدى العاملة على الأرض الزراعية وذلك فى الوقت الذى لم يعد فيه جدال فى حق العمل فى حد ذاته هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعى لوجود الانسان وقيمته » ولذلك فان مشكلة العمالة يجب أن تجد جزءا من حلولها فى الريف ذاته وتصنيع الريف فضلا عن قدرته على رفع قيمة الانتاج الزراعى ليعزز العناصر العاملة فى الحقول بقوى جديدة من العمال الفنيين العاملين فى خدمة الانتاج الزراعى فى جميع مراحله .

* ان تطوير عملية الانتاج فى الريف يساعد فى نفس الوقت على ايجـاد القوى البشرية المنظمة التى تستطيع بدورها تغيير شكل الحياة فيـه تغييرا حاسما .

ثالثا ـ حقوق العامل الزراعى :

* لم يكن للعامل الزراعى فى عهد ما قبل الثورة حقوق اذ كان الاقطاعى صاحب الأرض يعتبر العامل الزراعى عبدا له .. ولكن عندما قامت ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ ردت للعامل الزراعى اعتبـاره كمواطن حر شريف .

* وقد نص الميثاق فى الباب السابع على ما يلى :

« ان التعاون سـوف يخلق المنظمات التعاونية القـادرة على تحديد الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله » .

كذلك نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قدرة على تجديد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة وأهدرت بالسلبية طاقاتهم .

ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع أن تنسج خيوط الحيـاة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا مضاربا يقرب القرية الى مسـتوى المدينـة .

ان وصول القرية الى المسـتوى الحضارى ليس ضرورة عدل فقط ولكنه ضرورة أساسية من ضرورات التنمية من غير تعال عليها ومن غير خيـلاء .

ان المدينة مسئولة مسئولية كبرى عن العمل الجاد فى القرية .

* وقد نصت المـادة ٣٨ من قانون الاصلاح الزراعى على تحديد أجر العامل الزراعى فى المناطق الزراعية المختلفة بواسطة لجنة يشكلها وزير الزراعة برئاسـة أحد كبار موظفى الوزارة وعضوية سـتة يختارهم الوزير : ثلاثة يمثلون ملاك الأراضى الزراعية ومستأجريها وثلاثة يمثلون العمال الزراعيين ولا يكون قرار هذه اللجنة نافذا الا بعد تصـديق وزير الزراعة وقد أجازت المـادة ٣٩ من قانون الاصـلاح الزراعى للعمال الزراعيين تكوين نقابات للدفاع عن مصالحهم المشتركة .

* وجاء بالميثاق ما يلى :

« ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية الفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المـادى والثقافى ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى وتنظيم الاستفادة الجدية حتميا ونفسـيا وفكريا فى أوقات الفراغ والأجازات بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة » .

* ان الميثـاق يحرص كل الحرص على وجود الضمانات لحماية حقوق الفلاحين والعمال التى حققتهم لهم الثورة ، والتى حمتهم من الاقطاع وسيطرة رأس المـال والاستغـلال والاحتكار • فقـد تحول آلاف من الفلاحين الى ملاك نتيجـة توزيع الأرض الزراعية عليهم بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى ، وضمنت قوانين يوليو المجيدة للعمال حق المشاركة فى الأرباح والادارة وأصبح الحد الأدنى للأجور ٢٥ قرشا فى المؤسسـات الصناعية التابعة للقطاع العـام والمؤسسات التى يزيد رأس مالها عن ألف جنيه فى القطاع الخاص ، وأصبح الحد الأقصى لساعات العمل فى الشركات الصناعية ٤٠ سـاعة فى الأسبوع وهذه الحقوق التى اكتسبها العمال عن طريق القوانين الاشتراكية لم تكن نتيجة المطالبة بها ، بل نتيجة أن الدولة أصبحت اليوم تعمل على اقامة المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى وفى سبيل ذلك تحاول ايجاد فرص العمل أمام الذين لا يملكون العمـل ، وتتيح لجميع المواطنين حياة ترفرف عليها الرفاهية •

المبحث الثانى

معركة تحرير العمل والعمال فى ظل الثورة

(العمل شرف ••• العمل حق ••• العمل واجب ••• العمل حياه)

(جمال عبد الناصر)

* كان قيام الثورة بداية مرحلة جديدة فى تاريخ شعبنا ونضاله من أجل حياة حرة طليقة من قيود الاستغلال والتخلف •

* وفى مواجهة سيطرة الرأسماليين المستغلين على نظام الحكم وتسخيرهم موارد الثورة فى مجتمعنا لخدمة مصالحهم على حساب الشعب • وكد العمال وعرقهم • أعلنت الثورة ضرورة القضاء على الاحتكار وضرورة اقامة عدالة اجتماعية •

وعملت الثورة مبادىء الاشتـراكية وسعت الى تدعيم الديمقراطية السياسية والاجتمـاعية وأعادت لكل مواطن حقـه الطبيعى فى مجتمع اشتراكى حر •

لذلك كان من أهم ما عنيت به الثورة أن ترد للعمل اعتباره وقيمتـه وأن تصون القوى العاملة وأن ترفع مستواهم وأن تولى شئونها أكبر قسط من الاهتمام . لذلك فقد تم تشكيل أول لجنة لاعادة النظر فى القوانين العمالية بعد ثلاثة شهور من قيام الثورة .

وكانت القوانين التى تنظم حقوق العمال وواجباتهم قبـل الثـورة تصدر طبقـا لظروف طارئة ونتيجـة كفاح العمال ومحاولاتهم المختلفة ، أو اجتذابا للأنصار واسترضائهم (١) .

* ومنذ قيام الثورة أسهمت بطريقة ــ فعالة فى تحقيق اطمئنان العمـال واستقرارهم ، فكفلت لهم حقوقا واضحة المعـالم ورعاية اجتمـاعية

* ولكى تؤمن الثورة العـامل على يومه أصدرت القـانون رقم ٣١٧ لعام ١٩٥٢ المنظم لعقـد العمل الفردى ليحل محل القـانون الصادر فى عام ١٩٤٤ وليمنح العمال الطمأنينة والاستقرار فى عملهم فحماهم مما كانوا يقاسونه من تهديد فى ضمان لقمة العيش من جراء الفصل التعسفى ، فأصبح العامل حسب نص المـادة ٣٩ مكرر من القانون الجـديد محميا من الفصل التعسفى الذى كان سائدا فى المـاضى وأصبح لا يجوز فصله الا بمبرر أو للأسباب الواردة بالنص فى القانون أو تطبيقا للائحة الجزاءات . ولقد اعتبر العمال هذه المـادة تحررا كاملا من كل قيد ، ومنح القـانون المذكور للعمال المزيد من المزايا فحقق له زيادة فى عدد أيام الاجازات الرسمية ، كما رفع من عدد أيام الاجازات السنوية بالأجر الكامل والاجازات المرضية ، واحتفظ للعامل المستقيل بنصف المكافأة المستحقة بشرط مضى خمس سنوات فى العمل كما رفع الحد الأدنى لمكافأة نهاية الخدمة ، ذلك فضلا عما حققـه القانون للعامل من رعاية طبية .

* ولكى تؤمن الثورة العامل على غده ، صدر القانون رقم ٤١٩ للتأمين والادخار للعمـل الذى بدأ تطبيقه عمليـا من أبريل عـام ١٩٥٦ فى برنامج واسـع .

(١) العامل يصبح وزيرا فى مجتمعنا الاشتراكى ــ عطيه عبد الجواد ص ١٤

* ولضمان حقوق الانتاج فلا يتعدى جانب على آخر . صــدر القانون رقم ٣١٨ لعام ١٩٥٢ للتوفيق والتحكيم فى منازعات العمل فقــد كان لزاما أن توضع العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال على أسس العدالة الاجتماعية ، ونظمت أداة المفاوضة والصلح والتحكيم بين طرفى الانتاج على أســاس يضمن السرعة وتحقيق الاستقرار فى ميدان الاقتصاد ويستند الى مبادىء العدالة مع مراعاة الحالة الاقتصادية والاجتماعية فى كل منطقة صناعية وكان من أثر هذا القانون اختزال اجراءات التوفيق والتحكيم وتحديد مواعيد يلتزم بها الموظفون واللجــان للتصرف فى منازعات العمل ، ونظم القانون حالات التوقف عن العمل فلم يتركها فى يد أصــحاب الأعمال دون تنظيم ضمانا لاستقرار العامل فى عمله وضمانا لاستقرار الحالة الاقتصادية .

* وأرادت الثورة أن تضع مفهوما أوسع لمعنى الحرية النقابية فأصدرت القانون رقم ٣١٩ لعــام ١٩٥٢ الخاص بتكوين النقابات والاتحادات العمالية وراعت أن تتفادى الاخطاء وأن ترفع القيود التى كانت مفروضة فى القانون القديم ولتعطى مجالا أوسع للحركة النقابية فى اطار يتمشى والاتجاه الثورى الجديد .

* وقد حقق هذا القانون كثيرا من المزايا اذ خول لأول مرة لعمال الزراعة حق تكوين النقابات وجعل القضاء هو المرجع فى حالة الاعتراض على تكوين أية نقابة ، كما كفل للحركة النقابية حرية تامة ينعم بها النقابيون. وشجع القانون الجــديد العضوية النقــابية ، ويسر للنقابات مزاولة نشاطها ورفع الحد الأدنى والنسبة المئوية المخصصة للخدمة الاجتماعية والصــحية .

* وقامت حكومة الثــورة بجمع القوانين العمالية فى قانون موحــد هو القانون رقم ٩١ لعام ١٩٥٩ .

* وكان هذا القانون فرصة للتخلص من العيوب التى لازمت كثيرا من التشريعات القديمة ، وأكد حق العمل والعمال فى حياة كريمة مطمئنة فى حدود توصيات الجامعة العربية واتفاقيات العمل الدولية .

* واستخدمت هذا القانون مبادىء جديدة لتشريعات العمل والعلاقات الصناعية وكثيرا من التحسينات على شروط العمل لصالح العمال كان من أهمها أنه ساوى بين العمال جميعا فيما يتعلق بأحكام عقد العمل وخفض مدة الاختبار الى ثلاثة شهور مع الالزام بتجديدها فى عقد العمل ، ومنح حق الحصول على أجازة بأجر كامل فى أجازة المواسم • وفى حدود ٧٠٪ فى الثلاثة شهور الأولى من المرض و ٨٠٪ فى الثلاثة شهور التالية فى حالة المرض ، ومساواة العمال الذين يتقاضون أجورهم باليوم أو بالأسبوع أو بالساعة أو بالقطعة بالعمال الذين يتقاضون أجورهم بالشهر فى كيفية احتساب مكافأة نهاية الخدمة ثم الغاء الحد الأقصى للمكافآت •

* كما بسط هذا القانون اجراءات النظر فى منازعات العمل وترتب عليه احالة منازعات العمل الى لجان التوفيق أو هيئات التحكيم مباشرة طالما أن النزاع يتناول أكثر من ٥٠ عاملا • وكان بفضل هذا التنظيم أن استقرت القواعد العرفية فى مجال الصناعات المختلفة فقلت المنازعات الجماعية •

اولا — قرارات يوليو الاشتراكية المجيدة ومكاسب العمال :

« ان هذه الحقوق الثورية جعلت الآلات ملكا للعامل ولم تجعل العامل ملكا للآلات •• لقد أصبح العامل هو سيد الآلة ولم يعد أحد التروس فى جهاز الانتاج •

ان هذه الحقوق الثورية كفلت حدا أدنى للأجور ، واشتراكا ايجابيا فى الادارة ليصاحبه اشتراك حقيقى فى أرباح الانتاج وذلك فى ظل ظروف للعمل تكفل الكرامة للانسان العامل وعلى هذا الأساس فقد أصبح يوم العامل سبع ساعات •

« الميثاق »

* تعد القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو عام ١٩٦١ ذات أثر كبير فى حياة العمال وتدعيم حقوقهم الأساسية ، ويتضح ذلك على النحو التـــالى :

١ ـ القانون رقم ١١١ الخاص باشتراك العمال فى ارباح الشركات :

أولا ــ وبمقتضاه أصبحت أرباح الشركات المساهمة وشركات التوصية بالاسهم توزع كما يلى :

ــ ٢٠٪ من صافى الأرباح لتكوين احتياطى .

ــ ٥٠٪ من صافى الأرباح لشراء سندات حكومية .

ويوزع الباقى بواقع ٧٥٪ للمساهمين ، ٢٥٪ للموظفين والعمال .

٢ ـ القانون رقم ١١٤ الخاص باشراك العمال والموظفين فى ادارة الشركات والمؤسسات :

وبمقتضاه يجب ألا يزيد أعضاء مجلس ادارة أى شركة أو مؤسسة على ٧ أعضاء ومن بينهم عضوان ينتخبان عن الموظفين والعمـــال فيها على أن يكون أحدهما عن الموظفين وآخر عن العمال .

٣ ـ القـــانون رقم ١١٣ الخاص بوضـــع حـــد اقصى للمرتب او المكافاة فى الشركات والمؤسسات :

وبمقتضاه أصبح مجموع ما يتقاضه رئيس مجلس الادارة أو عضو مجلس الادارة المنتدب أو عضو مجلس الادارة أو أى شخص يعمل فى هيئة أو مؤسسة أو شركة أو جمعية بصفته موظفا أو مستشارا أو بأى صــفة أخرى لا يجوز أن يزيد عن ٥٠٠٠ جنيه سنويا .

ثانيا ــ فى ٣١ يوليو ١٩٦١ صدر قرار الزعيم الخالد بالقانون رقم ١٢٥ وهو الخاص بقصر التعيين على وظيفة واحدة سواء فى الحكومة أو المؤسسات العامة أو الشركات أو الجمعيات أو المنشآت الأخرى .

ثالثا ــ فى ٢٨ يوليو ١٩٦١ صدرقرار الزعيم الخالد بالقانون رقم ١٣٣ الخاص بتخفيض الحد الأقصى لساعات العمــل فى الصناعة الى ٤٢ ساعة فى الأسبوع ٠

* وهكذا كانت قرارات يونيو الاشتراكية قمة المكاسب العمالية فقــد أتاحت للعمال الاشتراك فى مجالس ادارات الشركات التى يعملون بها لأول مــرة فى تاريخهم وأصــبحوا شركاء فى الأرباح التى تحققهــا مؤسساتهم بحصولهم على ٢٥٪ منها وخفضت ساعات العمل اليومية للعامل الى سبع ساعات ثم صدر قانون يجعل الحد الأدنى للأجــور ٢٥ قرشا ٠

* لقد كان وضع حد أدنى للأجور خطوة واســعة على طريق العــدالة الاجتماعية وتقليل الفوارق بين الطبقات ، ففى ظل النظام الرأسمالى الذى كان سائدا قبل الثــورة ، كان المشرع يؤمن بأن العقد شريعة المتعاقدين حتى ولو كان بين قوى مستغل وضعيف يبحث عن لقمة العيش ، لذلك لم يتدخل القانون فى أجور العمال حتى أصبح الظلم صارخا نتيجة اشتداد موجات الغــلاء وحرص رأس المــال على دفع أجور هزيلة لعمالهم سعيا وراء المزيد من الأرباح ٠

* وجعلت الثورة من العامل مديرا ومنتجا ومالكا حين أشركته فى ادارة الشركة والمصنع والمؤسسة وأشركته فى الأرباح ٠

* ويذكر عمالنا كيف كان الوضع قبل الثورة ، فقد كان هناك مجموعة محدودة من الأفراد يملكون مصادر الانتاج ، وكان هنــاك مجموعة كبيرة من الأفراد لا يملكون سوى قوة عملهم ، وكان العمــل سلعة يعرضها صاحبها ، كما يعرض صاحب أى سلعة سلعته فى السوق ، ويذكر عمالنا أن صاحب المصنع مثلا يهمــه أن يدفع أقل أجر ممكن للعامل ، وكان صاحب المصنع فى مركز يستطيع معه أن يملى رأيه وكان العامل هو الجانب الضعيف الذى يرضخ لشروط الرأسمالى واستغلاله٠

* لذلك فان الثورة حين قررت اشراك العمال فى مجالس ادارة الشركات والمصانع التى يعملون بها وفى الأرباح التى تحققها الشركات ، فانها تكون قد كشفت عن نظرة جديدة الى قوة العمل ترتفع بها من مرتبة السلعة الى مرتبة رأس المــال ٠

ولما كان رأس المال يمثله صاحبه ، لذلك كان لابد أن يمثل العمل صاحبه ، ورأس المال والعمل لا غنى لأحدهما عن الآخر .

* ويذكر عمالنا أن الزعيم الخالد وصف الاشتراكية بأنها ديمقراطية الاقتصاد .

* والديمقراطية معناها اشتراك الشعب فى ادارة المجتمع من كل نواحيه لذلك فالى جانب حق الانتخاب العام الذى يتبع لأفراد الشعب اختيار ممثليهم فى التنظيمات السياسية ، لابد لكى يكون النظام ديمقراطيا أن يمارس المواطن حقه فى الاشتراك فى ادارة المرافق أو المجال الذى يعمل به .

* ولابد أيضا أن يعيش المواطن فى جو يسمح له بأن يعبر عن آرائه بحرية فى كل أمر يتصل بحياته .

* ومن شأن ذلك أن تنتهى النظرة السابقة التى كانت تحكم تصرفاتنا حين كان المجتمع مقسما الى درجات ، فى أعلاها المال والجاه والحسب . وفى أسفلها العمل الشريف .

* ومن شأن ذلك أيضا أن يقوم نوع ضرورى من التعاون بين رأس المال والعمل ، داخل المصنع والشركة ، فلا تنقسم عملية الانتاج بين رأس المال والعمل ، لأن هذه العملية متكاملة ، وهذا هو معنى ايمان الاشتراكية بضرورة القضاء على الانقسام فى عملية الانتاج .

ثانيا ـ التأمينات الاجتماعية :

* لم يكن فى بلادنا قبل عام ١٩٣٦ أية نظم للتأمينات الاجتماعية للعمال حتى صدر القانون رقم ٦٤ لعام ١٩٣٦ الذى نظم تعويض العمال عن اصابات العمل ، وظل العمال ١٤ عاما بعد ذلك حتى صدر القانون رقم ١١٧ لعام ١٩٥٠ بالتعويض عن أمراض المهنة .

* وحينما قامت الثورة ، جعلت التأمينات الاجتماعية أساسا يحقق دورا كبيرا فى مجال العدالة الاجتماعية .

* وفى عام ١٩٥٥ صدر القانون رقم ٤١٩ بانشاء صندوق للتأمين وآخر للادخار وكان من أبرز مزاياه انشـاء أول جهاز لادارة التأمينـات الاجتماعية على أسس غير تجارية ولا تستهدف الربح •

* وفى عام ١٩٥٨ صدر القانون رقم ٢٠٢ الخاص بالتأمينات ضد مخاطر العمل بنوعيها ، الحوادث وأمراض المهنة ، وكان من أهم مزاياه الأخذ لأول مرة بنظام التعويض وبالمعاش •

* وفى عام ١٩٥٩ صدر القانون رقم ١٢ لعام ١٩٥٩ الخاص بالتأمينات الاجتماعية وهو أساس بناء صرح التأمينات فى بلادنا ونقطة تحـول فى تاريخ الرعاية الاجتماعية وتأمين العمال من مخاطر الحياة •

* وفى عام ١٩٦١ صدر القانون رقم ١٤٣ ضمن القرارات الاشتراكية وبمقتضاه أقر حق العمال فى المعـاش فى حالات العجز والشيخوخة والوفاة وبذلك يكون العمال قد أمنوا ضد مخاطر الحياة كافة وعن طريق تقرير معاش •

* وهكذا حققت التأمينات الاجتماعية فى مجتمعنا مستوى عاليا خلال فترة قصيرة ، وأصبح أكثر من مليون عامل يتمتعون بمعاشات دائمة ، وتقرر لأول مرة الحاق ميزانية التأمينات الاجتماعية بميزانية الدولة ورصد لهـا مبلغ ٢٣٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه فى العـام الحالى لمواجهـة المصروفات الفعلية لمؤسسة التأمينات الاجتماعية •

ثالثا ـ التنظيمات النقابية :

* آمنت الثورة بأن النقابات من الدعامات الهامة فى بناء المجتمع الاشتراكى فحرصت على اعادة تنظيمها على أساس ديمقراطى متكامل وتحول التنظيم النقابى للمؤسسات الى التنظيم النقابى الصناعى • وأصبح لكل صناعة نقابة تمثلها ، وتبدأ من اللجنة النقابية فى المصنع ثم النقابة الفرعية فى المحافظة ثم النقابة العامة للصناعة ، وكان التطبيق الجديد بناء على رغبة المؤتمر العام للاتحاد العام للعمال ، وبذلك تخلصت الحركة النقابية من التفتت النقابى ، وقوى الجهاز النقابى وساير التطور الصناعى فى مجتمعنا (١) •

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦

* لقد اعترف بشخصية النقابة بمجرد ايداع الأوراق فى مكتب العمل ثم أنشىء أول معهد للتدريب النقابى ثم وضعت القيود حول فصل العمال من المصانع باضافة المادة (٣٩) مكررة لقانون العمل الفردى ثم أنشىء المجلس الاستشارى للعمل ويضم ممثلين عن العمال وأصحاب الأعمال والحكومة وتعرض جميع القوانين العمالية على المجلس قبل تنفيذها ، ثم أنشىء الاتحاد العام للعمال .

* وأثبتت الحركة العمالية وجودها وتفاعلها مع الأحداث منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ولم تعد هذه الحركة معزولة عن المنطقة العربية والعالم .

* وفى عام ١٩٥٤ زار وفد العمال المصرى البلاد العربية ، وفى مارس ١٩٥٥ أعلن تكوين أول اتحاد للعمال العرب لعب دورا حاسما فى المعارك العربية ، وقد كشفت لنا معركة بور سعيد عن تجاوب عربى حقيقى كان هو الاعلان الواقعى لهذا الاتحاد الذى أظهره الكفاح وكشفت عنه وحدة الهدف وأصبح قاعدة نضالية تنبض بالايمان بالقومية العربية .

* وما زلنا نذكر الدور المشرف الذى وقفه العمال العرب للقضاء على المؤامرة الصهيونية الاستعمارية حول الباخرة كليوباترا وقد سلم الرئيس جمال عبد الناصر أعضاء مجلس الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب أرفع وسام فى الجمهورية العربية المتحدة وهو الوسام المخصص للملوك ورؤساء الجمهوريات وقال لهم : « أنتم كطليعة العالم العربى ، والعمال العرب ، الذين تعملون على التنمية والتطور عليكم الواجب الكبير ، وقد أثبتم فى هذه المناسبة كيف قمتم بواجبكم ، وأثبت الشعب العربى كيف قدر لكم هذه المبادرة ، وأنا اذ أهديكم أعلى وسام فى الجمهورية العربية المتحدة فانى أعبر عن تقديرى وتقدير الشعب العربى للعامل العربى الذى انبرى يكافح عن استقلال وطنه العربى وعن قوميته العربية وعن كرامته .

* وقد وقف الاتحاد فى وجه اضطهاد عمال عدن ، ولعب دورا كبيرا فى حرب الجزائر ، وساهم فى الحركة العمالية الدولية باسم العمال العرب . وأصبح عمالنا أعضاء فى الاتحاد الدولى لعمال البترول ، والاتحاد الدولى لعمال النسيج ، والاتحاد الدولى لعمال النقل .

* واشترك عمالنا فى تكوين أول اتحــاد عام لعمال أفريقيا ، وانضمت الجمهورية العربية المتحدة الى الاتفاقية الدولية للجنة النقابية ، وكانت أول دولة تنضم لهذه اتفاقية .

* وهكذا فتحت الثورة جميع النوافذ أمام الحركة العمالية فى بلادنا لتتفاعل فعلا مع حركات التحرر لجميع عمال العالم .

رابعا ــ مركز العمال فى الميثاق الوطنى :

* فى ٢١ مايو ١٩٦٢ قدم الزعيم الخالد مشروع الميثاق الوطنى الى أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، وفى ٣٠ يونيو أعلن أعضاء المؤتمر ذلك الميثاق بعد مناقشات مستفيضة ، اطارا لحياتنا وطريق ثورتنــا مرسيا المبادىء والأسس التى يقوم عليها مجتمعنا .

* وكان من الطبيعى أن يكون للعمال فى الميثاق نصيب كبير من الاهتمام فان اشتراكيتنا تقوم على قاعدة أساسية تتمثل فى احترام العمل وحمايته باعتباره القوة الدافعة للتقدم .

* وقد ردت اشتراكيتنا الى العامل حقوقه الطبيعية وأعادت اليه احترامه بعد طول اهمال وظلم فى المــاضى .

* وقد أشار الميثاق الى ذلك فى أكثر من موضع : ففى البــاب الخامس ، قال الميثاق أن « الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الأجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما أن عملهم كان يجرى خلوا من أى ضمان للمستقبل ، لم يكن فى طاقتهم الا أن يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة . كذلك فان مئات الألوف من عمال الصناعة والتجارة لم تكن فى قدرتهم أية طاقة على تحــدى ارادة الرأسمالية المتحكمة المتحالفة مع الاقطاع والسيطرة على أجهزة الدولة وعلى سلطة التشريع، وأصبح العمل سلعة من السلع فى عملية الانتاج يشتريها رأس المــال المستغل تحت أحسن الشروط موافقة لمصالحه . ولقد واجهت الحركة النقابية التى كان فى يدها قيادة هــذه الطبقة المناضلة من العمال صعوبات شديدة حاولت عرقلة طريقها كما حاولت افسادها .

* ووضع الميثاق العمل فى مكانه الحقيقى حين قال : ان العمل الانسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه ، العمل شرف • والعمل حق • والعمل واجب • والعمل حياة • ان العمل الانسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم ، ان طبيعة العصر ، لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل الانسانى •

* وحرص الميثاق على أن يضمن لقوى العمال والفلاحين فى الوحدة الوطنية بأشكالها التنظيمية والسياسية المختلفة نصف قوة النفوذ السياسى والاجتماعى ، ومن هنا فان الدستور الجديد يجب أن يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنها الأغلبية التى طال حرمانها من حقها الأساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه •

* والعمال بالمعنى الذى ذهبت اليه لجنة تقرير الميثاق هم كل من تتوافر فيه شروط العضوية للنقابات العمالية • كما يدخل ضمنهم الحرفيون الذين يعملون بأنفسهم ولا يستخدمون الغير ويخرج من هذا المجال مديرو الشركات والمؤسسات ومن فى حكمهم والمفوضون وأعضاء مجالس ادارة الشركات والمؤسسات عدا المنتجين منهم من العمال والموظفين •

المبحث الثالث

مديرية التحرير

مضى اليوم ثمانية عشر عاما على مديرية التحرير الأرض التى كانت بحرا من الرمال الصفراء أن بعث الحياة فى الرمال الصفراء يتطلب جهودا لا يمكن وصفها ويتطلب فترة طويلة من الزمن •

* لقد كان مشروع مديرية التحرير فى الواقع أول مشروع تحاول الثورة التى تحركت طلائعها فجر الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ وضعه

موضع التنفيذ ، أن تحويل اللون الأصفر لون العدم والفناء — الى اللون الأخضر — لون الأمل والحيـاة — تحتاج فوق كل شىء الى الصبر والمصابرة •

* تحمل المشروع منذ اللحظة الأولى التى بدأ فيها العمل أكثر من هجوم•• وواجه أكثر من انتقاد وبرغم ذلك كله مضت عجلات العمل فى معركة التحدى وأصبحت مديرية التحرير فخرا لكل مواطن •

بدأ العمل فى ٥٠٠ فدان وكان ذلك عام ١٩٥٣ وصـلت اليوم الى حوالى ٥٠٫٠٠٠ فدان فى القطاع الجنوبى (١) •

والشجرة التى غرسها منـذ أحد عشر عاما أصبح اليـوم فى المديرية ٢٫٥ مليون شجرة مثلها •

* ولكن كيف تطورت المديرية بهذا الشكل خلال السنوات التى مضت من عمرها ؟ كيف تحول السراب الى واقع والأمل الى حقيقة والعـدم الى حيـاة •

وقال الزعيم الخالد عند زيارته لمديرية التحرير : « ان ما شـاهدته اليوم من نتائج تمت فى وقت قصير فى مديرية التحرير •• لخير دليل على أن يفعل الكثير •• ولقد حمدت الله حينما رأيت جميع الرجال أسرة واحدة تجمع الكبير والصغير •• وهـذا يدعو الى الأمل فى المستقبل •• والله ولى التـوفيق •

* لقد جاءت الثورة والبلاد تفيض بسكانها ساعة بعد ساعة دون أن تقابل الزيادة زيادة أخرى فى مساحة الأرض المزروعة •

* ولا شك أن عدد السكان ونسبة زيادتهم عاملان مهمان من مجموع العوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة التى تؤثر فى رفاهية الشعب فى أية منطقة من مناطق العالم •

---

(١) الاصلاح الزراعى فى ١٢ عاما — محمد عبد المجيد مرعى ص٥٩

لذلك راعت الدولة السعى بجميع أجهزتها وامكانياتهـا الى زيادة الرقعة المنزرعة لمواجهة الزيادة المطردة فى عـدد السكان ولرفع المستوى المعيشى وزيادة الدخل القومى نظرا لمـا تبين من أن ازدياد الدخل الزراعى بالقدر الكفيل بتحقيق مستوى معقول يستوجب التوسع فى الاستصلاح والاستزراع لمزيد من الأراضى البور بمعدل مرتفع يعوض ما فات ويقابل الزيادة المتضاعفة عاما بعد آخر ٠

واتخذت الثورة طريقها دون تردد وكانت مديرية التحرير فى الواقع أول عمل ثورى وقد تبعه التفكير فى سلسلة المشروعات الضخمة وعلى رأسها مشروع السد العالى الكبير الذى سيقوم بتدبير المياه اللازمة لرى أراضى مديرية التحرير وهذه حقيقة لا يعرفها كثير من الناس ٠

ومع بداية وضع مشروع مديرية التحرير موضع التنفيـذ اصطدم المشروع بالصحراء من جانب وبالعزم والصلابة والعلم والمعدات الحديثة من جانب آخر ٠

* وصرفت بضعة ملايين من الجنيهات ظنها بعض الناس أنها ذهبت هباء ٠

* والآن : بعد مضى ثمانية عشر سنة على انشاء مديرية التحرير أصبحت معجزة الثورة وأنها تجربة من التجارب العظمى ٠ خرجنا منها مؤمنين بأننا أقوياء بعزيمتنا أشداء بارادتنا واثقين بقدرتنا على تحقيق معجزات كثيرة أخرى ٠

* ان مديرية التحرير : هى مشروع الملايين ٠٠ ملايين الأرض القـاحلة التى تحيلهـا الى أرض مزروعة والتى ستبقى مزروعة آلاف السنين القـادمة ٠

* انها ستحقق الأجيال المقبلة السعادة والرفاهية ويومئذ سيتغنى أبناؤنا بأن مديرية التحرير كانت حجرا من الأحجـار الأولى الراسخة التى قامت عليها (مصر العظمى) ٠

المبحث الرابع

سد ناصر

فى ٩ يناير ١٩٦٠ قال الزعيم الخالد :

« هذا هو السد العالى الذى دارت من حوله المعارك وحارب من أجله الأبطال . هذا هو السد العالى الذى شهد كل هذا الكفاح واستحق كل هذا الكفاح لا لسبب قيمته الذاتية فحسب بل لأنه اصبح كرمز لتصميم الأمة العربية كليها على ان تسير فى بناء وطنها الكبير المتحرر .. ان الذين حاربوا ليحققوا الأمل والذين كافحوا ليحولوا الأمل الى حقيقة والذين لم ترهبهم النار والحديد لم يفعلوا ذلك كله لمجرد استخلاص مليون او مليونى فدان من براثن الصحراء فحسب ولا لمجرد الحصول على عشرة ملايين كيلووات من الكهرباء فحسب وانما فعلوا ذلك تحقيقا لارادتهم المستقلة التى انتزعوها انتزاعا من قبضة الطغيان والاحتلال والاستبداد والسيطرة » .

ويعتبر مشروع السد العالى بمثابة العمود الفقرى لخطط التنمية الاقتصادية لمضاعفة الدخل القومى فى الجمهورية العربية المتحدة اذ يحقق للبلاد :

* اضافة ١ر٣ مليون فدان جديدة الى الرقعة الزراعية .
* تحويل ٧٠٠٠٠٠ فدان من نظام رى الحياض الى نظام الرى الدائم مما يضاعف غلة هذه المساحة .
* ضمان توفير المياه اللازمة لرى الأراضى المزروعة والتى تستطيع مستقبلا مع وقاية البلاد من أخطار الفيضانات العالية .
* توفير المياه اللازمة لزراعة مليون فدان أرز سنويا لأغراض التصدير .
* تحسين حالة الملاحة النيلية وجعلها صالحة على مدار السنة .
* توليد طاقة كهربائية تصل الى عشرة مليار كيلو وات ساعة سنويا لتوفير الطاقة اللازمة للتوسع الصناعى .

* تقدر الزيادة المباشرة فى الدخل القومى للجمهورية المترتبة على تنفيذ المشروع بحوالى ٢٣٤ مليون جنيه سنويا . ويجدر الاشارة الى أنه بجانب هذا المجهود الضخم استعدت الجمهورية لاستقبال مياه السد العالى التى تزيد من مساحة الأراضى المزروعة ما يقرب من ١ر٣ مليون فدان . تشمل التوسع فى مديرية التحرير وادكو ومريوط وصحراء الصالحية وشرق قناة السويس وغربها ينفذ على مراحل بحيث ينتهى الاستصلاح والاستزراع حوالى عام ١٩٧٢ (١) .

* كما أن السد العالى يرتبط بأضخم مشروعات التوسع الزراعى الرأسى وهو تحويل حياض الوجه القبلى الى رى مستديم . فقد اتبع نظام الرى الحوضى فى مناطق الصعيد آلاف من السنين لم تختلف خلالها أساليبه ووسائله حتى أثر فى سمات وملامح هذه المنطقة وكان السبب الرئيسى لتخلفها الاجتماعى والاقتصادى . فالزراعة فى ظل هذا النظام مقيدة بموعد فيضان النيل وتخضع لأهوائه وسيتيح تحويل هـذه المناطق الى نظام الرى المستديم مضاعفة غلة الأرض وزراعة ما لا يقل عن ١٢٥ ألف فدان من قصب السكر لسد حاجة البلاد المتزايدة من السكر وللتصدير .

المبحث الخامس

الكهرباء

أدركت الثورة منذ قيامها أهمية الكهرباء كعنصر أساسى فى تطوير الاقتصاد والمجتمع وتحقيق رفاهية أبناء الشعب .

ولذلك وجدت الثورة أنه من غير الطبيعى أن تبقى أدوات انتـاج هذه الطاقة الأساسية فى يد بعض الشركات الأجنبية المستغلة تبتز أموال الشعب دون أن يكون فى مقدورها ولا فى نواياها أن تصون هذا المرفق أو تعده لمواجهة أهداف الانتاج حسبمارسمتها ثورتنا الاشتراكية .

---

(١) كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة (ج.ع.م) ١٩٥٢ — ١٩٦٨ ص ٢٥٤

لذلك تمت سيطرة الشعب على انتاج الكهرباء وانتقلت أدواتها جميعا الى يد القطاع العـــام الذى أثبت قدرته الفائقة على تحقيق طفرة بالغـــة فى مجال هذا النشاط •

ان مدى تقدم الأمم يقاس اليوم بمعايير أساسية من أهمها متوسط نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء وكانت التجربة الاشتراكية فى هـــذا الميدان تجربة رائدة حيث وصل التقدم حتى الآن الى أربعة أضعاف ما كان عليه الحال سنة ١٩٥٢ وهذا التطور قلما يحدث بمثل هـــذه الدرجة من السرعة فى أى بلد يقطع مرحلة النمو والتطور •

لقد سجلت السنوات الأربع المـــاضية جهاد شعبنا المجيد فى تنفيـــذ الخطة الخمسية الأولى واليوم نستعد للانطلاق فى سبيل تنفيذ الخطـــة الخمسية الثانية وتحقيق مضاعفة الدخل القومى وبناء المجتمع الاشتراكى بناء يرتكز على الكفاية والعدل •

وعلى طريق الكفاية يواجه قطاع الكهرباء مسئولية توفير احتيـــاج الجهاز الانتاجى فى الصـــناعة والزراعة والخـــدمات ، ويتحمل مسئولية الاستجابة الى التطور الضخم فى احتياجات الانتاج الى القوى الكهربائية وليس أدل على هذا التطور الكبير من أن الطاقة المولدة ارتفعت من حوالى ٩٩٠ مليـــون ك• و• س• فى عام ١٩٥٢ الى ٤٥٠٠ مليون ك• و• س• فى عام ١٩٦٤ • وأنه من المنتظر أن يصل الطلب على الطاقة المولدة الى أكثر من ١٤٠٠٠ مليون ك• و• س• عام ١٩٧٠

ويرتبط لتحقيق ذلك اقامة العديد من المحطات المـــائية والحرارية تقف بينها محطة السد العالى كرمز للانطلاق الكبير ، كما تقوم على عاتق قطاع الكهرباء مسئولية الاعداد لمشروعات أخـــرى تمثل تطورا حتميـــا يقتضيه التطور للجهاز الانتاجى ، وفى هذا السبيل نذكر مشروعات منخفض القطاره وقناطر النيل وغيرها من المشروعات المـــائية الكبيرة •

* ثم يرتبط بتحقيق كل هذا أيضا استكمال شبكة الربط وشبكة التوزيع على الجهات المختلفة وسوف تمتد شبكات الجهد العالى والجهد المتوسط الى أكثر من ٦٠٠ كيلو متر تغذى المديد للمحطات المحولات فى كل ركن من أركان الجمهورية • ويجرى الآن تنفيذ ٣ محطات جهد ٥٠٠ كيلو فولت بواسطة هيئة السد العالى ، و ٦ محطات جهد ٢٢٠ كيلو فولت وأربع محطات جهد ١٣٢ كيلو فولت ويجرى أيضا تنفيذ ٦ محطات ٢٢٠ كيلو فولت بواسطة وزارة القوى الكهربائية ، وأربع محطات محولات جهد ١٣٢ كيلو فولت وحوالى ٣٠ محطة جهد ٦٦ وجهد ٣٣ كيلو فولت ، وذلك بخلاف ١٩ محطة تم تنفيذها حتى الآن (١) •

* ومن هذه المحطات ستنتشر شبكة الكهرباء لتغذى المصانع ومحطات الطلمبات والمرافق المختلفة وتدخل مساكن العاملين من أبناء الشعب فى المدن والقرى وفى كل ركن من أركان الجمهورية •

* ان الكهرباء بحق هى القاعدة التى بها يتحقق الانطلاق العظيم وينهيأ النمو الاقتصادى والاجتماعى •

* وتعبيرا عن ذلك قرر الميثاق : «ان وصول القوى المحركة الى كل مكان فى مصر هو شرارة الثورة القادرة على تحريك طاقات التغيير الجذرى اقتصاديا واجتماعيا من التخلف الذى كان الى التقدم الذى يتطلع اليه النضال الوطنى •

* وقد سار فى هذا الطريق عمليا السيد الزعيم الخالد منذ اليوم الأول لثورة ٢٣ يوليو الخالدة حين وضع كل الامكانيات لكهربة خزان أسوان الحالى ، ثم تحقق مزيد من الانطلاق عندما قاد الشعب فى سبيل بناء السد العالى العظيم •

---

(١) الكهرباء لكل الناس — وزارة القوى الكهربائية — ص ٧

المبحث السادس

التقدم الصناعى

* منذ أن قامت الثورة فى عام ١٩٥٢ وحتى اليوم ، حظيت الصناعة باهتمام كبير من الدولة باعتبار أنها المجال الواسع الذى يتيح لاقتصادنا أن يخطو خطوات سريعة نحو القوة والنمو .

* وقد كان القصور فى ميدان الصناعة حتى ١٩٥٢ بعكس أوضاع اقتصاد متخلف يعتمد أساسا على الانتاج الزراعى ، ويعتمد فى سد الجزء الأعظم من احتياجات الشعب من السلع المصنوعة على الاستيراد من الخارج فى حدود ما تسمح به امكانيات الدولة المحدودة لتحقيق ذلك .

* وكانت هذه الاحتياجات تتزايد بسرعة واستمرار نتيجة لزيادة السكان بنسبة كبيرة سنويا ، وكذلك نتيجة التطور الطبيعى نحو التقدم مما يضيف جديدا كل يوم الى قائمة السلع التى يستهلكها الشعب ، ولم يكن لدينا ما نقابل به هذه الاحتياجات الا حصيلة ما نصدره من منتجات الزراعة التقليدية وهذه الحصيلة لم تكن تحقق الزيادة المطلوبة لمقابلة هذا النمو السريع فى متطلبات الاستهلاك .

* ولذلك كان طبيعيا أن تنفذ فى الصناعة — بما فيها الكهرباء — استثمارات تبلغ حتى عام ٦٩/١٩٧٠ نحو ١٢٠٠ مليون جنيه ، وأن يحدد لتلك الاستثمارات الأهداف التالية :

(أ) نتنتج محليا كل ما نحتاج الى استيراده من الخارج — كلما أمكن ذلك اقتصاديا — وبذلك نوفر تدريجيا ما نضطر الى انفاقه فى سبيل استيراد احتياجات البلاد من السلع المصنوعة .

(ب) أن نحقق فائضا فى الانتاج الصناعى عن حاجة الاستهلاك المحلى نوجهه للتصدير ، وبذلك نساعد فى تدبير مورد جديد للنقد الأجنبى يمكن بزيادته تدريجيا أن يسهم فى موازنة ميزان المدفوعات .

(ج) أن نقيم قاعدة من الصناعات الأساسية لتكون ضمانا لاستمرار الانطلاق فى الصناعة على أساس اقتصادى سليم .

(د) أن نعطى أولوية للصناعات التى تتوفر الخامات اللازمة لهـا محليـا .

(هـ) أن نعطى أولوية للصـناعات التى تحتاج الى نسبة كبيرة من الأيدى العاملة .

* ونسأل اليوم : هل حققت سياسة التصنيع وبرامجه التى بدأت بأول تخطيط مدروس فى سنة ١٩٥٦/١٩٥٧ ، ما سعت اليه من أهداف ؟

* ونجد فى الحال أن أصدق ما نجيب به على هذا السؤال ، هو أن نوضح المعايير التـالية :

أولا — كيف تطور الانتاج الصناعى ، وكيف أصبح دعامة أساسيه رغم كل الظروف التى تعرضت لها البلاد .

ثانيا — كيف تطورت الصـادرات الصناعية وأثر ذلك على ميزان المدفوعات .

ثالثا — الى أى مدى نمضى فى اقامة الصناعات الثقيلة والوسيطة التى تمثل — بكل تأكيد — القاعدة الثابتة للكيان الصناعى ، والى أى مـدى نجحنا فى ذلك ؟

رابعا — كيف كانت الصناعة السبيل الحقيقى لخلق الفرص المتجددة للعمل أمام أبناء الوطن ، وكيف كانت رائدة فى تطبيق القوانين الاشتراكية .

اولا — تطور الانتاج الصناعى :

* ان الانتاج الصناعى الذى لم يكن فى سنة ١٩٥٢ يزيد عن ٣١٣٫٨مليون جنيه — بما فى ذلك انتاج الكهرباء — قد قفز نتيجة الجهود التى بذلت فى تنفيذ برامج التنمية الصناعية قفزات قوية وسريعة مما جعل الصناعة اليوم تحتل مكانها الهام بالنسبة لاقتصادنا القومى .

* وتوضع تقارير المتابعة التى أعدتها وزارة التخطيط هذه الحقيقة .

* فقـد بلغ الانتـاج الصـناعى « بدون الـكهرباء » فى ٥٩/٦٠ : ١٠٨٦ر٧ مليون جنيه ارتفع فى سنة ٦٠/٦١ الى ١١٥٢ر٣ مليون جنيه بمعدل زيادة ٦ر٠٪ .

وفى سنة ٦١/٦٢ الى ١١٩٨ر٢ مليون جنيه بمعدل زيادة ٦ر٠٪ .

وفى سنة ٦٢/٦٣ الى ١٣٧٥ر٥ مليون جنيه بمعدل زيادة ١٤ر٧٪ .

وفى سنة ٦٣/٦٤ الى ١٥٠٤ر٢ مليون جنيه بمعدل زيادة ٩ر٤ ٪ .

وفى سنة ٦٤/٦٥ الى ١٦٢٣ر٦ مليون جنيه بمعدل زيادة ٧ر٩ ٪ .

وفى سنة ٦٥/٦٦ محسوبا بأسعار ٦٤/٦٥ الى ١٧١٦ر٢ مليون جنيه بمعدل زيادة ٥ر٧٪ .

وفى سنة ٦٦/٦٧ محسوبا بأسعار ٦٤/٦٥ الى ١٧١٦ر٩ مليون جنيه بدون زيادة .

* ولقد أوضحت الزيادة التى تحققت فى ٦٧/١٩٦٨ ، والنصف الأول من ٦٨/١٩٦٩ فى شركات المؤسسات العـامة التابعة لوزارة الصناعة والبترول والثروة المعدنية وفى شركات القطاع الخاص وهى الشركات التى تم حصر بياناتها ما يلى :

ـ ان الزيادة التى تحققت فى ٦٧/١٩٦٨ ـ وهى السنة التى أعقبت النكسة ـ عن سنة ٦٦/١٩٦٧ قد بلغت نسبتها ٨٪ ولولا ظروف البترول فى تلك السنة بالذات لبلغت الزيادة ١١٪ .

ـ وان الزيادة التى تحققت فى النصف الأول من ٦٨/١٩٦٩ بالمقارنة بالنصف الأول ٦٧/١٩٦٨ قد بلغت نسبتها ١٣ر٦٪ الأمر الذى يدل على أن خطة الانتاج الصناعى فى ٦٨/١٩٦٩ والتى تستهدف تحقيق معـدل نمو قدره ١٣٪ عن السـنة المـاضية سـيتحقق بالكامل .

وحتى نبين النمو الحقيقى نورد فيما يلى تطور الانتاج بالكمية لبعض السلع الرئيسية : (١)

الصنف	الوحدة	١٩٥٢	٦٨/٦٧	النسبة المئوية
				٪
غزل قطن	طن	٥٥,٧٠٠	١٦٠,٠٠٠	٢٨٧
نسيج قطن	مليون متر	٣١٢	٧٠٧	٢٢٦
غزل صوف	طن	٢٠٠٠	٧٣٠٧	٣٦٥
نسيج صوف	»	٨٩٠	٢٩٠٠	٣٢٦
بطاطين وباريهات وسجاد وكليم	»	١١٠	٣٨٠٠	٣٤٥٥
سكر	»	١٨٨٥٠٠	٣٧٨٩٧٥	٢٠١
مسلى صناعى	»	١٢,٠٠٠	٣٩,٢٧٥	٣٢٧
الصابون	»	٦٣,٠٠٠	١١٢,٩٩٢	١٧٩
السجاير	مليون سيجارة	٩٣٩٠	١٢,٣٤٤	١٣١
منظفات صناعية	طن	٤٠٠	٦٢٤٥	١٥٦١
الومنيوم مدرفل أو مسحوب	»	٢٠٠	٧٤٣٠	٣٧١٥
صودا كاوية	»	٢٠٠٠	١٩٦٨٦	٩٨٤
أسمدة أزوتية ١٥,٥ ٪ ...	»	١١٠,٠٠٠	٩٤٢,٧٢١	٨٥١
أسمنت	»	٩٥١٠٠٠	٢٩٠٣٩٩٦	٣٠٥
بترول خام	»	٢,٣٧٩,٠٠٠	٦,٥٣٨,٠٠٠	٢٧٤
اطارات كاوتشوك مختلفة	عدد	—	١,٤٦١,٢٦٨	

(١) بيان عن الصناعة والبترول للعرض على مجلس الأمة — وزارة الصناعة — فبراير ١٩٦٩ ص ٥

الصنف	الوحدة	١٩٥٢	٦٧/٦٨	النسبة المئوية
ثلاجات كهربائية	عدد	—	٢٩,٠٧٧	—
راديو عادى وترانزستور	»	—	١٠٨,٤٤٤	—
كابلات كهربائية مسلحة	طن	—	٢٩٩١	—
عربات سكة حديد و بضائع	عدد	—	١٧٢٥٦	—
المواسير الصلب ولوازمها	طن	—	١٧٢٥٦	—
دراجات	عدد	—	٥٠٧٢٣	—
الواح صاج مسحوبة		—	٤٠٢٠٠	—
على الساخن	طن	—	٣٥٤	—
أتوبيسات	عدد	—	٣٩	—
لوارى	»	—	١١٨	—
مقطورات	»	—	٧٥٧	—
جرارات	»	—	٧٧٢	—
سيارات ركوب	»	—	—	—

* وهذا الانتاج الضخم الذى تحقق وكله انتاج ضروريا بأى مقياس تتخذه هو الذى مكننا من سد احتياجات الاستهلاك من السلع المصنوعة والتى بلغت قيمتها مئات الملايين من الجنيهات ، وهو الذى مكننا كذلك من توفير احتياجات قطاعات الاقتصاد القومى الأخرى من السماد ، والأسمنت ، وسيارات النقل والبترول وغيرها من مئات المواد التى لو لم يوفرها الانتاج المحلى وبالقدر الذى تحقق لانعكس ذلك على قدرة البلاد على التنمية بصورة عامة ، حيث لم يكن ممكنا لاقتصادنا أن يتحمل فى أى سنة من سنوات النمو حتى الآن — عبء استيراد هذه السلع الضرورية بالنقد الأجنبى من الخارج .

ثانيا ـ كيف تطورت الصادرات الصناعية وأثر ذلك على ميزان المدفوعات :

* لقد أوضحنا فيما سبق كيف ساهم الانتاج الصناعى بنصيب كبير فى سد مطالب خطة التنمية فى القطاعات المختلفة مثل التموين والزراعة والمواصلات والاسكان وغيرها ، وبلغ من الكفاية الى أن سد احتياجات الاستهلاك المحلى بالكامل من بعض السلع الهامة فأمكن الاستغناء عن استيرادها فأزاح عن كاهل ميزان المدفوعات عبئا ما كان يستطيع أن يتحمله •

* وبالاضافة الى ذلك فان فائض الانتاج الذى تم تصديره للخارج أصبح لا يغطى أعباء احتياجات الصناعة من مستلزمات مستوردة فحسب ، بل انه زاد فى قيمته عما يحتاج الانتاج الصناعى كله الى استيراد من الخارج وبدأ قطاع الصناعة يحقق فائضا من النقد الأجنبى يساهم به فى تمويل غيره من القطاعات •

* فقد اضطردت الصادرات الصناعية فى الزيادة ، حيث بلغت فى سنة ١٩٦٥/١٩٦٦ ـ بدون البترول ـ ٥ر٥٦ مليون جنيه ، ارتفعت من ٦٦/١٩٦٧ الى ٨ر٦٥ مليون جنيه فقزت فى ٦٧/١٩٦٨ فى أعقاب النكسة الى ٢ر٩٨ مليون جنيه فى السنة الحالية ٦٨/١٩٦٩

* ولو أضفنا الصادرات البترولية فانه رغم فقدان حقول سيناء فان الصادرات الصناعية والبترول قد أرتفعت من ١ر٨٢ مليون جنيه فى ٦٦/١٩٦٧ الى ٤ر٨٧ مليون جنيه فى ٦٧/١٩٨ ثم الى ٦ر١١١ مليون جنيه فى عام ٦٨/١٩٦٩ •

* وانعكست تلك الزيادة المضطردة فى التصدير على ميزان المدفوعات فى شكل فائض من النقد الأجنبى هذا العام • فلقد كانت الواردات من مستلزمات الانتاج وقطع الغيار تزيد فى السنوات السابقة عن الصادرات الصناعية ـ الأمر الذى كان يحقق عجزا بلغ فى سنة ٦٥/١٩٦٦ ـ ٨ر٤٤ مليون جنيه •

* وبلغ فى سنة ٦٦/١٩٦٧ ـ ٧ر٢٣ مليون جنيه •

* وفى سنة ١٩٦٨/٦٧ — ٢ر٢٥ مليون جنيه (نظرا لظروف البترول فى تلك السنة والتى لم يعوضها الفائض من الصادرات الصناعية الأخرى وقدره ٣ر٧ مليون جنيه) .

* أما فى عام ١٩٦٩ فقد تحقق فائض قدره ٧ مليون جنيه .

* وتوضح نتائج المتابعة لما تم تنفيذه فى النصف الأول من ١٩٦٩/٦٨ أن خطة التصدير ستتحقق بالكامل حيث زادت الصادرات فى تلك الفترة بنسبة ٥ر٢٧٪ عن صادرات الفترة المماثلة من السنة السابقة .

* ولو قارنا ما تحقق من صادرات فعلية ، بمجموع الاعتمادات المستندية التى تم فتحها خلال نفس الفترة والذى يمثل عبء ما استخدم من نقد أجنبى فى استيراد مستلزمات انتاج ، لتبين أن الفائض المتاح الذى حققته الصناعة بالنسبة لميزان المدفوعات خلال تلك الفترة قد بلغ ٥ر٧ مليون جنيه .

* كما تشير الدلائل — وأبرزها الدفعة القوية والسريعة فى الكشف عن البترول وزيادة معدل انتاجه — الى أن هذا الفائض سيتضاعف فى السنوات المقبلة .

* ومما يجدر الاشارة اليه أن النجاح المضطرد فى التصدير لم يقتصر على قطاع معين ، بل كان هو السمة الغالبة للقطاعات الصناعية عموما خاصة لو أخذنا فى الاعتبار فقد حقول سيناء وأثرها على التعدين والبترول .

* ويكفى القول فى هذا الصدد أن الصادرات الصناعية التى لم تزد فى سنة ١٩٥٢ عن ٦ر١٣ مليون جنيه ارتفعت فى ١٩٦٩/٦٨ الى ٦ر١١١ مليون جنيه .

ثالثا — الى اى مدى نجحنا فى الصناعات الثقيلة ؟ :

* ان سياسة التصنيع التى نجحت الى حد بعيد فى انتاج احتياجات الاستهلاك قد اهتمت أيضا باقامة الصناعات الثقيلة والوسيطة ، فالزيادة المستمرة فى الانتاج الصناعى ، تتطلب باستمرار تزايد السلع

والمواد الوسيطة الداخلة فى هذا الانتاج ، كما أن التوسع فى القطاعات الأخرى كالزراعة والنقــل والتشييد يتطلب بالضرورة سلعا وموادا وسيطة أكثر وبكميات أكبر •

* ولذلك كله كان لابد من انتـــاج هـــذه السلع والمواد كلما كان ذلك اقتصاديا وممكنا ،وبذلك يخف العبء على ميزان المدفوعات وتتكامل برامج التصنيع لتخفيف عبء النمو الكبير فى الانتاج •

* وفى هذا المجال فانه وان كنا لم نصل الى الهدف الذى تصبو اليـــه وخاصة من جهة توفير آلات ومعدات الانتاج ، الا أن الخطوات التى تمت حتى الآن تدل على أن التنمية الصناعية قد مضت فى مســـارها الصحيح وان كانت تتطلب مزيدا من الانطلاق •

* ومشروعات مجمع الحـــديد والصلب بحلوان ، والأسمدة الأزوتية ، والأسمنت وكربونات الصوديوم والفيروسيلكون والماء الأيدروجينى والزيوت المعدنية وغيرها هى بعض أمثلة لمشرعات الصناعات الثقيلة والوسيطة التى نفذت أو يجرى تنفيذها فى الوقت الحاضر ، لتوفير حاجات قطاعات الاقتصاد القومى من السلع والمواد اللازمة لها •

رابعا ــ دور الصناعة فى خلق فرص العمل وفى تطبيق القوانين الاشتراكية :

* ان توفير العمل لكل راغب فيه وقادر عليه يعتبر مسئولية منمسئوليات الدولة فى ظل الاشتراكية ، لأن العمــل ليس واجبا على كل مواطن فحسب بل هو حق من حقوقه له أن يطالب به وذلك ما نص عليـــه الدستور المؤقت للبلاد •

* وقد أفسحت برامج التنمية الصناعية مجالات العمل الحر الشريف أمام أفواج من آلاف المواطنين •

* حيث بلغ عدد العاملين فى الصناعة فى سنة ١٩٥٢ ــ ٤٠١ ألف عامل ارتفع فى سنة ٥٩/١٩٦٠ الى ٨ر٦٠١ ألف عامل •

وفى سنة ٦٠/١٩٦١ الى ٦٢٥ر٦ ألف عامل بزيادة ٤ ٪ •
وفى سنة ٦١/١٩٦٢ الى ٦٧٩ر٠ ألف عامل بزيادة ٨ر٥٪ •
وفى سنة ٦٢/١٩٦٣ الى ٧٢٥ر٩ ألف عامل بزيادة ٧ ٪ •
وفى سنة ٦٣/١٩٦٤ الى ٧٨٩ر٧ ألف عامل بزيادة ٩ ٪ •
وفى سنة ٦٤/١٩٦٥ الى ٨٢٥ر٠ ألف عامل بزيادة ٤ر٥٪ •
وفى سنة ٦٥/١٩٦٦ الى ٨٤١ر٧ ألف عامل بزيادة ٢ ٪ •
وفى سنة ٦٦/١٩٦٧ الى ٨٤٦ر٧ ألف عامل بزيادة ٠٦ر٠٪ •

وهذا يعنى أنه خلال تلك الفترة قد تم تشغيل ما يقرب من ٤٥٠ ألف عامل جديد فى الصناعة ، بالاضافة الى رفع مستوى العاملين القدامى فيها وتحسين حالهم بصورة لا تقبل المقارنة •

* فلقد بلغت أجور العاملين فى الصناعة فى ١٩٥٢ ـ ٤٧ مليون جنيه •

ارتفعت فى ٥٩/١٩٦٠ الى ٨٨ر٨ مليون جنيه •
ارتفعت فى ٦١/١٩٦٢ الى ٩٠ر١ مليون جنيه •
ارتفعت فى ٦٢/١٩٦٣ الى ١٢٥ر١ مليون جنيه •
ارتفعت فى ٦٣/١٩٦٤ الى ١٣٨ر١ مليون جنيه •
ارتفعت فى ٦٤/١٩٦٥ الى ١٤٩ر٦ مليون جنيه •
ارتفعت فى ٦٥/١٩٦٦ الى ١٥٤ر٢ مليون جنيه •
ارتفعت فى ٦٦/١٩٦٧ الى ١٥٥ر٢ مليون جنيه •

ولم يقتصر الأمر على اتاحة فرص أكثر للتشغيل أو زيادة ما يصرف من أجور بل كان النجاح العظيم الذى حققته الصناعة منذ بدأت برامجها المنظمة فى مصر هو السند العملى لكافة الحقوق الثورية التى حصلت عليها الطبقة العاملة والتى كفلت للعامل :

ـ حدا أدنى للأجور •

ـ تحديدا لساعات العمل اليومى بسبع ساعات •

ـ اشتراكا ايجابيا فى الادارة •

ـ اشتراكا حقيقيا فى أرباح الانتاج •

ـ تهيئة لظروف العمل بما يكفل الكرامة للانسان العامل •

* وفى مقابل هذا فانه وان كنا ما زلنا ننتظر الكثير من العاملين ، الا أنه يجدر القول أن انتاجية العامل قد زادت ، وأن نسبة الأجور الى الانتاج لم تتعد ـ على مستوى المؤسسات العامة التابعة لوزارة الصناعة ومن واقع ميزانيتها المعتمدة ـ ٧ر١٤٪ عام ٦٥/١٩٦٦ ، ٢ر١٤٪ عام ٦٦/١٩٦٧ ، وهذه نسب تعطى لانتاجنا الصناعى ميزة لا بأس بها بمقارنتها عالميا •

* وقد تحسنت تلك النسبة أكثر فى مجموع الشركات التى اعتمدت ميزانيتها عن سنة ٦٧/١٩٦٨ (١) •

المبحث السابع
التعليم

* لما كان التعليم حق أصيل للجماهير ولا يجوز حرمانها منه • كما أنه المدخل الطبيعى لنجاح كل نظام سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى ، لذلك فقد أخذت الدولة بأسلوب التخطيط العلمى كقاعدة للانطلاق بهدف اعداد قوة بشرية على درجة معينة من الكفاءة والمهارات العلمية لتواجه احتياجات المجتمع • وعملت على توسيع قاعدة التعليم وتعميق خطوطه ، فأصبح حق الالتحاق فى أى مدرسة أو جامعة مكفولا للجميع على أساس تكافؤ الفرص والكفاءة كما عملت على جعل التعليم بالمجان فى جميع مراحله ، والاهتمام بالتربية الى جانب الاهتمام بالتعليم وأيضا الاهتمام بالتربية الدينية والقومية وتوفير الخدمات الصحية لهم •

---

(١) بيان السيد وزير الصناعة والبترول امام مجلس الامة يوم ٥ فبراير ١٩٦٩

* وربطت الدولة التعليم بسياستها فى رفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل القومى ، فقامت بانشــاء العديد من المدارس وفتح دور التعليم أمام الملايين من أبناء الشعب مع توفير المدرسين الاخصائيين كمــا قامت بانشاء الجامعات والمعاهد والكليــات واستحدثت أنواعا جديدة من الدراسات لتساير التطور العلمى والتكنولوجى .

* هذا وقد توسعت الدولة فى ارسال أبنائهــا الى الخــارج لتدريب والحصول على دراسات عليا حتى تستفيد منهم عند عودتهم ، كمــا استقدمت الخبراء ليستفيد الوطن من خبراتهم التى تحتاجهــا وحتى يكتسب أبناء الوطن منهم الخبرة والمعرفة .

* وقال الزعيم الخالد :

« لم يعد التعليم بكل مراحله امتيازا .. بل أصبح حقا مجانيا لكل مواطن من بداية مراحل التعليم الى نهايتها[1] » .

المبحث الثامن

الاسكان

* تعمل الدولة على الرغم من الزيادة المستمرة للســكان على توفــير المسكن الملائم بالأجر المناسب لجميع أفراد الشعب فى المدن والريف على السواء فقد تم وضع برنامجا للاسكان العام وأخذ القطاع العام يمارس نشاطه فى السياسة الاسكانية حيث بلغ عدد المســاكن التى أنشأها القطاع العام خلال الفترة ١٩٥٢ حتى عــام ١٩٦٠ حــوالى ٨٢ ألف مســكن بلغت تكاليفها حــوالى ٣٢ مليون جنيــه بخلاف ١٣٠٠٠ وحدة سكنية تعاونية وخصصت الدولة لأجلها ٥ر٢ مليون جنيه لتشجيع الأفراد والهيئات وعلى تكوين الجمعيــات التعاونية لبنــاء المساكن .

---

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

* ولعل أهم مشروع اسكانى ريفى تم أخيرا هو مشروع اسكان أهالى النوبة بمنطقة كوم امبو وتقوم الدولة حاليا بتشجيع الاسكان فى مناطق التجمع السكنى وتخصص جانبا كبيرا من قروض الاسكان الحضرى لاقامه مساكن للطلبة والمساكن التجريبية كما أنها تقوم بتشجيع الجمعيات التعاونية للبناء والاسكان وتقدم القروض لأعضائها مع تسهيلات كبيرة فى الدفع وتخفيض أثمان أراضى البناء .

* ومن أبرز الأعمال التى تمت فى عام ٦٥/١٩٦٦ هو مشروع ناصر للاسكان العاجل حيث اعتمد له مبلغ ٥ ملايين من الجنيهات لتعزيز الاستثمارات فى قطاع الاسكان .

* وقال الزعيم الخالد :

« فى مجال الاسكان لم نترك علاقات السكان بالملاك بغير تحديد وانما صدرت قوانين متلاحقة تخفض ايجارات المساكن .. وتضع الحدود لضمان مصالح الطرفين ، المستأجرين والملاك معا فى المستقبل[1] » .

المبحث التاسع

الخدمات الصحية

* قرر الميثاق أن أول الحقوق الأساسية لكل مواطن هى الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواءا مجرد سلعة تباع وتشترى وانما تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى ولا بد أن تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن فى ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة ولا بد من التوسع فى التأمين الصحى حتى يظل بحمايته كل مجموع المواطنين .

---

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

* بدأ الاهتمام بالسياسة الصحية للبلاد منذ فجر الثورة فى يوليو ١٩٥٢ وبنيت على أسس تخطيطية لرفع المستوى الصحى وتعميم الخدمات فى أنحاء البلاد ثم أعيد رسم هذه السياسة فى عام ١٩٦١/٦٠ فى اطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية مع ربطها بباقى قطاعات الدولة ومنذ صدور القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ أعيد للمرة الثانية النظر فى الخطة الصحية وعدلت بحيث تلائم التطور الاشتراكى فى البلاد .

* فأصدر الزعيم الخالد فى يناير ١٩٦٢ قرار بتعميم الخدمات الصحية فى الريف وذلك بانشاء ٢٥٠٠ وحدة صحية فى القرى والنجوع بحيث تخدم كل وحدة ٥٠٠٠ نسمة فى قرية واحدة أو مجموعة من القرى المتجاورة كما عدلت مشروعات الخطة فتضمنت انشاء مستشفيات عامة ومركزية جديدة واعادة بناء المستشفيات القديمة وارتفعت بذلك تكاليف الانشاء والتجهيز للمشروعات الصحية الى ٢٨ مليون جنيه

* وتعمل الدولة على توفير الرعاية الصحية للمواطنين بحيث تكون فى متناول الجميع وفى ظروف ميسرة وفى سبيل تحقيق ذلك خططت سياستها على :

— التوسع فى الخدمات الصحية الريفية وزيادة عدد الوحدات العلاجية لقطاع الريف . وبذلك الجهود فى مكافحة الأمراض المعدية والوبائية المتوطنة والدرن .

— توسيع قاعدة الخدمة الصحية المجانية فى الريف والحضر .

— التوسع فى خدمات رعاية الأمومة والطفولة وزيادة عدد المراكز التى تقدم هذه الخدمات .

— علاج المواطنين فى المستشفيات الحكومية بأجور رمزية وزيادة عدد الأسرة بها .

— انشاء المؤسسات العلاجية لمنع الاستغلال فى مجال الخدمات العلاجية الخاصة .

— توفير الفنيين المدربين وذلك بانشاء مراكز التدريب وتوفير المعدات الطبية لمقابلة الطوارىء .

— التوسع فى تصنيع الأدوية محليا وتوفيرها للمواطنين بأرخص الأسعار .

— التأمين الصحى الذى سيشمل جميع المواطنين .

* وقال الزعيم الخالد :

« لقد زادت ميزانية الصحة بنسبة ٣٤٠٪ عما كانت سنة الثورة فى السنوات الثلاث الأخيرة وحدها وجهت الى الصحة مبالغ تصل الى ٩٣ مليون جنيه تزيد على مجموع ما صرف على الصحة فى سبعين عاما قبل الثورة [١] » .

المبحث العاشر

النقل والمواصلات

* تغطى الجمهورية العربية المتحدة شبكة واسعة من خطوط السكك الحديدية وطرق النقل البرى على درجة عالية من الكفاءة تربط بين أطراف البلاد فى سرعة وسهولة وتجرى عليها أحدث وحدات النقل السريعة .

* كما أن الخدمات البريدية أمكن تطويرها وتحسينها وعمت فى جميع أنحاء البلاد بغرض توفير الوقت والجهد لجماهير الشعب فاستحدث نظام الخدمة البريدية الأهلية وذلك لاشراك الشعب فى ادارة المرفق ، كما تم انشاء شبكة من خطوط الطوافة تصل بالخدمة البريدية الى كافة السكان دون مشقة .

---

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

* ولا جدال فى أنه اذا كانت المواصلات عموما طرقها وأدواتها ضرورية لنجاح أى نشاط فى أوقات السلم والحرب فان المواصلات السلكية واللاسلكية تعتبر بحق أكثر من حيوية لنجاح النشاط الاقتصادى والحربى ففى مجال الخدمة التليفونية السلكية فى الداخل تم تعميم نظام النداء الآلى لخدمة الترنك على مشتركى السنترالات الآلية ، وفى مجال الخدمة التلغرافية السلكية تم ادخال نظام (التلكس) الذى يسمح للمشتركين فيه بتبليغ اشارتهم البرقية مباشرة وآلية .

المبحث الحادى عشر

السياحة

* تمتلك مصر مصادر سياحية تعتمد على امكانيات تاريخية وثقافية وعلمية ودينية وجغرافية وتعتبر السياحة من أهم مصادر الدخل القومى وادراكا للدور الذى يؤديه هذا القطاع عملت الدولة على :

- جعل تكاليف الاقامة فى ج٠ع٠م أقل التكاليف بالنسبة لدول العالم السياحية الأخرى .

- تم عقد اتفاقيات مع كثير من الدول الأجنبية الهدف منها هو تنشيط السياحة ونقل الأفواج السياحية الى البلاد سواء عن طريق شركات السياحة والدعاية فى الخارج أو عن طريق استقدام عدد من الشركات الفندقية لادارة بعض الفنادق .

- الاهتمام بصناعة الفنادق باعتبارها قعدة التوسع السياحى وانشاء الفنادق الضخمة تأكيدا لراحة السائحين وتوفير الخدمة لهم . كما افتتحت عددا من المعاهد المتخصصة لرفع مستوى الخدمات الفندقية وارسال البعثات الى الخارج لاكتساب الخبرات اللازمة .

- واستكمالا لمقومات هذا النشاط قامت الدولة بفتح كثير من المكاتب السياحية فى كثير من البلاد السياحية لجذب الأعداد

الهائلة من السائحين والدعاية للبلاد وأبراز أظهر مفاتنها وترغيبهم في مشاهدتهـا .

— ولذلك فقد ارتفع عدد السائحين من ٧٦ ألف سائح عام ١٩٥٢ الى ٢١٨ ألف سائح عام ١٩٦٧ كما ارتفع عدد الليالى السياحية التى يقضيها السائحون من ٧٩٠ ألف ليلة الى ٤٣٧٦٠٠٠ ليـلة خلال نفس الفترة [1] .

المبحث الثانى عشر

الاعـلام

* أولت الدولة الاذاعة عناية كبيرة لهـا من تأثير على الجماهير فى الداخل والخارج وعلى ذلك فقد شهدت الاذاعة تطـورا واسـعا ، وأنشئت خدمات اذاعية جديدة تمثلت فى اذاعة صوت العرب والبرامج الموجهة والبرنامج الثانى واذاعة مع الشعب واذاعة الاسكندرية واذاعة الشرق الأوسط وركن السودان واذاعة القرآن الكريم والبرنامج الموسيقى، هذا وقد تضاعف ساعات الارسال اليومية عشر مرات عام ٦٧/١٩٦٨ عما كانت عليه عام ٥١/١٩٥٢ .

* وفى ٢١ يوليو ١٩٦٠ بدأ التليفزيون العربى ارساله على قناة واحـدة ثم واصل تطوره ووسعت دائرة ارساله حتى أصبحت تغطى جميـع أنحـاء الجمهورية ، هذا وقد تضاعفت ساعات الارسال اليومية مرتين تقريبا عام ٦٧/١٩٦٨ عما كانت عليه عام ٦١/١٩٦٢ .

* وفى أكتوبر عام ١٩٦٧ أنشئت الهيئة العامة للاستعلامات التى تقـوم بالحصول على المعلومات عن شتى الموضوعات والأحـداث التى تهم الرأى العام بالداخل والخارج وتعد وتنفذ البرامج الاعلامية الموجهة

---

(١) كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة للجمهورية العربية المتحدة من ١٩٥٢ ـ ١٩٦٨ ص ٢٠٧

الى الرأى العام المحلى والعالمى وفقا لسياسة وخطط الاعلام بهدف تعريفه بأهداف الجمهورية العربية المتحدة ومجتمعها الاشتراكى واتجاهاتها ازاء المشكلات العالمية ومدى ما حققته من نهضة ، والرد على الدعايات المضادة وتنوير الرأى العام العالمى وذلك باستخدام وسائل الاتصال المباشرة والعامة عن طريق ما تقوم به مراكز الأعلام وأجهزة الدولة بالخارج كما تمارس الهيئة نشاطها الاعلامى الداخلى من خلال مراكز الاعلام التابعة لها والمنتشرة فى كل محافظات الجمهورية .

* أما الصحافة فقد عملت الدولة على تحريرها من كل سيطرة عليها وأصبحت بعد التخطيط العلمى السليم لها ملكا للشعب وتعمل لصالحه .

* وقال الزعيم الخالد :

« فى مجال الثقافة والاعلام تقدمت الجهود الى مدى يبعث على الرضا تحت شعار الثقافة للشعب (٢) » .

المبحث الثالث عشر

التنظيم السياسى

* قال الزعيم الخالد : « ما هى العلاقة بين العمل السياسى ونظام الدولة ... نظام الدولة لا يمكن أن يقوم الا اذا كان هناك نظام سياسى يسنده » (١) .

* ونجد أن النظام السياسى كان ضروريا لحماية التطور الحتمى للثورة الاجتماعية . وقد مر النظام السياسى منذ قيام الثورة أى منذ بدء الثورة الاجتماعية ومرحلة التحول الاشتراكى بمراحل ثلاث :

---

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

(٢) محاضر محادثات الوحدة — أبريل ١٩٦٣ ص ٣٣٣

اولا ــ هيئة التحرير :

* تأسست هيئــة التحرير فى ديسمبر ١٩٥٢ ، واحتفل ببــدء نشاطها فى ١٩٥٣/١/٢٢ كأول محاولة للتنظيم السياسى الشعبى لسد الفراغ فى الجبهة المدنية وكانت مجرد تجمع جماهيرى شكل بسرعة لمواجهة مؤامرات الرجعية وللتوعية بأهداف ومبادىء الثورة وفى طليعتها اجلاء قوات الاحتلال وتمكين الشعب الســودانى من تقرير مصيره وكفالة الحقوق والحريات الأساســية وتأمين المواطن ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة • ونص دستورها على تعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ودعم الصلات مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين كما أبرز فكرة توجيه النظام الاقتصادى الوجهة التى تحقق العدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثورة •

* وقد ظلت هيئة التحرير تمارس نشاطها نحو خمس سنوات قامت خلالها بحماية مؤخرة الثورة فى فترة الانتقال السابقة للاعلان عن دســتور ١٦ يناير ١٩٥٦ الذى نص على تكوين تنظيم شعبى جديد باسم الاتحاد القومى حيث قضت المــادة ١٩٢ من ذلك الدستور بأن يكون للوطن اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية • وهكذا لم يكن حل هيئة التحرير ليعنى فشلها كتنظيم شعبى وانما جاء بمثابة تطوير هذا التنظيم بما يتلاءم مع الأوضــاع التى استجدت بأنها فترة الانتقال أى بما يتمشى مع امكانيات الأوضاع الدستورية العادية •

ثانيا ــ الاتحاد القومى :

* تمت تصفية هيئة التحرير فى أوائل عام ١٩٥٨ ، بعد أن أصدر الزعيم الخالد قرارا بتشكيل اللجنة التنفيــذية للاتحاد القومى فى ٢٩ مايو ١٩٥٧ • وكانت اللجنة مؤلفة من أغلب أعضاء مجلس قيادة الثــورة وبعض الوزراء المدنيين الذين تعاونوا مع الثورة لفترة طويلة ، وكانت

الفكرة الأساسية للاتحاد هى وحدة الصف الوطنى لبناء المجتمع العربى الاشتراكى التعاونى ، وتوثيق الصلة بين القيادة والشعب وتهيئة وسائل تعاون الشعب مع الحكومة على بناء الأمة بناء سليما من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية على أن تكون الكلمة العليا للشعب ممثلا فى اتحاده القومى الذى يتولى تخطيط السياسة العامة للبلاد . بينما تلتزم الحكومة بتنفيذ هذا التخطيط .

* ويتضح مما سبق أن مبادىء الاتحاد القومى لم تكن تختلف فى جوهرها عن مبادىء هيئة التحرير مع فارق أساسى هام وهو أخذ الاتحاد بمبدأ الرقابة الشعبية على الحكومة ، ليس على المستوى المركزى فحسب ، بل وعلى مستوى الادارة المحلية أيضا . ولكى تكون لهذه الرقابة سندها وفاعليتها جعلت عضوية لجان الاتحاد القومى بالانتخاب المباشر ، وليست بالاختيار أو التعيين كما كان الحال فى هيئة التحرير الا أنه رغم الأخذ بمبدأ الانتخاب تمكنت العناصر الوصولية والانتهازية بل والرجعية من التسرب الى لجان الاتحاد القومى ، وكاد هذا التسرب يجعل منه صورة طبق الأصل من الوضع الذى كان قائما فى هيئة التحرير ، والذى كان أهم أسباب وقف نشاطها . وقد اتضح على ضوء التجربة العملية أن علاج مثل هذا الوضع لم يكن ليتحقق بمجرد توليه زمام التنظيم الى قيادة من مستوى أعلى . ولم تلبث أن وضعت هذه القيادة أصبعها على نقطة الضعف ، الا وهى افتقار التنظيم الى أهم دعامتين يمكن ن أيقوم عليهما أى تنظيم شعبى ناجح ألا وهما الأساس العقائدى وكوادر الأعضاء العاملين . وهذا ما روعى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، الذى روعى فى نظامه أن يكون قائما على هاتين الدعامتين وأن تتهيأ له المقومات والامكانيات الكفيلة بأن تقوم قوى الشعب العامل فى اطاره بدورها الطليعى فى بناء المجتمع الاشتراكى وحتميته وتطويره .

ثالثا ـ الاتحاد الاشتراكى العربى :

* أنشىء الاتحاد الاشتراكى العربى لمواجهة التزامات ومسئوليات العمل القومى فى مرحلة التحول الاشتراكى عقب صدور قوانين يوليو ١٩٦١ الثورية الاشتراكية . وقد تشكلت لجنته التنفيذية العليا فى أكتوبر

١٩٦٢ بعد دراسات للتنظيمات السياسية الشعبية فى بعض الدول الأخرى وتقييم دقيق لتجربة التنظيمين السابقين وهما : هيئة التحرير والاتحاد القومى • وقد تولى الزعيم الخالد بنفسه رئاسة الاتحاد الاشتراكى ورئاسة امانته العامة ولجنته التنفيذية العليا • والأساس العقائدى للاتحاد هو الميثاق الوطنى الذى أعده الزعيم الخالد وأقره المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى يونيو ١٩٦٢ • أما الكوادر فيجرى تكوينها عن طريق تكوين تنظيم سياسى داخل الاتحاد واعداده عقائديا ونضاليا ليكون الجهاز العامل والمنشط للاتحاد •

* والاتحاد الاشتراكى العربى هو كما جاء فى مقدمة قانونه « الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير وتعبر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطنى وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره فى خطه السليم فى ظل مبادىء الميثاق » •

* ويضم الاتحاد الاشتراكى العربى قوى الشعب العاملة ويتمثل فى تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية ومعنى هذا أنه يستبعد من عضويته رواسب الرجعية والاقطاع ويقصر هذه العضوية على الاشتراكيين والذين يعربون بانضمامهم اليه عن قبولهم للنظام الاشتراكى •

* وتتلخص أهداف الاتحاد الاشتراكى العربى فيما يلى :

* تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب والاتحاد الاشتراكى يهدف أساسا الى حماية الثورة الاجتماعية والتصدى لتحالف الرجعية والرأسمالية ، وقد هدف تشكيل الاتحاد الاشتراكى الى عزل القوى الرجعية والرأسمالية حتى يمكن ضمان استمراره فى أداء رسالته •

* ويوضح الزعيم الخالد ذلك بقوله : « ان الشعب العامل كله هو اللى بيحكم •• ومعنى هذا أيضا أن لن تكون هناك فرصة لسيطرة الطبقة القوية •• الطبقة القوية زى ما قلنا اللى هى الطبقة التى يتمثل فيها تحالف الاقطاع ورأس المال وعندها من الأسلحة وعندها من القوة بأن تشكل نفسها وتتسلل الى الحكم •

كيف نحمى تحالف قوى الشعب العامل ؟ كيف نحمى هذا التحالف من أن تنقض الطبقــة البرجوازية التى أخذت فرصــة التعليم وفى أيدها الفلوس وعندها النفوذ وورثت السلطان من أن تنقض مرة ثانية على تحالف قوى الشعب العاملة لتسقطه وتحكم مرة أخرى ؟

صمام الأمان الوحيد أن يعطى العمال السنين وآلاف السنين ٥٠٪ على الأقل فى الحكم فى المجلس التشريعى ..

بهــذا لن تتمكن البرجوازية القوية أن تنفذ الى البرلمــان وتأخذ أغلبية لتحكم وتأخذ السلطة ... وبهــذا تعود سيطرة الطبقة أو سيطرة التحالف بين الاقطاع ورأس المــال .. سيطرة الرجعية مرة أخرى .

كيف نضمن هذا ؟ كيف نضمن أن هــذه الطبقة القوية اللى عندها أسلحة واحنا ساعات نستهين بيها ــ ما تأخدش الدولة وتغتصب الدولة وتسخرها لخدمة مصالحها .

الضمان الوحيد أن الناس اللى حرموا من حقوقهم وحرموا من كل شىء نديهم ٥٠٪ ..

اذن اذا قدرت الطبقة الرجعية المستغلة أن تأخذ عــدد من كراسى البرلمــان مش حتقدر أبدا تستولى على الحكم .. انها تستولى على الحكم بشىء واحد انها تأخذ أغلبية أو أكثر من نص أعضاء البرلمــان .

وبهذه الطريقة يتضمن تحالف قوى الشعب العامل أنه يستمر .. بيستمر بقــوة بدون أن تتسلل البورجوازية لتــأخذ السلطــة من حيث لا ندرى (١) .

---

(١) محاضر جلسات مباحثات الوحدة سنة ١٩٦٣ ص ٢٧٥

الفصل الخامس

الثورة الاجتماعية بعد رحيل عبد الناصر

* ان ثورة عبد الناصر مستمرة .. وستظل مستمرة . طالما أن هناك ناصريين وثوريين يحمونها ولا يتصور أبدا أن يعود التاريخ الى الوراء أو أن تحدث ردة للتطور أو نكسة لثورة عبدالناصر الاجتماعية أو هدم للبناء الاشتراكى الشامخ الذى شيده الزعيم الخالد ، أو الثورة الاشتراكية التى تحققت ، وأن مجرد هذا التصور يضعنا أمام صورة يلزم أن تكون فى أذهاننا ، حتى لا ننسى أو نتهاون ، أو نتوقف عن الاندفاع ، وحتى يزيد حرصنا على البناء الاشتراكى وحمايته والدفاع عنه والتمكين له .

* ان الترجمة الواقعية لأية نكسة هى حدوث مضاعفات ونتائج لاحصر لها .. ولا يمكن فى صفحات محدودة أن أعددها ولكننى أذكر هنا لمحة عن بعضها فقط :

- عودة سيطرة الاقطاع ورأس المال المستغل على مقدرات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. وتحكم طبقة النصف فى المائة من جديد فى مصائر جموع الشعب . فى صور أرهب وأقسى تشفيا وحقدا أو اشباعا للشره والاستغلال .

- عودة سيطرة الاقطاع ورأس المال المستغل على مقدرات الحياة وملكيتها — وتدمير كل معالم التطور والخدمة والاصلاح الذى تحقق فى القطاع الريفى ، حتى يعود الظلام والظلم الاجتماعى لا يرى فيه ملايين الفلاحين الا العذاب والسيطرة والحرمان .

- عودة العامل الى مستواه القديم : عبد للآلة وتعود لكى تكون أغلى منه عند صاحب رأس المال الذى يسيطر ويسود من جديد .. وسوف يلغى بالقطع الحياة الآمنة التى حققتها الثورة

الاشتراكية للعامل •• ويسخر من رفاهية العامل ومن تحديد ساعات عمله ، ويمنع كل امتياز أو حق حصل عليه العمال •• حتى يستحوذ هو على كل ذرة من ربح وكل درهم من مال ••

* يعود المجتمع الى صورة التخلف التى كان عليها من قبل ، وما تزال شعوب من حولنا تعيشها تحت قسوة السيطرة والاستغلال •• تعود البطالة ويعود الفقر وتغلق المدارس والمستشفيات •• فان ما ينفق على مثل هذه المؤسسات ، لن تقبله الرجعية التى كانت تصف العلم بأنه كفر وتخيف الناس منه ، وتصف الدواء بأنه سحر لا يرضى عنه الله ، فيأكلهم الموت •

ـ العودة الى سوء التوزيع ، بحيث يكون الغنى كله والصحة بأكملها والسعادة جميعها لفئة قليلة ، والقهر والحرمان كله للملايين من أبناء الشعب •

ـ هل يمكن أن يقبل صاحب رأس المال ـ فى حالة حدوث نكسة لا قدر الله ـ أن يشارك العمال فى الأرباح والادارة ••؟ هو المستحيل نفسه ••

ـ هل يمكن أن تتحمل خزانة الدولة الانفاق على رصف الطرق وانارة الشوارع واقامة المساكن الشعبية وانشاء المصانع التى تفتح آفاق الحياة الرحبة الكريمة أمام العاملين ••؟

ـ هل يمكن أن تسعى الرجعية أو الاقطاع لاستصلاح أرض ليملكها الشعب والفلاحين ••؟ ان عهود الحرمان التى مضت استصلحت بعض الأرض بالسخرة وبعرق الفلاحين ولكن ملكيتها وكل خيراتها كانت للاقطاع والشركات الاحتكارية ••

* يعود تحالف الرجعية مع الاستعمار الذى ترتبط به مصيريا • • فهل يظل الاستعمار حاملا فى قلبه جمرة النار وهو يتطلع الى قناة السويس ليجدها مصرية ادارة ومسئولية وعائدا ••؟ ومصر تحكم قناتها وتسيطر عليها ؟•• ألا يكون من جزاء الاستعمار أن يعود ولو الى قناة السويس التى كاد يجن يوم تأميمها ؟••

— هل تقبل الرجعية أن تعارض القوى الاستعمارية ، أو ترفض ادخال الشعب الى سجون الاحلاف ومناطق النفوذ ؟.. ان الارتماء فى أحضان الاستعمار وأحلافه ومناطقه يضمن لها البقاء ضد القوى الشعبية ويحميها ضد الثورات التحررية .

— تعود مصائرنا وأقدارنا فى يد الاستعمار ، ليقرر من قواعده فى العواصم الاستعمارية أمورنا ولا توضع سياستنا وفق آمالنا ولا تنبع الا من مصلحة الاستعمار والرجعية وحسب ..

— يعود الحديث عن قوى العاملين فى الدولة ليكون جريمة ، ويعود الكلام عن الحرية ليصبح شيوعية أو الحادا ، وتضيع الحرية الاجتماعية والحرية السياسية .. ويأخذ الاقطاعيون أماكنهم فى كل مقاعد الحكم والمجالس النيابية ، ليطرد العمال والفلاحين ، ومن كانوا يسمونهم الدهماء والغوغاء فى عهودهم .. عهود السادة والعبيد ..

— يعود الجيش فى صورته قبل الثورة .. فان الرجعية والسيطرة الاستغلالية لا تقبل وجود جيش وطنى قوى .. ولكنها تقبل فقط أن تذهب الأموال الى جيوبها أو حساباتها فى البنوك الخارجية ، وتفضل حماية الجيوش الأجنبية لها .. والصور من حولنا ليست ببعيدة عنا ، تنطق بالحقائق .

— تعود مصر الزراعية ، مزرعة لمصالح الاستعمار ، ويومها سيهب دعاة الرجعية والاستعمار من جديد ويحملوا الأبواق ليقسموا أن مصر جنة الله فى الزراعة وأن الصناعة والكهرباء والسدود شر مستطير .

* هذه بعض الصور والنتائج التى لا يمكن لى ولا لغيرى أن يحددها بالتحديد والحصر فى صفحات قليلة .. وهى فى الوقت نفسه تبين لنا نحن أصحاب المصلحة فى الثورة واستمرارها لماذا يجب أن نرتبط مصيريا ومصلحيا بالثورة الاجتماعية (الاشتراكية) والبناء الاشتراكى الذى اقامه الزعيم الخالد فوق أرضنا بشريعة العدل شريعة الله ..

ـ وليس أشرف ولا أقل من الدفاع عن مجتمع تسود فيه العـدالة الاجتماعية والكرامة الانسانية ويتحقق فيه التكافؤ فى الفرص .. ويجب أن نحمى اشتراكيتنا ضد الثورة المضادة فى الداخل والخارج وأن تتيقظ للتحالف الغـادر حتى لا يقـوم ثانية بين الرجعيـة والرأسمالية المستغلة فى الداخـل وبين الامبريالية العـالمية التى لا تهـدف الا الى تحطيم ثورتنا ثورة عبـد الناصر الاجتماعية

ـ ولا يخفى على أحد منا أن عدوان ١٩٦٧ الاسرائيلى على البلاد العربية وعلى ج. ع. م. لم يكن يقصد الا الى ضرب التحول الاشتراكى فى مصر حتى تستمر سيطرته ونفوذه فى العالم . وقد أوضح الزعيم الخالد ذلك دائما « وبين أن من أهداف العدوان الاسرائيلى سنة ١٩٦٧ هو ضرب الاشتراكية فى مصر وأنه يؤدى هذا الدور لحسابه ولحساب الاستعمار العالمى » (١) .

* من أجل كل ذلك قال الشعب (صاحب المصلحة الحقيقية فى الثورة) يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وما زال يؤكد « بالروح والدم حنكمل المشوار » نعم انه المشوار على طريق الحرية والاشتراكية لاقامة مجتمع عبد الناصر مجتمع الرفاهية والوحدة التى استشهد المناضل البطل فى سبيلها .

* ويؤكد الزعيم الخـالد حتمية استمرار الثـورة الاجتماعية . نتيجة للأوضاع التى ثارت عليها الجماهير يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تلك الأوضاع التى كانت تحمل كل معانى التخلف وكل مظاهر الظـلم الاجتماعى فيقول « من هذه الأوضاع ومن تفاعلها لظروف العصر .. فان الحل الاشـتراكى فرض نفسه بغير بديل كطريق للتقـدم الاجتماعى .. والاقتصادى .. » وذلك بعد أن أثبتت تجربتنا الثورية عجز الطريق الرأسمالى عن تحقيق العدالة والتقدم .. وكان الدليـل الأكبر على الثورية المتجددة والمستمرة للزعيم الخالد ، هو قدرته على استخلاص هذه الحقيقة والتعبير عنها فى جلاء فى الميثـاق الوطنى حيث تحدث عن حتمية الحـل الاشتراكى « ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر وصولا ثوريا الى التقـدم لم يكن افتراضا قائما على الانتقـاء الاختيارى وانما كان الحل الاشـتراكى

---

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ بجامعة القاهرة .

حتميــة تاريخية فرضها الواقــع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعــالم فى النصف الثــانى من القــرن العشرين » واذا كان جوهر قضية استمرار الثورة قد تبلور فى ضرورة استمرار التحول الاشتراكى كما علمنا الزعيم الملهم .. فمن الأهمية بمكان أن نناضل من أجل استمرارها . وقد حلل القائد الخالد فى الميثاق الوطنى السبيل الى استمرار التحول واستمرار الثورة الاجتماعية .

وقال السيد أنور السادات لأعضاء مجلس الأمة وهو يقبل الترشيح لرئاسة الجمهورية :

« أنه قادم اليهم على طريق عبدالناصر وأنه يعتبر قــول الجماهــير فى انتخابه (نعم) هو أمر بالسير على طريق عبدالناصر » ..

وقد أعلن السيد/شعراوى جمعه فى بيانه يوم اعلان نتيجة الاستفتاء: « ان عبدالناصر وان كان قد ذهب الا أن تنظيمات سياسية ومؤسسات دستورية رعاها ، وأرسى دعائمها وهيأها .. لتواصل من بعده مســيرة الحرية والاشتراكية والوحدة » .

هذا وقد قدمت اللجنة التنفيذية العليا بيانها السياسى للجنة المركزية للاتحــاد الاشتراكى الذى يؤكد استمرار مســيرة عبدالناصر واستمرار التحول الاجتماعى فى الطريق الذى رسمه عبدالناصر .

« استمرار الثورة كما رسمها عبدالناصر ، والقضاء على كل العوامل التى يمكن أن تعــوق هــذا الاستمرار ، وأن هــذا الاستمرار ، يبنى بالضرورة وبالفعل ، على التماســك الكامل بمبادىء عبد النــاصر وعلى اعتبارها الأساس الذى يحكم كل العمل الوطنى فى المستقبل ، كمــا كان الأمر فى الثورة منذ بدأت كما أن هذا الاستمرار مبنيا على التمسك بهذه المبادىء هو وحده الذى يجعلنا نشعر ويشعر العالم معنــا بأن جمــال عبدالناصر سيظل خالدا فى شعبنا ، وخالدا فى أمتنا ، وخالدا فى الانسانية كلهــا[1] .

---

(١) تقرير اللجنة التنفيذية العليا المقــدم للجنة المركزية للاتحــاد الاشتراكى العربى بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٧٠

وجاء فى خطاب السيد/أنور السادات أمام مجلس الأمة حول ضرورة وحتمية استمرار الثورة الاجتماعية فقال :

« اننى جئت معى الى هذا المجلس بوثيقة واحدة أودعها فيه وأمشى قائلا لكم هذا برنامجه وهو برنامجى أيضا لأنه ارادة الشعب ..

اننى أودع فى هذا المجلس بيان ٣٠ مارس فذلك آخر برنامج متكامل قدمه جمال عبدالناصر لأمته وصدقت عليه جماهير شعبه فى استفتاء عام حر واعتمدته طريقا للنضال وامتدادا عضويا للميثاق على ضوء الظروف الطارئة التى واجهت نضالنا ابتداء من يونيو ١٩٦٧ .

ان بيان ٣٠ مارس يمثل فى هذه المرحلة وحدة أمتنا ونحن فى حاجة الى هذه الوحدة بيان ٣٠ مارس يمثل فى هذه المرحلة أهدافنا الواضحة ونحن فى حاجة الى وضوح .. وبيان ٣٠ مارس يمثل فى هذه المرحلة ارادة شعب تعلو أى ارادة غيرها ..

وبيان ٣٠ مارس تجسيد لارادة شعبية لا يرقى اليها شك .

وفوق ذلك فان بيان ٣٠ مارس امتداد عضوى للميثاق وهو العلامة التى كتبها جمال عبد الناصر على رأس طريقه[1] » .

* ان ايماننا برسالة زعيمنا وقائدنا ومعلمنا يفرض علينا أن نسلك الطريق الذى اختطه وأن نتابع النضال الذى قاده وسقط شهيدا فى سبيله .. والله معنا ..

وان واجبنا كجهاز أمن وواجب الشعب كله أن ينشط الى عمل مضاعف ووعى مضاعف وادراك مضاعف .

أما العمل المضاعف فلأن المرحلة القادمة يجب أن تتفق والمكانة التى وضعها الزعيم لبلادنا . والعمل المضاعف فى هذه المرحلة ضرورة من

---

(١) خطاب للسيد أنور السادات أمام مجلس الأمة يوم ترشيح سيادته لرئاسة الجمهورية .

ضروراتها • ولقد كبرت الآمال التى خلدها الزعيم وحيث تكبر الآمال يتحتم أن يتضاعف العمل • ثم ان طريقنا لا يزال تحف به المصاعب والتحديات ، والقوى التى اعترضت طريقنا فى الماضى لا تزال تتحفز لكى تعترضه فى هذه المرحلة ، بل لعلها أشد حرصا على ذلك مما كانت فى أى وقت مضى ، فقد أوشكنا على النصر الحاسم وقبل النصر الحاسم يبلغ الصراع أشده •

أما الوعى المضاعف فواجب محتم لأن العمل من غير وعى جهد ضائع • والوعى يتطلب الفهم والتخطيط ومعرفة الخصوم من الأصدقاء ودرس كل ما يحيط بنا وقياس أبعاده فى الحاضر والمستقبل • ولئن كنا فى حاجة الى الوعى فى حياة الزعيم الخالد ، فاننا فى حاجة الى وعى أعمق وأشمل •

وحاجتنا الى الادراك لازمة للوعى الصحيح ، فلا وعى من غير ادراك • والادراك هو المعرفة الدقيقة المحددة • وكلاهما ، أعنى الوعى والادراك شرط أساسى للعمل المنتج •

ولئن تذرعنا بالعمل وجعلناه فى تقديس الايمان ولئن فهمناه على النحو الذى أوضحه الزعيم الخالد وسرنا فيه من غير تردد أو ملل أو تهاون فسنكسب المرحلة القادمة •• وكل المراحل باذن الله •

وأخيرا أقولها كلمة وهى أن كلمة (نعم) التى قالها الشعب لصديق الزعيم الخالد وزميل كفاحه تعنى الكثير •• تعنى أن الشعب يؤيد السير فى الخط الذى بدأه الزعيم الخالد فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى انطلاق لم يتوقف ومعارك أفقدتنا الكثير وأعطتنا الكثير •• وهى تعنى أيضا أن سياستنا ستزداد صلابة وتصميما وستزداد مع الصلابة والتصميم فعالية ونفوذا • واذا كانت بلادنا فى الثمانية عشر عاما الماضية قد وطدت من استقلالها السياسى وثورتها الاجتماعية الاقتصادية ونهضتها الثقافية على الرغم من كل العقبات التى صادفتها وكانت مع ذلك عاملا مؤثرا فى سياسة المنطقة العربية وفى السياسة العالمية فانها أجدر أن تكون فى السنوات القادمة أعظم تأثيرا • واذا كانت قد استطاعت بفضل تصميمها وايمانها أن تتخطى العقبات التى واجهتها فى السنوات السابقة فانها أقدر على مواجهة ما يمكن أن

يصادفها من عقبات فى السنوات القادمة ، وأقدر على تحقيق نصر حاسم فى المجال الداخلى وفى المجال الخارجى على السواء وذلك لما أرسى دعائمه الزعيم الخالد فى الداخل من نظام مستقر متطور وبعد أن دخلت مرحلة التصنيع والتقدم وخلفت وراءها مرحلة الركود والتواكل .

وبعد فان خليفة عبدالناصر الذى وضعت الأمة على عاتقه مسئولية السنوات القادمة يستحق أن نقف جميعا نشد أزره ونقوى ظهره ، ولعله فى حاجته وحاجتنا الى أن نقف معه ، يأخذ منا ونأخذ منه فتندمج القيادة فى الشعب ، ويندمج الشعب فى القيادة فيكون من هذا الاندماج قوة لا تقهر .

نعاهدك

يا قائدنا ... وزعيمنا ... وصديقنا ... وأخانا ...

نحن الشعب ...

نحن الملايين .. بأن نكون أضواءا ساطعة تكشف أعداءنا ...

ومتفجرات تنسف مواقعهم فى الداخل والخارج ...

نعاهدك .. بأن نهب أرواحنا فى سبيل الرسالة التى وهبت نفسك لها وروحك من أجلها وأن نتقدم بمبادئك على الطريق بقدم راسخة وقلب ثابت وعزم لا يلين ...

نعاهدك بأن نكشف عن كل الاخطاء التى يقع فيها كل منا .. والتى يقع فيها غيرنا .. وأن ندرب أنفسنا بصدق على ممارسة النقد والنقد الذاتى ..

نعاهدك بأن نعمل بحماس أكبر لكى نصل الى ما كنت تبتغى ، لا كموظفين .. بل كثوريين لكى نحقق أملك ، وأن نتجاوز عصر الكهرباء الى عصر الذرة والفضاء ..

نعاهدك من أجل هذا كله .. أن نقيد احتياجاتنا فى حدود انتاجنا ، وأن نطلق بأحلامنا أبعد من رغباتنا ..

لهذا نعاهدك ..نحن الطلبة بأن نستوعب أكثر وأكثر من علوما ومعارفنا لنشارك فى بناء مجتمعنا الأفضل . وأن نتوحد فى تنظيمات طلابية تعبىء جماهيرنا لتنفيذ سياسة الاتحاد الاشتراكى .

نعاهدك نحن المثقفين بأن نكون أكثر ايجابيـة وأكثر تفـاعلا والتصاقا بالشعب وأكثر تعبيرا عن مشاكله وآماله وأحلامه •

نعاهدك نحن العمال والفلاحين بأن نكون أكثر عملا وأن يكون عملنا معا أكثر انتاجية وأن نتضامن معا فى نقاباتنا لنعبىء الجماهير من أجل الاشتراكية ولندفع عجلة التطور بخطوات أسرع •

نعاهدك نحن الجنود ، بأن نكون كما كنا دائما أكثر يقظة من جيش العدو ، وأن نلبى نداء حركات التحرر الوطنى فى كل مكان •• وأن تكون قوانا فى خدمة السلام العالمى •• ومن أجل مجتمع انسانى ترفرف فيـه رايات الأخاء والمحبة ، ويزول فيه الاستغلال والاستعمار •

نحن الملايين سنكمل الطريق •• ومصـاعب الطريق •• وأحـلام الطريق •• وانتصارات الطريق •

الخاتمة

والآن وقد انتهيت من عرض هذا البحث كمحاولة على الطريق لدراسة ثورة عبد الناصر الاجتماعية .. فانى أقدمه وكلى أمل فى أن أكون قد وفقت فى القاء الضوء على مفهوم الثورة الاجتماعية وبعض انجازاتها فى مصر ومصيرها بعد رحيل الزعيم الخالد .

وانى أسلم البحث الى أيد أمينة لها من الخبرة والعلم ما يمكنها أن تصل الى أعماق لم أتمكن من الخوض اليها وجوانب يمكن أن يكون قد فاتنى الالمام بها .

فان كنت قد أصبت ... فمن الله

وان كنت قد أخطأت ... فمن نفسى

والله ولى التوفيق .

مصادر البحث

— فلسفة الثورة

جمال عبد الناصر

— الميثاق الوطنى

— برنامج ٣٠ مارس

— خطب واحاديث

الزعيم الراحل

— محاضر جلسات الوحدة ١٧ ابريل ١٩٦٣

— قصة الثورة كاملة

أنور السادات

— العامل يصبح وزيرا

عطيه عبد الجواد

— كيف نجح عبد الناصر

ر . ك . كارنجيا

— محاضرات فى ثورة ٢٣ يوليو

سمير المهندس

— الاصلاح الزراعى فى ١٥ عاما

محمد عبد المجيد مرعى

— البطولة والابطال

د . أحمد محمد الحوفى

— أيام خالدة فى حياة عبد الناصر

د . جمال العطيفى

ـ عملاق من بنى مر
سليمان مظهر

ـ سنوات التحول الاشتراكى
على صبرى

ـ عبد الناصر ـ قصة البحث عن الكرامة
ويلتون واين

ـ ثورة ٢٣ يوليو
حمدى حافظ

ـ الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى مصر
سيد مرعى

ـ التنمية الاقتصادية ومشكلات السلوك الاجتماعى
المركز القومى للبحوث

ـ القرية المصرية من ماضى وحاضر
محمود الشرقاوى

ـ الكهرباء لكل الناس
وزارة القوى الكهربائية

الدوريات :

مجلة العلوم السياسية

نشرات مصلحة الاستعلامات

الكتاب السنوى مصلحة الاحصاء



معهد تدريب ضباط الشرطة

البحث الثالث

جمال عبد الناصر
ومحاربة الاستعمار القديم والجديد

بقلم :
المقدم عبد العظيم لاشين



اهـــداء :

الى كل من آمن بهـــذا الوطن ،

الى كل من خاض معركة من معارك استقلاله او تدعيم استقلاله ،

الى الشهداء والأحرار فى كل مكان ،

الى شهيد الحرية والكرامة الزعيم الراحل

جمال عبد الناصر

اقدم هذا البحث .

عبد العظيم لاشين

مقـــدمة

ارايت كيف يقـــوم من تحت التراب معـــذبون .
ليشـــيدوا المستقبل البسام فى وجه التحدى والخطر .
ويسيطرون على القدر .

عبد الرحمن الشرقاوى *

خاضـت مصر والأمة العربية منـذ قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ المجيدة معارك طاحنة ومستمرة ضد الاستعمار القـديم والجديد . وكان انتصـارها فى معاركها انتصارا للحرية فى كل مكان ، انتصارا للشعوب المتحررة والدول النامية . وقد أثرت نتائج الحروب التى خاضتها فى غيرها وأثرت فى نفس الوقت بالظروف المحيطة بها .

ولم تقصر مصر حربها للاستعمار على أرضها بل حاربته فى كل مكان وأينما وجد وفى كل أشكاله وأساليبه ، ومدت يد الصداقة والعون لكل مقاتل شجاع يناضـل فى سبيل حريته واستقلاله أو يجاهد فى مجال تدعيم هـذه الحرية والاستقلال .

وهنا يجب أن نتساءل ما دور جمال عبد الناصر فى ذلك الصراع . هل كان مجرد عضو فى تنظيم أم كان زعيما وقائدا لتشكيل ؟ وأعتقد أن مكان الرئيس الراحل فى الثورة وموقعه بالنسبة للأبطال الذين فجروها وشاركوه فيها واستمروا يناضلون معه هو الذى يقودنا للجواب .

وبعد الاجابة على السؤال الأول أجد أن هناك سـؤالا يطرح نفسه . ما هو موقع مبدأ القضاء على الاستعمار من مبادىء الثورة الستة ؟ هل يحتل منها المكانة الأولى أم يتساوى أهمية مع غيره من المبادىء ؟ هل علاقة المبادىء الأخرى به علاقة التابع بالمتبوع أم هناك شيئا غير ذلك ؟

---

* قصيدة بعنوان رسالة الى جونسون .

اولا ـ مكان عبد الناصر فى الثورة :

تنتسب الثورات فى التاريخ عادة الى الدولة التى قامت فيها ، فيقال الثورة الروسية أو الثورة المصرية . وأحيانا تعرف الثورات وخاصة فى المجتمع المحلى أو الاقليمى بتاريخ معين فيقال ثورة ١٩١٩ أو ثورة ١٩٥٢ فى مصر . وتنتسب الثورات فى بعض الأحيان الى الفرد الذى قادها والزعيم الذى نظمها ، فيقال ثورة أتاتورك أو ثورة موسولينى . فلمن تنتسب ثورة مصر . هل للمكان أم للزمان أم لشخص ؟ وقبل الاجابة على ذلك نستعرض مايلى :

١ ـ من المقطوع به أن جمال عبد الناصر كان عقل الثورة المفكر ورأسها المدبر وقائدها يوم الزحف . فقد كان هو الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية لتشكيل الضباط الأحرار فى السنوات السابقة لقيام الثورة (١) وكان هو وحده الذى يعرف التشكيل الكامل للضباط الأحرار وهو الذى نظمهم وقادهم يوم الزحف . وقال فى ذلك أنور السادات

« بعد مضى عدة سنوات على قيام الثورة فان أحدا منا نحن الذين كنا فى مجلس قيادة الثورة لا يعلم بالضبط عدد الضباط الأحرار ومن هم الذين خرجوا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟ ومن هم الذين لم يخرجوا ؟ الا فردا وحدا هو عمك جمال » (٢)

٢ ـ استمر الراحل العظيم يقود سفينة الثورة ويوجه دفتها وسط الأعاصير والعواصف بنجاح . وكان طوال الثمانية عشر عاما ـ بشهادة الجميع ـ ربانا ماهرا وقائدا ثوريا مخلصا ، أطلق مجموعة من الشعارات الجديدة فى العالم . فأطلق شعار الوحدة لمواجهة واقع التجزئة ، وأطلق شعار الاشتراكية لمواجهة واقع الاستغلال الاجتماعى ، وأطلق شعار الحرية فى مواجهة الاستعمار .

---

(١) أنور السادات . قصة الثورة الكاملة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ٦٠ .

(٢) أنور السادات . يا ولدى هذا عمك جمال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، اغسطس ١٩٦٥ ، ص ٦٤ .

واستطاع بشخصيته الفذة أن يرسب هذه الشعارات الصادقة في وجدانات الجماهير ، وكان في كل ما عمله ناجحا معلما باعتراف الأعداء قبل الأصدقاء . وفي ذلك يقول أنور السادات « انني لا أريد أن أتكلم عن أخي وصديقي وأستاذي ومعلمي جمال عبد الناصر ... » (١) كما خاطبه السيد حسين الشافعي بقوله « زعيمي وأخي جمال » (٢) ومن هنا ظهر زعامته وقيادته للثورة بعد قيامها .

٣ ـ اكتسب الراحل العظيم شهرة لا تدانيها شهرة عن طريق نضاله وكفاحه وأسلوب قيادته وعمله وطهارته . ليس في مصر والأمة العربية وحدها بل في العالم أجمع حتى سميت القاهرة بقاهرة ناصر ، والثورة بثورة ناصر ، والأمة العربية بأمة ناصر . وأصبح الناس يتساءلون أأنت من بلد ناصر . بدلا من أأنت عربي ؟ والأدلة على هذه الشهرة كثيرة أذكر منها اعتراف كاسترو الزعيم الكوبي بقدوة عبد الناصر حتى لشعوب أمريكا اللاتينية في كفاحها بقوله « سأفعل بأمريكا كما فعل عبد الناصر ببريطانيا في حرب السويس »(٣) . وقال عنه جعفر نميري « ان جمال عبد الناصر أعز سهم من سهام الله وأصلبها عودا وأبعدها مرمى وأنفذها اصابة مجدد شباب العرب ومحيي آمالهم ... الخ » (٤) .

٤ ـ شاع استخدام مفهوم ثورة عبد الناصر كتعبير عن ثورة يوليو ٥٢ في الكثير من الكتب الأجنبية التي تناولت الثورة المجيدة بالدراسة والتحليل . ويظهر ذلك على سبيل المثال في كتاب الصحفي الهندي ر . ل . كارنجيا (٥) وفي كتابات غيره مثل الكاتب الهندي ديوان برندرانات في كتابه « ناصر الرجل والمعجزة » .

---

(١) من كلمة السيد الرئيس أنور السادات في ذكرى الأربعين .

(٢) من كلمة للسيد حسين الشافعي في مؤتمر القاهرة في ١٩٧٠/١٠/١٢

(٣) روبرت سان جون «الريس» لأن اصلها الانجليزى The Boss (قصة حياة الرئيس جمال عبد الناصر) القسم الاول ، ادارة الثقافة السياسية ، مصلحة الاستعلامات (الطبعة الثانية) .

(٤) كلمة الرئيس جعفر نميري في ذكرى الأربعين .

(٥) ر.ل. كارنجيا كيف نجح عبد الناصر ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٦٥ ص ٤٠ وما بعدها .

٥ ـ كان للاتصال الايجابى الدائم للرئيس عبد الناصر ومشاكل الحرب والسـلام ، واسهامه الفعال فيها ـ سـواء فى الدوائر العربيـة أو الأفريقية أو العالمية ، ووقوفه فيها موقفا نال اعجاب وتأييد الشعوب الحرة فى العالم ـ أثر كبير فى اكتسابه شهرة عالمية حتى اعتبر تاريخ الثورة نقطة تحول فى تاريخ آسيا وأفريقيا وقال الكاتب الهندى Dewan Brindranatg فى كتابه Nasser, The man and the miracle فى هذا الصدد « صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والساعة تشير الى السابعة وبعد أن بدأ راديو القاهرة ارساله باذاعة القرآن أذيع ذلك النبأ الذى كان نقطة تحول فى التاريخ الحديث لآسيا وأفريقيا » والدليل الآخر على عالمية شخصيته أنها استأثرت باهتمام عدد كبير من كتاب الغرب حتى بلغ ماكتبوه عنه أكثر بكثير مما كتب عن أى زعيم آخر من الزعماء المعاصرين . « وقد وصل مجموع ماكتب عنه حتى يوليو ١٩٦٧ ما يزيد على الثلاثمائة كتاب بسبع عشرة لغة » [١] وقد قال أنتونى ناتنج عن عالمية شخصيته « كان شخصية عالمية وقائدا معترفا به وبطلا للعالم العربى » [٢] .

نتيجـة :

نخلص من هذا العرض بأن عبد الناصر كان منظم الثورة وقائد زحفها بلا شك ، كما أن شهرته وعالمية شخصيته تقتضى أن تنتسب الثورة اليه أكثر من انتسابها للمكان والزمان .

ثانيا ـ موقع محاربة الاستعمار من ثورة عبد الناصر :

اتخذت ثورة عبد الناصر منذ فجرها مسارين واتجاهين يكمل أحدهما الآخر ويستند اليه . الاتجاه الأول هو مناطحة أشياء فى المجتمع بهدف اسقاطها واقتلاع جذورها وهى الاستعمار والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المـال . والاتجاه الثانى معاضـدة أشياء أخرى وتدعيمها وتقويتها والسعى المتواصـل لادراكها وجعلها حقيقة راسخة فى مجتمع ما بعد الثورة ، وهى اقامة العدالة الاجتماعية والجيش الوطنى القوى والحياة الديمقراطية السليمة . وقد تبلور هذان الاتجاهان فى المبادىء الستة التى أعلنتها الثورة يوم مولدها .

---

(١) حمدى الكنيسى ، عبد الناصر فى مكتبة التاريخ ، المجلة ، العدد ١٦٧ ، القاهرة، نوفمبر ١٩٧٠

(٢) الاهرام ١٩٧٠/١١/٧ (ص ٥) .

وأنى أعتقد أن وجود مبدأ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين على رأس هذه الأهداف واحتلاله المركز الأول منها لم يكن عفوا • وحتى أن كان كذلك فهو أهمها وهو الذى قامت الثورة أصلا من أجله كما يظهر من استقراء الحوادث السابقة للثورة واستقراء ما كان يدور فى ذهن وعقل زعيمها • والأسباب التالية تؤيد كون ثورة عبد الناصر ثورة على الاستعمار فى المقام الأول :

١ ـ كان للفترة التى عاصرت مولد عبد الناصر وطفولته وشبابه أثر كبير عليه وعلى غيره من المواطنين فى تعميق كراهيته للاستعمار حتى جعلت من قضية التحرير شغله الشاغل اذ أنه ولد مع بزوغ فجر ثورة ١٩١٩ والحركة الوطنية فى أشدها والمقاومة ضد الاستعمار فى عنفوانها وقد قيل فى هذا الصدد « ظهر جمال عبد الناصر الى الوجود فى ١٥ يناير ١٩١٨ وقيل عنه فيما بعد أنه يجيد التوقيت فلم يكن هناك أفضل من هذا التاريخ » (١) •

٢ ـ بلغ تيار الوطنية مداه فى الفترة من ١٩٢٠ الى ١٩٣٥ وقد أثرت هذه الفترة كثيرا عليه وتعاقبت فيها أحداث كانت تعمق كراهيته للاستعمار مما جعله يعده عدوه الأول والهدف الذى يجب أن تطعنه ثورته أول ما تطعن وقد كان دائم التفكير فى أحوال مصر والمصريين وقد قال عنه أحد أصدقائه فى هذا الصدد « كان زعيم المدرسة كلها وهو فى سن السابعة عشر وكانت وطنيته جارفة يقود المظاهرات ضد الانجليز دون أن يخشى شيئا بالمرة ، كان يكرههم لا كشعب ولكن كسلطة » •• كما أضاف أنه كان يجده أثناء المذاكرة سارحا غارقا فى التفكير فى القضية الوطنية ودور الشباب فيها » (٢) •

---

(١) Dewan Brindranatg, Nasser The Man and The Miracle, India, 1966; P. 17.

(٢) عبد الرؤوف جبريل مدير مكتب شكاوى رئاسة الجمهورية (الاهرام ١٨/١١/١٩٧٠) •

٣ — تأثره البالغ فى شبابه بالرذائل التى اقترفها الاستعمار وكان معظم حديثه مع الضباط الشباب والأصدقاء يتناول هذه الناحية وقد كان لوقع انذار ٤ فبراير عام ١٩٤٢ أسوأ الأثر فى نفسه ونفوس زملائه الضباط فقد رأى عبد النـاصر ورفاقه أن هذا الحادث فيـه اهـدار لكرامة مصر عامة وكرامة الجيش خاصـة ، وأن فاروق — رغم عدم احساسهم نحوه بشعور ما سـواء بالعطف أو الكراهية (فى ذلك الوقت) — كان بمثابة الرمز المصرى الذى بصق عليه الاستعمار وقد وضح أثر ذلك فى معظم كتاباته فيما بعد •

٤ — كان هدف تنظيم الضباط الاحرار قبل قيام الثورة هو جلاء القوات البريطانية عن مصر فقط ونستند فى ذلك الى الواقعة التى يرويها Robert ST. John فى كتابه The Boss ونصها « أعلن بعض الضباط الأحرار أنه بعد انسحاب البريطانيين من القاهرة يكون هدفهم قد تحقق ومن ثم يمكن حل تنظيمهم • ولكن ناصر أسكت مثل هذا الكلام وهو فى حالة غضب وقال عندما يغادر آخر جندى بريطانى أرضنا بما فى ذلك منطقة القناة فاننا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا » (١)

من هذا يظهر واضحا أن تفكير الضباط الأحرار كله كان منصبا قبـل الثورة ولحظة قيامها على ضرب الاستعمار •

كان الرئيس الراحل يرى أن الثورة الاجتماعية شىء متمم للثورة السياسية ومكمل لهـا ومن ذلك قوله « ان شعوبنا لا تقنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة فحسب ولكنها تريد الى جانب ذلك أن يكون الاستقلال مضمونا اجتماعيا يصون الكرامة للبشر كما يصون الاستقلال كرامة أرضهم » (٢)

---

(١) روبرت سان جون ، الريس ، مرجع سابق ، ص ١١٥

(٢) من خطاب السيد الرئيس فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الأفريقى ١٩٦٤/٧/١٧

كما قال سيادته بصدد اقامة جيش قوى « أن منطق هذا العصر ـ ولعله منطق كل العصور ـ أن الحق بغير القوة ضائع وان أمل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام وان المبادىء بغير مقدرة على حمايتها أحلام مثالية مكانها السماء وليس لها على الأرض مكان » • ويتضح من هذا ، الربط بين المبدأ الخامس والمبدأ الأول من مبادىء الثورة ، فالجيش القوى يحمى المبادىء ويصون السلام ويصد الاستعمار •

نتيجة :

نرى من كل ما سبق وما سيرد مستقبلا عند الحديث عن شخصية عبد الناصر أن ثورته كانت فى المقام الأول ثورة على الاستعمار ولكنها لم تغفل غيره من الجوانب •

وسأحاول بعد هذا العرض وفى نطاق هذا البحث أن أوضح فى الفصل الأول أشكال الاستعمار وصوره ثم أبين فى الفصل التالى أثر ثورة عبد الناصر فى حركة التحرير العالمية • وفى الفصل الثالث سأتناول وسائل عبد الناصر فى حربه للاستعمار القديم والجديد • وفى الفصل الأخير سأظهر العوامل والظروف التى ساعدت عبد الناصر فى حربه للاستعمار •

وفى خاتمة البحث سأعرض لأهم النتائج التى يمكن استخلاصها منه ثم سأحاول مناقشة قضية هامة راودت تفكير الكثير من الناس وهى مدى امكان مهادنة الاستعمار كطريق لبناء القوة الذاتية وهل فى هذا مصلحة الوطن أم أن الحرب المتواصلة التى شنها عبد الناصر على الاستعمار فى كل مكان كانت أمرا لا مفر منه ثم سأعرض فى النهاية ما يؤكد استمرار المسيرة فى طريق عبد الناصر وخاصة فى مجال محاربة الاستعمار اذ أن الرئيس أنور السادات امتداد أصيل للرئيس الراحل جمال عبد الناصر اذ أنه ثورى بطبعه، عدو لدود للاستعمار منذ نشأته •

الفصل الأول

مذاهب الاستعمار وصوره

ان الله الذى وهبنا الحياة وهبنا معها الحرية فى نفس اللحظة ولنفس السبب .

جيفرسون

الاستعمار فى العصر الحديث :

يبدو الاستعمار بصورة عامة حديث العهد ويرتبط كثيرا فى أذهان الناس وفى الكتابات الدارجة بالقرن التاسع عشر بصفة خاصة ، الا أن الحقيقة أنه ظاهرة قديمة قدم التاريخ بعيدة جدا فى أغواره . فقد كان التاريخ القديم فى حد ذاته بمثابة مجموعة متتالية متداخلة من الغزوات والهجرات ولكنها كانت فى مجموعها خالية من هدف الاستغلال أو الاستيطان الدائم . وكانت معظم هذه الغزوات بعيدة عن التخطيط والتقنين وكثيرا ما كانت تهدف للتخريب والسلب والنهب .

ومع تقدم الزمن واطراد نمو الدولة كشكل سياسى بدأت هذه الغزوات والهجرات تتخذ شكل الاستعمار وصورته . فقد أسس الفينيقيون مستعمرات مختلفة لهم فى البحر الأبيض المتوسط كما استولى الأغريق على عدة مستعمرات فى سواحل الأناضول والبحر الأسود ومضيق البوسفور وفى صقلية وعلى سواحل فرنسا وأسبانيا .

وقد شهد العالم القديم انشاء امبراطوريات ودولا ضخمة كامبراطورية بابل وآشور والدولة الرومانية . كما قامت فى العصور الوسطى الدولة العربية الاسلامية الضخمة التى امتدت حتى شملت أجزاء كثيرة من القارة الأوربية .

ويمكن أن نقول ان الاستعمار بدأ يطل على العالم بصورته القبيحة ويستشرى منذ القرن الخامس عشر ـ وقد ابتدأ باستكشاف العوالم المجهولة فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية.وما كاد القرن التاسع عشر ينتهى الا وكان على كل شبر من أرض أفريقيا آثار أقدام الغزاة وعلى كل ظهر من ظهور بنيها سياط المستعمرين العتاة ، وقد استطاعت أوربا الغربية وحدها والتى تبلغ مساحتها ٢ر٢ مليون ميل مربع أن تنشر نفوذها وظلمها وأن تفرض استعمارها على أكثر من ٥٧ مليون ميل مربع فى أقل من خمسمائة عام ، (*) .

ولذلك فان حديثى عن الاستعمار لن يكون سردا للتاريخ كله فى العصور القديمة والوسطى والحديثة لأن هذا التاريخ الطويل جدير بأن يستوعب مجلدات ضخمة ويحتاج لجهود كبيرة لن يتسع لها هذا البحث ولن أقدر عليها .

ولذا سأكتفى فى هذا الفصل بالتعريف بالاستعمار وكذلك سأعرض بعض صور الاستعمار الذى بدا واضحا مع بداية القرن الخامس عشر ، مركزا الحديث بقدر ما استطيع على الاستعمار القديم والجديد .

تعريف الاستعمار :

اذا ما أردنا أن نحدد معنى الكلمة العربية الاستعمار لغة فاننا لن نجد فى معاجم أو كتب اللغة أو دوائر المعارف ما يشفى الغليل . رغم أننا سنجد فى لسان العرب عددا كبيرا من الصفحات يتناول بالشرح والتفسير كلمة عمر ومشتقاتها يعمر ، العمار والعمران .

والغريب أن الكلمة العربية « الاستعمار » مشتقة من العمار رغم الاختلاف البين بين مدلول الكلمتين ، فالأولى تعنى السلب والنهب والاستغلال والتدمير والتخريب ، وهذا المعنى يناقض تماما مدلول الكلمة الثانية .

(*) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، كتاب الهلال ، دار الهلال بالقاهرة ، ابريل ١٩٦٨

وأما كلمة Colonialism فقد عرفها قاموس لاروس بانها الاسم المتصالح عليه للاستعمار المباشر ، وهو المذهب الاستغلالى الذى يعتبر أن الاستعمار هو المصدر الوحيد لرفاهية الأمم المستعمرة .

ويتضح من هذا التعريف وغيره من العقائد والايديولوجيات التى عاصرت الاستعمار أنهاكانت توضع بغرض الدفاع عن المستعمرين وتبرير الاستعمار ولايهام الشعوب فى المستعمرات بأنه من صالحهم . وقد قال بالمرستون رجل الاستعمار البريطانى فى هذا الصدد « أن من الواجب على الشعوب المستعمرة أن تقرع الطبول وأن تهلل فرحا بقدوم الاستعمار والترحيب به ، وكان يهيب بالشباب البريطانى لكى يعمل بالمستعمرات باعتبار أنهم سيكونون بمثابة الطليعة التى بعثها الله لتحقيق التقدم والمدنية » (*) .

كما أن البابا كان يبارك كل كشوف أسبانيا والبرتغال خارج العالم المسيحى لنشر الدين المسيحى الكاثوليكى . كما وجدت عدة مدارس للاستعمار فكانت فرنسا صاحبة مدرسة الاستعمار حضارة ، وكانت انجلترا صاحبة مدرسة الاستعمار سلام . وهكذا تعددتأكاذيب الاستعمار وأقنعته حتى وصل الأمر بالنازية أن أدعت فى وقت ما أنها تهدف من وراء احتلالها للبلدان العربية حماية الاسلام .

ورغم هذه السلسلة من الأكاذيب والأقنعةالتى لازمت الاستعمار ، ورغم الدقة فى التخطيط لها — حتى تقنع الشعوب المستعمرة وتقودها للاستسلام — الا أن ما حدث غير ذلك فلم تنخدع الشعوب بهذه الحيل ، وعرف الجميع حقيقة الاستعمار وكونه مجرد ضرب من ضروب القرصنة ، وسيلتها السلب والنهب ، وأسلوبها الغزو والقهر . .

ورغم سهولة وصف آثار الاستعمار ونتائجه ، الا أن الكتاب والمؤرخون قد اختلفوا فى تعريفه وتحديد معناه .

(*) محمد على الغتيت ، الشرق والغرب ، دار النهضة ، القاهرة .

فقد عرفه دكتور ابراهيم العدوى بأنه « سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى بقصد تمكينه من استغلال ثرواتها وجهدها مع الاعتداء على كرامتها وكبريائها » (١) ٠

وعرفه د ٠ جمال حمدان « بأنه سيطرة منظمة لجماعة على جماعة أخرى » (٢) ٠ وعرفه كيلر بأنه « امتداد النفوذ السياسى لدولة ما الى دولة أخرى أو مساحة من الأرض لم تكن تابعة لها على أن يصحب ذلك هجرة واستغلال للأرض وما عليها وما فى بطنها واستغلال للسكان وذلك لمصلحة الدولة صاحبة النفوذ » (٣) ٠

وقد عرفه الدكتور محمد عوض محمد بقوله « هو العمل أو مجموعة الأعمال التى من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان فى آن واحد » (٤) ٠

ونرى أن التعريف الأخير أقرب التعاريف الى الصحة حيث يشمل الاستعمار بلونية القديم والجديد ٠

صور الاستعمار واشكاله :

تعددت تقسيمات الاستعمار واختلفت اختلافا بينا حتى التقسيم الذى ورد كعنوان لموضوع البحث والذى صنف الاستعمار الى « نوعين قديم وجديد » كان أيضا موضع خلاف فقد اعتبر الدكتور محمد عوض محمد (٥) أن

---

(١) د٠ ابراهيم أحمد العدوى ، الصراع بين الأمة العربية والاستعمار الجديد ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٩

(٢) د٠ جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ١٢ ٠

(٣) ملامح من الاستعمار الجديد ، سلسلة من حياتنا ٦ ، مرجع سابق ص ١١ ٠

(٤) د٠ محمد عوض محمد ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٤٠

(٥) د٠ محمد عوض محمد ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، مرجع سابق ص ٤٦ وما بعدها ٠

الاستعمار الحديث هو ذلك الذى بدأ بعصر الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر ، أما الاستعمار القديم فى نظره فهو ذلك الاستعمار الذى حدث قبل ذلك ، وفى رأيه وان كان الاستعماران يتشابهان فى الغرض (التوطن أو الاستغلال أو الموقع الاستراتيجى) الا أنهما يختلفان فى عدة ملامح منها أن الاستعمار القديم كانت تباشره قبائل أن جماعات تتميز بالقسوة والوحشية منظمة الى حد ما ولها قوة حربية تهدف للسيطرة على سكان مناطق ذات حضارة مماثلة أو أعرق كغارات المغول على الصين ، بينما الاستعمار الحديث تباشره دول قطعت شوطا كبيرا فى التقدم ونالت حظا من الحضارة توجهه الى دول متأخرة فى النواحى السياسية أو الاقتصادية والثقافية . كما أضاف أن الامبراطوريات القديمة الناتجة عن الاستعمار القديم كانت كتلة مندمجة ومجموعة بلدان متلاصقة كالدولة الرومانية . أما الاستعمار الحديث فتتميز امبراطورياته بالانتشار والتبعثر ، فالبرتغال مثلا كانت تحتل معظم سواحل أفريقيا الشرقية والغربية والهند وجزر الهند الشرقية . كما أضاف أن الاستعمار القديم كان يتم بمعرفة الدول وبأمر من الحاكم بغرض زيادة عدد رعيته وموارده ، أما الاستعمار الجديد فهو يتم بمعرفة الشعوب .

ويرى الدكتور أحمد سويلم العمرى (١) أن الاستعمار الجديد نوع مغاير تماما للاستعمار القديم وأن ظهور الاستعمار الجديد لم يبدأ كما قال الرأى السابق فى القرن الخامس عشر بل كانت بدايته فى الحرب العالمية الثانية .

ويفرق آخر (٢) بين الاستعمار المباشر Colonialism وبين الأمبريالية Imperialiam والاستعمار الجديد Neo-Colonialism ويعتبرها مراحل متتالية للاستعمار ـ ويقصرها كلها على استغلال الشعوب المستعمرة . كما يرى فى الاستعمار المباشر والأمبريالية علاقة استغلالية بين دولة استعمارية

---

(١) د. احمد سويلم العمرى ، أفريقيا والاستعمار الجديد ، المجلة المصرية للعلوم السياسية ، أبريل ١٩٦٥ ، ص ٣١ .

(٢) الأستاذ محمد عبد الفتاح ابو الفضل ، الاستعمار الجديد والدول النامية المجلس الأعلى لشئون الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٨ وما بعدها .

ودولة مستعمرة أقيمت عن طريق القهر والقوة ويرى أن الاستعمار الجديد هو علاقة استغلالية بين دولة استعمارية ودولة مستقلة سياسيا بغير طريق القوة أى بغير اللجوء الى أسلوب القهر العسكرى والاحتلال المباشر •

وقد أيد الدكتور ابراهيم أحمد العدوى فى كتابه « الصراع بين الأمة العربية والاستعمار الجديد » الدكتور محمد عوض فى أن الاستعمار الحديث بدأ فى أيامة الأولى مع عصر الكشوف الجغرافية وعلى يد نفر من المغامرين والرحالة والمكتشفين •

ومن هذا العرض يظهر مدى الاختلاف في الرأى بين من تعرضوا لتصنيف الاستعمار أو تقسيمه •

وقد وجدت أنه فى الامكان تصنيف الاستعمار عدة تصنيفات تبعا لوجهة النظر التى ننظر اليه منها وأذكر من هذه التقسيمات :

أولا ـ تصنيف الاستعمار من حيث تطور القوى الاستعمارية :

صنف الدكتور جمال حمدان القوى الاستعمارية فى هذا الصدد « الى ٤ طبقات أو فئات هي القوى العتيقة والعتيدة والوليدة والجديدة (١) ويمكن أن أضيف اليها قوة أخرى هى القوى الشريدة • وعلى ضوء ذلك يمكن تصنيف الاستعمار الى خمسة أقسام •

١ ـ استعمار القوى العتيقة • • • وهى التى انطلقت مع عصر الكشوف الجغرافية ويمثلها بشكل واضح الاستعمار البرتغالى والأسبانى والى حد ما الاستعمار الهولندى والبلجيكى • وتعد امبراطوريات هذه الدول من أقدم الامبراطوريات منذ قيام عصر النهضة الأروبية ، وكان الدين قناعا لهذا الاستعمار حتى اعتبر امتدادا للحروب الصليبية •

---

(١) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٣٢

وقد انكمش هـذا اللون من الاستعمار نتيجة تواجد الأنواع الأحـدث وأصبحت على حد تعبير الدكتور جمال حمدان « امبراطوريات حفرية Fossil Empire أو نوعا من الاستعمار المتخلف Redidual المفتت » (١) •

٢ ـ استعمار القوى العتيدة : وتمثل هـذه القوى بريطانيـا وفرنسـا وقد دخلا ميدان الاستعمار فى فترة تاريخية لا حقة لاستعمار القوى العتيقـة ومن المعروف أن هذا اللون من الاستعمار كان يفـوق النـوع الأول ضراوة وشراسة وكان سبب ظهور هذه القوى هى الثـورة الصـناعية الأولى وظلت بريطانيا حتى الحرب العالمية الثانية أقوى وأكبر قوة استعمارية فى التـاريخ وكانت امبراطوريتها واسعة فسيحـة منتشرة حتى قيـل عنها « الأمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس » •

٣ ـ استعمار القوى الوليدة : وقـد تلا هـذا النوع من الاسـتعمار زمنيا استعمار القوى العتيدة ومارسته ألمـانيا وايطاليـا اللتين تأخر دخولهمـا مجال الاستعمار لعدم اتحاد أماراتهما الا فى وقت متأخر من جهة ولتخلفهما عن الدخول فى الثورة الصناعية من جهة أخرى • ومن الملاحظ أن هـــذا النوع من الاستعمار لم يجد فى العالم الا أجزاء صغيرة اختطفها لنفسه ، لذا فهو يعد أضعف وأقل أثرا من سابقيه •

٤ ـ استعمار القوى الجديد : وهو ذلك النوع من الاستعمار الذى ظهر متأخرا على المسرح السياسى فى العالم ولكنه رغم ظهوره المتأخر هذا أصبح أقوى نوع من أنواع الاستعمار وأصبح وحده المسيطر على العالم سواء على الدول التى كانت محتلة أم مملوكة وسواء تلك التى تحررت أم لم تتحرر وهو الذى ظهر على يديه بشكل واضح وسافر ما سمى بالاستعمار الحديد • والقوى الجديدة التى ظهرت على المسرح العالمى بعد الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة هى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتيى •

---

(١) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٢٧١

ورغم الاختلاف البين بين الدولتين من حيث المذاهب الاقتصادية التى يعتنقها كل ، الا أن هناك أوجه كثيرة للشبه بينهما وهى أنهما ظلتا فى عزلة طويلة اختيارية (الولايات المتحدة) أو جبرية (الاتحاد السوفيتى بعد ثورة لينين) ، كما أنهما متفقتان فى كونهما من أدعياء المثالية السياسية، وكونهما لا تسعيان الى الاستعمار السياسى السافر وكذلك ارتباط نشاطهما فيما بعد بألوان مقنعة من النفوذ أو الاستعمار الجديد سواء الاقتصادى أو الايديولوجى .

٥ ـ استعمار القوى الشريدة : يعد هذا اللون من الاستعمار أدنى طبقات الاستعمار وأحقرها وتعد القوى التى قامت به أبعدها عن مفهوم القوى الحقيقى ، ويمثلها الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، وقد اعتبر استعمار من قوى شريدة لأن الذى باشرته ليست دولة من دول العالم بل مجموعة من الصهاينة المشردين والذين يحملون جنسيات دول مختلفة . وقد تم هذا اللون من الاستعمار بتدبير من الصهيونية العالمية وبتعضيد من القوى الجديدة والعتيدة .

ثانيا ـ تصنيف الاستعمار من حيث الغرض منه :

لن أتعرض لهذا التقسيم بالتفصيل لأننى سأضطر للتعرض له عند تقسيم الاستعمار الى قديم وجديد وتكفى الاشارة الى أنه يمكن تقسيم الاستعمار حسب الغرض منه الى ثلاثة أقسام :

١ ـ الاستعمار الاستراتيجى .

٢ ـ الاستعمار الاستغلالى أو الاقتصادى .

٣ ـ الاستعمار السكنى أو الاستيطانى .

ثالثا ـ تصنيف الاستعمار من حيث الشكل والتاريخ الى قديم وجديد :

شاع فى الحوار السياسى منذ الحرب العالمية الثانية اصطلاح جديد هو « الاستعمار الجديد » Neo - Colorialism وأصبح هذا الاصطلاح

يستخدم اليوم بكثرة فى جميع اللقاءات التى تناقش فيها الأمم والشعوب المتحررة قضايا استقلالها سواء داخل بلادها أو خارجها أو فى أروقة المنظمات الدولية •

ومن هذا نرى أن الاستعمار الجديد ولد مع الحرب العالمية الثانية وطالما أن هذا المولود هو الجديد فأرى أن ما سبقه هو اللون القديم سواء ذلك الذى بدأ فى ق ١٥ أو فى العصور القديمة والوسطى السابقة لهذا التاريخ • وليس معنى هذا أن الاستعمار القديم قد انقضى نهائيا ولكن قل استخدامه واللجوء اليه فالتاريخ يشهد أن بعض الدول حاولت مباشرته فى الخمسينات فقد قامت بريطانيا وفرنسا فى سنة ١٩٥٦ بمحاولة احتلال قناة السويس بالقوة • كما أن حملة خليج الخنازير التى نظمتها الولايات المتحدة ضد كوبا عام ١٩٦١ ليست الا صورة بشعة من صور الاستعمار القديم •

١ ـ الاستعمار القديم :

يمكن أن نسمى هذا النوع من الاستعمار بالاستعمار التقليدى فهو يشمل الاستعمار المباشر والأمبريالية فى نفس الوقت • ومن التعاريف السابقة يمكن أن أعرف الاستعمار القديم بأنه « امتداد النفوذ السياسى لدولة ما الى مساحة من الأرض (دولة أو أكثر أو أقل) لم تكن تابعة لها بشرط أن يصحب ذلك هجرة واستغلال للأرض وما عليها وما فى بطنها أو استغلال للسكان أو استغلال للموقع الاستراتيجى أو استغلال بعض هذه الأشياء أو كلها لمصلحة الدولة صاحبة النفوذ • ويمكن أن نقسم هذا الاستعمار القديم الى ثلاثة أنواع•

(أ) الاستعمار الاستراتيجى : وهو المرتبط أساسا بالمواقع الاستراتيجية، ويعنى التسلط على دولة أو جزء منها بغرض زيادة قدرة الدولة المستعمرة العسكرية الدفاعية أو الهجومية وتأمين طرق مواصلاتها البرية أو البحرية أو الجوية اذا كانت هذه الدولة أو هذه المنطقة مهددة بالخطر من قبل قوى استعمارية أخرى أو غير ذلك من أسباب وهذه المناطق ذات الأهمية العسكرية قد تكون متاخمة لحدود الدولة التى يرى الاستعمار أنها لازمة للدفاع عن أرضه

ومثال ذلك عندما اقتطعت ايطاليا منطقة التيرول الجنوبى من النمسا لكى تحمى أرضها وتدافع عنها من الناحية الشمالية ، وقد تكون المنطقة المحتلة مناطق مجاورة لممرات مائية ــ مثل احتلال بريطانيا لقناة السويس وجبل طارق ومالطه وعدن وسنغافورة ــ لتأمين خطوط مواصلات امبراطوريتها أو ما يسمى خط الحياة •

وقد يكون الموقع الاستراتيجى بقصد تأمين طريق مواصلات كاحتلال بريطانيا لفلسطين كخط دفاع أول عن قناة السويس • وقد فقدت هذه المواقع الاستراتيجية أهميتها كما سنرى فيما بعد عند الحديث عن أسباب ظهور الاستعمار الجديد •

(ب) الاستعمار الاستغلالى أو الاقتصادى : وهو يعنى اتخاذ المستعمرة ميدانا لكسب المال وجمعه بمختلف الطرق لصالح المستعمرين ، ويستهدف سلب خيرات هذه المستعمرات واستغلال مواردها وخاماتها وجعلها أسواقا مفتوحة لمنتجاته • ويحاول المستعمرون دائما ابقاء هذه المستعمرات فى حالة من التخلف الاقتصادى بصورة تجعلها دائما مرتبطة باقتصاد الدولة الأجنبية تسير فى فلكها ولا تستطيع التمرد عليها•وقد كانت مصر والهند مزرعتين لانتاج القطن لمصانع بريطانيا التى تعيد تصديره اليهما كمنسوجات، تحقق من ذلك رواجا لتجارتها وتجنى منه أرباحا كبيرة تتدفق الى خزائنها • وكذلك كانت غانا مزرعة للكاكاو وساحل العاج مزرعة للبن وفنزويلا مصدرا للنفط وشيلى مصدرا للنحاس •

(ج) الاستعمار السكنى : وهذا الاستعمار يهدف الى الاستيلاء على أقطار جديدة لسكنى رعاياه واقامتهم على حساب السكان الوطنيين وهو ما يسمى بالاستعمار الكامل • ولكن هذا النوع من الاستعمار مقصور على الأماكن التى تصلح لاقامة المواطن بالدولة المستعمرة من حيث اعتدال مناخها أو تشابهه مع مناخ الوطن الأم ووفرة الموارد الانتاجية •

ويمر الاستعمار السكنى ـ عادة ـ بثلاث مراحل:الأولى الابتلاع السكنى ويعنى اقتطاع المنطقة تماما وضمها كجزء لا يتجزأ من الوطن الأم وكواحد من أقاليمه ، حتى اعتبرت الجزائر فى فترة ما كمقاطعة السين أو الرون بالنسبة لفرنسا عبر البحار • كما أن ايطاليا عند ما استعمرت ليبيا ضمتها اليها واعتبرتها جزءا لا يتجزأ منها وأطلقت عليها اسم الشاطىء الرابع • وتلى مرحلة الابتلاع السكنى مرحلة اغتصاب الأرض بانتزاعها قسرا من الوطنيين بشرائها منهم أو بابادة سكانها ، ثم تلى ذلك مرحلة التعمير وهى تشمل تقاطر أفواج المستعمرين على المستعمرة بقصد الاقامة الدائمة واستبدال الوطن الجديد بالوطن الأم •

٢ ـ الاستعمار الجديد :

ظهر هذا النوع من الاستعمار مع الحرب العالمية الثانية ، اذ تحول الاستعمار بعدها لتصبح له معان جديدة منها نهب المواد الخام وتصدير رؤوس الأموال واستثمارها فى البلاد النامية وربط اقتصاديات هذه البلاد باقتصاديات الأمبريالية والاستعمار وبالتالى تبعيتها لها •

وقد عرف محمد فائق الاستعمار الجديد بقوله « هو استمرار سياسة استغلال الشعوب فى ظل استقلال سياسى » (١) •

وعرفه اسماعيل صبرى بأنه « الأسلوب الذى يفرض الاستغلال الاقتصادى دون حاجة الى احتلال عسكرى اكتفاء بتنصيب حكومات عملية والتهديد بالقوة واستخدامها أحيانا واحكام السيطرة الاقتصادية » (٢) •

---

(١) محمد فائق وزير الاشاد القومى ، الشرطة فى مجال العمل السياسى ، ادارة الشئون العامة بوزارة الداخلية •

(٢) مجلة الطليعة يوليو ١٩٦٧

وقد شرح نكروما الرئيس الغانى السابق الاستعمار الجديد بقوله : « يتلخص جوهر هذا الاستعمار فى أن الدولة الخاضعة له تكون من الناحية النظرية مستقلة تمام الاستقلال ومتمتعة بجميع الزخارف الشكلية للسيادة الدولية أما فى الواقع فان نظامها الاقتصادى وبالتالى سياستها الخارجية يكونان خاضعين للتوجيه من الخارج » (١)

كما فرق محمد حسنين هيكل بين الاستعمار الجديد والقديم بقوله :

« كان الاستعمار التقليدى القديم يتمثل فى استغلال للشعوب تحميه القواعد العسكرية الأجنبية أما الاستعمار الجديد فهو استغلال للشعوب بغير قواعد احتلال،أسلحة الاستعمار الجديد بالدرجة الأولى هى الحرب الاقتصادية والحرب النفسية ورسم المؤامرات وتدبير الاغتيالات والاعتماد أصلا وأساسا على النشاط السرى والخفى .

معنى ذلك أن الاستعمار القديم كان يمكن أن يطال مباشرة وأن الاستعمار الجديد لا يطال مباشرة » (٢) .

وقد تحدث الميثاق عن الاستعمار الجديد كأحد التغيرات البارزة التى طرأت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية فقد جاء به « اضطر الاستعمار ... الى الاتجاه نحو وسائل العمل غير المباشر عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل وعن التكتلات الاقتصادية الاحتكارية ، وعن طريق الحرب الباردة التى تدخل فى نطاقها محاولة تشكيك الأمم الصغيرة فى قدرتها على تطوير نفسها وعلى الاسهام الايجابى المتكافىء فى خدمة المجتمع الانسانى »(٣)

---

(١) ملامح من الاستعمار الجديد ، سلسلة فى حياتنا ، ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

(٢) محمد حسنين هيكل ، نحن وأمريكا ، دار العصر الحديث ، القاهرة ص ٩

(٣) الميثاق الباب الثانى « ضرورة الثورة » .

ولن أحاول بعد هذا الايضاح أن أضع تعريفـا آخر لمعنى الاستعمار الجديد ولكن يمكن أن أحدد ملامح الاستعمار الجديد على ضوء التعاريف السابقة فيما يلى :

- لا يستند الى الأساليب المباشرة كاستخدام القوة لا سيما الغزو العسكرى كخاصة من خواصه وانما قد يلجأ الى التهديد باستخدام القوة فى بعض الأحيان وفى حالات نادرة وذلك اذا ما فشلت جميع وسائله الأخرى لفرض سيطرته الاقتصادية والتبعية السياسية على منطقة يرى أهميتها الاستراتيجية .

- يرمى الى الاستغلال الاقتصادى أساسا .

- يترتب عن الاستغلال الاقتصادى عادة تبعية سياسية .

- عادة ما يمهد الاستعمار القديم الأرض والظروف لتثبيت دعائم الاستعمار الجديد قبل رحيله من المستعمرات.

- تتعدد طرق وأساليب ووسائل الاستعمار الجديد حتى أصبح من الصعب حصرها .

وتعد الولايات المتحدة الأمريكيـة هى الدولة التى تتزعم هذه السياسة الاستعمارية فى العالم وقد لوح دكتور وتش أمين صندوق شركة ستاندرد أويل الأمريكية بهذه الزعامة الايجابية القوية فى شئون العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى خطاب ألقاه عام ١٩٤٦ بقوله « ان من واجبنا أن نحققها — أى الزعامة الأمريكية — بأوسع ما تحتمله الكلمة من معنى ... ان علينا بوصفنا أكثر الدول انتاجا ومالا وصناعة أن نحزم أمرنا ونتحمل المسئولية التى يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الأسهم فى هذه الشركة التى يسمونها العالم » (١)

---

(١) فتحى الرملى ، الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ .

أسباب تحول الاستعمار من لونه القديم للونه الجديد :

اضطر الاستعمار الى تغيير أسلوبه ولونه تحت مجمـــوعة ظروف أورد معظمها الميثاق فى الباب الثانى منه وهى (١) :

١ — تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيـا وأمريكا اللاتينيـة حتى لقد استطاعت هذه الحركات أن تقود معارك عديدة ومنتصرة ضد القوى الاستعمارية ومن ثم أصبح لهذه الحركات الوطنيـة تأثير عالمى فعـــال اضطر الاستعمار القديم أن يمنح الاستقلال السياسى لشعوبه طمعا فى امتداد استغلاله للشعوب التى استقلت سياسيا •

٢ — ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المـادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى وأصبح العـالم بذلك نصفى كرة تتقاسمه القوتان العالميتان الكبيرتان الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى • بعد أن ظل العــــالم قرونا طويلة وهو يمثل نظـاما واحـدا مغلقا هو النظام الرأسمالى يبتلع الكرة الأرضية بأسرها • وبعـد حدوث هـذا التوازن اضطر الاستعمار مرغما أن يغير شـكله ، كذلك ترتب عن ظهـور القـوتين الكبيرتين القضاء الى الآن على عنصر القوى الكبيرة الأخرى التى كانت تتزعم الاستعمار القديم والتى تدور أحجامها بين « الخمسين والتسعين مليون » •

٣ — التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاق غير محدودة أمام محاولات التطوير كما حقق طفرة فى أسلحة الحرب بلغت خطورتها الى حد أنها أصبحت رادعا يحول دون نشوبها بسبب قدرتهـا على الحاق الأهوال بجميع الأطراف فى أية معركة ممـا دعم بدوره التـوازن الذى استتبع بالضرورة حتمية تغير شكل الاستعمار •

كما أن التقـدم العلمى فى وسائل المواصـلات بلغ درجة تلاشت معهـا المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل ما بين الأمم فعليـا بالاضـافة الى

---

(١) بعضها من الميثاق « الباب الثانى » مع بعض الايضاحات والاضافات .

تطوير أسلحة الحرب من أسلحة تقليـدية الى ذرية ومن مدافع الى صواريخ عابرة للقارات أدى كل ذلك الى عدم الحاجة الى القواعد العسكرية وبالتالى الى الاستعمار الاستراتيجى ٠

٤ ـ عدم تلاؤم أسلوب الاستعمار القديم مع ظروف العصر الذى نعيشه نتيجة تنوير الرأى العام العالمى وزيادة تأثير القوى المعنوية فى العـالم ووقوف الدول والشعوب المتحررة ضد قوى البغى والعدوان والتشهير بهـا فى المحافل والمنظمات الدولية ، وتأييدها المعنوى والمـادى للشعوب التى تناضل من أجل حريتها واستقلالها ٠

٥ ـ اضطرار الامبريالية والاستعمار لمسايرة التطور الفكرى للشعوب السوداء والمغلوبة على أمرها وارضاء شعور السخط الذى تفشى فى شعوبهم ٠

٦ ـ ظهور قوة جديدة على مسرح السياسة العـالمية وهى الدول غير المنحازة أو العالم الثالث ، وكان ظهور هذه القوة بمثابة اعادة جديدة لتوزيع الأثقال والقوى السياسية فوق الأرض وأصبحت هـذه القـوة الجديدة السند القوى للدول المتحررة وحديثـة الاسـتقلال والدول التى تناضـل من أجل استقلالها ٠

٧ ـ الفشل الذى واجهه الاستعمار عندما اضطر الى استخدام الوسائل التقليدية القديمة قضى تماما على عصر المغامرات الاستعمارية القديمة وجعـل الاستعمار يشعر أن الوسائل الجديدة أكثر ملاءمة لروح العصر ٠ فقـد كان لمقاومة الشعب المصرى بقيادة عبد الناصر ضد العدوان الثلاثى الذى شنته قوى الاستعمار والامبريالية العتيدة انجلترا وفرنسا على مصر عام ١٩٥٦ أكبر درس لهذه الدول لتفهم أن أساليب القهر لم تعد تتمشى مع روح العصر وأن مقاومة الشعوب سلاح أمضى من طائراتهم وبوارجهم ومدمراتهم ٠

٨ ـ زاد من حدة هذا النوع من الاستعمار احساس الولايات المتحدة بقوتها ورغبتها فى ملء ما تسميه بالفراغ فى العالم ورغبتها فى السيطرة على الشعوب وخوفها مما تسميه بخطر انتشار الشيوعية فى العالم الثالث كما أن نضج قوة الولايات المتحدة سبق نضج خبرتها وحكمتها السياسية مما جعلها تتصرف بحماقة كالشخص الجاهل الذى يسبق عمله دائما تفكيره • وقد أصبح دور أمريكا فى الاستعمار الجديد خطرا يهدد البشرية كالخطر الذى سبق أن وصف بالخطر الأصفر أو الخطر السلافى وقد نبه ديجول لهذه الخطورة بقوله « ان أخطر ما يواجهه العالم فى القرن العشرين هو تضخم قوة أمريكا خارج حدودها » (١) •

طرق ووسائل واساليب الاستعمار الجديد :

من استعراض التعاريف التى سبق أن ذكرناها للاستعمار نجد أنها تتضمن عدة صور وأساليب للاستعمار منها الضغط الاقتصادى والتكتلات الاقتصادية والاحتكارية ، الحرب الباردة والتشكيك فى قدرة الأمم الصغيرة على تطوير نفسها ، تنصيب حكومات عميلة ، التهديد بالقوة واستخدامها أحيانا •

وما سبق عرضه ليس الا مجرد أمثلة لهذه الوسائل والحقيقة أنى أرى ان الاستعمار الجديد ما هو الا محاولة من الاستعمار القديم بكل شروره وآثامه للتخفى وتغيير ثوبه فبدلا من كونه كان يرتدى بزة عسكرية مدججة بالسلاح أصبح يرتدى مسوح رجال الدين أو ملابس المصلحين أو زى رجال الشرطة• وتكمن خطورته فى هذه الصور الجديدة التى يتخذها ، وصدق القائل اللهم احمنى من أصدقائى أما أعدائى فأنا كفيل بهم •

وصور الاستعمار الجديد متعددة ووسائله كثيرة للحد الذى دعا البعض للقول تعبيرا عن كثرة هذه الطرق « أينما تكونوا تدرككم الولايات المتحدة » (٢) •

---

(١) د• جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٣٥٩

(٢) د• جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٣٦٨

ويمكن عرض بعض هذه الصور فيما يلى :

١ ــ الضغط الاقتصادى :

ان الضغط الاقتصادى هو احدى الوسائل التى يستخدمها الاستعمار لاخضاع الشعوب المستقلة حديثا والسائرة فى طريق التحرر حتى يتمكن من نهب ثرواتها دون أن يقع فى مصادمات ثورية تفوت عليه هذه الفرصة أو تقلل منها •

وكثيرا ما يمهد الاستعمار القديم لهذا الضغط الاقتصادى عن طريق التجزئة والتفتيت للمستعمرات قبل استقلالها بالصورة التى لا تمكنها من تحقيق التكامل الاقتصادى وكذلك عن طريق عقد اتفاقيات تمنح الشركات الاستعمارية والامبريالية امتيازات تكفل السيطرة على اقتصاديات الدولة بعد استقلالها السياسى وتجعلها دائما تابعة اليه • ويسيطر المليونير اوبنهايمر وحده على مائة شركة تعمل فى أغراض مختلفة بجنوب وشرق ووسط أفريقيا •

وكذلك يعتمد الاستعمار فى الضغط الاقتصادى على تدفق رؤوس الأموال الأجنبية على الدول المستقلة حديثا وكذلك وضع نظام مصرفى تسيطر عليه الدول الاستعمارية •

ويلجأ الاستعمار لتقديم المعونات المشروطة للبلاد المستقلة حديثا كوسيلة للتسلل الاقتصادى وسرعان ما تؤدى هذه المعونات المشروطة الى فرض شروط واملاء سياسات تحت التهديد بمنعها أو تقليلها • وقد نجحت الولايات المتحدة بهذه الوسيلة فى اقتطاع بعض دول القارتين الأفريقية والأسيوية من فلك دول عدم الانحياز •

ويلجأ الاستعمار الجديد أيضا الى خفض أسعار الخامات والمواد الأولية عن طريق سوقه الذى تتحدد فيه الأسعار العالمية بالرغم من أن السعر العالمى الذى يحدده للمواد المصنعة يتزايد باستمرار •

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة التكتلات الاقتصادية كوسيلة من وسائل الاستعمار الجديد وقد نادى ونستون تشرشل فى عام ٤٨ بذلك وتم بالفعل تنفيذ عدة تكتلات اقتصادية استعمارية منها السوق الأوربية المشتركة ، منطقة التجارة الحرة ، الاتحاد الملاجاشى • وعن طريق هذه التكتلات استطاع الاستعمار ربط الدول حديثة الاستقلال بها فجعل منها سوقا لمنتجاته ومصدرا للخامات والمواد الأولية التى تحتاجها صناعته • وتمثل السوق الأوربية اليوم استعمارا جديدا •

٢ ـ حجب أسباب القوة عن الشعوب المتحررة :

يضغط الاستعمار الجديد على الدول المتحررة عن طريق حجب كل أسباب القوة عنها ـ وخاصة القوة العسكرية حتى تظل فى حاجة لحمايته وحتى لا تقدر على مجابهته أو مجابهة حلفائها وعملائه فى المنطقة • وقد واجهت مصر ذلك بعد قيام الثورة حين رفضت الدول الاستعمارية والامبريالية مدها بالسلاح ولكن مصر حاربت هذا السلاح وانتصرت فى هذه المعركة عن طريق تحطيم احتكار السلاح الى الأبد عام ١٩٥٥ حين عقدت صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا •

كما يلجأ الاستعمار أحيانا الى حجب العلم والتكنولوجيا عن الدول النامية حتى تظل فى تخلفها العلمى والفنى وحتى يتسع الفارق وتزداد الهوة اتساعا بين الدول المتقدمة والنامية ولم يكتفى الاستعمار بسلب ونهب أموال وثروات الدول النامية بل لجأ فى الأيام الأخيرة الى سلب القوى البشرية وذلك عن طريق سرقة علماء الدول النامية الذين ينتظر أن يساهموا فى خطط التطور والتنمية فمثلا احتفظت فرنسا وانجلترا بتسعين فى المائة ٩٠٪ من المعلمين الذين درسوا بالبلدين من جمهوريات غرب أفريقيا كما بلغ عدد الأطباء الأجانب الذين تستخدمهم أمريكا فى بلادها حاليا ٢٠٫٠٠٠ طبيب على الرغم من كثرة جامعاتها ومعاهدها (١) •

---

(١) محمد عبد الفتاح ، الاستعمار الجديد والدول النامية ، مرجع سابق ، ص ٤١

ويحاول كذلك الاستعمار الجديد فى مجال الضغط الاقتصادى على الدول النامية اعاقة خططها فى التنمية عن طريق اجبارها على تخصيص جزء كبير من ميزانياتها للانفاق العسكرى عن طريق التهديد الدائم لها من دول عميلة ، واسرائيل بالنسبة للوطن العربى مثال على ذلك ، فهى من أكبر المعوقات التى تقف فى سبيل التطور السريع للدول العربية وبطء خطط التنمية بها • وقد اعترف باكارد مساعد وزير الدفاع الأمريكى بذلك بقوله « ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد اعتمادا كاملا على اسرائيل كأداة لارهاب العالم العربى (*) » •

٣ ــ خلق عوامل التفكك والانقسام فى الدول المستقلة حديثا :

يعد تفتيت الوحدة الوطنية وشغل الدول المستقلة بالمشاكل والصراعات الداخلية مانعا ومعطلا لها من بناء اقتصادها بالسرعة المطلوبة • وبذور هذه الصراعات عادة ما تكون من تدبير الاستعمار القديم فى فترات سابقة للتحرر السياسى ، فالاستعمار يشجع قيام الخلافات الطائفية والتغيرات الأقليمية ويكون دور الاستعمار الجديد بعد ذلك مجرد اثارة هذه الخلافات أو الثغرات لقيام حروب أهلية تضر باقتصاد البلاد • وأوضح مثال على ذلك ما حدث فى نيجيريا أخيرا فقد قام الاستعمار الجديد باثارة الفروق الحضارية والثقافية بين شمال نيجيريا وجنوبها وابراز الخلافات بين القبائل وخلق فئات ترتبط بالاستعمار وتستفيد من وجوده • كل هذه الأعمال أدت الى نشوب الحرب الأهلية فى عام ١٩٦٦ التى انهكت اقتصاد نيجيريا وكان الغرض من كل ذلك هو أن يظل استقلال البلاد شكليا وأن يجعلها ضعيفة مهلهلة وحتى يظل شعبها ممزقا نتيجة المنازعات والانقسامات الداخلية حتى يستطيع الاستعمار عن طريق كل هذه النتائج أن يفرض سيطرته على اقتصاد البلاد •

كما يظهر هذا الأسلوب بشكل واضح أيضا ــ للاستعمار الجديد ــ فى مشكلة الأكراد ومشكلة جنوب السودان ومحاولة فصل الفئة الأولى عن العراقيين وفصل جنوب السودان عن شماله •

(*) الأهرام ١٩٧٠/١٠/١٣ ص ٢

وقد أدى التفتيت الذى نظمه الاستعمار للدول المستعمرة قبل استقلالها الى تسهيل مهمة الاستعمار الجديد لأن فى التفتيت ضمانا لبقاء هذه الدول فى ضعف لا تستطيع معه أن تعيش دون الاعتماد على الاستعمار والامبريالية • وعلى سبيل المثال قام الاستعمار الفرنسى بتفتيت وحدتين سياسيتين فى أفريقيا الاستوائية والغربية الى ست عشرة وحدة سياسية عند منحها الاستقلال (*) •

٤ ــ تدبير الثورات المضادة :

تواجه الدول المستقلة حديثا ــ وخاصة تلك التى يظهر انتهاجها لسياسة متحررة ــ أسلوبا وحربا شعواء من الاستعمار ، تتخلص فى تدبير الثورات المضادة للاطاحة بالحكومات الوطنية وحتى يتولى الحكم عملاء • ويتم تجنيد خونة للقيام بهذه الثورات المضادة اما من القوات المسلحة أو القوى الرجعية بالداخل • وقد تتخذ هذه الثورات صورة انقلابات منظمة أو اثارة اضطرابات أو قلاقل أو القيام باغتيال المواطنين ••• الخ •

وقد نجحت الولايات المتحدة بالفعل فى أن تصدر الثورة المضادة الى العالم بالجملة ، فبلغ عدد الانقلابات في افريقيا ١٢ انقلابا فى عام ١٩٦٦ وحده حتى اعتبر هذا العام فى نظر الافريقيين عام نكسة افريقيا •

ويظهر فى انقلاب غانا الذى وقع فى ١٩٦٦/٢/٢٤ ضد الرئيس الغانى الوطنى كوامى نكروما استخدام الاستعمار الجديد لهذه الوسيلة بشكل واضح مع التمهيد لها بضغط اقتصادى شديد •

٥ ــ اتاحة الفرصة لحكومات عميلة لتولى الحكم :

ويتم تحقيق هذه السياسة من جانب الاستعمار الجديد اما بالاستعانة بأساليب التزوير والغش والرشوة فى الانتخابات للوصول بحزب معين عميل الى الحكم كما يحدث أحيانا فى لبنان ، واما بمساعدة حكم عنصرى على تولى

(*) دكتور جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق .

مقاليد الأمور فى البلاد كما حدث فى روديسيا اذ تم بمساعدة المصالح الاقتصادية الأجنبية سيطرة الأقلية العنصرية البيضاء فيها على الحكم وذلك لخدمة قوى الاستعمار الجديد ومما يؤيد ذلك أن ٨٠ ٪ من مجموع الأموال المستثمرة فى روديسيا هى أموال شركات استعمارية امبريالية • (١)

٦ ـ الغزو العسكرى غير المباشر :

نظرا لأن اللجوء الى الغزو العسكرى من قبيل قوات الدول الاستعمارية والامبريالية أصبح أمرا كريها يستنكره العالم كله حكومات وشعوب ، فقد قل الاعتماد عليه الى حد بعيد ، ولكن كثيرا ما يجد الاستعمار الجديد نفسه عاجزا عن تحقيق سيطرة على دولة ما بالرغم من قيامه بتجربة كافة الأساليب السابقة • ويضطر فى ظل هذه الظروف الى اللجوء الى الغزو العسكرى بطريقة غير مباشرة وذلك بأن يتفق مع دولة عميلة على مهاجمة وغزو دولة أخرى مجاورة، كما حدث فى الشرق الأوسط فى حربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وينتج عن هذا الهجوم العسكرى أضرارا كبيرة باقتصاد الدول المناهضة للاستعمار •

ويلجأ الاستعمار الجديد فى بعض الأحيان الى تجنيد قوات من المرتزقة لمهاجمة حكم وطنى تحررى فى دولة مجاورة وخير مثال على ذلك ما حدث أخيرا فى غينيا حيث حاولت قوات المرتزقة التى جندها الاستعمار والامبريالية غزوها ولكن يقظة الشعب الغينى أحبطت هذه المحاولة •

كما لجأت انجلترا الى استخدام المرتزقة وتحريكهم لمهاجمة اليمن من امارة بيحان الواقعة على الحدود الشرقية عقب قيام ثورة اليمن التحررية « وقد ذكرت جميع صحف العالم فى ذلك الوقت أن الكولونيل كونريه هو الذى قاد غارة قوات المرتزقة على حريب فى اليمن (٢) » •

---

(١) المصالح الاقتصادية الأجنبية والاستعمار ، الأمم المتحدة ، مكتب الاعلام ، ١٩٧٠

(٢) محمد حسنين هيكل ، الاستعمار لعبته الملك ، دار العصر الحديث ، القاهرة ص ٤٠ •

٧ ـ شن الحروب التى تختفى وراء « صبغة شرعية » بحجة صد تيار الشيوعية :

استطاعت الثورة الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية أن تخلق بيئة ومناخا جديدين وأن تدفع بالاتحاد السوفيتى من المؤخرة الى المقدمة وأن تحوله من دولة متخلفة الى دولة تناطح حاليا أقوى دولة رأسمالية فى العالم وذلك خلال فترة وجيزة نسبيا .

وقد كان هذا التقدم بمثابة مثال يحتذى من جانب الدول المتخلفة التى تحررت أخيرا . وما المحاولة المستميتة من جانب ثورة عبد الناصر لبناء السد العالى الا اقتداء مقصود أو غير مقصود بما قاله لينين « ان الشيوعية هى كهربة الاتحاد » .

ويلاحظ أن أكثر الدول التى استقلت أخيرا فى العالم تتجه اليوم الى الشيوعية والاشتراكية كسبيل تنتهجه للتطوير والتنمية . وقد اعتبرت الولايات المتحدة هذا الميل للشيوعية والاشتراكية خطرا يهددها واعتبرته غزوا شيوعيا لدول العالم وبالتالى قامت لمواجهته ووقف تياره حتى ولو عن طريق شن الحروب التى نراها اليوم فى الدول والوحدات الواقعة على طول جبهة الالتحام بين المعسكرين « والتى اخضعها الاستقطاب الثنائى لقسمته السليمانية فى الشرق على محور عرضى وفى الغرب على محور طولى (*) » مثل كوريا الشمالية والجنوبية وفيتنام الشمالية والجنوبية ، ألمانيا الشرقية والغربية وغيرها .

وقد استخدمت الولايات المتحدة التدخل العسكرى وشن الحروب كوسيلة لمواجهة هذا الخطر الذى توهمته ولكن هذا التدخل وهذه الحروب لا يمكن أن تتخذ صورة الغزو العسكرى المباشر فى العصر الحالى بل يجب أن تتخذ صورة ملائمة لروح هذا العصر . ولذا فان التدخل عسكريا يتم بناء على طلب حكومات عميلة تقوم هى بتعيينها عن طريق مخابراتها المركزية ،

(*) د. جمال حمدان إستراتيجية الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٢٢٣

وذلك يضفى صفة الشرعية على التدخل • وأحدث الصور لذلك النوع من الاستعمار الجديد هو تدخل الولايات المتحدة لمساندة الجنرال لون نول والذى أدى الى الاطاحة بحكم الأمير نوردوم سيهانوك الوطنى فى كمبوديا • ورغم هـذه المساندة فلم يستطع الجنرال وانقلابه والقوات التى تعضـده أن تحمى نفسها فى عاصمة كمبوديا وحدها •

وأحيانا يبلغ الغرور الأمريكى بالقوة مداه وتتدخل دون حاجة الى صفة شرعية ومثال ذلك قيام الولايات المتحدة بارسال ١٩ ألف جندى أمريكى مسلح الى أرض الدومنيكان عقب اغتيال تروجيللو حاكم الدومنيكان وأحد عملاء الاستعمار عام ١٩٦١ بحجة حماية تسلل الشيوعية وخشيتها من قيام حكم وطنى مستندة فى هذا الغزو العسكرى الى قرار من الكونجرس الأمريكى كأنه أصبح برلمـانا لدول العالم •

كما أن الولايات المتحدة ترى أن العالم خارج المعسكر الشرقى فراغا ضخما وأن عليها ملء هذا الفراغ بالفعل والقوة • وقد ظهرت هذه السياسة فى صورة مبادىء عديدة أولها مبدأ مونرو وآخرها مبدأ نيكسون وكلها تحذر من الخطر الشيوعى وتقضى باتخاذ اجراءات لمواجهته •

ورغم هذا التوهم الأمريكى للخطر الشيوعى الا أن معظم الدول النامية وخاصة دول العالم الثالث والأحرار فى كل مكان يرون أن الخطر الحقيقى هو أمريكا وسياستها وليس الخطر الشيوعى ، وقد قال أحد الساسة البريطانيين فى هـذا الصدد « اننـــا مستسلمون لوهم الخطـر الروسى الى حد العجز عن ملاحظة الاتجاهات الأشد خطرا فى السياسة الأمريكية (*) » •

(*) د. جمال حمدان استراتيجية الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٣٦١

٨ ــ الاحلاف والقواعد العسكرية :

قامت استراتيجية الغرب منــذ الحرب العالمية الثانية على الاحتــواء Containment والاحاطة Encirdement وجوهر تلك الاستراتيجية هو اقامة حلقة أو سلسلة متصلة الحلقات من الأحلاف حول الكتلة الشرقية باعتبارها جزيرة ضخمةوسط بحر الكتلة الغربية وذلك بقصد اكتساب أرض جديدة للعمل على منعها من التوغل جنوبا حتى بأفكاره ومبادئه واحكام الحلقة حول عنقه .

وقد أقام المعسكر الغربى فى هــذا الصدد عـدة أحلاف جماعية وثنائية أهمها حلف شمال الأطلنطى (ناتو) ، حلف جنـوب شرق آسـيا (سيتو) ، الحلف المركزى (حلف بغداد سابقا) سنتو ، حلف الباسفيك ، وحلف ريو وغيرها .

والأحلاف قد تكون فى شكل استعمار قديم أو استعمار جديد فالأولى تظهر فى معاهدة الحماية والتى تبرم بين الدولة الحامية والدولة المحمية وتتعهد بموجبها الدولة الأولى بمساعدة الدولة الثانية والدفاع عنها ضد أى اعتــداء خارجى ومثلها اتفاقية الحماية التى أبرمت بين باى تونس ورئيس الجمهورية الفرنسية فى ١٢ مايو ١٨٨١ واتفاقية الحمــاية التى أبرمت بين ملك المغرب وفرنسا فى ١٩١٢/٣/٣٠ .

أما الأحلاف كصورة من صور الاستعمار الجديد « فهى تلك التى تبرمها الدولة الاستعمارية مع دولة كانت تحت حمــايتها أو داخلة فى دائرة نفوذها ثم منحت استقلالها سواء أكان ذلك الاســتعمار مباشرا أم فى صــورة حمــاية أو فى صورة انتداب » (*) .

(*) د. بطرس بطرس غالى ، الاحلاف العسكرية ، ملحق الأهرام الاقتصادى ، اول نوفمبر ١٩٦٥ ص ١٩

وقد حاول الاستعمار مرارا جر العالم العربى الى أحلافه كما سنوضحه تفصيلا فيما بعد ٠

وأما بالنسبة للقواعد العسكرية فهى عادة تقام فى نطاق الأحلاف وفى غير ذلك تتم عن طريق جديد هو الشراء أو الاستئجار ٠

٩ ـ الضغط على دول العالم فى المنظمات الدولية :

لا يشعر بالجوع الا من ذاق ألمه ولا يشعر بالظلم الا من قاساه ٠ ولذلك فان الدولة النامية تعلم أكثر من غيرها مدى ضراوة الاستعمار وشروره ٠ ورغم هذا العلم الا أن بعضها يقف فى المنظمات الدولية موقفا غريبا من القضايا التى تتعلق بالاستعمار الجديد أو القديم فى المنظمات الدولية ، موقفا منحازا للاستعمار والامبريالية وبعيدا عن الحق ٠ وهذا يرجع الى الضغط الكبير الذى تمارسه الدول الاستعمارية والامبريالية وخاصة الولايات المتحدة على الدول الأعضاء بالمنظمات الدولية ، مما يؤدى الى وقوفها الى جانب المعتدى وفى جانب الباطل أو امتناعها عن التصويت فى الموضوع ، أو تشجيع دولة تابعة باصدار قرارات ذات صياغة غامضة تعطل تنفيذها وهذا ينتج عنه تشجيع الاستعمار على ممارسة أفعالا اجرامية دون أن يكون هناك رقيب عليه وقد قال جون هادوين فى هذا الصدد « وبدون الاعتماد على دولة كبرى فى الأمم المتحدة من أجل تأييد مشروع فان الموافقة عليه أمر محفوف بالصعاب (*) » ٠

ويكفى للتدليل على تأثير الولايات المتحدة فى المنظمة الدولية عدم قدرة الصين الشعبية ـ تلك الكتلة الضخمة من اليابس والتى تضم $\frac{1}{3}$ سكان الأرض ـ على الانضمام لهيئة الأمم المتحدة حتى اليوم ٠

(*) جون هادوين ، جوهان كوفمان ، اتخاذ القرارات فى الأمم المتحدة ـ ترجمة د. محمد سعيد الناصر ـ عالم الكتب ـ القاهرة ص ٤٢

١٠ ـ الغزو الفكرى :

عادة ما يلجأ الاستعمار والامبريالية الى هـذه الوسيلة عندما يعجز عن تحقيق أهـدافه عن طريق الضغط الاقتصـادى أو الانقـلابات أو التخويف والارهاب . والغزو الفكرى يعنى شن حملة من الأكاذيب أو الحقائق المحرفة بغرض نشر اليأس فى نفوس شعوب الدول النامية والتشكيك فى خط السـير والمنهج الذى اختارته واشاعة الوهم فى نفوس أبناء البلاد واشعارهم بالعجـز عن الأخذ بأسبـاب ووسـائل التقـدم الحديث وتخريب المقومات العلميـة والحضـارية للبلاد المتحـررة .

كما يعمد الغزو الفكرى الى اتخاذ صورة النصائح كالتحذير من شرور الصناعة أو عدم القدرة على النجاح فى ميدان التصنيع الثقيل وغيرها .

الفصل الثانى

أثر ثورة عبد الناصر فى موجات التحرير فى العالم

ان الهزيمة المريرة التى منى بها الاستعمار فى حرب السويس أنهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة . ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم قد تحققت بفضل نضال شعبنا .

الميثاق « الباب العاشر »

يظهر من استقراء التاريخ أن التحرير مر بثلاث موجات ، الأولى الموجة الآسيوية التى بدأت فى منتصف الأربعينات ، والثانية الموجة العربية التى بدأت فى الخمسينات ، والثالثة الموجة الأفريقية التى بدأت فى الستينات . ويدل ذلك على أن ما بناه الاستعمار فى خمسة قرون من بداية القرن الخامس عشر حتى القرن العشرين قد انهار كله فى عقدين من الزمان وفى الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٥

ولم يتبق فى العالم كله بعد هذه الموجات العاتية من التحرير الا بعض الجيوب الاستعمارية والكتل المتخلفة والتى لا تزيد مساحتها عن ٤٪ من مساحة العالم بعد أن كان الاستعمار المباشر يغطى ٣٥ ٪ من مساحة العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية (*) .

ومن هذا نستطيع أن نقول أن الاستعمار القديم مازال يعشش فى بعض أنحاء العالم مما يتطلب مواصلة تأييد جهود الشعوب التى تعانى من الاحتلال وامدادها بالعون المادى والمعنوى من جانب الشعوب المتحررة وخاصة شعوب العالم الثالث حتى تحصل على استقلالها وتنتهى تماما صورة الاستعمار القديم

(*) د. جمال حمدان استراتيجية الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٢٣٧

بكل ما يعنيه من اهدار للآدمية والانسانية • وتظهر الدراسة فى هذا الفصل الارتباط بين ثورة عبد الناصر ومعارك التحرير فى العالم كله ومدى هـذا الارتباط •

أولا ــ موجات التحرير الثلاثة

رغم حداثة تاريخ التحرير الذى بدأ عام ١٩٤٥ الا أن ثورات الشعوب قديمة قدم التاريخ الذى وطأ فيه الاستعمار أرض تلك البلدان والأقطار • وقد كانت الشعوب المغلوبة على أمرها فى المستعمرات تتخذ فى حربها للاستعمار طرقا عديدة تتفاوت فى شدتها بين المقاومة السلمية المشهورة فى الهند والتى نادى بها وقادها الزعيم الهندى غاندى ، وبين النضـال المسلح العنيف وحرب العصابات كما حدث فى الجزائر والذى راح ضحيته مليون شهيد جزائرى •

والغريب أن هناك أمثلة قليلة فى التاريخ يبـدو فيها الاسـتعمار مسالما مطيعا ، يهب البلدان استقلالها دون حاجة لمطالبة من جانب الشعوب المغلوبة على أمرها • فهو يبـدو أحيانا فى مظهر من يسلم البلدان وثائق اسـتقلالها طواعية واختيارا ، كما حدث فى استقلال ليبيا عام ١٩٥١ • ولكن الحقيقة عادة ما تكون غير ذلك ، فليبيا مثلا لم تنل استقلالها الا نتيجة مناورات اسـتعمارية ناتجـة عن خوف الاسـتعمار الغربى من تسلل الاتحـاد السـوفيتى الى الشرق الأوسط •

وسنستعرض هنا موجات التحرير الثلاثة فى آسيا والعالم العربى وأفريقيا ويجب أن ننوه أن ترتيب هذه الموجات وتسلسلها يرجع الى تاريخ بداية كل موجة • والمـلاحظ أنه حيث انتهت موجـة التحرير الآسيوية بدأت موجة التحرير فى العالم العربى ، وحيث انتهت الموجة الثانية بدأت الموجة الثالثة •

١ ــ موجة التحرير فى آسيا :

بدأت موجة تحرير آسيا مع استقلال الفلبين عام ١٩٤٦ • وقد استقلت الفلبين دون حرب تخوضها ضد الاسـتعمار الأمريكى ، بل قامت الولايات

المتحدة بمنح الفلبين استقلالها بمحض اختيارها محاولة منها للظهور أمام العالم بمظهر خادع ، مظهر الدولة الحرة التى لا تبغى استعمار غيرها من الشعوب أو الدول •

وبعد الفلبين بسنوات قليلة حصلت الهند على استقلالها فى ١٩٤٧/٨/١٥ بعد مقاومة سلبية وايجابية طويلة • وقام الاستعمار بتفتيت الدولة الى دولتين هما الهند وباكستان قبل أن يرحل كسياسته دائما لاضعاف الشعوب ولضمان استمرار السيطرة عليها ، كما استطاع أيضا أن يشطر احدى الدولتين وهى باكستان الى شطرين (الشرقية والغربية) رغم بعد أحدهما عن الآخر بآلاف الأميال •

وأرى أن استقلال الهند يعد بداية التحرير الآسيوية وليس استقلال الفلبين ، لأن تحرير الهند كان نتيجة للمقاومة من جانب الشعب المستعمر ولم يكن الا تسليما من المستعمر ذاته بالهزيمة • أما استقلال الفلبين فكان نتيجة للمزايدات فى حلبة الاستعمار والامبريالية •

ومع الهند استقلت بورما ، وبعدها استقلت سيلان ثم جنوب شرق آسيا ثم اندونيسيا • أما ايريان الغربية فقد تأخر تحريرها الى نهاية الستينات أى ما بعد موجة التحرير فى العالم العربى فجاء معاصرا لموجة التحرير فى أفريقيا•

٢ ــ تحرير العالم العربى :

كانت بريطانيا هى القوة الاستعمارية الكبرى فى الوطن العربى وقد كانت تحتل وحدها ٤٨٪ (*) من مساحته بعد الحرب العالمية الثانية • وكانت الدول المستقلة لا تزيد مساحتها عن ١٥٫٤٪ • أما باقى المساحة فكانت موزعة بين فرنسا (٣٤٪) ، ايطاليا (١٫٢٪) وأسبانيا (١٫٤٪) •

وبدأ التحرير فى عام ١٩٤٥ بتحرير سوريا ولبنان وانتهى فى عام ١٩٦٧ بتحرير عدن والمحميات (الجنوب اليمنى) ولم يتبق مستعمرا من العالم العربى

(*) د. جمال حمدان الاستعمار والتحرير فى العالم العربى المكتبة الثقافية .

الا فلسطين حيث يتمركز الاستعمار الصهيونى ، وجيوب متخلفة فى سبته ومليلة وأفنى فى المغرب حيث يعشش الاستعمار الأسبانى ،والجنوب العربى من البحرين حتى ظفار حيث يقيم الاستعمار البريطانى الذى أعلن عزمه على الانسحاب قبل عام ١٩٧١

وبتتبع حركة التحرير مرحليا نجد أنه لم يسبق مصر فى استقلالها الا سوريا ولبنان (١٩٤٥) وليبيا (١٩٥٠) فمنذ ابرام معاهدة استقلال مصر سنة ١٩٥٣ وجلاء آخر جنود بريطانيا سنة ١٩٥٦ ، بدأت موجة التحرير تتزايد فى العالم العربى • فقد استقلت تونس والمغرب والسودان والعراق عام ١٩٥٦ ، ثم الكويت عام ١٩٦١ وبعد ذلك الجزائر عام ١٩٦٢ ، وجلت القوات الفرنسية عن بنزرت فى تونس فى عام ١٩٦٣ ثم استقلت عدن والمحميات وأقيمت جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية وانضمت الى ركب التحرر العربى •

٣ ـ تحرر العالم الافريقى :

كانت أفريقيا حتى الخمسينات هى القارة الوحيدة المستعمرة بأكملها ماعدا دولتين هما أثيوبيا وليبيريا اللتين يرجع عدم استعمارهما الى ظروف خاصة لا داعى للخوض فيها الآن •

وقد بدأ استعمار أفريقيا منذ عصر الكشوف الجغرافية واستمرت الدول الاستعمارية والامبريالية فى نهب ثروات القارة واستعباد شعوبها حتى بدأت موجة التحرير الأفريقية فى الستينات • وقد استقلت غانا فى مارس ١٩٥٧ وغينيا فى ديسمبر ١٩٥٨ ثم استمرت حركة التحرير تسير ببطء نسبى حتى عام ١٩٦٠ اذ استقلت فى هذه الفترة ٦ دول فقط • ثم وصلت حركة التحرير الأفريقية ذروتها فى عام ١٩٦٠ فبلغ عدد الدول التى استقلت فى هذا العام وحده ١٧ دولة جديدة • وواصل التحرير زحفه بعد ذلك وحققت ١٢ دولة جديدة استقلالها حتى اليوم • ولم يبق فى القارة الأفريقية غير قلة من الدول المستعمرة هى غينيا البرتغالية والصومال الفرنسى وبعض الجيوب التى تحتلها أسبانيا •

ثانيا ـ أثر ثورة عبد الناصر فى حركات التحرير

١ ـ تلت ثورة عبد الناصر تاريخيا بداية موجة التحرير الآسيوية ولذلك لا يمكن القول أن هناك أثرا لثورة عبد الناصر فى تحرير الهند من الاستعمار القديم • ولكن لا شك أن ثورة عبد الناصر قد ساعدت الى حد كبير فى حماية الشعوب والدول الآسيوية من الوقوع تحت وطأة الاستعمار الجديد • فمن المؤكد أن ثورة عبد الناصر هى أول من نادت بالحياد الايجابى وعدم الانحياز فى عام ١٩٥٦ والتى ترتب عليها تخفيف حدة الحرب الباردة وخلق أداة لمحاربة الاستعمار ومكافحة التمييز العنصرى ومحاولة لتضييق الشقة بين العالم الفقير والعالم الغنى وقد قال الميثاق فى ذلك « ان الدعوة الأولى لأول مؤتمر لدول عدم الانحياز ـ هذه الدعوة التى صدرت من القاهرة ولقيت استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب ••• » • (١)

٢ ـ كانت ثورة عبد الناصر بالمرصاد دائما لكل محاولات الاستعمار الجديد فى التنكر والتخفى ، وواصلت دائما مطاردتها لها وتجميع قوى الشعوب ضدها • وأثرت هذه السياسة تأثيرا واضحا على تنبيه الشعوب فى آسيا لهذه المحاولات والتحذير من الوقوع فيها • وهكذا حدت من قدرة الاستعمار الجديد على التغلغل فى آسيا أو العالم العربى أو أفريقيا على السواء •

٣ ـ رغم أن موجة التحرير الآسيوية سبقت موجة التحرير العربية الا أن مقاومة الاحتلال الأجنبى فى مصر سبقت مثيلتها فى آسيا وكانت مثلا احتذته آسيا فى معركتها ضد الاستعمار • فقد أثرت ثورة عرابى وثورة ١٩١٩ على حركة التحرير فى آسيا عامة وفى الهند خاصة • والدليل على هذا الأثر « أنه عندما ذاعت أنباء الثورة العرابية فى كل قطر وشغلت أذهان الشرقيين قاطبة ولا سيما الشعب الهندى اشترت السفارة الانجليزية فى الآستانة

---

(١) الميثاق : الباب العاشر ص ١٤٦

من صاحب جريدة الجوائب التى كانت تصدر باللغة العربية مليون نسخة من العدد الذى نشرت فيه ترجمة الارادة السلطانية بعصيان عرابى لكى توزعها فى الهند وتستعين بالأثر الذى تحدثه على اخماد حركة التشيع للعرابيين وكانت قد انتشرت هناك بشكل ينذر انجلترا بشر العواقب (١) » .

كما ذكر غاندى لأحد المصريين « اننى تتبعت سيرة هذا الرجل القدير — يقصد سعد زغلول — من عام ١٩١٩ ولا يزال له أثر عظيم فى نفسى . وأنا أعده قدوة وأراه بمثابة أستاذ . وثق أن الحركة الهندية سارت على أعقاب الحركة المصرية وقد اقتديت بسعد فى اعداد طبقة بعد طبقة من العاملين فى القضية الهندية فاذا اعتقلت طبقة خلفتها غيرها على الأثر . ان سعد ليس لكم وحدكم ولكنه لنا أجمعين (٢) » .

٤ — تلت الموجة الثانية للتحرر العربى قيام ثورة عبد الناصر وهذا يدعونا للبحث عن مدى أثرها على حركة التحرير فيه . وباستعراض ما حدث بعد قيام الثورة نرى الكثير من الشواهد التى تدل على أنها تركت فيها أثرا بالغا وهذه الشواهد هى :

- تجاوبت القاهرة مع امامة عمان فى عام ١٩٥٣ وأرسلت المساعدات لشد أزر المناضلين وقدمت قضية عمان فى الميادين الدولية وأيدتها ماديا ومعنويا .

- كانت مصر الثورة العامل الحاسم فى تحقيق استقلال السودان بالمعاهدة التى وقعتها ثورة عبد الناصر مع بريطانيا سنة ١٩٥٣ ايمانا منها بأن وجود السودان الحر بجانبها يعد سندا قويا ودعما للنضال والتضامن العربى .

---

(١) أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الأول ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ، ص ١٨٥ .

(٢) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، مطبعة مصر ، القاهرة ص ٥٠٦

– عاونت مصر ثورة الجزائر منذ اعلان أبطال جبال الأوراس في الجزائر ثورتهم في نوفمبر عام ١٩٥٤ معاونة معنوية ومادية كبيرة حتى تحقق لها النصر ضد الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٦٢ • وقال أحمد بن بيلا في هذا الصدد « ان ثورة الجزائر مدينة بنجاحها الى درجة كبيرة الى العون المادي والأدبي الذى قدمته لها القاهرة(*)»•

– آزرت مصر حركات المغرب التحريرية فأيدت في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ وفي المحافل الدولية قضايا استقلال المغرب العربي وقدمت للمناضلين في المغرب العربي عونا ماديا كما اتخذ زعماء النضال المغربي من القاهرة مقرا لنشاطهم ومن اذاعة صوت العرب بها أداة لفضح الاستعمار وحث المواطنين على الالتفاف حول زعمائه • واستمر هذا العون حتى استقلت المملكة المغربية والجمهورية التونسية عام ١٩٥٦ وعاد الملك الراحل محمد الخامس لبلاده من المنفى منتصرا ظافرا ، كما واصلت مساعدتها لتونس حتى استردت قاعدة بنزرت من الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٦٣ •

– مد ثوار عدن بالمساعدات المادية لتمكينهم من الاستمرار في الثورة ضد الاحتلال البريطاني الذى انتهى بالاستقلال •

– أيدت ثورة عبد الناصر الثورات التحريرية في العالم العربي وساعدتها على الوقوف والصمود أمام قوى الاستعمار والامبريالية والرجعية التي كانت تتربص بها في العراق (١٩٥٨) واليمن (١٩٦٢) ، والسودان (١٩٥٨ ، ١٩٦٤) وليبيا (١٩٦٧) • وقد كان التدخل العسكري لحماية الثورة اليمنية عندما تعرضت لقوى الاستعمار والامبريالية التي بدت في صورة غزو خارجي لحدودها عملا رائعا من جانب ثورة عبد الناصر وقرارا خالدا أذهل الاستعمار وقضى على امكان استباحة وانتهاك آمال الأمة العربية في المستقبل• وقد قال السيد

(*) خطاب أحمد بن بيلا في مايو عام ١٩٦٤ أثناء زيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الجزائر .

الرئيس الراحل فى هذا الصدد « ان السماح بضرب ثورة عربية بقوة السلاح الأجنبى كان سابقة خطيرة اذا تركت بغير مراجعة فان كل الآمال العربية سوف تستباح وتنتهك (١) » .

من كل ما سبق يتضح أن ثورة عبد الناصر لم تأل جهدا فى حماية وتأييد الثورات العربية التحريرية فى العالم العربى وكان لها فضل كبير فى تحقيق استقلال جميع البلاد العربية أو معظمها والتى أعقبت قيامها .

٥ ـ ان أثر ثورة عبد الناصر على حركة التحرير فى أفريقيا واضحة جلية ، فقد كانت بعثا لحركات التحرير فى أهدافها وأسلوبها فى قارة أفريقيا. وقد ورد بالميثاق فى هذا الصدد « ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى لأفريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى (٢) » .

ويظهر دور مصر فى حركة التحرير الأفريقية التى بدأت موجتها عقب قيام ثورة عبد الناصر فيما يلى :

ـ ظهر أثر مصر كمركز اشعاع فكرى وقومى للقارة الأفريقية بعد ثورة عبد الناصر بشكل أوضح وأظهر مما سبق ، فان ما يجرى على أرض أفريقيا يؤثر على كيان مصر باعتبارها جزءا من هذه القارة . وقد خصصت ثورة عبد الناصر اذاعة موجهة لجميع شعوب قارة أفريقيا بلغاتهم المحلية لحث الشعوب المغلولة المغلوبة ، على التحرير وطلب الحرية ، ومطالبة الثورات بالصمود وكشف ألاعيب الاستعمار فى القارة . وقد هب الكثير من شعوب القارة فى وجه الاستعمار فى كينيا وغينيا وغانا ومالى والصومال وغيرها .

---

(١) من خطاب السيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة بتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٥

(٢) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية .

ـ قامت ثورة عبد الناصر بتقديم كل تأييد معنوى ومادى مستطاع لهذه الثورات التحريرية لتدعيم استمرارها حتى تحقق النصر والحرية .

ـ حاربت ثورة عبد الناصر الاستعمار الجديد فى القارة بكافة أشكاله ونبهت الدول حديثة الاستقلال اليه وخاصة ذلك المستتر وراء اسرائيل . ولم تبخل بمعوناتها الفنية والمادية للدول فى سبيل تدعيم استقلالها وتطوير شعوبها وتحقيق التنمية .

ـ ضربت للشعوب الأفريقية المثل فى قدرة الرجل الأفريقي وهدمت خرافة تفوق الرجل الأبيض تلك الأسطورة التى غرسها الاستعمار فى نفوس المواطنين بأفريقيا زمانا طويلا بتحقيقها النصر على انجلترا وفرنسا فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ واجبارهما على الانسحاب مما جعل الشعوب الأفريقية تشعر بقدرتهـا على التحرير والنجاح فى تحقيق أهدافها وقد كان لانتصار مصر أثر مماثل لانتصار اليابان على الاستعمار والامبريالية فى جنوب شرق آسيا الذى هدم خرافة تفوق الرجل الأبيض على الجنس الأصفر والذى جعل الشعوب فى آسيا تناضل باستماتة من أجل تحقيق حريتها وهى متأكدة من النصر بعد أن زالت عقدة تفوق الرجل الأبيض وامكان انتصار الجنس الأصفر عليه .

٦ ـ أثرت ثورة عبد الناصر على جميع حركات التحرير فى المناطق الأخرى من العالم فى غير قارتى آسيا وأفريقيا فامتد اشعاعها الى أمريكا اللاتينية ويكفى للتدليل على ذلك قول كاسترو « سأفعل بأمريكا كما فعل عبد الناصر ببريطانيا في السويس (*) » .

(*) ملامح من الاستعمار الجديد سلسلة من حياتنا (٦) القيادة العليا للقوات المسلحة.

وقد كانت ثورة عبد الناصر وأفعاله قدوة ومثلا يحتذى وقد أوضح السيد الرئيس الراحل دور ثورته فى المجال العربى والأفريقى والدولى بقوله « ان الشعب المصرى الذى لم يكن صوته يسمع عاليا بغير الظلم والشكوى قد أصبح سيدا بين الطلائع فى قارته الأفريقية وبين الطلائع الأولى فى التضامن الآسيوى الأفريقى وبين الطلائع الأولى فى حركة مقاومة الأوضاع السائدة الاحتكارية فى التجارة الدولية ، بين الطلائع الأولى فى مقاومة سياسات القوة وبين الطلائع الأولى فى العمل من أجل السلام . قوة ينتظر رأيها ويسمع صوتها ويحسب حسابها فى مراكز التحقيقات الدولية وفى عواصم العالم المختلفة على حد سواء .

ولقد كنت أشعر برضاء غامر خلال المؤتمر الأفريقى الأخير وأنا أجد التقدير لنضال الشعب المصرى ... دليلا على القدر الكبير للاخلاص النضالى للشعب المصرى من أجل أهداف الحرية والسلام والتقدم (*) » .

(*) من خطاب السيد الرئيس الراحل فى مجلس الأمة بتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٥

الفصل الثالث

وسائل عبد الناصر فى محاربة الاستعمار القديم والجديد

ان جمال عبد الناصر ايقظ امة باسرها ودفعها الى مجرى التاريخ ، وحركها بالثورة الى معان وقيم والى اهداف وآمال لم تكن هناك من قبله (*)

أنور السادات

اتضح من العرض فى الفصول السابقة أن ثورة عبد الناصر كانت ثورة على الاستعمار فى المقام الأول بكافة أشكاله وصوره سواء القديم منها والجديد ، وقد عرضنا تلك الصور بشىء من التفصيل ثم بينا أثر ثورة عبد الناصر فى حركة التحرير التى عمت العالم عقب الحرب العالمية الثانية • وفى هذا الفصل سنحاول أن نوضح الوسائل والطرق والأساليب التى اتبعها جمال عبد الناصر والتزم بها فى حربه للاستعمار القديم والجديد •

ومن الملاحظ أن الوسائل التى استخدمها عبد الناصر فى حربه للاستعمار كانت تتفاوت فى شدتها ، فتصل لذروتها فى صورة خوض المعارك الحربية مع القوى العسكرية والامبريالية دفاعا عن أرض مصر أو حماية للثورات العربية، وتبلغ أدناها فى شكل اتباع الطرق الدبلوماسية أو تأييد قضايا التحرير فى المحافل الدولية •

وقد اختلفت هذه الوسائل أيضا من حيث الغاية منها ، فبعضها كان وقائيا أى أن تنفيذه واتباعه أمر ضرورى لخلق مانع وحاجز يكون قادرا على صد وتحطيم محاولات ومؤامرات الاستعمار والرجعية مثل العمل على دعم وحدة

(*) خطاب السيد الرئيس انور السادات الاهرام ١٩٧٠/١١/٧ ص ٣

القوى الثورية فى العالم ، وخلق جبهة داخلية متماسكة ، والاهتمام ببناء القوة الذاتية العسكرية والاقتصادية للدولة وغير ذلك . والبعض الآخر يمكن اعتباره وسائل علاجية كالمواجهة العسكرية للاستعمار عند محاولته السيطرة الاقتصادية أو السياسية على الوطن أو ضرب احدى الثورات التحريرية العربية أو لتقديم العون المادى لدولة تناضل من أجل استقلالها .

وسأعرض فيما يلى هذه الوسائل دون أن أحاول اخضاعها لتقسيمات محددة ولكن سأبدأ بقدر المستطاع بالوسائل الوقائية ثم انتهى الى الوسائل العلاجية .

اولا — العمل المتواصل لدعم وحدة القوى الثورية فى العالم

كان جمال عبد الناصر هو أحد النماذج النادرة للعبقرية السياسية ، تلك العبقرية التى تجلت فى التأثير والتغيير الكبير الذى أحدثه فى الظروف التى يعيشها فقد تجاوز تأثيره الفكرى والسياسى حدود وطنه وأمته العربية ليصبح رمزا عالميا للنضال من أجل الحرية والسلام . وفى سبيل أداء هذه الرسالة رأى عبد الناصر بنظره الثاقب أن وحدة القوى الثورية فى العالم ستكون بمثابة الحائط المنيع القادر على مواجهة مؤامرات الاستعمار الجديد والرجعية العميلة التى تهدف الى ضرب المكاسب الثورية . كما أن هذه الوحدة هى الطريق الصحيح لاستعادة الأرض التى فقدت واسترداد الحقوق التى سلبت واستكمال تحرير المناطق التى لا تزال خاضعة لسيطرة الاحتكارات وأطماع الامبريالية العالمية .

وهذا التجمع أو الوحدة المنشودة كما رآها عبد الناصر ليست تكتلا جديدا يضاف للكتلتين الرأسمالية والشيوعية . بل هى قوة تساعد على حفظ التوازن فى العالم ويؤدى تجمعها ووجودها الى خلق رأى عالمى قوى يساعد فى اقرار السلام .

وقد شمل فكر عبد الناصر عندما نظر الى وحدة القوى الثورية شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بوجه خاص لأنها هى الشعوب التى تجمعهـا وحدة الأمانى والآمال والآلام والأهداف المشتركة ، وهذه الوحدة المشتركة تساعد على تضامنها وتضافرها •

وسنستعرض جهود عبد الناصر فى توحيد القوى الثورية بآسيا وأفريقيا والعالم العربى وذلك فيما يتعلق بما يلى :

- التضامن الآسيوى الأفريقى •
- الوحدة الأفريقية •
- الوحدة العربية •
- مؤتمرات دول عدم الانحياز •

دور عبد الناصر فى التضامن الأسيوى الافريقى :

أيقن الرئيس جمال عبد الناصر أن التجربة التى مرت بها شعوب العالم المتحررة عامة وشعوب آسيا وأفريقيا خاصة ـ والتى ظهر منها بجلاء خطورة وشراسة المؤامرات التى يدبرها الاستعمار الجديد والرجعية العميلة • والتى وقعت ضد الحكومات الوطنية المتحررة بغرض ضرب المكاسب الثورية والسيطرة على اقتصاديات الدول النامية ـ تحتم بالضرورة وحدة القوى الثورية فى قارتى آسيا وأفريقيا ، حتى تكون بمثابة تضامن أخوى انسانى • يهدف الى مواجهة الاستعمار فى كافة صوره وأشكاله ، ولتدعيم التعاون والتضامن وتبادل الخبرات والمعرفة العلمية من أجل رفاهية الشعوب وتحقيق السلام العالمى • كما يهدف الى تدعيم استقلال الدولة المتحررة حديثا ، وتقديم كافة المساعدات اللازمة للتنمية الاقتصادية اليها •

ومما سبق يظهر أن عبارة تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية قد بدأت من القاهرة وايمانا من عبد الناصر ـ كماجاء على لسانه فى الميثاق بانتماء شعبنا الى القارتين (أى آسيا وأفريقيا) اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهى أبرز سمات القرن العشرين ـ تولى الزعيم الخالد تنفيذ الفكرة

عمليا بالدعوة الى عقد أول مؤتمر باندونج وقد تم عقد هـذا المؤتمر فعلا فى أبريل عام ١٩٥٥ واشترك فيه عدد كبير من شعوب آسيا وأفريقيا وقد اعتبر هذا المؤتمر بمثابة ميلاد لتضامن شعوب القارتين العريقتين ، وعقد بعد ذلك عدة مؤتمرات للشعوب والحكومات التحريرية بالقارتين أهمها المؤتمر الثـانى الذى عقد فى ديسمبر ١٩٥٧ بالقاهرة • ثم عقد المؤتمر الثالث لتضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية فى فبراير ١٩٦٣ بتنزانيا ثم عقد المؤتمر الرابع فى هافانا بكوبا وقد ضم هذا المؤتمر اليه شعوب أمريكا اللاتينيـة باعتبارها قارة تتشـابه مع قارتى أفريقيا وآسيا فى الآمال والأمانى والآلام والأهـداف • وكان ذلك استجابة لطلب الزعيم الكوبى فيدل كاسترو •

وقد جاءت جميع هذه المؤتمرات محققة لأهداف التضامن ساعية بقـدر المستطاع لاقرار السلام العالمى ومحاربة الاستعمار وتأييد نضال الشعوب التى تسعى للتحرير •

من هذا العرض نلاحظ أن مؤتمرات التضامن بدأت بشعوب ودول قليلة ولكن خلال عقد واحد اكتسبت أرضا جديدة وشعوبا وحكومات أكثر •

جهود عبد الناصر فى اقامة الوحدة الافريقية :

تقع مصر فى الشمال الشرقى للقارة الأفريقية ، ولهذا رأى عبد الناصر أن مصر يجب ألا تنفصل عن القارة التى تعد جزءا لا يتجزأ منها كما رأى أن القارة بامكانياتها الضخمة وثرواتها الهائلة ــ التى استغلها الاستعمار أبشع استغلال والتى يتربص لنهبها مرة أخرى تحت ستار الاستعمار الجديد ــ يمكن أن تمنع كل ذلك وتصد كل هذه المؤامرات وتصنع أمة عظيمة تشكل مكانا مرموقا بين دول العالم القوية لو اتحدت وتضافرت جهودها وتعاونت • فمشكلة القارة الكبرى كما سبق القول هى تفتيتها الى دول وممالك صغيرة وقد ظلت هذه الفكرة شغل عبد الناصر الشاغل دائما ورغم ذلك لم تر النور الا بعد أن نجح الاستعمار الجديد فى الاطاحة بالكثير من النظم التقدمية فى أفريقيا بغرض تنصيب حكومات عميلة بها أو تعطيل نموها وتقدمها •

نادى عبد الناصر بالوحدة ودعا اليها بعد أن وجد المناخ المناسب وبعد أن شعرت الدول المتحررة بأفريقيا بالخطر الذى أطاح بغيرها ويقف اليوم على بابها يهددها بالفناء والزوال •

وقد سعى السيد الرئيس جمال عبد الناصر لعقد مؤتمر يضم الدول المتحررة فى أفريقيا وقد لبت الدعوة وفود غينيا وغانا ومالى والمغرب والجزائر والجمهورية العربية المتحدة وقد عقد الاجتماع فى الدار البيضاء وتم خلال هذا المؤتمر تشكيل منظمة الوحدة الأفريقية ، ثم وضع ميثاقها فى الاجتماع التالى لها الذى عقد فى أديس أبابا فى مايو سنة ١٩٦٣ وتضمن هذا الميثاق تقوية الوحدة والتضامن بين الدول الأفريقية ، وتنسيق وتدعيم تعاونها لرفع مستوى معيشة شعوبها ، والدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها واستقلالها ، والقضاء على كافة أشكال الاستعمار فى أفريقيا ، وتشجيع التعاون الدولى مع وضع ميثاق الأمم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان فى الاعتبار مع اعتبار الحياد بين الكتل الكبرى أحد المبادىء الأساسية التى تتبعها الدول الأعضاء • وقد وقع هذا الميثاق ٣٢ دولة من بينها ج•ع•م• وقد شاركت معظم دول الوحدة الأفريقية فى اقرار السلام أو تقديم العون المادى والمعنوى فى قضايا كثيرة من قضايا القارة •

نضال عبد الناصر فى سبيل الوحدة العربية :

أن نضال عبد الناصر من أجل الوحدة العربية دور رائع ومجيد ويكفى قولا أنه استشهد فى سبيل وحدة العرب وجمع كلمتهم وتركيز جهودهم على الأهداف التى تسعى الشعوب العربية لتحقيقها • وتعد الوحدة أحد الأسلحة الناجحة لحرب الاستعمار القديم والجديد • فالوحدة قوة والدليل على ذلك ما سبق ذكره من أن القوى الاستعمارية الجديدة (ألمانيا وايطاليا) لم تظهر فى المجال الدولى كقوة لها كيان ورأى الا بعد توحدهما • وقد رأى جمال عبد الناصر أن عزل الشعوب العربية بعضها عن بعض ومنع اتصال دولها بعضها البعض يسهل على الاستعمار وربيبته اسرائيل أن تواجه جبهات عربية ممزقة ومتباعدة ، ويكفى لتحقيق الوحدة وحدة الهدف لا وحدة الصف •

وقد أدت هـذه الجهود الى تحقيق الوحـدة بين مصر وسـوريا فى عام ١٩٥٨ تحت عـلم واحد واسم واحد ، وقامت بذلك الجمهورية العربية المتحدة كدولة قوية .

ونظرا لأن سياسة الاستعمار التفتيت وأكثر ما يرهبه الكتل البشرية والامكانيات المـادية الضخمة الناتجة عن قيام الوحدة أو الاتحاد ، فقد سعى سعيا متواصلا لضرب هذه الوحدة عن طريق الرجعيين والخونة فى سوريا ، وتحقق له مأربة فى عام ١٩٦١ . ولكن الصدمة القاسية لم تثن جمال عن الاستمرار فى الدعوة لمبدئه .

وقد تم بناء على جهوده الكثير من الدلائل والعلامات التى تقرب العرب بعضهم لبعض وتوحد هدفهم وهو « أى وحـدة الهـدف » فى رأى جمال عبد الناصر كما سبق القول كاف لتحقيق أمل الوحدة . وقـد قـال عن وحدة الهدف وعن مزايا الوحدة « أن الثورة هى الطريق لوحدة الهـدف العربى وهى الحـالة الوحيـدة التى تتمكن فيهـا شـعوب الأمة العربية من أن تفرض ارادتها على أرضها »(*) .

كما تم عقد عدة مؤتمرات للقمة بناء على دعوته ضمت ملوك ورؤساء الدول العربية عقد أولها فى القاهرة فى يناير سنة ١٩٦٤ وعقد المؤتمر الثانى بالقاهرة فى سبتمبر من نفس العام ، وتوالت بعد ذلك المؤتمرات وقد أسفرت عن تعزيز الدفاع العربى وكفالة حرية العمل داخل الأرض العربية والعمل على تحرير فلسطين .

وفى طريق الوحدة أيضا تم توقيع اتفاق للتضامن العربى بين مصروسوريا والمملكة السعودية يقضى ببناء قيادة عربية مشتركة بين الدول الثلاث انضمت اليها المملكة الأردنية فى يناير سنة ١٩٥٧ وقد تضمن الاتفاق الأخير النص على مساعدة الأردن ماليا لتعزيز قواتها المسلحة .

(*) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة بتاريخ ١٩٦٥/١/٢٠

وقد انضم الى هذا التضامن العربى فى عام ١٩٦٤ أربع دول جديدة هى ليبيا وتونس والجزائر والسودان •

وقد توجت جهود عبد الناصر بتوقيع ميثاق طرابلس الذى ينص على اقامة اتحاد بين جمهورية ليبيا والسودان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٧٠ عقب وفاة السيد الرئيس جمال عبد الناصر •

دور عبد الناصر فى نشاة وانتشار مبدا الحياد الايجابى :

يعتبر مبدأ الحياد الايجابى الذى كان عبد الناصر أول من نادى به أقوى تعبير عن فلسفة ثورته التى حددتها ورسمتها موقع مصر الفذ من العالم فهى قلب العالم العربى بل مركز العالم أجمع •

ويعتبر الجميع ـ الأعـداء والأصدقاء ـ أن نشأة سياسة عدم الانحياز وتدعيمها فى العالم ترتبط اجمـالا وتفصيلا بثلاثة أقطاب كبار هم جمـال عبد الناصر وتيتو ونهرو •

والحياد الايجابى لا يعنى عدم الاسهام فى كل المواقف التى تتعلق بالحرب والسلام بل هو المشاركة الحقيقية فى جميع قضايا الحرب والسلام برأى حر نابع عن عقيدة وايمان وناتجعن دراسة كاملة للموقف وللقضية •

وقد نشأت هذه السياسة نتيجة ادراك بعض الشعوب المستقلة حديثا ، من أن قدرتها على تنمية ثرواتها وتطوير اقتصادياتها لن تنجح ما لم يستقر السلام فى العالم حيث أن قيام الحرب بين الكتلتين أو مجرد الاستعداد لها يصيب الدول النامية بأضرار جسيمة ويعوقها عن التنمية • ولذلك فهى ترغب فى السلام وعليها فى سبيل تحقيق هذه الرغبة أن تلتزم بسياسة الحياد الايجابى حتى تبعد نفسها عن الصراع وفى نفس الوقت تتدخل كقوة لها وزنها فى العالم لمنع الحرب الباردة بين الكتلتين التى يمكن أن تنقلب الى حرب ذرية طاحنـة لا تبقى ولا تذر •

وقد كان لمؤتمر باندونج فضل كبير فى تحديد بعض المعالم الأساسية لسياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى كما كان للاتصالات والاجتماعات بين الدول التى شاركت فى المؤتمر أثر فى تدعيم هذه السياسة وارساء قواعدها •

وقد عقد أول مؤتمر للدول والحكومات غير المنحازة فى بلجراد فى سبتمبر سنة ١٩٦١ عقب التدهور السريع فى الموقف الدولى بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والذى كان من آثاره أو من بوادره فشل مؤتمر القمة فى باريس فى مايو سنة ١٩٦٠

ثم عقد المؤتمر الثانى للدول غير المنحازة فى القاهرة فى شهر أكتوبر عام ١٩٦٤ وقد ارتفع عدد الأعضاء فى المؤتمر الثانى من ٢٨ دولة فى مؤتمر بلجراد الى ٥٧ دولة فى مؤتمر القاهرة •

ثانيا ــ خلق جيل جديد ووضع تنظيم سياسى فى مصر

يحمى مكاسب الثورة من الخونة والاستعمار

آمن السيد الرئيس الراحل بالشعب ايمانه بربه وبنفسه ، وآمن به كقوة تقف كالسد المنيع فى وجه مؤامرات الاستعمار الجديد ولحماية مكاسب الثورة • وآمن كذلك بأن خلق هذا الجيل وتنظيم الجماهير سيكفل لثورة الشعب القدرة السريعة على الحركة فى الوقت المناسب تجاه المؤامرات التى قد يدبرها الاستعمار الجديد •

وقد كان جمال عبد الناصر يصف الشعب دائما فى كافة أحاديثه وأقواله وكتبه وفلسفته بالعظمة وكان دائما يعترف بدوره الطليعى العظيم فيها ، حتى أنه نسب الثورة اليه فقد قال فى هذا الصدد « أن أعظم ما فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها لم تكن صانعة الثورة وانما كانت أداة شعبية لها » (*) •

(*) الميثاق — الباب العاشر •

وقد حدد جمال عبد الناصر دور الشعب تحديدا واضحا فى مجالين • الأول تلقين طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى أولا بأول حتى يمكن لهذه الطلائع أن تحقق له آماله وكذا تطوير المبادىء الست التى وضعتها حتى تصبح برنامجا تفصيليا تسير على هديه الثورة •

كما اعتبر جمال عبد الناصر هذا الشعب العظيم القوى بمثابة الدرع الواقى للثورة والوطن من مؤامرات الاستعمار والامبريالية ، وقدرته على صد وهزيمة أى محاولة للنيل من طلائعه الثورية ، ومقاومة كل الانحرافات التى قد ترتكب من القيادات نتيجة النسيان أو الغرور •

وقد قام جمال عبد الناصر فى سبيل تدعيم قوى الشعب وتنظيمه بعدة وسائل منها :

١ ــ شل فاعلية عملاء الاستعمار والمستفيدين من وجوده والتى كانت تتظاهر أحيانا باشتراكها مع الشعب فى حرب الاستعمار والامبريالية وذلك لتأمين الثورة من أى طعنة فى الظهر سواء من تدبير الرجعية أو بتعاونها مع الاستعمار •

٢ ــ توفير الحرية السياسية للمواطنين ايمانا بأن الانسان الحر هو أساس المجتمع الحر •

٣ ــ ألغى السيد الرئيس الأحزاب ورفض فكرة تعددها باعتبارها خطرا يهدد كيان الوطن ولأنها لا هم لها الا التنافس على مقاعد الحكم وكرسى الوزارة مهما كان الثمن حتى ولو كان عن طريق الخيانة والسير على طريق يخالف الشعارات التى أعلنتها ، وأصدق مثال على ذلك فى مصر ، استعانة حزب الوفد بالانجليز لكى يتولى الحكم وما يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ علينا بغريب • كذلك يوضح موقف الأحزاب ماورد بالتعميم السرى الموزع على قيادات الأقطار والفروع والشعب لحزب البعث بالعراق بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ٧٠ والذى يعتبر أن اسرائيل ليست هى عدوه الأول ولكنه يعتبر جمال عبد الناصر عدوه الأول فقد قال « انه اذا استطاع أن يستوعب الظروف الجديدة ــ أى قبول عبد الناصر

للمبادرة الأمريكية ـ فانه سيكون قد أزاح من طريقه أقوى عدوله وهو عبد الناصر وجماهير الناصرية وراءه •

بعد الغاء الأحزاب كان لا بد من قيام تنظيم يكون بمثابة اطار لوحدة الفئات الوطنية فأسس عبد الناصر هيئة التحرير فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ • ولما ثبت عدم قدرتها على تحقيق أهدافها طرح عبد الناصر فكرة الاتحاد القومى ليكون اطار لتنظيم الجماهير فى مرحلة تدعيم الاستقلال وبناء الاقتصاد • وبعد فترة من التطبيق رؤى أن الاتحاد القومى لا يكفل حشد كل الطاقات العربية الرسمية والشعبية لصالح المعركة ولذا اتجه فكر عبد الناصر الى الاتحاد الاشتراكى العربى كاطار لتحالف قوى الشعب العاملة وهى الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية •

وقد تحددت أهدافه بحيث تضمنت تحقيق الديموقراطية السليمة وحماية مكاسب الشعب الاشتراكية وحماية الضمانات التى قررها الميثاق ودفع امكانيات التقدم • وفرض قانونه الأساسى عليه عدة واجبات لتحقيق أهدافه منها النضال ضد تسلل النفوذ الأجنبى والرجعية والانتهازية وتصفية آثار تحكم الرأسمالية والاقطاع •

وقد كفل الميثاق لهذا التنظيم المنتخب من الشعب من السلطات ما يجعله باستمرار فوق أجهزة الدولة التنفيذية وهذا يعنى أن يكون الشعب دائما هو القائد للعمل الوطنى فى كافة المجالات حتى نضمن استمرار الثورة واندفاعها •

وقد ضمن الدستور للفلاحين والعمال تلك القوى المكونة للأغلبية والتى طال استغلالها نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على مختلف مستوياتهم •

٤ ـ أهتم بالتربية الدينية كأساس لخلق المواطن الصالح وبايمان منه أن الطاقات الروحية تستطيع أن تقدم للثورة أفرادا مسلحين بالصبر والشجاعة قادرين على مواجهة جميع الاحتمالات وقهر جميع المصاعب والعقبات مما يساعد على سرعة تحقيق آمال الشعوب فى الحرية والتقدم •

ثالثا ـ تكريس كل الجهود لبناء القوة الذاتية

كان العمل لبناء القوة الذاتية فى نظر عبد الناصر أمر يمثل القوة المؤثرة لحماية الدولة من مؤامرات الاستعمار والامبريالية ودرعا يقيها من محاولات الرجعية والاستعمار الجديد • اذ أثبتت الحوادث أن الدول القوية فى هذا المجتمع ما زالت تتصرف بشريعة الغاب ـ وذلك بقيامها بعمل كل ما تراه دون حساب أو دون اهتمام بحساب • ولذلك فقد بذل جمال عبد الناصر جهودا مضنية فى سبيل تزويد البلاد بكل الأسلحة الاقتصادية والعسكرية والفكرية حتى تصبح قادرة على حماية نفسها وقمع أى محاولة لغزوها أو استغلال ثرواتها وهذه الحماية ترجع الى احساس الدول الاستعمارية بقوة الدول النامية وهذا الاحساس يدفعها للتفكير كثيرا قبل الاقدام على أى حماقة أو عن طريق مقاومة الغزو والانتصار على المستعمرين أو الثورات المضادة بالداخل •

وقد اهتم جمال عبد الناصر ببناء القوة الاقتصادية للدولة وبناء النظام الاشتراكى وتدعيم القوى العسكرية والاهتمام بالعلم والثقافة •

١ ـ التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة :

يوجه الاستعمار الجديد معظم ضرباته لتحطيم النظم الاقتصادية فى الدول النامية فهو يعرف تماما أنها نقطة الضعف فى الشعوب المستقلة حديثا والتى عانت من الاستعمار الكثير • ولذلك وضع جمال عبد الناصر خططا للتنمية تم تنفيذها بنجاح وقد عرف دكتور ابراهيم سعد الدين التنمية بقوله « انها محاولة ايجابية ومتعمدة بواسطة شعب ما من أجل اللحاق بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى لمستويات شعوب أخرى سبقته الى زيادة قدرتها الانتاجية ومتوسط دخل أفرادها ورفاهيتهم[١] » •

---

(١) د. ابراهيم سعد الدين ، التنمية الاقتصادية ، محاضرات المرحلة الثالثة لمنظمات الشباب الاشتراكى للاتحاد الاشتراكى العربى ، ص ٧٢ .

وقد استطاعت مصر أن ترفع من دخلها القومي ومستواها المعيشي رغم كل التحديات وكان ذلك ايمانا منه بأن قضية التنمية ترتفع الى مستوى قضية الوجود والتحرير بل هي لب الوجود والتحرير . ولذلك فقد روعى أن تتم التنمية وفق أسلوب علمي وقد اعترف بيير جورج بنجاح مصر المنقطع النظير في هذا الصدد بقوله بأنها ـ أي مصر ـ « أول بلد في الشرقين الأدنى والأوسط قامت بتطبيق سياسة تصنيع منظمة يتطلبها الضغط الديموجرافي للسكان في وادي النيل بصورة محكمة [1] » .

وقد خاض في سبيل تدعيم الاقتصاد القومي معارك رائعة انتصر فيها جميعا كتأميم قناة السويس وبناء السد العالي الذي قال عنه رينا توبستوني الكاتب الايطالي « بأنه مفخرة لكل من عاش في عصر بنائه » [2]، والقضاء على النظام الرأسمالي المجحف بحقوق العدالة الانسانية وأقام على أنقاضه مجتمعا اشتراكيا يقوم هيكله على المساواة والاخاء الانساني وزمالة الحياة وبذلك حرر الانسان في مصر من الأغلال وعبودية لقمة العيش ، وقد استوحى الزعيم الخالد اشتراكيتنا من واقع المجتمع ونتيجة للتأمل الدقيق في أوضاعه . كما أقام قطاع عام قوى وقادر على النهوض والوفاء بمستلزمات الخطة في طريق تحرير الثروة الوطنية من الاحتكار المحلي والأجنبي وتم نقل الملكية فيها للشعب العامل . وقد تم بناء القطاع العام في عدة خطوات ثورية تمتد في أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤

وايمانا منه بأهمية الصناعة كعنصر حيوي في التطوير وأن قوة مصر تكمن في قوة تصنيعها فقد اهتم بها اهتماما كبيرا حتى أن منطقة واحدة من المناطق الصناعية الجديدة وهي حلوان أصبحت تضم في عام ١٩٦٥ من الطاقة الصناعية ما يماثل كل الطاقة الصناعية التي كانت قائمة يوم قيام الثورة [3] وقد

---

(١) بيير جورج ، عالمنا اليوم واقعة ومشاكله ، ترجمة كمال السيد ، دار المعارف بمصر .

(٢) رينا توبستوني ، من أهرام الجيزة الى أهرام ناصر ، ملخص الكتاب بالطليعة .

(٣) خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في مجلس الأمة بتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٥

تضمنت سياسة التصنيع توفير مطالب الانتاج واحتياجات الاستهلاك • كما تتكفل محطة كهرباء السد العالى وحدها بانتاج طاقة كهربية تعادل عشرة أمثال الطاقة التى كانت متاحة قبل الثورة •

وقد حدد الميثاق الشروط اللازمة لمواجهة التحدى النـاتج عن وجود الهوة الكبيرة التى تفصل بين الدول النامية والدول المتقدمة وهى :

(أ) ضرورة تجميع المدخرات الوطنية •

(ب) استثمار هذه المدخرات بطرق علمية سليمة •

(ج) وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج •

وقد حققت السياسـة التى وضعها عبد الناصر لتحقيق هـذه الشروط الكثير من النجاح •

٢ ـ تطبيق وتدعيم الاشتراكية العلمية :

استطاع جمال عبد الناصر أن يدرك من تحليله لعناصر فشل ثورة ١٩١٩ أنها لم تهتم بالثورة الاجتماعية بجانب اهتمامها باجلاء المستعمر ، ولذلك فقـد اعتبر جمال أن الاشتراكية هى السمة الثانية لثورته فان كانت السمة الأولى الديمقراطية وهى كما عرفها الميثاق « توكيد سلطة الشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه » (*) فان السمة الثانية هى الاشتراكية التى تترجم كون الثورة عملا تقدميا • وقد اعتبر جمال عبد الناصر كلا منهما جناح للحرية الحقيقية •

وقد اختار الرئيس جمال عبد الناصر الاشتراكية كطريق لتحقيق الحرية الاجتماعية تلك التى تضمن تحقيق الكفاية فى الانتاج والعـدالة فى التوزيع ، وبالتالى ترفع من مستوى دخل قوى الشعب العاملة التى كما سبق القول تقـوم بالدفاع عن الثورة وتملى عليها مطالبها وأمانيها •

(*) الميثاق ، الفصل الخامس ، « عن الديمقراطية السليمة » ص ٤٩ •

وقد أخذت مصر اشتراكيتها العلمية بعد تفكير طويل وبعد أن رأت أن الرأسمالية لم تحقق تقدمها الا على حساب نهب ثروات مستعمراتها وتسخير سكان هذه المستعمرات فى اضافة مزيد من الأرباح اليها • وقد نبعت اشتراكيتنا العلمية من صميم بيئتنا ولم تكن اشتراكية مستوردة أو نظاما منقولا من دولة أخرى وهى تختلف عن باقى النظم المماثلة فى الأسس والمبادىء التى لابد وأن تتلاءم مع طبيعة مجتمعنا وديننا وتقاليدنا وعاداتنا •

٣ ــ اقامة جيش وطنى قوى :

آمن عبد الناصر بما قاله فى برنامج ٣٠ مارس عن القوة كدعامة للحق « ان منطق هذا العصر ــ ولعله منطق كل العصور ــ أن الحق بغير قوة ضائع وأن أمل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام وأن المبادىء بغير مقدرة على حمايتها أحلام مثالية مكانها السماء وليس لها على الأرض مكان » •

عن طريق هذا المفهوم وهذا المبدأ الذى آمن به عبد الناصر صمم منذ قيام الثورة على اقامة جيش وطنى قوى ونادى به كمبدأ من المبادىء الست المشهورة • وحاول أن يسلح الجيش كما يرغب ولكن الاستعمار والامبريالية حالت دون ذلك وأخذت تماطل وتساوم حتى تظل مصر فى موقف الضعيف الذى يحتاج دائما الى حماية الاستعمار والامبريالية والذى يخضع لرغبتها وسيطرتها الاقتصادية والسياسية • ولكن عبد الناصر حطم احتكار السلاح عام ١٩٥٥ عندما عقد صفقة السلاح التشيكوسلوفاكية مع الكتلة الشرقية وقام ببناء قوات مسلحة قادرة للدفاع ليس عن مصر فقط بل عن الوطن العربى كله فى كل زمان ضد أطماع الاستعمار والامبريالية ، وقد قال فى هذا الصدد « ان وجود مصر فى الوضع الأكثر ملاءمة لاستخدام قواها المادية والمعنوية هو أمر لا غنى عنه للنضال العربى العام كما أثبتت وقائع الحوادث فى المثلث العربى الضخم ما بين بغداد والجزائر وصنعاء أن وجود مصر ضعيفة ضعف للنضال العربى كله » (*)

(*) أمين سامى الغمراوى ، العهد ، دار النهضة العربية ، عام ١٩٦٦ ص ١٨٣ ،

وقد أثبتت التجارب فعلا أن وجود مثل هذا الجيش القوى قد قضى على مغامرات القوى الاستعمارية والامبريالية فى المنطقة العربيــة كمــا أنه أدى الى فشلها وهزيمتها عندما حاولت أن تعاود مغـــامراتها فى المنطقــة فى عام ١٩٥٦ بفضل البطولة التى أبداها الشعب والجيش والاعداد والتدريب الكامل لهما .

٤ ـ الاهتمام بالعلوم والثقافة كأساس للقوة والتقدم :

أدرك جمال عبد الناصر أن المعـركة مع الاسـتعمار الجـديد لن تكون باستخدام السلاح فقط بل يجب أن تكون بالعلم كما قال فى مناسبات كثيرة أن العلم يمنح النضال الوطنى فرصة أعظم للانطلاق ويضمن القـدرة على اللحاق بالدول التى سبقتنا فى هذا المضمار ، وقد قال عنه أيضا ان العـلم هو السـلاح الحقيقى للثورة . وقد شرح الرئيس جمال عبد الناصر فىعيد العلم سنة ١٩٥٨ أهمية العلم وضرورة التسلح به لتعويض أسباب التخلف فىالماضى ومن أجل تحقيق النصر الكامل على الاستعمار والامبريالية بقوله : « ان المعرفة ستكون فى العصر القادم هى القوة الحقيقية هى الحرية الحقيقية وأنتم تعرفون أننـا من الناحية السياسية نقاوم احتكار المعرفة ولابد أنكم تتابعون الجهود التى نقوم بها فى الأمم المتحدة ومجالاتها بالاشتراك مع عدد من الدول التى تسير على طريقنا لتقاوم احتكار العلم ، ان العلم يتقدم بسرعة مذهلة وعلينا أن نسارع الى موكبه ونصنع لأنفسنا مكانا فى موكبه » .

ولذا فقد أوصى عبد الناصر بوضع خطة للبحث العلمى كأساس للتقـدم فى شتى الميـــادين وقد عبر عن ذلك الرئيس جمال عبد الناصر بقـوله « ان الاستقلال العلمى والفنى هو البعد الثالث للاستقلالين السياسى والاقتصادى »(١)

وقد أنشأ جمال عبد الناصر مجموعة من مراكز البحوث فىكافة المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية للنهوض بالحركة العلمية حتى يمكن أن تقف الدول النامية فى مواجهة قوى الاستعمار والبغى وقد قيـل « اذا كان القـرن التاسع عشر هو قرن الذين يملكون والذين لا يملكون فان القرن العشرين هو قرن الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

---

(١) خطاب السيد الرئيس امام مجلس الامة فى ١٩٦٤/٣/٢٥

كما أحدث جمال عبد الناصر تطويرا جذريا فى نظم التعليم اذ أنه بدأ منجزاته فى هذا المجال بكسر احتكار التعليم لفئة محدودة من الناس وذلك عن طريق مجانية التعليم كما أنه أعاد دراسة مناهج التعليم حتى تتفق مع آخر تطورات العلم الحديث •

وقد اهتم جمال عبد الناصر بالثقافة كأساس لتوجيه حركة الأمة اذ يتم عن طريقها ممارسة التسلل الفكرى المضاد للثورة عن طريق تنظيم حملات لايضاح الحقائق ووضع تخطيط لمكافحة أفكار الاستعمار ، وقد تم وضع خطة تكفل نمو ثقافتنا نموا طبيعيا فى اطار اشتراكيتنا ومبادئنا •

وقد عبر جوبلز وزير الدعاية النازى عن خطورة الثقافة كعامل حاسم وسلاح قوى ضد قوى الاستعمار بقوله « عندما أسمع كلمة ثقافة أتحسس مسدسى » (١) وهذا تعبير واضح عن مدى مقت الاستعمار والامبريالية للثقافة وللحضارة وللحرية ولجوهر وجود الانسان •

رابعا ــ العمل من اجل السلام

كان العمل من أجل السلام أحد الأهداف الرئيسية التى يسعى جمال عبد الناصر دائما لتحقيقها ، فما من قضية من قضاياه الا وكان له فيها دورا بارزا وواضحا وكبيرا مما أدى الى جعله رجل سلام عالمى • ينظر العالم دائما اليه فى الشدائد ، ينتظر رأيه وحكمه وتدخله وقد قال الميثاق فى هذا الصدد « ان السعى نحو السلام قاد خطى شعبنا الى مراكز دولية أصبح لها الآن من قوة الاشعاع ما يضىء الطريق نحو السلام » (٢)

---

(١) د. جمال حمدان استراتيجية الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٢٥٠.

(٢) الميثاق الباب العاشر .

ويظهر دور عبد الناصر فى العمل من أجل السلام فيما يلى :

١ ـ المشاركة الايجابية فى كافة الجهود التى بذلت فى سبيل منع وتحريم التجارب الذرية ومنع انتشار الأسلحة الذرية بعدم السماح للدول غير النووية بالحصول على مثل هذه الأسلحة .

٢ ـ شارك فى السعى من أجل نزع السلاح لايمانه بأن السلام الدائم لا يمكن أن يتحقق على أساس التوازن الذرى أو الرعب النووى الحالى اذ أن هذا التوازن معرض الى أن يختل فى أى لحظة على أثر اكتشاف جديد وفى هذه الحالة سيكون مصير العالم كله فى خطر .

٣ ـ الالتزام والدعوة بمبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز كوسيلة لتحقيق السلام وتخفيف حدة التوتر بين الكتلتين اللتين تقتسمان نصفى الكرة الأرضية حاليا . وقد جاء بالميثاق فى هذا المعنى « أن ارتفاع هذا الشعار ـ أى عدم الانحياز والحياد الايجابى ـ على قارات كثيرة من العالم هو تحية عظيمة لاخلاص شعبنا فى خدمة السلام » ومن أمثلة تدخل الدول غير المنحازة فى حل المنازعات الدولية ما قام به مؤتمر رؤساء الدول والحكومات غير المنحازة الذى عقد فى بلغراد فى سبتمبر سنة ١٩٦١ بمناشدة كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بوقف الاستعدادات الحربية والتفاوض للوصول الى تسوية سلمية للخلافات القائمة بينهما فى البحر الكاريبى وبرلين ، كما أوفد المؤتمر اثنين من الرؤساء المشتركين فيه لتسليم رسالة لكل من الرئيسين خروشوف وكنيدى تطلب منهما استئناف المفاوضات المباشرة بين البلدين لابعاد خطر الحرب وتمكين الانسانية من التقدم فى طريق السلام .

٤ ـ رفع الرئيس جمال عبد الناصر فى كافة الظروف التى مر بها الوطن والتى أرغم فيها أحيانا على خوض معارك فرضت علينا شعاره الخالد « السلام لا الاستسلام » .

٥ ـ المطالبة بزيادة استخدام الطاقة الذرية والفضاء الخارجى فى الأغراض السلمية التى تحقق الرخاء الانسانى .

٦ ـ المناداة باحترام سيادة الدول وسلامة أراضيها وحقها فى اختيار شكل الحكم الذى يناسبها والتنديد والوقوف فى وجه أى تدخل فى هذا الشأن •

٧ ـ حل المنازعات بالطرق السلمية بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لمبادىء ميثاق الأمم المتحدة • مع محاولة بذل كافة الجهود بالتعاون مع الدول الحرة فى العالم لايجاد حلول لكافة المواقف التى تهدد السلام العالمى أو تضر بالعلاقات الودية بين الأمم •

خامسا ـ اقرار مبادىء جديدة فى السياسة الدولية

وضع جمال عبد الناصر فى السياسة الدولية مبادىء جديدة تقوم على عدم الانحياز لأى كتلة من الكتل والوقوف دائما فى جانب الحق مهما كانت علاقة الدولة بالطرفين المتنازعين والنظر فى كافة المنازعات الدولية حسب ما يمليه عليه ضميرها وولائها للمبادىء والأهداف التى تضمنتها نصوص ميثاق الأمم المتحدة وروحه مستهدفة فى ذلك توثيق عرى الصداقة والتعاون مع جميع الدول ولقد كان لهذه المبادىء صدى واسع فى جميع أنحاء العالم •

ولم يكن عبد الناصر يتشدق كغيره من الساسة بشعارات بل كان يلتزم بكل ما يقول وقد ورد بالميثاق تحديد واضح لسياستنا الدولية التى لا نحيد عنها أبدا وهى « أن السياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة هى انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى » ولم يكن ذلك الا نتيجة للمبادىء التى آمن بها عبد الناصر والتى عبر عنها الميثاق بقوله « ان أى سياسة خارجية لأى وطن من الأوطان لا تكون انعكاسا أمينا وصادقا لعمله الوطنى تصبح ادعاء يكشف نفسه

بنفسه وتصبح نفاقا واتجارا بالشعارات » وقد أدى الالتزام المطلق بهذه السياسة الى جعل عبد الناصر شخصية عالمية مرموقة بجانب كونه شخصية وزعيم عظيم فى وطنه وأمته العربية . وقد عبر عبد الناصر عن ذلك ناسبا المركز المرموق لمصر وشعب مصر وكانت هذه عادته دائما فى انكار ذاته وتعظيم شعبه رغم أن الحقيقة أن كل ذلك تم به وبفضله وأن الكلام عنه متعلق به فى المقام الأول « لست فى حاجة الى أن أستفيض فى شرح المركز الممتاز الذى تتمتع به الجمهورية العربية المتحدة دوليا والاحترام الذى تناله والتأثير الذى تصنعه من حولها ان هذا الشعب المصرى تمكن بالمبادىء أن يعوض ما ينقصه فى الموارد التى تجعله فى وزن القوى الكبرى فى عالمه » .

وقد قضى جمال عبد الناصر على القول بأن المهارة السياسية تقوم على الصياغات الغامضة وأثبت للدنيا كلها أن مصدر احترام الدولة وسياستها يرجع الى وضوح هذه السياسات لا غموضها كما أن سياسة عبد الناصر دلت على احتفاظه الدائم بحرية الوقوف على المبادىء سواء فى الظروف التى يحكمها وجود كتلتين أو فى ظروف أخرى تتعدد فيها المراكز وكان دائما يرفض — على حد قوله [٢] — توقيع الصكوك على بياض بدعوى التبعية أو المجاملة أو الخوف .

وقد بنى سياسته الخارجية على أساس الصداقة المخلصة مع جميع الدول والحركة الايجابية لتحقيق السلام واقراره والحكم فى المنازعات الدولية على أساس من المبادىء والايمان بأن السلام والحرية والرخاء كل لا يقبل التجزئة .

وقد ظل عبد الناصر يمارس هذا الدور فى السياسة الدولية بشرف وبالتزام وبفعالية ناصرا المظلوم مؤيدا الحق مناهضا للظلم . وتشهد المحافل الدولية والعالم أجمع على جهوده البناءة التى بذلها فى سبيل اقرار السلام بين المتنازعين فى الدولة الواحدة أو فى الدول المتجاورة .

---

(١) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية ص ١٣٦

(١) الميثاق ، الباب العاشر ، السياسة الخارجية ، ص ١٣٦ .

سادسا ــ الايمان بالرأى العام العالمى وتجنيده لمحاربة الاستعمار

يحاول الاستعمار التأثير معنويا على الرأى العام العالمى وخداعه لكسب تأييده فى صف قضاياه ، وخير من استفاد من ذلك واستطاع لفترة طويلة أن يضلل الرأى العام العالمى اسرائيل بسبب سيطرتها وتسلطها على أجهزة الاعلام المختلفة فى عواصم الاستعمار وقد أدى نشاطها فى هذا المجال الى تعاطف الرأى العام العالمى معها على أساس الصورة التى أعطتها للعالم عن كونها دولة مسالمة تعدادها مليون فقط وأن هناك ١٠٠ مليون عربى يحيطون بها ويريدون أن يفتكوا بها . وقد كان نجاح اسرائيل فى هذا المجال معناه فشل العرب فى اكتساب الرأى العام العالمى .

وقد وجد جمال عبد الناصر أن الرأى العام العالمى منقسم الى قسمين الأول يساند اسرائيل مساندة ايجابية بتقديم السلاح والمتطوعين وأما النصف الثانى فيتعاطف مع اسرائيل ولكنه لا يقدم لها معونات .

ولذلك بدأ الرئيس الراحل ــ ايمانا منه بقدرة الرأى العام العالمى فى التأثير على مجريات الحوادث فى العالم ــ فى القيام بعدة اجراءات عرقلت تماما جهود اسرائيل والدول الاستعمارية والامبريالية وجعلت القضايا فى العالم العربى أو فى العالم الثالث تكسب ملايين من البشر فى صفها ، ويمكن أن أذكر من هذه الوسائل ما يلى :

١ ــ الاصرار على حضور كل المحافل والمؤتمرات والمنظمات الدولية والقيام بجهود لعرض وجهة النظر العربية فى القضية المعروضة وشرح كل جوانبها وخاصة القضايا التى تمس العالم العربى .

٢ ـ الجهود التى بذلها الرئيس فى سبيل وحدة القوى الثورية التى أصبحت تشكل قوة لا يستهان بها والتى سبق الحديث عنها والتى تشمل مؤتمر دول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية وغيرها والتى أصبحت تتفهم الأوضاع على حقيقتها •

٣ ـ العمل على نشر مبدأ عدم الانحياز مما جعل الكثير من الدول التى تتبع هذه السياسة أكثر تفهما للقضايا وأكثر رغبة فى التعرف على الحقائق كاملة •

٤ ـ السعى الدائم من جانب الرئيس جمال عبد الناصر للقاء وزيارة رؤساء الدول وخاصة المتحررة وعقد صداقات معهم ومع شعوبهم ، وقد كان لقوة اقناعه الخارقة وقوة تأثيره العظيمة وصدقه واخلاصه ودفاعه الدائم عن الحق كسب صداقات جديدة ومتينة تعضد القضايا العربية العادلة وتتعرف على جوانبها الحقيقية •

٥ ـ كان لوقوف جمال عبد الناصر الحازم والحاسم بجانب القضايا التى تهز الضمير الانسانى العالمى كالتمييز العنصرى وغيره أثرا كبيرا فى جعله شخصية عالمية مما دفع الشعوب التى تتعرف عليه الى محاولة تفهم حقائق مايثيره من قضايا • وقد أدت هذه السياسة الى كسب تعاطف العالم وكسب الرأى العام العالمى الى جانب الكثير من القضايا العادلة وقد عبر جمال عبد الناصر عن ذلك بقوله فى حديثه عن العدوان الثلاثى « ان الشعب المناضل الذى كان يواجه الطغاة الكبار وحده ـ لم يعد وحيدا » كما أضاف « بأن الشعب المصرى بثباته الرائع وقتاله المرير ضد الغزو استطاع أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور الدولى » (*)

(*) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية ص ١٣٩

سابعا ــ التصدى للاحلاف العسكرية

الحرب بين الأمة العربية وأعدائها حرب ضارية وترجع أسباب هذه الحرب الى الثروات الضخمة الظاهرة والدفينة فى الوطن العربى ولموقفها الحاكم وتأثيرها الانسانى ولذلك رغم تسليم العدو بالاستقلال السياسى لمعظم الدول العربية الا أنه ظل يحاور ويداور للسيطرة عليها وجعلها تابعة له ــ وقد كانت احدى وسائله المشهورة محاولة ربط مصر ودول العالم العربى به بواسطة أحلاف عسكرية بحجة الدفاع عن المنطقة وحمايتها أو لملء الفراغ الذى تركه الاستعمار بعد تحقيق الاستقلال أو حماية المنطقة من الخطر الشيوعى الذى يتهددها .

وتنبه عبد الناصر لهذه الصورة الجديدة للاستعمار ورأى أن قيام الأحلاف والقواعد العسكرية تزيد من حدة التوتر الدولى وتزيد الحرب الباردة اشتعالا كما أنها تجعل علاقة الدول العربية بالدول القوية علاقة تابع بمتبوع أو علاقة خادم بسيده يأمره ويلمح له فيستجيب ولذلك اتخذ حيالها سياسة تتلخص فيما يلى :

١ ــ الرفض الكامل للانضمام اليها .

٢ ــ توعية الدول العربية وتنبيهها الى المخاطر الناجمة عنها .

٣ ــ الاتجاه الى بناء قيادة عربية مشتركة لكى يكون المسئول عن الدفاع عن المنطقة هم أبناؤها وحدهم .

بدأت مصر حربها فى معركة الأحلاف منذ قيام الثورة وفى ذلك يقول الرئيس جمال عبد الناصر منذ قيام الثورة بدأت بريطانيا وأمريكا تتصلان بنا من أجل محالفات واتفاقات ولكننا قلنا أننا لا نستطيع التحالف الا فى حلف واحد هو حلف الدول العربية وقلت لهم هل سيكون لمصر رأى على بريطانيا ؟

هل يحقق التحالف بين دولة كبيرة وأخرى صغيرة الا التبعية لا نقبل أبدا أن نكون أذيالا أو تابعين • كان جنرال روبرتسون موجودا وطلب منا عقد محالفة مدتها خمس وعشرون سنة ولكننا رفضنا »[1] •

ثم ازدادت حدة هذه الحرب بعد توقيع معاهدة الجلاء فى عام ١٩٥٤ حيث كان الغرب يأمل أن يجرنا الى حلف عسكرى كان قد رتب لاقامته فى المنطقة فى ذلك الوقت وهو حلف بغداد • وحضر نورى السعيد رئيس وزراء العراق وقتذاك للقاهرة فى سبتمبر ١٩٥٤ وكان الغرض من حضوره هو مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر للتفاهم معه حول الوسائل التى تكفل تقوية ميثاق الضمان الجماعى ولكن بعد الحديث مع السيد الرئيس جمال عبد الناصر استطاع أن ينزع القناع العربى الذى كان يغطى نورى السعيد به وجهه الاستعمارى وأخذ يعرض فكرة حلف بغداد ويحاول اقناع الرئيس جمال عبد الناصر بالتحالف مع أمريكا وبريطانيا ويمكن أن أعرض جزءا مما دار من نقاش حتى يظهر بوضوح المؤثرات الاستعمارية والرجعية العربية فى ذلك الوقت فقد قال نورى السعيد للسيد الرئيس « احنا يجب أن نعمل تحالف مع من ينجدوننا حقا نتحالف مع أمريكا وانجلترا وايران وباكستان معهم جميعا • ونوسع ميثاق الضمان الجماعى • وبهذا نضمن التسليح ونكون عمليين ••• ايش فكرة القومية العربية اللى بتتكلم فيها هذا الكلام الكتير ! ايش الأردن •• وايش سورية •• وايش العرب ـ هذا كلام لا أؤمن به »[2].

وبالطبع رفض عبد الناصر كلام هذا الخائن الكافر بالقومية العربية وأصر على ضرورة أن لا ترتبط الدول العربية فى أحلاف مع الدول الاستعمارية والامبريالية •

وعاد نورى السعيد بالخيبة لبلاده وللاستعمار الذى كلفه بهذه المهمة ، وبدأ تكوين حلف بغداد فى نهاية ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ بعقد مجموعة

---

(١) من خطاب للسيد الرئيس فى ١٩٥٦/٧/٢٦

(٢) د. ابراهيم احمد العدوى ، الصراع بين الأمة العربية والاستعمار الجديد ، مرجع سابق ص ٩٤

من الاتفاقات الثنائية بين دول المنطقة ودعا البيان المشترك الذى صدر عن عقد حلف دفاعى بين تركيا والعراق فى ١٩٥٥/١/٦ الدول العربية للاشتراك فى هـذا الحلف ثم أعلن قيام الحلف رســـميا فى ١٩٥٥/٢/٢٤ وضم الحلف انجلترا وتركيا والعراق وباكستان وايران وانضمت أمريكا الى الحلف كعضو مراقب • وهنا بدأ جمال عبد الناصر حربه ضد هذا الحلف ، وقاد حــركة كفاح ضخمة ضد دخول الدول العربية فى الأحلاف الغربيــة ونادى بضرورة أن ينبثق الدفاع عن المنطقة من داخل المنطقــة ذاتهــا وبشرط ألا يدخل فى أحلاف الدفاع العربية أية دولة كبرى ونادى بعقد معاهدة للضمان المشترك بين الدول العربية • وأن الحلف ما هو الا اضافة نوع جديد من أنواع الاستعمار للمنطقة تحت اسم جديد •

وكلما ازداد دور عبد الناصر فى محــاربة الحلف كلمــا ازداد ضغط الاستعمار السياسى والاقتصادى على الدول العربية لجرها الى الحلف • وكان مما قام به اعلان سلوين لويد فى فبراير ١٩٥٤ توقف انجلترا عن بيع السلاح لمصر وفى عام ١٩٥٥ اشترطوا ألا نعارض الأحلاف وألا نلعب دورا فعالا فى باندونج حتى يبيعوا لنــا الســلاح وضغط على الدول الأخرى حتى لا يبيعنا السلاح • ولكن عبد الناصر أصر على المقاومة ودفع الدول العربية الى اتخــاذ نفس السبيل والصبر واتخاذ الحيطة تجاه مؤامرات الاستعمار •

ولم يستطع الحلف أن يضم اليه ــ رغم كل الضغوط التى مارسها ــ أية دولة عربية أخرى اليه • وانهار الحلف تماما بعد ثورة العــراق المجيــدة فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ والتى ترتب عنها انسحاب العراق من الحلف وتغير اسمه الى الحلف المركزى •

وكان جمال عبد الناصر قد بدأ دعوته الى بناء قيادة عربية مشتركة لمحاربة الاستعمار الجديد ، وقد تم توقيع اتفاقية فى هذا الصدد فى مارس ١٩٥٦ بين القاهرة ودمشق والرياض ثم توسعت فيما بعد بانضمام أعضاء جدد اليها كمــا سبق أن أوضحنا •

وبعد تحطيم حلف بغداد عاد الاستعمار الجديد للتأثير على استقلال الشعوب العربية مرة أخرى وربطها فى عجلته وذلك باختلاق لافتات جديدة وحمل شعارات مغرية ولكن جمال عبد الناصر كان لها جميعا بالمرصاد ، فتمت بفضله وعلى يديه هزيمة مشروع ايزنهاور ثم شل فاعلية الحلف المركزى •

ثم اختار الاستعمار قناعا جديدا للتخفى وراءه وهذا القناع له فى نفوس المسلمين وهم يشكلون نسبة كبيرة من أبناء الدول العربية مكانة خاصة وهو الدين الاسلامى فأوعز الى أحد عملائه بالمنطقة بالمناداة بالحلف الاسلامى،ولكن عبد الناصر عارضه أيضا باعتباره صورة من صور الاستعمار الذى لا يخلف الا التبعية والاستغلال للدول العربية وقد استجابت جميع الدول العربية لنداء حبيبها عبد الناصر • ومما ساعد عبد الناصر فى حربه للأحلاف واستجابة الدول العربية اليه أن الاستعمار نفسه أوضح للأمة العربية أن ما قاله عبد الناصر بشأن الأحلاف وكونها نوع من الاستعمار الجديد صحيح فقد صرح ايدن فى مجلس العموم البريطانى عن الحلف بقوله « ان الهدف الذى نتوخاه من الانضمام للميثاق (بغداد) هو تعزيز نفوذنا ورفع صوتنا فى شئون الشرق الأوسط » ••• ثم قال « ان الغرض من هذا الحلف هو صرف نظر العراقيين الى اتجاه آخر ـ أى غير الحرب مع اسرائيل ـ ولما كان الاسرائيليون أناسا أذكياء فانهم سيرون أن هذا الميثاق سيجعلهم فى أمن ودعة » (*)

ومن هذا يتضح أن عبد الناصر حارب الأحلاف باعتبارها نوعا خطيرا من الاستعمار الجديد وقد نجح فى حربه تماما •

(*) الدراسات الاشتراكية ، مقال بعنوان التحديات التى واجهتها الثورة ، د. ابراهيم صقر ، وزارة الشئون الاجتماعية ص ١٥٢ .

ثامنا ـ تاييد الثورات التحريرية فى العالم

ايمانا من جمال عبد الناصر بارتباط قوة العالم الثالث بحركة التحرير العالمى فانه يرى أن تحرير أى بلد يرتبط ارتباطا وثيقا بنضال شعوب العالم الثالث . وأن هذه الدولة التى تسعى لتحرير نفسها من نير الاستعمار ستشد عضد مجموعة العالم الثالث ، اذا تمكنت من تحقيق النصر ، كما أن جمال عبد الناصر كان انسانا لأبعد حدود الانسانية يتعاطف مع الحق فى أى مكان وزمان ولذلك كان دوره فى تأييد وتعضيد الثورات التحريرية فى العالم كبيرا.

وكان هذا التأييد يتفاوت بين التدخل العسكرى للدفاع عنه أو امداد الثوار بالعدة والعتاد أو التأييد المعنوى لقضية التحرير عند عرضها فى المحافل والمنظمات الدولية .

وقد كان لجمال عبد الناصر فضل كبير فى نجاح الكثير من الثورات التحريرية التى وقعت فى العالم العربى وكذا فى مساندة بعض الثورات فى أن تقف على أقدامها وذلك بحمايتها من التدخل الأجنبى والأمثلة على ذلك كثيرة أكتفى بذكر بعض منها وهى :

١ ـ قدمت الجمهورية العربية المتحدة مساعدات مادية وعسكرية للثوار الجزائريين منذ بدء الثورة وطوال حرب التحرير التى خاضوها والتى انتهت بالنصر و لاستقلال . وقال السيد الرئيس عن ذلك « أنى أذكر اليوم أول شحنة من الأسلحة وصلت الى الجزائر قبل بدء الثورة فى سنة ١٩٥٤ ـ وصلت هذه الشحنة ـ قامت من الاسكندرية على اليخت فخر البحار واتجهت الى الجزائر والتقى رجال فخر البحار برجال الثورة الجزائرية لأول مرة »(*).

(*) خطاب السيد الرئيس فى ١٩٦٥/١/٢٥

٢ ـ قام الرئيس الراحل بتأييد ثورة العراق والاعتراف بهـا لحظة مولدها واعلان حمايتها وصد القوى الامبريالية التى تربصت بها لحظة قيامها فى عام ١٩٥٨

٣ ـ أرسل الرئيس الراحل القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة للوقوف الى جانب شعب اليمن الحر فى ثورته على الرجعية والتخلف والتى وقعت فى عام ١٩٦٢

وظل الرئيس طوال حياته الحافلة بالأمجاد يساند كل حر فى العـالم سواء العربى أو الأفريقى أو الأسيوى باذلا كل جهد لمحاربة الاستعمار والعمل على تحرير الشعوب •

تاسعا ـ ضرب الاحتـكارات الاستعمارية

ان الاستعمار الجديد كما سـبق تعريفـه ما هو الا استمرار استغلال ثروات الشعوب فى ظل استقلالها السياسى واحدى صـوره هى الاحتكارات الاستعمارية • وقد اتخذ الرئيس جمال عبد الناصر عدة اجراءات لضرب هذه الاحتكارات :

١ ـ ضرب عبد الناصر الاحتكارات الاستعمارية فى الصميم عندما أمم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تلك التى أصبحت مصدرا هاما للنقد الأجنبى والذى بلغت حصيلته ما يعادل الحصيلة التى كانت تجنيها مصر من محصولها الاقتصادى الأول ـ القطن ـ قبل ثورة عبد الناصر •

٢ ـ قام جمال عبد الناصر كذلك فى هذا الصدد بالدعوة الى ضرورة مواجهة التكتلات الاقتصادية الدوليـة باعتبارها وسيلة من الدول الاستعمارية والامبريالية المتقدمة لتحطيم المحاولات المستميتة التى تبذلها الدول النامية فى تطوير وتنمية اقتصادياتها •

٣ ـ قام من أجل ضرب الاحتكارات الرأسمالية برفض أى معونات مشروطة مع ترحيبه بالمعونات والقروض غير المشروطة وكذلك فهو يقبل الاستثمارات الأجنبية في الأحوال التى تحتاج لخبرات فنية وعالمية غير متوافرة في البلاد ٠

٤ ـ نادى بالتعاون الدولى من أجل الرخاء وأعلن استعداد بلاده لمد يدها لجميع الشعوب والأمم التى ترغب فى السلام العالمى والرخاء الانسانى ٠

٥ ـ نبه مرارا الى عدم امكان استقرار السلام فى العالم طالما وجد التفاوت الصارخ المخيف فى مستويات الشعوب المتقدمة والمتخلفة وأعلن توقعه بأن هذا التفاوت قد يؤدى الى نشوب الحرب العالمية الثالثة ٠

٦ ـ طالب الدول المتقدمة والتى قامت مدنيتها وتقدمها على نهب ثروات الشعوب بأن تكفر عما اقترفته فى حق الدول التى كانت تستعمرها وذلك بالمساهمة الجادة فى خطط التنمية بالدول حديثة الاستقلال ٠

٧ ـ عقدت الدول النامية أول مؤتمر لها فى القاهرة فى يوليو ١٩٦٢ لبحث التطور الاقتصادى كما عقد بعد ذلك فى مارس ١٩٦٤ المؤتمر الدولى للتجارة والتنمية فى جنيف ٠

٨ ـ كان جمال عبد الناصر يدعو الى اقامة سوق عربية مشتركة كما نادى بضرورة أن تقوم اللجنة الاقتصادية لأفريقيا واللجنة الاقتصادية لمنظمة الوحدة الأفريقية باصدار قرارات تكفل تنفيذ الوحدة الاقتصادية فى أفريقيا كخطوة فى سبيل تحقيق وحدة القارة السياسية ٠

٩ ـ توحيد الصفوف العربية ازاء الأطماع الاسرائيلية الرأسمالية الاستغلالية واحكام الحصار حولها بالمقاطعة العربية باعتبارها دولة استعمارية تهدف الى استغلال الشعوب ٠

عاشرا ــ مواجهة الحرب النفسية التى يشنها الاستعمار

تتعرض الدول النامية والثورات التحريرية الى حرب نفسية من جانب الدول الاستعمارية والامبريالية • وقد تكون هـذه الحملات مقصودة لذاتها أو مقدمة لتدبير مرسوم ومحدد تنفيذه فيما بعد ، سواء بمعرفة الرجعية العميلة أو قوى الاستعمار ذاتها •

والخطورة فى هذه الوسيلة أنها قد تجعل من القوى الوطنية المخلصة قوى معادية ولذلك اهتم عبد الناصر اهتماما كبيرا بمواجهة الحرب النفسية التى ظل الاستعمار يشنها على مصر طوال الثمانية عشر عاما المـاضية بغرض هدم معنويات الشعب واضطراره الى السير فى ركب الاستعمار ومصالحته • ولغير ذلك من أسباب تبعا للظروف السائدة فى كل وقت • فان أهـداف ووسـائل الحرب النفسية التى شنها الاستعمار فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ تختلف عن تلك التى قام بها ضد الوحدة عام ١٩٥٨

وقد اتخذ جمال عبد الناصر وسائل ناجحة لمواجهة هـذا الأسـلوب الاستعمارى ويمكن عرض أهم طرق تصديه للحرب النفسية فيما يلى :

١ ــ كشف كل الأقنعـة التى يحاول الاستعمار أن يتـوارى خلفها بوسائل الاعلام الوطنى والقومى والعالمى •

٢ ــ انتهاز أول لقاء له مع الجماهير ليشرح فيه ما روجه الاستعمار من أكاذيب ويتولى الرد عليها بمنتهى الوضوح والصراحة وقد ساعده فى حربه الثقة المطلقة به وبأمانته وصدقه مع أمته العربية الكبيرة •

٣ ـ وضع الحقائق جميعها أمام الجماهير بطريقة تؤدى للوعى الكامل والمستمر للجماهير بظروف المشاكل أو الأمور التى تعرض للبلاد وكان هذا الوعى خير عامل على دحض شائعات وأكاذيب الاستعمار والأساليب التى اتخذها لتنفيذ أغراضه .

٤ ـ التوعيــة السـياسية كحاجـز يقى الأفراد من الوقوع ضـحية الشائعات .

حادى عشر ــ استخدام الوسائل السلمية والعسكرية لمواجهة الاستعمار فى مصر

سبق أن ذكرنا أن ثورة عبد الناصر كانت ثورة على الاستعمار فى مصر فى المقام الأول فكان طبيعيا أن يكون القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين أول مبادىء الثورة الست . وقـد اتخذ جمال عبد النـاصر لاجبار الاستعمار البريطانى على الجلاء عن مصر ـ التى ظل رابضا فيها طوال ٧٤ عاما ـ الوسائل التالية :

١ ـ تأمين الثورة من الانقضاض عليها من الخلف بواسطة الرجعية وقد اتخذ جمال عبد الناصر فى هذا المجال الخطوات التالية :

(أ) بدأ فى تقليم أظافر الاستعمار وذلك بالقضـاء على أعوانه فطرد الملك الطاغية فى ١٩٥٢/٧/٢٦ ثم بدأ حربه مع الاقطاع فأصدر قانون الاصـلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ وبذلك هدم بعض معاقل الرجعية وقلاعها وبدأت الثورة فى توفير جزء من الحماية لها فى حربها مع الاستعمار .

(ب) قام بحل الأحزاب فى ١٩٥٣/١/١٨ باعتبارها قـد فقـدت تماما شخصيتها ومبادئها وأصبحت أداة فى يد الاستعمار لاهم لها الا التكالب على الحكم .

(ج) قام بالغاء الملكية واعلان الجمهورية فى ١٩٥٣/٦/١٨ وطهر الجيش والحكومة من كل عنصر يشك فى ولائه للشعب وبهذه الاجراءات تم تأمين ظهر الثورة وبدأت فى مواجهة الاستعمار .

٢ ـ بدأ الاعداد للكفاح المسلح وذلك بتكوين كتائب الفدائيين وتدريبها وكان هذا الاعداد شيئا ضروريا فى نظر عبد الناصر حتى يتلافى الأخطار التى وقعت فى الكفاح المسلح فى القنال قبل الثورة وبدأت المعركة ضد المستعمرين وأعوانهم حتى وصل الأمر الى حد اعدام الخونة من عملاء الانجليز فى المنطقة مثل « كنج صبرى » وبذلك شعر الاستعمار أن بقاؤه أصبح مستحيلا فى وسط شعور معاد لهذا الوجود ومصمم على ازالته .

٣ ـ بدأت المفاوضة بين وفد مصر برئاسة جمال عبد الناصر والبريطانيين لعقد اتفاقيــة الجلاء واتفق على خطوطها الرئيسية فى ١٩٥٤/٧/٢٧ ووقعت رسميا فى ١٩ أكتوبر من نفس العام على أن يتم جلاء جميع البريطانيين خلال عشرين شهرا من توقيع الاتفاقية . وكان جمال خـلال المفاوضــه لا يساوم ولا يقبل الحلول الوسـط ورفض رفضـا باتا المناورات السياسية وكان دائما واضحا صريحا وقاطعا ولا يقبل الا الجلاء التام والغير مشروط .

٤ ـ بعد جلاء آخر جندى بريطانى عن مصر فى يونيو ١٩٥٦ تطورت الأحداث على الوجه المعروف فقد رفضت الدول الغربية تمويل السد العالى فأعلن جمال عبد الناصر تأميم القناة فى ١٩٥٦/٧/٢٦ وذهل الغرب واحتج واتخذ اجراءات اقتصادية كثيرة ضد مصر وأخيرا كان العـدوان الثلاثى فى نهاية عام ١٩٥٦ وقاد عبد الناصر شعبه وجيشه فى تلاحم كامل رائع لمواجهة قوى العدوان والبغى ـ الاستعمار والامبريالية ـ حتى تحقق له ولأمته النصر وتم دحر العدوان . وقد تجلت فى هذه المعركة اصالة الأمة العربية وظهر التضامن العربى الشعبى على أشده ابان المعركة مما جعلها تتحول من نطاقها المحلى المحدود فى مصر الى معركة عربية كبيرة شملت البلاد العربية من مشرقها الى مغربها ، أى كانت معركة بين القومية العربية والاستعمار .

٥ ـ كان لانتصار مصر على العدوان الثلاثى أثرا كبيرا على دول العالم الثالث جميعها التى استقلت أو التى مازالت تناضل من أجل استقلالها حيث أعطى هذا النصر لهذه الشعوب أملا فى انتصارها على الرجل الأبيض فى كل مكان ، وما أشبه اليوم بالبارحة حيث أثبت الشعب اليابانى خرافة قوة الرجل الأبيض التى لا تقهر عندما اجتاح فى الحرب العالمية الثانية جنوب شرق آسيا محطما قوى فرنسا وغيرها من الدول الغربية التى كانت تستعمر تلك المناطق فى ذلك الوقت .

٦ ـ كان للعدوان نتائج عكسية غير ما توقعه المعتدون أنفسهم وقد وصف أحد الكتاب الأجانب مواجهة عبد الناصر لعدوان ١٩٥٦ وآثاره بقوله « كان الهجوم الانجليزى الفرنسى على مصر أعظم ضربة أصابت وكر الغرب فى الشرق الأوسط وهكذا أصبح الرئيس جمال عبد الناصر بطل السلام وقائد الشعوب المتطلعة الى الحرية الساعية الى تحرير نفسها من الغرب وما لبث العالم العربى أن أتجه بجوارحه اليه وبلغت مكانته الشخصية الذروة وسرى الرعب فى أوصال حكام العراق اذ أدركوا أنه ليس فى استطاعتهم أن يستمروا طويلا فى السيطرة على البلاد » (*) .

٧ ـ أوعز الاستعمار الى ربيبته وصنيعته اسرائيل أن تهاجم الجمهورية العربية المتحدة فى يونيو ١٩٦٧ وحققت نصرا سريعا ساعد عليه الاستعمار والامبريالية وظل جمال يجاهد فى تدعيم الجيش وتسليحه واعداد الشعب لمعركة التحرير وتقديم كل عون مادى وأدبى للثورة الفلسطينية ، وقد ظل يعمل عملا متواصلا فى حربه للاستعمار الاسرائيلى ويجاهد لتحرير أرض الوطن حتى سقط شهيدا فى الميدان .

(*) الأهرام ١٩٦٦/١١/٨ ص ٣

الفصل الرابع

دعائم نجاح عبد الناصر
فى محاربته للاستعمار القديم والحديث

انك تستحق لقب القائد العظيم . . . . .
اذا صففت قواك بطريقة فنية . . . . .
اذا ركزتها بطريقة صحيحة . . . . . .
اذا دفعتها للقتال فى الوقت المناسب . . . .
اذا أدرتها بحكمة . . . .
اذا كافأتها بحق . . . .
اذا حرستها بعناية . . . .
اذا وزنت الأمور بدقة . . . .

الحكيم الصينى ساما

حقق جمال عبد الناصر منذ قيام الثورة حتى اليوم من جلائل الأعمال ما جعله جديرا بأن يحتل من أمته مكان الصدارة • وقد دخل عبد الناصر التاريخ حقا من أبواب فسيحة كثيرة ، كان كل باب منها يفتح على مصراعيه لاستقبال ذلك الرجل الذى قدم حياته كلها لخدمة أمته العربية واحتسابا لخدمة المستضعفين من البشر فى كل مكان من هذا العالم الفسيح •

وقد حمل عبد الناصر خلال فترة عمله أعباءا ثقالا وخاض معارك عنيفة كان لا يقدر على حملها أو خوضها غيره وقد قال عن ذلك الرئيس أنور السادات « لقد كنا نحمل بالفعل عبئا ثقيلا فى معركة أبسط ما يقال فيها أنها معركة مصير وكان ما يحمله جمال عبد الناصر فوق ما يطيق البشر ولكنه كان رجلا اتسعت همته لآمال أمته وكان حرصه على الوفاء أكثر من حرصه على البقاء»(*)

(*) من خطاب السيد الرئيس أنور السادات فى ختام المؤتمر القومى العام الدورة الخامسة ١٩٧٠/١١/١٤

ورغم كثرة عدد المعـارك التى خاضها فقـد حقق النجاح والنصر فى معظمها واستطاع فى القلة القليلة منها أن يحول هزيمة الأمة ونكستها الى نصر مؤزر أو قوة دافعة هائلة تتضمن هذا النصر الحاسم •

ولو اسـتعرضنا الوقت الذى خصصه جمال عبد الناصر لقضـايا مصر والأمة العربية والعالم لوجدنا أن قضية الاستعمار ومحاربته قد شغلت معظم وقته لأن محاربة الاستعمار ارتبطت أساسا بمعظم قضـايا التغيير الاجتماعى بالدولة • فمثلا نلاحظ أن حرب الاستعمار النفسية ومخططاته مع الرجعية الداخلية فى الوطن العربى تلازمت زمنيا مع كل نصر أحرزه عبد الناصر فى طريق تحقيق تقدم الدولة أو الأمة العربية أو بناء قوتها الذاتية • وهـذا التلازم الزمنى لا يعنى وقوعه مع بداية أى نصر ولكنه كان يبدأ عادة قبله أى مع بزوغ الأمل فى تحقيق النصر • فالحرب النفسية ضد الوحدة بدأت قبل الوحدة واستمرت معها الى الى أن تم الانفصال • كما أن تأميم قناة السويس قادنا لمواجهة سافرة مع العـدوان الاسـتعمارى العسكرى ، وكسر احتكار السلاح جعل الاستعمار يدفع اسرائيل للاعتداء على حدودنا ، ونجاحنا فى بناء السد العالى قادنا الى حرب ضروس مع الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن اشتراكنا فى مؤتمرات عدم الانحياز كان يؤلب علينا القوى الاستعمارية • فمثلا كما سبق أن ذكرت فى فصل سابق أن الاستعمار اشترط كى يبيع لنا السلاح ألا نقوم بدور مؤثر فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ كذلك اشترطت فرنسا أن نتوقف عن مساعدة وتأييد ثورة التحرير الجزائرية كشرط أساسى لبيعهـا السلاح لنـا •

من هذا العرض يظهر أن معارك عبد الناصر مع الاستعمار كانت كثيرة ومتواصلة وقد حقق فى معظمها النجاح • وهنا يجب أن نتساءل كيف نجح عبد الناصر فى حربه للاستعمار ؟ أو ما هى الدعائم التى أدت لنجاح عبد الناصر فى حربه مع الاستعمار ؟

يختلف الكتاب والمحللون الذين تعرضوا لهذه القضية فى تقسيم هذه الدعائم أو الخصائص التى مكنت عبد الناصر من النصر المتواصل فى حربه ،

ولكنهم متفقون جميعا فى قضية أهم وأكبر هى أن عبد الناصر كان شخصية تاريخية فذة وابن مخلص لأمة عظيمة حمل منها أخص خصائصها وأخلص ميزاتها وأدق صفاتها وأعمق أسرارها • وما أجمل وصف محمود ربيع لميلاد الأمة العربية لعبد الناصر حيث قال « عملية ميلاد الأمة لمثل هذه الشخصية الفذة ــ أى عبد الناصر ــ أشبه ما تكون بالأرض حينما تضغط بآلاف الأجيال على بعض الفحم المطمور فى أعراقهـا ليتحول فيكون منه المـاس الكريم المتلألىء »[١] وهذه الخصائص هى التى مكنته من ارتياد مجالات لم يرتدها أحد من قبله وجعلته يضع مبادىء لم يسبق لغيره أن قررها •

فقد اعترف الجميع ــ أعدائه قبل أصدقائه ــ بزعامته وقيادته الحكيمة ودوره العظيم فى صنع التاريخ • وما أجمل وأصدق قول محمود فوزى رئيس الوزراء « أن جمال عبد الناصر لم يكن مجرد سائر فى ركب التاريخ ولكنه كان صانع تاريخ ولم يكن قائد أمة بل كان منقذ أمة أو أمم فى هذه المنطقة من العالم »[٢] •

ولذلك فأرى أنه كان يجمع بين صفات القائد الناجح والادارى الكفء والرئيس العسكرى العظيم ويتمتع بكل مميزات الشخصية الناضجة • وساحاول فيما يلى أن أحدد بعض ملامح شخصيته والدعائم التى ساعدته فى تحقيق النجاح فى حربه للاستعمار خاصة •

أولا ــ وطنيته وثوريته

عرف عن الزعيم الراحل وتجسد فيه كل ما هو بطولى وعظيم ، وكان دائما كما أثبتت كافة الظروف ــ على استعداد تام لبذل الروح فى سبيل الدفاع

---

(١) محمود ربيع ، شخصية عبد الناصر اضواء جديدة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٦ ص ٩ •

(٢) من حديث للسيد محمود فوزى رئيس الوزراء ، الاهرام فى ١٩٧٠/١١/١ ص ٣ •

عن وطنه ضد محاولات المرتدين فى الداخل أو الاستعمار فى الخارج وذلك نتيجة ايمانه العميق بوطنه وبلده . وقد عبر السيد أنوار السادات عن ذلك بقوله « عمك جمال يابنى يمتاز بالأقدام والأيمان بمصر واستقلالها وكرامتها ايمانا صلبا عنيدا » [١] .

وقد كان هذا الايمان بالوطن نتيجة لعوامل عديدة أثرت عليه منذ مولده فقد ولد عبد الناصر فى الخامس عشر من شهر أبريل عام ١٩١٨ فى فترة من أخطر فترات المواجهة مع الاستعمار فقد عقدت اتفاقية سيكس بيكو لتمزيق الوطن العربى ، وصدر وعد بلفور الذى سدد خنجرا خطيرا لقلب الوطن العربى كما قامت ثورة ١٩١٩

وترعرع جمال عبد الناصر وهو يسمع منذ مولده كلمة الحرية كهتاف للجميع والاستقلال كأمل يراود أحلام الكل .

كما تأثر عبد الناصر بكفاح عمه خليل حسين خليل ضد القوى الاستعمارية وقد كان يحلو له كثيرا وهو ما زال طالبا بالمرحلة الابتدائية أن يسمع الحوادث التى يرويها عمه عن محاربة الاستعمار ومعاملة البوليس السرى البريطانى له ، وقد كان للسنة التى قضاها جمال مع عمه فى القاهرة أثرا كبيرا على جعله ثوريا ، اذ أمدته بدروس وتجارب كثيرة فى هذا المجال [٢] .

ثم شارك جمال عبد الناصر بعد ذلك فى الكثير من المظاهرات التى قامت تطالب بالاستقلال والتحرر وهو مازال طالبا بنهاية المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية .

وقد كان فى فترة شبابه شابا مثاليا غير ما هو معروف ومألوف فيمن هم فى مثل عمره ، فقد كان يفكر دائما فى وطنه والقضية الوطنية والاستعمار

---

(١) أنور السادات ، يا ولدى هذا عمك جمال ، مرجع سابق .

(٢) روبرت سان جون «الريس» ترجمة مصلحة الاستعلامات ، طبعة ثانية ص ٤٨٣٥ .

والتحرير ووسائله وظهر هذا فى الكثير من الخطابات التى أرسلها لأصدقائه فى تلك الفترة ومنها « ان حكم مصر قائم على الفساد والمحسوبية ، الدستور معلق والحماية ستعلن . من سيقول للاستعمار قف مكانك ... أين ذلك الذى يستطيع أن يعيد بناء بلده . أين العزة ؟ أين الوطنية ؟ .... لقد قلنا مرارا أننا سنعمل معا لايقاظ الشعب من غفوته وبعث القوة الكامنة فى نفوس أبنائه .... » (١)

وقد دخل الرئيس الراحل السجن لأول مرة فى الاسكندرية عام ١٩٢٣ بسبب اشتراكه فى المظاهرات ضد الاستعمار ومنها عرف أن فى مصر حزب وطنى يحارب الاستعمار وهو الذى نظم المظاهرة التى قبض عليه فيها . فقرر أن ينضم الى هذا الحزب وهو حزب مصر الفتاة [٢] وبذل فى سبيل هذا الحزب الكثير من التضحيات وكان دائما على استعداد للقيام بكل عمل يكلف به من جانب الحزب وقد كان مسئولا عن تنظيم المظاهرات بمدرسة النهضة الثانوية التى التحق بها وكذلك كان مندوبا للجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية . وفى عام ١٩٣٥ وكان وقتذاك قد ترك حزب مصر الفتاة لأسباب تتعلق بمبادئه وانضم لحزب الوفد وقد نظم مظاهرة خرجت عقب اجتماع للحزب بشارع الفلكى بعابدين تهتف بسقوط الاستعمار وعملائه وتطالب بعودة الدستور وقد أصيب فى هذه المظاهرة بجرح غائر فى جبهته ظل أثره ظاهرا طوال الوقت [٣] . وتعطلت الدراسة فى جميع المدارس حتى ١٠ ديسمبر ١٩٣٥ على أثر هذه المظاهرة وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ وافقت انجلترا على عودة الدستور والموافقة على اجراء المفاوضات بين المصريين والبريطانيين ، وانتصر الشباب ولكن جمال عبد الناصر أعلن وقتذاك بصفته رئيسا للجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية استمرار الكفاح حتى يتحقق لمصر الاستقلال .

---

(١) العميد أمين سامى الغمراوى ، العهد ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) روبرت سان جون « الريس » مرجع سابق ص ٥١

(٣) روبرت سان جون « الريس » مرجع سابق ص ٦٩

والتحق بعد ذلك بالكلية الحربية فى مارس ١٩٣٧ وتخرج منها فى يوليو ١٩٣٨ وفى منقباد تم لقاؤه مع أنور السادات . ورغم أن داخله كان يمتلىء بالثورة على الاستعمار الا أنه فى أول عهده بالخدمة كان يستمع أكثر مما يتكلم . أخذ جمال يستمع بهدوء وروية الى أنور السادات وهو يحدثه وزملائه الضباط وهم جلوس حول نار المعسكر بمنقباد عما يقترفه الاستعمار وعن ضرورة خوض حرب ضروس لاجلائه عن البلاد ، يومها توطدت علاقة الضابط جمال عبد الناصر بزميله أنور السادات ووقتها تحول جمال فى حربه للاستعمار من أسلوب العمل المدنى «المظاهرات» الى أسلوب آخر وهو التنظيم والاعداد (*)

وفى خلال تلك الفترة كان قد كفر تماما بالأحزاب السياسية جميعها بعد أن رأى أن زعمائها محترفون للسياسة ، يساومون على الكفاح المسلح لاكتساب الشهرة فقط على حساب حرية الوطن وكرامته وآمال مواطنيه .

وأخذ جمال يختار من زملائه الضباط العناصر المخلصة الصادقة التى ارتبطت منذ نعومة أظفارها بالنضال الوطنى وينظمها ويشحنها دائما بكراهية الاستعمار وقد كانت سياسته قبل الثورة ونشاط الضباط الأحرار بجانب التنظيم للثورة بث كراهية الاستعمار فى نفوس المصريين والتنديد دائما بما يرتكبونه من مباذل ومساخر حتى كان من بين تعليماته لكل عضو جديد فى تنظيم الضباط الأحرار اثارة المشاعر ضد البريطانيين بكل طريقة ممكنة وفضح كل مذلة ينزلها الانجليز بالمصريين وتضخيم كل خطأ يرتكبونه ولابد من تذكير رجال الجيش والمدنيين باستمرار بما حدث يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢

وقد تعدت وطنيته مصر وشملت الوطن العربى الكبير وأفريقيا التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار . وقد قال فى هذا الصدد فى كتاب فلسفة الثورة « وأذكر أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية اذ خرجت مع زملائى فى اضراب عام فى ٢ ديسمبر من

---

* روبرت سان جون « الريس » مرجع سابق ص ١٠١

كل سنة احتجاجا على وعد بلفور • • • ، كما أشارت بعض منشورات الضباط الأحرار الى أفريقيا وتحريرها (١) •

والأمثلة على وطنيته وعبقريتهوعالميته تذخر بها أعماله بعد الثورة ، ويكفى أن نقول أن جمال استشهد من أجل قضايا العروبة ، وجاد بآخر أنفاسه وهو يناضل من أجل فلسطين ومن أجل حقن الدماء العربية •

ثانيا ــ كفايته الثقافية

يصف مارشال فايول « القائد القدير » بأنه ذلك الذى يجمع الى متانة الخلق ، وسلامة الذوق ، كثيرا من التحصيل (٢) وقد كان الرئيس الراحل ذو ثقافة واسعة ومعرفة عامة اكتسبها من كثرة اطلاعه • وقد أوضح Rocert John فى كتابه The Boss اهتمام السيد الرئيس الراحل طوال حياته بالقراءة حيث قال فى ذلك « كان اهتمامه بالقراءة شديد لدرجة أنه غالبا ما كان يقرأ بعد اطفاء النور ــ فى الكلية الحربية ــ على ضوء بطارية » كما علل حبه للاطلاع بأنه شىء مورث عن والدته (٣) •

وقد قرر كل الكتاب أن معظم اهتماماته ــ أى جمال عبد الناصر ــ فى هذا المجال كانت منصبة على كتب التاريخ وسير العظماء والقادة والمشاهير سواء فى مصر أو فى العالم • وقد قرأ الكثير من الأدب العربى والأجنبى وخاصة القصص التى تتناول النواحى الوطنية مثل قصة عودة الروح لتوفيق الحكيم •

وقد ألهبت خيال عبد الناصر ثورات عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول وغاندى وسير هانيبال والاسكندر الأكبر ، ونابليون ، وروسو وغيرهم • وقد

---

(١) دكتور راشد البراوى ، حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر ، دار النهضة ١٩٥٢، •

(٢) السيد فرج ، أصول القيادة ومشاهير القادة ، كتاب الجمهورية ، عدد ٢٠ دار الجمهورية للصحافة ص ١٠ •

(٣) روبرت سان جون ، الريس ، مرجع سابق ص ٧٦ ، ٣٤ •

قال روبرت جون أن مصطفى كامل كان البطل المثالى فى نظر الرئيس جمال عبد الناصر حتى أنه أسـف لأنه لم يكن معاصرا له حتى يؤمن بمبادئه التى نادى بهـا •

وقد أثرت الدراسات التاريخية فى أعمال عبد الناصر أثرا كبيرا فقد كان لدراسته وتحليله لثورة ١٩١٩ أثرا فى جعله يتفادى جميع الأخطاء التى أدت الى فشلها ، وكان من أثر ذلك اهتمامه بالثورة الاجتماعية وبالقومية العربية وغير ذلك من أهداف ، كما عرف من خلال تاريخ الأمة العربية أن الوحدة عامل هام وأساسى لخلق أمة عظيمة وأن العرب لم يكونوا عظماء وأقوياء عبر التـاريخ الا بعـد تحقيق وحدتهم تحت علم واحد ، كما استطاع من خلال دراسته لسير العظماء كعبد الله النديم وجمال الدين الأفغانى ومصطفى كامل وغيرهم معرفة بعض الأهداف التى يطالب بها الشعب والطريق لتحقيقها فقد عرف من عبد الله النديم أن فقراء المصريين يجب أن يكونوا دعامة كل ثورة ، ومن هنا ربما يكون قد جاء مبدأ القضاء على الاقطاع ، وعرف من جمال الدين الأفغانى أن الوحدة سبيل القوة •

كما نتج عن معرفته لدور وطنه فى التاريخ القديم والحديث شعورة بالفخر والاعتزاز بكونه مصريا واصراره على تحرير وطنه من الاسـتعمار الأجنبى •

ثالثا ــ انتماؤه الطبقى

مما ساعد عبد الناصر على كراهية الاستعمار كونه من أبناء الطبقة التى لم تخدم الاستعمار وبالتالى لم يغدق عليها عطاياه حتى يجعلها بذلك أسيرة له، ترتبط مصالحها به وبوجوده ، ولذلك ظل منذ مولده مصريا صميما مخلصا لوطنه بفكره ووجدانه •

ويرجع التمييز الذى خلقه الاستعمار بين أبناء الخونة المصريين الذين يعملون فى خدمته ويتمسحون بأعتابه وبين الوطنيين من الشعب الكادح أمثال أسرة عبد الناصر الى جعله يشعر بالكراهية الشديدة للاستعمار والمستعمرين •

وكان يفخر دائما بانتسابه لهذه الفئة التى طال ظلمها أيام الاستعمار واستردت حقوقها عقب الثورة ومعركة التحرير فقد قال فى أول لقاء له بالفلاحين بعد الثورة « أنا جمال عبد الناصر أفخر بأن عائلتى لا تزال فى بنى مر ، مثلكم تعمل وتزرع وتقلع من أجل عزة هذا الوطن وحريته واذا قلت انى أشعر بشعوركم فلأن قلبى من قلبكم ودمى من دمكم واحساسى من احساسكم » •

ولكل هذا قامت فلسفة عبد الناصر على دعامتين : تحقيق الحرية السياسية، والحرية الاجتماعية جنبا الى جنب والأخيرة تعنى تحرير العمال والفلاحين من البؤس والفاقة والاذلال أى تحريرهم من الاستعباد والاستغلال والسخرة وكان دائما يربط بين ذلك وبين الاستعمار ، اذ أن اقامة جبهة وطنية قوية عزيزة بالداخل تساعد على صد أى محاولات للاستعمار أو الرجعية •

وقد ظل انتماؤه الطبقى سليما حتى آخر يوم فى حياته وقد قال فى مناسبة ما « الشىء الذى لم آكله قبل الثورة أستطيع ويستطيع كل المصريين أن يستغنوا عنه » وقال أيضا عندما طلب منه أن يخرج وألا يقفل على نفسه باب بيته « الى أين أذهب ؟ ومن أجالس ؟ ان الذين سأراهم بحكم أوضاع السلطة ليسوا بالضبط هم الطبقة التى أنتمى اليها » (*) •

رابعا ــ شجاعته

كان الرئيس الراحل شجاعا الى أبعد حدود الشجاعة وقد ظهرت هذه الصفة الحميدة فى كل مراحل حياته وكانت كل مواقفه من مولده حتى استشهاده دفاعا عن كرامة أمته أو كرامة غيره أو كرامته • وكان رحمه الله شديد الاعتداد بنفسه وبأمته مدافعا عن المبادىء مجاهدا فى سبيلها بكل ما يملك، بالدم وبالروح • كما يتمتع بالفضائل التى تقتضيها الشجاعة كالصدق والصراحة والعدل •

(*) محمد حسنين هيكل ، مقال بصراحة ، الأهرام ١٩٧٠/١١/١٣ ص ٣

وقد كان الرئيس الراحل يقابل الأخطار الشـديدة والأزمات الطاحنة بشجاعة غريبة وكان ذلك من أهم أسباب انتصاره فى كل معاركه على الاستعمار • اذ أن ذلك كان يشيع الثقة فى نفوس الشعب ويهون الأمر أمامهم ، كما أن القائد الشجاع يستطيع نقل روحه لجنوده • والتاريخ يروى مثلا صادقا عن ذلك فعندما ولى عقبة بن نافع قيادة الجيوش العربية لغزو أفريقيا وكان قائدا شجاعا قال التاريخ « ان هؤلاء العشرة آلاف مقاتل الذين نعموا بقيادته أحسوا روحا تغمرهم وتشحذ عزائمهم تحت لوائه حتى كان الواحد منهم بألف (١) •

وسنعرض فيما يلى بعض النماذج التى توضح شجاعته منذ طفولته حتى آخر أيام حياته دفاعا عن حق أو مبدأ أو كرامة •

- سمع وهو فى مدرسة النهضة الثانوية أن تلميذا ضخم الجثة كبير السن اعتدى بالضرب على تلميذ صغير دون وجه حق فقام فى اليوم التالى أثناء وقوف المدرسة فى طابور الصـباح بالخروج من الطابور أمام جميع المدرسين والتلاميذ حتى وصل لمكان الطالب الذى اعتـدى على زميله الصغير وصفعه على وجهه وعاد الى مكانه وسط سـكون كامل واحساس بالاحترام من الجميع وتقديس لشجاعته وفرح به من زملائه الطلبة (٢) •

- فى أحد الأيام بينما كان مدرس الجغرافيا يحاضر التلاميذ عن أهمية المناخ فى طابع الشعب قال المدرس « ان أولئك الذين يعيشون فى جو معتدل مثلا يتميزون بضبط النفس ولهذا السبب فهم مؤهلون لحكم شعب آخر وانجلترا مثال طيب لذلك • فنهض التلميذ جمال عبد الناصر وقال أنا لا أتفق معك يا أسـتاذ • انك تسميها — أى الاحتـلال — فضيلة ، وأنا أسميها رذيلة دامية (٣) » •

---

(١) السيد فرج ، أصول القيادة ومشاهير القادة ، مرجع سابق ص ٢٤

(٢) عبد الرؤوف جبريل ، مدير مكتب شكاوى رئاسة الجمهورية ، اهرام ١٩٧٠/١١/١٨

(٣) روبرت جون ، الريس ، مرجع سابق ص ٦٤

ـ كان لحادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ الذى قـدم فيه السفير البريطانى انذارا الى الملك مضمونه تعيين النحاس باشا الزعيم السياسى لحزب الوفد المصرى رئيسا للوزارة فى خلال ٢٤ ساعة أو مغادرة البلاد ـ أثرا سيئا للغاية على جمال عبد الناصر والضباط الأحرار فقد شعروا فى هذا الوقت بأن كرامتهم وكرامة الوطن كله قد أهـدرت وأن موقف الجيش المصرى أمام العـالم موقف مهين وضعيف • وكانت هـذه الطعنة لكرامة الوطن هى التى دفعت عبد الناصر الى البـدء فى التخطيط والتنظيم للثورة وكان مثل هذا العمل فى هذا الوقت يتطلب شجاعة منقطعة النظير •

ـ روى روبرت سان جون فى كتابه الريس فى صفحتى ١٥٨ ، ١٥٩ ما يلى « فى ١٩٤٨/١٢/٢٨ قام الاسرائيليون بهجوم شامل على عراق المنشية وفى وقت قصير استولوا على نصف القرية ولـما حدث ذلك اتصل ناصر بزكريا محيى الدين فى الفالوجا لاسـلكيا وسأله هل مرمى مدفعيته يصل الى عراق المنشية بأسرها فرد عليه أجل يا جمال• فشرح له الموقف والمنطقة التى احتلهـا الاسرائيليون وسأله زكريا ماذا تريد منا أن نفعله فأجابه بقوله حاول أن تحاصر الموقـع الذى يحتله الاسرائيليون فى قريتنا بنيران المدفعية وبهذه الطريقة فاننـا سنخلق مصيدة يهودية داخل مصيدة مصرية ومن ثم فاننا نستطيع أن نعزلهم عن أى عـون خارجى • فاعترض زكريا محيى الدين قائلا ان اتباع ذلك يعد عملا متهورا فالقنابل المصرية قد تسـقط على المواقع المصرية وقد تقتلك وتقتل الكثير من رجالك فرد عليه ناصر انها الفرصة • علينا أن ننتهزها يا زكريا ونجحت الخطة وقتل عدد من الاسرائيليين أو أخذوا أسرى » •

من هذه القصة تتضح مدى شجاعة عبد الناصر العسكرية ومدى بذله لروحه فى سبيل تحقيق هدفه العادل •

ـ وصلت بعثة منزيس الى مصر بعد تأميم قناة السويس بدعوى التفاوض مع مصر ولكن كان الغرض الحقيقى من حضور منزيس هو تهديد عبد الناصر . « حاول منزيس منطق الانذار والتخويف مع عبد الناصر ولكن عبد الناصر رفض هذا المنطق وتراجع منزيس ولم يجد فى مساء يوم وصوله الى مصر غير أن يسلى عبد الناصر ، جلس الى جانبه فى العشاء الرسمى الذى أقيم احتفاء بالبعثة فى قصر محمد على بالمنيل وقال له « هل تعرف أننى أستطيع أن أقلد أصوات الآخرين ولهجاتهم بامتياز . وقال عبد الناصر دعنى أسمعك قبل أن أحكم واذا منزيس جالس فى الليل بجوار عبد الناصر الذى جاء فى الصباح لارهابه وتخويفه يقلد له تشرشل وبرنارد شو وسمطس بالصوت واللهجة وجمال عبد الناصر يضحك والوقت يمر (١) » .

واختتم هذه الأمثلة من تلك المجموعة اللانهائية من قصص شجاعة عبد الناصر وصراحته وصبره وجلده ودفاعه عن كرامة وطنه ومبادئه ومثله العليا ومواطنيه ، تلك التى وصلت به فى وقت من الأوقات أن يثور لكرامة ملك مصر الذى يمثل فى الحقيقة استعمارا تركيا بكل ما فيه من استغلال وغطرسة وغرور ـ بقصة لابد من سردها حيث انها تمثل قمة الشجاعة التى كان يتصف بها دائما وأبدا هذا البطل فقد ظهر جمال عبد الناصر مساء يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ فى خطاب التنحى المشهور وقال أمام الملايين من الخليج الى المحيط «اننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها» والغريب أن العبارة فى النص الأصلى لحديث جمال عبد الناصر الذى أعد ليلقيه كانت تقول « اننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية » ولكن جمال عبد الناصر شطب هذه الجملة وأضاف بدلها بخط يده « اننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها » هكذا كانت شجاعة القائد الذى أرهب الاستعمار فى مصر والعالم العربى وفى كل مكان .

---

(١) محمد حسنين هيكل ، خبايا السويس ، دار العصر الحديث ، ص ١٣١ ، ١٣٧

خامسا ــ ارتباطه الوثيق بالشعب

ارتبط جمال عبد الناصر بالشعب أى بقواه العاملة منذ مولده برباط متين وصادق حتى أنه قضى جزءا كبيرا من حياته وسط الجماهير يتحدث اليها أو يسمع منها •

واعتبره الشعب زعيمه وقائده والتف حوله فى كل معاركه يؤيده ويعضده على طول الخط ويكفى شاهدا على ذلك أن الشعب حتى عندما طحنته النكسة وأعلن الزعيم الراحل تنحيه هب فجأة وبطريقة عفوية يطالب الزعيم بالبقاء • وقد فسر محمد حسنين هيكل (١) « هذه الصلة التى تربط بين الشعب وقائده بأنها ترجع الى أن الجماهير ترى أملها متجسدا فيه كما أن القائد جمال عبد الناصر يرى قوته متجسدة فيها » •

وأرى زيادة فى الايضاح أن الجماهير رأت أملها فى عبد الناصر لأنه حقق لها دائما كل ما ترجوه قبل أن تطالب به ، كان معبرا فى كل قراراته عن آمال هذا الشعب مخففا بها عن آلامه وهذا زاد من احساس الجماهير بأن جمال عبد الناصر هو الشعب وبأن الشعب هو جمال •

كما كان جمال دائما يتصل بجماهير الأمة العربية اتصالا مباشرا يصارحها فيه بكل كبيرة وصغيرة وكان دائما يمجد الشعب ويقوى روحه المعنوية ويذكره بأمجاد ماضيه وبقدرته على فعل المستحيل ويشعره بأنه هو الذى حقق كل انتصارات الثورة وكان دائما فى الميثاق وبيان ٣٠ مارس يصفه بالشعب المعلم والشعب القائد والشعب العظيم •

كما أن ثقة الشعب به ترجع الى نجاحه فى التحديات الكثيرة التى خاضتها الأمة العربية وكان لنجاحه فى تحديها وانتصاره أثرا هائلا فى نفوس الجماهير مما جعلها تقدسه وتنظر اليه كبطل تاريخى • ا

---

(١) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، أهرام ١٣/١١/١٩٧٠ .

ومن كل ذلك استطاع عبد الناصر أن يعبىء الجماهير ثوريا وقتما يشاء وأن يجعلها تقف مع الحق الذى يريده لاحساس الجماهير بأن عبد الناصر ما هو الا الشعب ولذلك فقضيته قضية المواطنين جميعا ونضال الشعب نضاله وقدر الأمة قدره وقد مكنه هذا الاتصال كذلك على الهام الثقة للشعب • ولذلك فكان الشعب جريئا فى مواجهة المصاعب ، قويا فى تحديها ، لايستسلم بل يقاوم ويقاوم ، وما ذلك الا نتيجة الثقة التى وهبها اليه الزعيم وبثها فيه •

ولم يكن تأثيره قاصرا على أفراد الشعب بمصر أو بالدول العربية الأخرى بل امتد تأثيره على حكام وملوك هذه المنطقة وقص محمد حسنين هيكل قصة تدل على اعتراف الملك فيصل بقدرة الرئيس على ما لايقدر أحد عليه « رأى هيكل الملك حسين وياسر عرفات ومعمر القذافى يعلقون مسدساتهم فى وسطهم فوجه حديثه للملك فيصل ـ ألا تريد جلالتك أن تقوم بعملية نزع سـلاح فى هذه القاعة ـ فقال الملك فيصل لا أعرف فى الحقيقة ••• هل جئنا حقـا لنتفاهم أو لنتقاتل ثم استطرد الملك ولكنى لا أستطيع أن أنزع سلاح أحد • ربما يستطيع فخامة الرئيس هو وحده الذى يسـتطيع وأشار الملك الى باب القاعة وكان الرئيس عبد الناصر يدخل فى تلك اللحظة ويتجه نحونا وقال له الملك فيصل فخامة الرئيس لا أريد أن أجلس فى وسط كل هذه المسدسات وقال الرئيس ضاحكا من قلبه لا عليك سوف أجلس أنا وسط هذه المسدسات وتفضل أنت فاجلس مكانى (*) •

سادسا ـ حركته السريعة تجاه أهداف محددة

ظهرت حركته السريعة ومبادأته بوضوح فى حربه للاسـتعمار فعندما أعلن سلوين لويد فى فبراير ١٩٥٤ توقف انجلترا عن بيع السـلاح لمصر ما لم تقبل شروطها ومنها عـدم معارضة الأحلاف وعـدم القيام بدور فعـال فى مؤتمر باندونج •

(*) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، الأهرام ١٦/١٠/١٩٧٠

اتجـــه عبد الناصر بسرعة الى فرنســا فرفضت أيضا بيع السلاح لنـا الا بشرط التوقف عن مساعدة الثورة الجزائرية .

ونظرا لأن هذه الشروط تخالف المبادىء التى اعتنقها الرئيس الراحل وكان يدافع عنها دائما فقد تحرك سريعا الى الكتلة الشرقية واشترى منها كل ما تحتاجه مصر من سلاح وبذلك رد على الاستعمار الصفعة صفعتين .

كما يتضح ذلك أيضــا من الرد على رفض الولايات المتحـــدة تمويل السد العالى بتأميم قناة السويس .

وهذه الملامح تدل على حركته السريعة وتحـــديده الواضح لأهدافه والاصرار على الوصول اليها .

سابعا ـ قدرته على السيطرة وتنسيق الجهود

كان لشخصية الرئيس ومظهره وثقافته قوة غريبة تكفل له الســـيطرة على المواقف وتنسيق الجهود وتنظيمها للسير بها نحو الهدف المنشود . وهـذه الخاصية يتميز بها منذ نشأته وقد ضرب جورج فوشيه فى كتابه جمال عبد الناصر ورفاقه مثلا لها فقــال « فى صــباح يوم ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ احتشـــد الطلبة فى ميدان الاسماعيلية وتسلق عبد العزيز الشوربجى أحد أعمدة النور وبدأ يخطب فى رفاقه الطـــلاب فهاجم البوليس المصرى الطلبة وأخـــذ يضربهم بالهراوات ووقف جمال يطالب اخوانه بالصمود وهو يهتف بأعلا صـــوته تحيا مصر وانطلق الطلبة يرددون هتافه فاذا برجال الشرطة يتأثرون بحماسة الطلبة الزائدة ويمتنعون عن ضربهم بالعصى ثم ما لبثوا أن انضموا اليهم مرددين خلف جمال عبد الناصر تحيا مصر » .

وهذا المثال يوضح مدى قدرته على لم الشمل المبعثر واعادة التنظيم بعد انتشار الاضطراب والفوضى .

ثامناً ـ قدرته على التقريب بين وجهات النظر

كان الزعيم الراحل يتمتع بالقدرة على التقريب بين وجهات النظر المختلفة منذ نشأته ويشهد الجميع منذ قيام الثورة أنه كان مصدرا للاعجاب والالهام وهو يدير المؤتمرات الدولية أو المحلية على الرغم من تعدد اتجاهاتها وصعوبة التوفيق بين وجهات النظر المتناقضة تماما . وكان يستطيع أن ينفذ من خلال هذا التناقض الى جوهر الموضوع والى الأهداف التى عقد من أجلها المؤتمر . وقد تجلت هذه القدرات فى مؤتمر الملوك والرؤساء الأخير الذى عقد لحقن الدماء العربية فى الأردن وكان حديثه ساحرا يشد محدثه اليه ويجذبه تماما ، وقد وصف فرنسوا بيو سفير فرنسا ذلك بقوله « ان الرئيس عبد الناصر كان فضلا عن قوة شخصيته كرجل دولة يسحر محدثيه بشخصيته وهو أمر اعترف بأننى شعرت به الى أقصى درجة وأستطيع أن أشهد أن كل واحد من أبناء وطنى تشرف بلقائه منذ جئت للقاهرة كان يشعر بهذا الشعور (*) » .

تاسعاً ـ انسانيته وعالميته

كان رحمه الله يتمتع بكافة مقومات الشخصية القوية التى كانت أساساً هاما لنجاحه فى قيادة أمته وفى شعور العالم أجمع ـ حكاما ومحكومين ـ به كزعيم له رأى قاطع وحاسم وشريف وعادل فى المسائل الدولية ، فقد كان مؤمنا بالله ايمانا لا يتزعزع ، سلوكه تطبيقا عمليا لما يؤمن به ، أمينا ، نزيها ، صادقا فى قوله ، كريم الخلق ، سليم القلب ، طاهر السريرة ، كثير التفاؤل ، يقول ما يعتقد ، ويعتقد ما يقول ، ذكى ، حاضر البديهة ، حسن البصيرة ، صافى الذهن ، صادق الحس ، محب للتعاون ، يشارك الناس فى مسراتهم ويواسيهم فى أحزانهم . وبجانب هذه الصفات الخلقية والعقلية والاجتماعية فقد كان تكوينه الجسمانى أيضا عامل مساعد لزعامته ومدعم لقوة شخصيته فقد كان رحمه الله قوى الجسم ، معتدل القامة ، حسن الهيئة ، جميل الذوق ، يتمتع بجاذبية غريبة تسيطر على كل من حوله دون تصنع أو كلفة .

وما أكثر الأمثلة فى حياته التى تثبت كل صفة حميدة من صفاته السابقة ولكن ضيق الوقت والحيز المحدود للبحث يقف مانعا دون عرض واثبات كل ما يجب أن يعرض أو يثبت ٠

وسأكتفى هنا بعرض جوانب الرحمة والانسانية التى جعلته بطلا عالميا له فى نفوس شعوب العالم أجمع مكانة خاصة ويحتل بين حكام العالم الثالث مكان الصدارة ٠

فقد اعتبرت الشعوب عبد الناصر ليس ابن وطنه وفتى عصره فحسب وانما اعتبرته ابن الجماهير فى العالم كله وفتى جميع العصور ، وكان هذا مرجعه لا تقديرا لنبوغه فحسب ولا احتراما لبطولته وشجاعته فقط بل لكونه انسانا عالميا لأبعد حدود هذه الكلمة ٠

فقد كان جمال عبد الناصر يرى فى المجتمع الدولى كله مجتمعه لا فرق لديه بين جنس وآخر ولا بين لون ولون ولا بين لغة ولغة ولا حتى بين دين ودين مجتمعا ليس لجغرافيته حدود وليس للعنصرية فيه وجود ٠

وقد قال محمد حسنين هيكل فى هذا الصدد « كان جمال عبد الناصر شخصية عالمية كاملة وكان شخصية عربية كاملة وكان تأثيره قادرا على اقتحام حدود وحواجز بعيدة يصل وراءها الى أكثر ما تصل اليه سلطة الدولة التى كان يحكم فيها (١) » ٠

ومن هذا يمكن أن نقول أن صفة الشخصية العالمية أعطت عبد الناصر قدرات أكثر على محاربة الاستعمار القديم والجديد ويؤكد ذلك قول محمد حسنين هيكل « ان نفوذ جمال عبد الناصر كان يتجلى وبشكل حاد خارج حدود بلاده بل وفى كثير من الأحيان ضد سلطة الدولة فى بلدان كثيرة خارج حدود بلاده » ٠

---

(١) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، الأهرام ١٣/١١/١٩٧٠

وترجع هذه الشخصية العالمية لأسباب عديدة أذكر منها :

١ ـ حبه للسلام :

فقد كان يكره الحرب وحتى فكرتها نفسها وكان يشعر دائما أن الانسانية لا حق لها فى الحياة اذا لم تجاهد من أجل السلام • وقد أخذ عهدا على نفسه وهو يحارب فى فلسطين « انه لو قدر له أن يصبح زعيما فى بلاده فانه سيفكر ألف مرة قبل أن يسوق القوات المصرية الى الحرب ، وهو لن يفعل ذلك ما لم يكن هناك بديلا له وفى حالة واحدة فقط وهى عندما يتعرض شرف وكرامة الأمة للتهديد ولايمكن لأى شخص آخر انقاذها غير الحرب(١)» •

كما يتضح ذلك من قوله لزعماء المقاومة عندما بعث اليهم بالكتائب الفلسطينية الثلاثة التى كانت على ضفة القناة لكى تنضم لقوات المقاومة فى دمشق « ان ارسال الكتائب ليس عملا عسكريا انه عمل سياسى وليس الهدف منه أن تستمروا فى القتال وانما الهدف منه أن يتوقف القتال فى لحظة أكثر ملاءمة لكم من لحظة قبلها (٢) » •

٢ ـ رحمته :

كان البطل الراحل انسانا رحيما واننا نستطيع أن نستشف رحمته مما أورده فى كتابه فلسفة الثورة عن الألم النفسى الذى صاحبه عندما تقرر اتجاه الضباط الأحرار للعنف ونفذوا فعلا خطتهم • كما قال مرة « ان القتل لا يفيد شيئا فان عشرة أعداء جدد وربما أشد عداوة قد يبرزون من بين الأحياء وانك تستطيع دائما أن تخلق مؤيدا متحمسا من عدو اذا لم تتسرع فى ازهاق روحه » (٣) ، كما تجلت رحمته فى الموقف الذى اتخذه حيال اصرار بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة على محاكمة الملك فاروق بعد خلعه واعدامه فقد قال جمال عبد الناصر رغم كونه هو قائد الثورة ضد الملك « ان الشعب قد

---

(١) روبرت سان جون ، الريس ، مرجع سابق ص ١٦٥

(٢) محمد حسنين هيكل ، الرئيس ، مرجع سابق ص ١٦٥

(٣) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ١٠٦

حكم عليه وانتهى أمره وان محاكمته لا داعى لها وان اعدامه أسهل الأشياء ولكنه خطأ لأن حضارة مصر ترفض منطق الدم ان مصر لها القدرة على التعيذ الايجابى وأما تنفيذ أحكام الاعدام فهو اجراء سلبى تستطيع الثورة الأصيلة أن تستغنى عنه (١) » .

٣ ـ انسانيته :

ظهرت اللمحات الانسانية فى معظم تصرفاته وطوال حياته فقد كان وهو ضابط صغير فى القوات المسلحة « يحس بالاسى البالغ لمجرد التفكير فى أن رجاله سيحاربون وليس أمامهم الا الزيتون والجبن وكثيرا ما كان يردد لنفسه هذه ليست حربا (٢) » . وهذه لمحة صغيرة تظهر مدى اهتمامه بالنواحى الانسانية البسيطة لرجاله التى لم يكن أحد من المسئولين فى ذلك الوقت يفكر فيها . وبعد توليه السلطة فى البلاد كان مهتما اهتماما شديدا بأفراد القوات المسلحة فى كافة النواحى الانسانية والاجتماعية ويكفى للتدليل على ذلك أنه قبل وفاته بخمس دقائق عندما عاد الأمل مرة أخرى وعاد قلبه العظيم الى الدق بانتظام فتح عينيه فقال له الدكتور منصور فايز ان الرئيس فى حاجة الى أجازة طويلة ـ وقال الرئيس كنت أريد أن أذهب الى الجبهة قبل الأجازة ـ هل أستطيع أن أذهب وأرى أولادنا هناك قبل الاجازة ؟ (٣) .

كما كان دائما معتزا بأصدقائه مدافعا عنهم مساعدا لهم فبعد القاء القبض على أنور السادات فى أغسطس ١٩٤٢ ومحاكمته عسكريا واعتقاله قرر أن يقوم الضباط الأحرار بدفع اشتراكات شهرية تخصص لاعانة أسر من يعتقل ويسجن واستمر جمال يدفع لأسرة أنور السادات لعدة سنين وطوال اعتقاله ٢٥ جنيها شهريا (٤) » .

---

(١) حديث وزير الارشاد القومى الى جريدة التايمز ، الأهرام ١٩٧٠/١٠/١٢
(٢) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ٢٣
(٣) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، الأهرام ١٩٧٠/١٠/١٦
(٤) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ٩٣

كما تتجلى انســانية جمال عبد الناصر فى طلبه من الرئيس الراحــل عبد السلام عارف عندما تخلص من حكم البعث فى العراق عدم اضاعة الوقت فى محاكمة من اعتقلهم من الحكام الخونة وأن ينصرف الى البناء وأن يتفادى اراقة الدماء وقال له أن مصر مفتوحة كل من لاتريده أرسله الينا ليقيم عندنا وجاء فعلا الى القاهرة بعض من يحكمون العراق اليوم أمثال الفريق صالــح مهدى عماش وغيره وعاشوا حياة كريمة فى أمان وفى حرية مطلقة الى أن عادوا مرة أخرى (١) .

٤ ـ صاحب مبدأ ورسالة :

كان طول حياته صاحب مبدأ يدافع عنه بكل ما أوتى من قوة وكان يعلم أن هذا الطريق يكلف كثيرا وقد قال فى هذا الصدد « ان الشعب المصرى اختار طريق المبادىء رغم تكاليفه ورفض حتى فى أخطر فترات العنف الاستعمارى أن يساوم على القيم النضالية ويروى هو عن سبب استقالته من حزب مصر الفتاة عام ١٩٣٥ « لقد ضحيت كثيرا من أجل الحزب ولكن لن أضحى بشىء بعد ذلك ، كنت مؤمنا بالحزب حتى رأيت الرئيس يجلس فى حجرته يعــد أرباحه كان يسلك مسلك أى زعيم آخر وعندما سمعت الطريقة التى يتحدث بها عن المــال بدلا من المثل العليا والمبادىء والأمانى ، لم أعد مهتما بها . وكانت هذه أول خيبة أمل فى حياة شاب مثالى فى السابعة عشرة من عمره وبداية كفره بالأحزاب السياسية .

من كل هذه الصفات التى هى صفات انســان عالمى ، اكتسب جمال شخصيته التاريخية وأثره اللانهائى فى الجماهير العربية وفى كافة شعوب العالم وقدرته على التأثير فيها والتأثر بها وهذا ساعده كثيرا فى حربه للاستعمار .

---

(١) فى حديث للسيد محمد سليمان ، سفير السودان ، أهرام ١٩٧٠/١١/٤ ص ٥ .

خاتمة

انى أعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدى وحتى
الحياة الى آخر نفس فيها .

جمال عبد الناصر

أولا — أهم النتائج المستخلصة من البحث

يمكن من استعراض ما سبق ، استخلاص النتائج التالية من البحث :

- أن ثورة يوليو ١٩٥٢ يجب أن تنتسب لعبد الناصر حيث الواقع والتاريخ يثبت أنه كان عقلها ومدبرها ورائدها وقائدها يوم الزحف واستمر يدير دفتها بنجاح طوال ثمانية عشر عاما .

- كانت ثورة عبد الناصر ثورة على الاستعمار فى المقام الأول ويشهد بذلك ما سبق أن عرضناه فعبد الناصر كان وطنيا من الطراز الأول كما أن مبادىء ثورته الخمس الأخرى كانت كلها تمهيد لحرب الاستعمار القديم أو تدعيم للجبهة الداخلية للوقاية من الاستعمار الجديد . فقد كان يؤمن بأن حرية رغيف الخبز ضمان لابد منه لحرية تذكرة الانتخاب هذا فى المجتمع الداخلى ، ويمكن أن نقيس على هذا المبدأ ونقول بالنسبة للمجتمع الدولى ، أن الحرية الاقتصادية تدعيم اقتصاد الدولة وتنميته ضمان لابد منه للحرية السياسية فى جتمع الدولى . ولذلك فقد حارب الاستعمار اتجاهنا الاشتراكى كأسلوب للثورة الاجتماعية وحاولت الدول الاستعمارية والامبريالية القضاء على كل محاولاتنا لبناء قوتنا الذاتية ، فحاربتنا عندما أمم عبد الناصر القناة وحاربتنا عندما شرع عبد الناصر فى بناء السد العالى وحاربتنا عندما كسر عبد الناصر احتكار السلاح . لأن الاستعمار يرى فى كل ذلك وسائل مانعة لاستغلاله لشعبنا .

كما حارب الاستعمار الوحدة سواء على مستوى دول العالم الثالث أو قارة أفريقيا أو العالم العربى لأن معناها قيام قوة تستطيع أن تقف أمامه وقيام أمور تتنافى مع ما يريده • فهو يريد استمرار التفتيت والضعف الذى خلفه الاستعمار القديم وراءه حتى يستطيع الاستعمار الجديد أن يتسلل •

ـ كان أحد أسرار قوة عبد الناصر فى حربه للاستعمار ايمانه بالشعب وايمان الشعب به وكان عبد الناصر يعتبر الشعب معلمه وقائده ، وكان الشعب يعترف له بهذا الجميل وينظر الى عبد الناصر كقائد زحفه الذى لا تعصى أوامره ، ومحقق انتصاراته الذى يجب أن يسير وراءه ويستجيب اليه ويتجمع حوله • وكانت هذه الاستجابة وهذه الطاعة وهذا التجمع يتم بصورة غريبة لم يراها التاريخ الا بين أصحاب الرسالات وأتباعهم • وقد كان عبد الناصر يصارح شعبه بكل صغيرة وكبيرة سواء فى القضايا البسيطة أو السياسة الدولية ولذلك كان الشعب يعلم أن كل خطوة تتخذ هو الذى قررها وأن كل اجراء يتبع هو الذى دبره وقد عبر عن ذلك محمد حسنين هيكل بقوله « ان من أبرز مميزات جمال أنه استطاع أن ينقل الشارع الى السياسة العليا وأن ينقل السياسة العليا الى الشارع (١) » •

ـ رغم الاختلاف بصدد تحديد وقت ظهور الاستعمار الجديد الا أننى أميل الى أنه ظهر مع الحرب العالمية الثانية ويؤيد الميثاق (٢) ذلك اذ اعتبر الاستعمار الجديد أحد التغيرات البارزة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية •

ـ أثبت عبد الناصر أن فى استطاعة الحاكم أن يكون تجسيدا لسلطة الشعب وأن يكون شخصية تاريخية فان من يستطيع أن يحكم نفسه

---

(١) محمد حسنين هيكل بصراحة الأهرام ١٩٧٠/١١/١٦

(٢) الميثاق الباب الثانى ضرورة الثورة ، البند رابعا « ... وفى نفس الوقت اضطر الاستعمار تحت هذه الظروف الى الاتجاه لوسائل العمل غير المباشرة ... الخ » ص ٢٠

وشهواته وغرائزه يقدر بلا شك أن يحكم غيره وبالتالى يتمكن من أن يقود بمبادئه شعبه الى النصر فى معركة التحرير كما يستطيع أن يحاسب غيره وأن ينقد فى كل وقت .

ـ أثبت جمال عبد الناصر للشعوب المغلوبة على أمرها أنه ليس فى العالم مستحيل وأن الانسان الأصفر أو الأسود أو الأسمر قادر بطاقته وبالتزاماته وبايمانه أن يطوع المستحيل ويجعل منه أداة تتصدى للقوة وتكافح في سبيل الحق وتناضل ضد الاستعمار القديم والجديد بشتى صوره وأشكاله وأن تنتصر عليه .

ـ ان اكتساب صفة العالمية للحاكم لا تأتى فقط عن طريق الاستغلال للشعوب الأخرى أو عن طريق القوة المادية التى يملكها والتى تقاس بعدد القنابل الذرية أو الهيدروجينية أو الصواريخ عابرة القارات بل يمكن ـ كما أثبت عبد الناصر فى حربه للاستعمار ـ أن يمتد تأثير الحاكم أو الدولة خارج حدود بلاده ولأبعد مدى ممكن عن طريق اتباع المثل العليا واتخاذ المبادىء كدستور وكمنهج والنظر للبشر جميعا على أنهم أسرة واحدة ومحاربة العنصرية والبعد عن النظرات الضيقة الذاتية .

ـ يظهر البحث أن جمال عبد الناصر كان رمزا لجيل من التوثب والاقبال على الحياة الهادفة والمؤثرة والمثمرة ، كما ظل طوال حياته عنوانا للطموح يعيش العصر ويدرك احتمالاته ولا تثنيه نكساته ولا تغريه انتصاراته ، بل يعرف التحديات التى يواجهها فيجابهها ويستوعبها ويتصدى لها ، وكان لا يستجيب الا لما يمليه عليه ضميره أو ما يفرضه عليه الشعب للسير قدما نحو خلق مجتمع أفضل مجتمع السلام والمساواة والكرامة والقيم الانسانية .

ـ أضفى جمال عبد الناصر على الثورة فى مصر أبعادها الانسانية وأبعادها الحالمة فجعل من الحلم واقعا ومن الواقع الجديد واقعا

يحياه فى حياته ويحييه فى ضمير أمته وفى ضمير البشرية . وكان اعتزازه بالانسان كبير وكانت فلسفته كلها فلسفة انسانية من الطراز الأول . وأهم ما كان يعتز به عبد النـــاصر فى الانسان كرامتــه وحريته .

- قدم هذا البحث بعض الصور والوقائع التى تكشف عن نواحى نضال وكفاح وخلق وشخصية عبدالناصر ممايقطع بأنه كان عدو للاستعمار والامبريالية من طراز فريد لم تره الامبريالية من قبل .

- أثرت ثورة عبد الناصر بشكل واضح فى ثورات التحرير بوجه عام وخاصة فى العالم العربى والأفريقى كما كان للتأييد المطلق المــادى والمعنوى أثر واضح تماما فى استمرار ثورات كثيرة ، وتدعيم جهود بعضها الآخر .

- ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن عبد الناصر كان داعية سلام فى المقام الأول ويرجع اليه الكثير من الفضل ان لم يكن كله فى توحيد القــوى الثورية ســواء فى العالم الثالث أو على مستوى قارة أفريقيا أو على مستوى العالم العربى كقوة تدعم السلام وتخفف من حــدة التوتر الدولى .

- حارب عبد الناصر الاستعمار الجديد عن فهم ودراسة لأساليبه فكان حربه عن طريق بناء القوة الذاتية ومحاربة التكتلاتالاقتصادية وكان مؤمنا بالوحدة كأساس لخلق دولة قوية غنية تستطيع أن تقف فى وجه الاستعمار والامبريالية ولذلك كان يدعو دائما وأبدا للوحدة وقد حقق فى هذا المجال الكثير رغم حرب الاستعمار المتواصل لهذه الفكرة وصاحبها .

- كان أسلوب عبد الناصر فى حربه للاستعمار أسلوبا ناجحا على طول الخط وذلك نتيجة قدراته التاريخية وخصائصه الذاتية وللمواهب

العديدة التى خصه الله بها حتى اعتبر البعض أن نجاحه نوعا من الالهام وقد قال فى هذا الصدد محمود فوزى رئيس الوزراء « بعد غيابه ليس أمامنا غير حساب المنطق وغير ما نستطيع استقراؤه من تجاربنا معه (١) » •

ثانيا — المفاضلة بين مهادنة الاستعمار أو التصدى له [٢]

يثير الناس قضية هامة يجب أن نضع لها فى خاتمة هذا البحث اجابة محددة • وهى ألم يكن فى استطاعة عبد الناصر أن يريح نفسه وأن يريح شعبه من عناء مواجهة الاستعمار ومشقة مطاردته فى كل مكان وبصفة مستمرة متواصلة وبالتالى يعفى نفسه وأمته من مواجهة حرب الاستعمار وضغوطه المستمرة والدائمة علينا والتى لاشك أنها شغلتنا طوال ثمانية عشر عاما عن اداء دورنا كاملا فى معركة البناء والانتاج من أجل التنمية •

ألم يكن فى استطاعة جمال عبد الناصر وفى مقدوره أن يهادن الاستعمار ولايحاربه الا اذا تعرضت أرضنا نحن لغزوه وأموالنا لاستغلاله — أرضنا بحدودها الاقليمية المعروفة فى مصرنا العزيزة — وخاصة بعد أن نجح فى طرده من مصر ورد القناة لأهلها وأصحابها فى عام ١٩٥٦

أليس من المنطق أن يتساءل الناس لماذا حارب عبد الناصر الاستعمار فى أقصى الشرق من العالم فى فيتنام ؟ لماذا حاربه فى أقصى غرب الدنيا فى كوبا ؟

هل كان الدافع لذلك مجرد الرغبة فى الحرب لاشباع نزوة أو شهوة أو لتحقيق شهرة ؟ أم كان الدافع لهذه الحرب المستمرة والمتواصلة ضد الاستعمار والامبريالية مصلحة الوطن أو الدفاع عن مبدأ ؟

---

(١) من حديث للسيد رئيس الوزراء مع السيد محمد حسنين هيكل الاهرام ١٩٧٠/١١/١ ص ٣

(٢) اضافة للبحث تجيب عن نقطة أثارها رئيس اللجنة التى ناقشت البحث من الدافع للتصدى للاستعمار ومحاربته فى كل مكان وقد أجاب عنها بأن الدافع هو المصلحة حيث أن القوى الاستعمارية لو نجحت فى معاركها ضد الحرية فلن تترك مصر تسير فى طريق التنمية ولن تسمح لها ببناء قوتها الذاتية • وأرى انه المبادىء وعوامل أخرى •

هل كان هناك خيار أمامنا بين مهادنة الاستعمار ومعاداته أم كان هناك اجبار على ضرورة خوض هذه الحرب الضروس ضد القوى الاستعمارية ؟

ومن الأسباب الآتية نستطيع أن نرى أن طريق مهادنة الاستعمار كان مسدودا امامنا أى أنه لاطريق امام عبد الناصر غير حرب الاستعمار وأسباب ذلك مجموعة من العوامل تحكمها المبادىء التى ارتضيناها دستورا نلتزم به وطبيعة عالم اليوم الذى نعيشه والتى تضطرنا أن نشارك فى قضاياه والتى يصيبنا كل ما يلحق به من شر أو خير وفهم عبد الناصر لطبيعة الاستعمار وأساليبه وخططه وأنه مصدر دائم لتهديدنا .

ويمكن سرد أهم النقاط التى دفعت عبد الناصر لاختيار الطريق الصعب وهو محاربة الاستعمار بصفة دائمة فى كل اشكاله وصوره فيما يلى :

١ — الالتزام بالمبادىء والمثل العليا :

التزم عبد الناصر بمجموعة من المبادىء والمثل العليا أوردها فى ميثاقه وحددها كطريق نسير عليه فى سياستنا الخارجية ومن أهم هذه الخطوط « الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع اقنعته وحربه فى كل مكان » (١) .

ومن هنا نجد أن الخروج على هذا المبدأ يعد خروجا عما ارتضاه الشعب ولذلك فحرب الاستعمار فى كل مكان أمر واجب ومبدأ ملزم لايصح الخروج عليه .

وقد عبر عبد الناصر عن التزامه بالمبادىء بقوله « احنا ذهبنا الى اليمن لكى ننصر المبادىء لا لننصر الأشخاص (٢) » .

---

(١) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية .

(٢) فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية فى دورة الانعقاد الخامس لمجلس الأمة فى ١٩٦٧/١١/٢٣

وهذا المبدأ لايتعارض مع المصلحة الشخصية للدولة اذ اثبتت التجربة التى خاضتها الجمهورية العربية المتحدة أنهبت القوى المعنوية فى العالم أجمع لمساندتنا ضد القوى الاستعمارية وضد قوى العدوان الثلاثى أسوة بالمبدأ الذى التزمنا به وهو محاربة الاستعمار فى كل مكان ومساندة كل الحركات الثورية فى العالم وقد قال السيد الرئيس فى هذا الصدد « علاقتنا بحركة التحرير الوطنى فى العالم فى سنة ١٩٥٦ ... استطاعت القوى المعنوية العالمية والقوى المحبة للسلام فى العالم أن ترهب الاستعمار وساعدت على انهاء العدوان وساعدت على دحر العدوان . وهل بعد هذا نتنكر للقوى الوطنية الصاعدة فى العالم أو نعاملهم بالمثل زى ما اتعاملنا نحن فى سنة ١٩٥٦ .... النهاردة جميع الدول التى تحارب من أجل الاستقلال ، جميع الحركات الوطنية فى كل انحاء العالم تنتظر من العالم ومن القوى المعنوية فى العالم ومننا ــ احنا بالذات ــ أن نساعدها ونعاونها » (١) .

٢ ــ الايمان بقيمة الحرية :

آمن عبد الناصر وكل فرد فى هذا الوطن بقيمة الحرية وبأنها لا يمكن أن تقوم بشىء مادى مهما كانت كميته وحدوده ومهما كانت التضحيات فى سبيله . فرغم أن حرب اليمن كلفتنا الكثير من الأرواح والأموال الا اننا خضناها دفاعا عن الحرية التى لاتقدر بثمن وظهر من هذه التجربة ان عبدالناصر كان يغلب المبدأ على المصلحة المادية وقد قال فى هذا الصدد « اما لقينا شعب اليمن ثار من أجل الحرية واما لقينا الاستعمار والرجعية تصدوا له ، تصدوا لحريته ، تصدوا لحقه فى الثورة ، ولحقه فى الحياة . كان لزاما علينا وكان واجبنا أيضا أن نمد يدنا لمساعدة شعب اليمن » (٢) كما أكد الرئيس عبد الناصر مدى أهمية الحرية وقيمتها بقوله « احنا سياستنا مستقلة ، ومش مستعدين ، انا مش مستعد أبيع حباية رمل من هذا البلد لأى واحد ، ولا بميت مليون دولار » (٣) وكرر أيضا نفس المعنى فى نفس الخطاب بقوله عند حديثه عن

---

(١) من خطاب السيد الرئيس الراحل فى بور سعيد فى ١٩٦٤/١٢/٢٤

(٢) من خطاب السيد الرئيس الراحل فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى باسيوط فى ١٩٦٥/٣/٨

(٣) من خطاب السيد الرئيس الراحل فى عيد العمال فى ١٩٦٧/٥/٢

رفض المعونة الأمريكية « واحنا كمان بنقول لكم ، احنا ناس عندنا كرامة ومش مستعدين نبيع استقلالنا بأى ثمن ، حريتنا أغلى من أى ثمن ، حريتنا أغلى من كل شيء » .

٣ ــ تنفيذ ارادة الشعب :

عانى الشعب المصرى الكثير من الاستعمار ولذلك كان من أكثر الشعوب بغضا له ومن أكثرها استعدادا لحربه وقد استطاع جمال عبد الناصر بقدراته الخارقة التى حباه الله بها أن يستكشف هذه الارادة التى كانت تتبلور فى عدم الرغبة فى الخضوع أو التبعية لدولة استعمارية أو امبريالية مع استعداد الشعب المطلق لبذل كل التضحيات وتحمل كل المشاق فى سبيل ذلك ومهما كانت المغانم التى سيجنيها الشعب من وراء الخضوع والتبعية لدولة أقوى وقد قال عبد الناصر فى هذا المعنى « ما احنا بنقاوم بالجماهير العربية ، الجماهير العربية التى لا ترضى العمالة ، ولا ترضى أن تكون خاضعة لأمريكا أو لبريطانيا أو للاستعمار بأى شكل من الاشكال هيه اللى بتقاوم فى كل بلد عربى » (١).

٤ ــ الاستعمار مصدر دائم لتهديد ثورة عبد الناصر :

ظل الاستعمار مصدرا دائما لتهديد الثورة حتى بعد زواله عن أرض مصر . فلم يغفر الاستعمار لمصر ولن يغفر لها انتصارها عليه فى المعارك التى دفعته للجلاء عن ارضها واسترداد قناتها ودعوتها لعدم الانحياز ومناداتها بالحياد الايجابى .

كما أن الاستعمار الجديد لا يرضى أن تقوم مصر ببناء اقتصادها وتحقيق معدل مرتفع للتنمية حتى لو كفت عن حربه لأن بناء القوة الذاتية فى حد ذاته يعد فى نظر الاستعمار الجديد حربا عليه . لأنه سيجعل الدولة قادرة على أن تستقل باقتصادياتها عنه وسيمكنها من عدم الخضوع له ، وهذا شيء يأباه .

ولهذه الأسباب اضطر عبد الناصر لمحاربة الاستعمار بكافة أشكاله وألوانه وفى كل مكان ايمانا منه بأن انتصار الاستعمار فى معاركه ضد القوى التحررية

(١) من خطاب الرئيس الراحل فى عيد العمال بشبرا الخيمة فى ١٩٦٧/٥/٢

فى العالم سيحقق له النصر فى كل مكان وسيجعله قادرا على توجيه ضرباته للدول المتحررة الأخرى دون رادع من ضمير أو قوة • وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا الصدد « اننا نعمل ونتعرض خلال عملنا للتهديد ، ١٥ سنة تهديد مستمر من مين ؟ ما هو مصدر التهديد ؟ الاستعمار • طردنا الاستعمار من أرضنا وأفكارنا ومبادئنا وما نادى به ، كل ده يهدد الاستعمار فى كل أرض عربية واحنا أعداء الاستعمار ، ونشارك فى الحرب ضد الاستعمار على اتساع العالم ، ولو بمجرد التضامن الأدبى مع كل الناس الذين يهبون ضده واللى بيناضلوا لاخراجه من بلادهم واسقاط سيطرة الاستعمار عليهم (١) » •

٥ ـ فهم الاستعمار والدراسة الواقعية التى تسبق التصدى له :

كان عبد الناصر يفهم جيدا طبيعة الاستعمار فى العصر الذى نعيشه فقد عرف أنه ـ بحكم طبيعة العصر وروحه واحكامه ـ لم يعد قادرا على اللجوء الى القوة العسكرية لفرض سيطرته على الشعوب التى ترفض هذه السيطرة أو تحاول التخلص منها • ومن هنا كان التصدى له أمرا غير محفوف بالمخاطر للعوامل الكثيرة التى طرأت على العالم عقب الحرب العالمية الثانية والتى سبق أن تعرضنا لذكرها •

وهذا الفهم لم يكن وحده هو الذى يجعله يقدم على محاربة الاستعمار بل كان يقوم فى كل مرة وفى كل قضية تفرض عليه التصدى للاستعمار اجراء دراسة دقيقة متأنية عن كافة الظروف المحيطة بالموقف والتنبؤبكل الاحتمالات المتوقعة ودراستها دراسة جيدة •

وهذه الدراسة كانت دائما تكفل تمشى سياسة الجمهورية العربية المتحدة وفقا للمبادىء التى تعتنقها وضمان مصلحتها وتحقيق النصر فى حربها وقد أورد محمد حسنين هيكل (٢) مثالا لهذه الدراسات التى كان يجريها الرئيس قبل التصدى للاستعمار فعندما سحبت الولايات المتحدة عرضها بتمويل

---

(١) خطاب الرئيس الراحل ، فى عيد العمال بشبرا الخيمة فى ١٩٦٧/٥/٢ .

(٢) محمد حسنين هيكل ، خبايا السويس ، مرجع سابق ص ١٣٠ وما بعدها .

السد العالى وعندما رأى جمال عبد الناصر ضرورة الرد عليها وبناء السد العالى من ايراد قناة السويس وتأميمها • وقد شملت هذه الدراسة تقدير موقف من وجهة النظر المصرية والغربية فى حالة تأميم قناة السويس ، وعرضت هذه الدراسة الاحتمالات التى قد يقدم عليها ايدن أو موليه أو دالاس ، ومدى استغلال اسرائيل للفرصة • وتم تحديد الاحتمالات وكانت صحيحة الى حد بعيد ، ثم تم دراسة وضع بريطانيا العسكرى فى الشرق الأوسط وفى البحر الأبيض بدقة بالغة وعلى أساسها خاض السيد الرئيس معركة التأميم وانتصر فيها فى النهاية على قوى العدوان الثلاثى •

وهناك مثال آخر أورده أيضا محمد حسنين هيكل فى كتابه نحن وأمريكا يدل على الدقة التى كان السيد الرئيس الراحل يراعيها فى دراسته قبل معاركه مع الاستعمار • فعندما قابل سفير مصر فى واشنطن السيد الرئيس بعد اعلان مصر كسر احتكار السلاح اثار عدة نقاط كانت كل ردودها حاضرة فى ذهن السيد الرئيس كخوفه من ان تتخذ أمريكا تجاه مصر موقفا مماثلا لما اتخذته حيال جوايتمالا ومحاصرتها فأجابه السيد الرئيس « جوايتمالا هناك فى أمريكا اللاتينيه ونحن هنا فى العالم العربى هناك شىء وهناشىء آخر •

وقال السفير ولكن الأسطول الأمريكى السادس موجود فى البحر الأبيض • وقال عبد الناصر ماذا يستطيع الأسطول الأمريكى السادس بالنسبة لنا ؟

وقال السفير قد يوقف السفن القادمة الينا •

وقال عبد الناصر سفننا ليس بها شىء واذا استوقف سفن غيرنا فلن تكون المشكلة معنا (١) » •

---

(١) محمد حسنين هيكل ، نحن وأمريكا ، دار العصر الحديث ، القاهرة ص ٩٦ •

٦ ـ تفاوت وسائل عبد الناصر فى التصدى للاستعمار :

رغم ايمان عبد الناصر بمبدأ محاربة الاستعمار أينما وجد وحيثما كان الا أنه كان يعلم تماما أن الاستعمار قوة عالمية هائلة لا يستطيع ولا تستطيع الأمة العربية معه أن تقف أمامه للقضاء عليه ولمواجته مواجهة مباشرة والاشتباك معه فى حرب ولذلك كانت وسائله تختلف من حيث الشدة تبعا لمدى مساس الاستعمار بالمصلحة المباشرة لمصر وللدول العربية ولذا فقد كانت وسيلته دائما الحرب مع الاستعمار على الأرض العربية والاكتفاء بالتأييد المعنوى لكل الدول الأخرى التى تحارب الاستعمار على أرضها •

كما كان تأييده المعنوى للقضايا التىتعرض على المنظمات الدولية أوتطرح للبحث فى المؤتمرات نتيجة حكم مبنى على دراسة موضوعية كاملة للقضـيـة وضع البحث وكان دائما ينظر الى الأمور فى اطار العدل والحق ويزن القضايا بميزان دقيق وقد قال فى هذا الصدد « لا نتردد بأى حال من الأحـوال أن نساند أى بلد يطالب بالحرية ويطالب بالاستقلال ، ومابنسكتش علشان نجامل البلد الفلانى ، ومنسكتش علشان نجامل بلد آخر ، ولكن بنقول الكلام اللى احنا بنؤمن بيه ، الكلام ان احنا بنؤمن بحق كل بلد فى تقرير مصيره وحق كل بلد فى الحرية (١) » •

وهذه السياسة تعدها الدول الاستعمارية حربا عليها لأنها طريقة فريدة فى المجتمع الدولى الذى يفتقر الى الموضوعية فى مجال العلاقات الدولية وقد قال ايرك فروم فى هذا الصدد « ان الافتقار الى الموضوعية فى مجال العلاقات الخارجية أمر سىء شائع (٢) » •

ولكن سياسة عبد الناصر فى هذا المجال تجد اعجابا كبيرا من الشعوب فى كل أنحاء العالم ومن الدول المتحررة ومن بعض الساسة الكبار وقد قال الرئيس الفرنسى ديجـول فى هذا الصدد « ولو اتخـذت الولايات المتحـدة

---

(١) من خطاب السيد الرئيس الراحل فى الاسماعيلية فى ١٩٦٤/١٢/٢٤

(٢) السناتور وليام فولبرايت غطرسة القوة ترجمةمحمود المدوى دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ص ١٦٤

طريق الصدق ـ فى سياستها الدولية ـ فسوف تسترد نفوذها فى العالم أجمع وستعظم فرص السلام هنا ـ أى فى كمبوديا ـ وفى كل مكان آخر » .

٧ ـ طبيعة عالم اليوم :

لا يمكن فى هذا العصر أن يعيش مجتمع أو دولة بمعزل عما يجرى حولها فالنصر أو الهزيمة فى قضية عادلة يعود بالخير أو الفشل على غيرها من قضايا . كما أن تفشى الحرب قد يقود العالم الى أضرار قد تودى بالبشرية كلها . ولذلك كان لابد لعبد الناصر أن يحاول جمع شمل الدول النامية والتى استقلت حديثا حتى يحصنها ضد الاستعمار الجديد وأن يساعد غيرها من الدول فى التخلص من الاستعمار ومن هنا كانت ضرورة الحرب الشاملة ضد الاستعمار فى كل العالم ، وقد قال جمال عبد الناصر فى هذا الصدد « وقضايا العدوان والغارات الأمريكية التى يتعرض لها كل يوم شعب فيتنام والقتلى والأبرياء ليست كل هذه القضايا بعيدة عنا بل فى صميم كفاحنا نحن فى عالم أيها الأخوة لا يستطيع أن يعيش أحد فيه بمفرده وفى عزلة عن غيره (٢) » .

ثالثا ــ أنور السادات امتداد أصيل لجمال عبد الناصر

فى نهاية هذا البحث أود أن أقول أنه وان كان جمال عبد الناصر استطاع أن يجمع الدهر كله فى بضع سنين ، وأن يبنى المجد الذى أعيا كل البناة السابقين ، فى أقل من عقدين من الزمان . فان الجمهورية العربية المتحدة ستواصل تحقيق الأمجاد ، وستواصل رسالتها فى سبيل الانسانية وستحطم كل أشكال الاستعمار والامبريالية ، وستعانق كل نضال حر فى هذا العالم ، على نفس الخط الذى سار عليه جمال عبد الناصر .

---

(١) الستاتود وليام فوليرايت ، غطرسة القوة ، مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٢) من خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد النصر ببور سعيد فى ١٩٦٦/١٢/٢٣

ومما يدعو للأمل أن من تولى القيادة بعد عبد الناصر هو رفيق عمره ، وزميل شبابه الرئيس أنور السادات • وحامل الرسالة الجديد عدو للاستعمار من الطراز الأول ، كفاحه قديم ، قاسى الكثير فى سبيل مبادئه ، وحتى تتضح لنا بعض ملامح صورة كفاح الرئيس الجديد فلنستعرض معا ما كتبه أحد كتاب الغرب فى وصف أول لقاء بين عبد الناصر وأنور السادات بعد نقل جمال من منقباد الى تل الشريف بسبب استنكاره ونقده للأعمال المشينة التى يقوم بهـا رؤسائه من الضباط المصريين (١) • فقد قال الكاتب « فى ظل هذا التل ـ أى تل الشريف ـ زرعت أولى بذور ثورة ١٩٥٢ ، كان الضباط الصغار يجتمعون ليلا بعد التدريب الشاق حول نار معسكرهم وكان أنور السادات أحـدهم وكان رجلا شابا يتحدث بلين ورشاقة محبوبا وذا شعر أسود كالفحم وشارب كبير كثيف وكان أصغر من جمال بأحد عشر شهرا وفى احدى الليالى قـال السادات لهؤلاء الذين كانوا حول نار المعسكر انى احتقر البريطانيين أكثر من أى شخص على وجه الأرض فأعقب حديثه همسات من الموافقة واستمر السادات فى حديثه انكم جميعا تعرفون ما حدث لزهران أليس كذلك ؟ ان ما حدث كان أشد فصول التاريخ المذل بأكمله مدعاة للأسى والحزن ، وبعد سرد حادث دنشواى قال بغضب هل أنا أكره البريطانيين ؟ نعم ! ما فى ذلك من شك وبعد لحظة أضـاف قائلا فى صوت رقيق مشوب بالحقـد والغل فى يوما ما سأعرف كيف أتصرف معهم لمـا اقترفوه فى دنشواى لا أعرف بعد كيف ولكن يومى معهم قريب واشترك الكثيرون فى المناقشة وحول نار المعسكر تحدثوا عما عانته مصر كثيرا وعن قلق الرجـال الشبان المتعلمين منهم وعن التغيرات المتكررة للسلطة بين السياسيين وعن سـخطهم على النظام القائم ، فصمت جمال الشـاب أكثر مما تكلم وفكر كثيرا خلال هـذه الشـهور فى الصحراء عن تنظيم أول تشكيل للضباط الأحرار (٢) بعد أن وجد زميل سلاح بهذه الروح الوطنية الفياضة •

---

(١) وصف جمال عبد الناصر رؤسائه بقوله «انهم متخمين وكسالى وأنانيون ومنافقين للبعثة العسكرية البريطانية وكانوا يمضون وقتهم فى الأكل والشرب ولعب القمار وفى اللهو وفى شرب الحشيش ويساهمون فى أشكال مختلفة من الاستبداد والفساد » .

(٢) روبرت سان جون « الريس » مرجع سابق ص ٧٩ ، ٨٠ .

عرضت هذه القصة تفصيلا رغم امكان اختصارها لأنها توضح بعض جوانب شخصية أنور السادات الرئيس الذى تسلم العلم ، كما تضيف بعض الملامح لشخصية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذى سلم العلم •

وقد بايع الشعب المصرى العريق وجماهير الأمة العربية الصامدة الرئيس أنور السادات الذى حمل الرسالة والذى وعد بتحقيق الأمانة حينما قال « أملى فى الدنيا شيء واحد هو أن أصل بالأمانة الى حيث كان يريد جمال عبد الناصر للأمانة أن تصل • لن أسمح بالتوقف وانما سوف أسير وسوف نسير ولننقل المسئولية الى جيل جديد قادر على التجديد وذلك هو معنى الاستمرار كما تعلمناه منه » •

ومن هذا الجهد نرى أن الحرب ضد الاستعمار القديم والجديد أمر مستمر وأن تحرير الشعوب المستعمرة والمغلوبة على أمرها قدر محتوم وأن مصر ستظل قبلة الثوار ومنبر الأحرار فى كل مكان وفى كل زمان •

المراجــع

مراجع عربية

ايابانت سفير الهند

العدوان والعنف ، التجارب الفاندية للتغلب عليها ــ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٨

د . ابراهيم احمد العدوى

الصراع بين الأمة العربية والاستعمارالجديد ــ دار نهضةمصرــ القاهرة١٩٦٩

د ٠ ابراهيم أحمد رزقانة :

الجغرافيا السياسية ــالطبعة الثالثة ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٦

د ٠ اسماعيل صبرى عبد الله :

فى مواجهة اسرائيل ــ دار المعارف ١٩٦٩

السيد فرج

أصول القيادة ومشاهير القادة ــ دار الجمهورية للصحافة ــ بالقاهرة

أمين سامى الغمراوى

العهد ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٦

أنور السادات

قصة الثورة كاملة ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ يوليو ١٩٦٥

أنور السادات

يا ولدى هذا عمك جمال ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ ١٩٦٥

د . بطرس بطرس غالى

الأحلاف العسكرية ــ ملحق الأهرام الاقتصادى ــ القاهرة اول نوفمبر ١٩٦٥

بيير جورج

عالمنا اليوم واقعه ومشاكله ـ ترجمة كمال السيد ـ دار المعارف بالقاهرة

جان لاكوتير

الدول النامية فى الميزان ـ ترجمة فوزى عبد الحميد ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة

د . جمال حمدان

الاستعمار والتحرير فى العالم العربى ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٤

د . جمال حمدان

استراتيجية الاستعمار والتحرير ـ دار الهلال بالقاهرة ـ ابريل ١٩٦٨

جمال سليمان ابو العود

فى ظلال القومية العربية ـ ادارة الشئون العامة بالقوات المسلحة ـ القاهرة ١٩٦٥

جورج د . هالس

ادارة الناس فن ـ ترجمة احمد زكى ابراهيم ـ دار المعارف بمصر ـ طبعة ثالثة ١٩٦٨

جيليان كنج

اهداف الاستعمار فى عدن ـ ترجمة خيرى حماد ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٦

حامد اسماعيل سيد احمد

الاستعمار الصهيونى فى آسيا وافريقيا ـ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة .

خالد محمد خالد

مواطنون لا رعايا ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٦٤

د . راشد البراوى

حقيقة الانقلاب الاخير فى مصر ـ دار النهضة ـ القاهرة ١٩٥٢

د . ل . كارنجيا

كيف نجح عبد الناصر ــ ترجمة خيرى حماد ــ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥

روبرت سان جون

« الريس » قصة حياة الرئيس جمال عبد الناصر ــ ادارة الثقافة السياسية مصلحة الاستعلامات ــ طبعة ثانية

شحاته عويس ابراهيم

الكتاب الأسود للاستعمار البريطانى فى مصر ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة فبراير ١٩٦٩

د . عبد العزيز رفاعى

دراسات فى الشرق الأوسط ــ مكتبة النهضة المصرية

عبد المنعم النجار

الجمهورية العربية وسياسة عدم الانحياز ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٦

عبد المنعم شميس

الجمهورية العربية وسياسة عدم الانحياز ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ

د . عبد الحى دياب

الاقطاع الفكرى وآثاره ــ دار الشعب بالقاهرة

على صبرى

التطبيق الاشتراكى فى مصر ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٤

على صبرى

مشاكل التطبيق الاشتراكى فى مصر ــ الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة

د . فتحى الرملى

الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ــ دار الكتاب العربى ــ القاهرة ١٩٦٨

لمعى المطيعى

لماذا الاشتراكية العربية ــ دار المعارف ــ مارس ١٩٦٥

محمد ابو الفتوح الخياط

مجتمع الكفاية والعدل ـ الدار القومية ـ سبتمبر ١٩٦٩

محمد حسنين هيكل

الاستعمار لعبته الملك ـ دار العصر الحديث ـ القاهرة

محمد حسنين هيكل

خبايا السويس ـ دار العصر الحديث ـ القاهرة

محمد حسنين هيكل

نحن وأمريكا ـ دار العصر الحديث ـ القاهرة .

محمد ضياء الدين الريس

العدوان الصهيونى على الوطن العربى والطريق الى النصر ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ أكتوبر ١٩٦٨

محمد على الفتيت

الشرق والغرب ـ دار النهضة ـ بالقاهرة

محمد عبد الفتاح ابو الفضل

الاستعمار الجديد والدول النامية ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٩

محمد عزيز الجبالى

الشخصائية الاسلامية ـ دار المعارف ١٩٦٩

محمد عطيه الابراشى

من وحى الثورة ـ الدار القومية ـ يوليو ١٩٦٦

د . محمد عوض محمد

الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ـ مؤسسة الخانجى ـ القاهرة ١٩٦٩

محمد قاسم واحمد نجيب هاشم

التاريخ الحديث والمعاصر ـ دار المعارف بمصر

د . محمد يحيى عويس

الاشتراكية المذاهب والتطبيق ـ مطبعة الرسالة ١٩٦٦

محمود ربيع

شخصية عبد الناصر « أضواء جديدة » ـ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦

د . محمود حلمى وآخرين

تأملات فى ثورة ٢٣ يوليو ـ دار النهضة العربية

وليام فولبرايت (السناتور)

غطرسة القوة ـ ترجمة محمود العدوى ـ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة .

مراجع اجنبية

— Dewan Brindranatg, Nasser the man and the miracle, 1966.

— Roland Oliver, A Short history of Africa, 1962.

وثائق رسمية ودوريات

- الميثاق للرئيس جمال عبد الناصر .
- فلسفة الثورة للرئيس جمال عبد الناصر .
- برنامج ٣٠ مارس للرئيس جمال عبد الناصر .
- ٢٥ عاما من تصفية الاستعمار ، مكتب الأمم المتحدة للاعلام ، سبتمبر ٧٠
- المصالح الاقتصادية الأجنبية والاستعمار ، الأمم المتحدة مكتب الاعلام ١٩٧٠
- محاضرات المرحلة الأولى والثانية والثالثة لمنظمات الشباب الاشتراكى للاتحاد الاشتراكى العربى بالقاهرة .
- الدراسات الاشتراكية ، وزارة الشئون الاجتماعية بالقاهرة .
- محاضرات التوعية السياسية ، مديرية أمن الاسكندرية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧
- دور الشرطة فى مجال العمل السياسى ، ادارة الشئون العامة بوزارة الداخلية ١٩٦٧
- ملامح من الاستعمار الجديد ، ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة وزارة الحربية .
- أعداد مختلفة من المجلة المصرية للعلوم السياسية ، مجلة السياسة الدولية ، مجلة الطليعة ، مجلة الفكر المعاصر ، مجلة الكاتب ، مجلة الأهرام الاقتصادى .
- أعداد مختلفة من جرائد الأهرام ، الأخبار والجمهورية .



معهد تدريب ضباط الشرطة

البحث الرابع

جمال عبد الناصر
ومحاربة الاستعمار القديم والجديد

بقلم :

الرائد سيد مصطفى رضوان





اهـــداء :

الى التاريخ ..

الى روح شهيد الحرية ...

الى من كان له شرف عداوة الاستعمار العالمى ....

الى جميع الشعوب المناضلة من اجل التحرر ، والمحبة للسلام..

« ... يسعدنى أن تتاح لى الفرصة لمقابلة الزعيم العربى ، الذى يرمى بكفاحه وجهاده الى معنى جميل ، وهو تصفية الاستعمار . وشخصية القائد العربى الكبير، ليست محبوبة فى البلاد العربية فحسب .. بل هى أمل ضخم عند كل شعوب العالم التى تتطلع الى الحرية والعزة والاستقلال ... اننا لا نعتبر الرئيس جمال عبد الناصر ملكا للعرب وحدهم ، فان الشعوب العديدة فى العالم تنظر اليه ، وتؤمن بأنه رجل الحق والسلام القائم على العدالة للعالم أجمع » .

فيديل كاسترو

قائد ثورة كوبا

الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة

مقـدمة

كانت مصر ترزح تحت نير الاستعمار البريطانى منذ عام ١٨٨٢ وقاوم الشعب المصرى الاحتلال العسكرى بالنضال الشاق والتضحية بالدماء تحت لواء عرابى ومصطفى كامل ثم كانت الثورة العارمة عام ١٩١٩ ، وتوالت الانتفاضات الشعبية ، فعمل المستعمر على اخمادها بالقوة المسلحة ، بالاضـافة الى فشلهـا نتيجة تصدى القيادات السياسية الزائفة لمقدمة موجاتها المنطلقة • وتوج النضال بقيام ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ بقيادة الزعيم الخالد جمال عبد النـاصر الذى شارك فى الانتفاضة الشعبية فى الثلاثينات من هذا القرن فترسبت فى أعماقه الكراهيـة والبغض لقوى الاستعمار والقهر والاسـتغلال • حارب من أجل فلسطين وتكشفت له أبعاد مأساتها • وأدرك بفكره المستنير أن مستقبل مصر ونهضتها لمسايرة ركب الحضارة فى العالم يتطلب أولا الاستقلال الوطنى ونزع السلطة من القيادات السياسية الموالية للاستعمار والكفاح المسلح • فأعلن مبدأ ثورته الأول وهو : القضـاء على الاسـتعمار وأعوانه من الخونة المصريين • وحفاظا على الاستقلال الوطنى الذى ناضل من أجله كان لابد من اقامة عدالة اجتماعية تكفل حياة حرة كريمة لأفراد الشعب ، وبنـاء اقتصاد وطنى قوى بعيد عن السيطرة والتبعية الاستعمارية ، ومن هنا كانت معاركه الشهيرة من أجل التصنيع والبناء •

وقد وعى عبد الناصر بفكره الثاقب أن المعركة ضد الاستعمار أبدية وأن مطامعه لن تتحول عن مصر والوطن العربى لموقعه الاستراتيجى العالمى • لذا كانت حربه ضد الاستعمار العالمى بلا هوادة فى كل مكان وزمان لفضح أساليبه والقضاء عليه ، فنادى بالوحدة العربيـة ، ومد يد الصـداقة والعون المـادى

والأدبى لكل الشعوب المناضلة من أجل الحرية ، وشارك فى الدعوة مع قادة التحرر فى العالم ، الى توحيد جهود الدول المستقلة المناهضة للاستعمار ، لمواجهته ومقاومته . فانبثقت عن جهوده الإيجابية مجموعات دولية ، منها مجموعة الدول الأفريقية الأسيوية ومنظمة الوحدة الأفريقية ومؤتمر القارات الثلاث ، كل ذلك كان له دوره الايجابى فى مساندة حركات التحرر ومقاومة الاستعمار فى صوره الجديدة لاستنزاف موارد الشعوب وثرواتها ، وذلك عن طريق التنمية الاقتصادية المتحررة ومحاربة الضغوط الاستعمارية لربطها بأحلاف تهدم استقلالها .

ونظرا لما للمجتمع الدولى من أهمية وبالرغم من سيطرة الدول الاستعمارية على المنظمات الدولية ، فقد ساهم عبد الناصر بفاعلية فى تكوين مجموعات دولية داخل هذه المنظمات ، أيدت الشعوب المناضلة من أجل استقلالها وأدانت الاستعمار وكان لها دور كبير فى اقرار السلام العالمى باعادة التوازن لميزان القوى الدولى وكسر حدة الحرب الباردة القائمة بين الكتلتين المتصارعتين .

لقد كان عبد الناصر مناضلا ومحاربا حقا ضد الاستعمار العالمى بكل صوره وأشكاله فلم تكن حربه من أجل الحرب ولكنه نضال من أجل السلام. فساهم بكل جهده وفكره وطاقاته فى القضاء عليه فى كل مكان وبكل الأساليب .

ان شعبية عبد الناصر الزعيم الخالد تعود أولا الى حربه ونضاله المستمر ضد الاستعمار وعمله على تصفية جميع مواقعه فى العالم الثالث . الأمر الذى جعل الشعوب تتطلع اليه باعتباره المثل الأعلى فى الوطنية والتحرر ، وشعاع الأمل المنير لحياة أفضل بعيدا عن القهر والاستغلال . وكان طبيعيا أن يمنحه

الاستعمار العالمى شرف عدواته فيهاجمه دائما وبضراوة باعتباره عدوه الأول وتعددت وسائله •• من تدبير مؤمرات لاغتياله •• وتوجيه الضربات لنظامه الاقتصادى المستقل ركيزة الاستقلال السياسى ••••• والعمل على اسقاطه ولو بشن الحروب السافرة ضده •

ومن زعامة عبد الناصر ومبادئه ، التى كانت تعبيرا صادقا عن ضمير وطنه وأمته ، وتجسيدا حيا لآمال شعبه ، كان ايمانى بوجوب تقديم جهدى المتواضع فى هذا البحث تقديرا وعرفانا • وكانت أهم مراجعى هى كلمات الزعيم الراحل ، لما حوته من أفكار خالدة تعدت حدود وطنه وأمته الى آفاق العالم الرحبة •

وفى هذا البحث استعراض للظاهرة الاستعمارية وتطوراتها ، وكشف عبد الناصر لأساليبها ، لما ترسب فى أعماقه وفكره من كراهية وبغض للاستعمار • كذا الانتصارات المتتالية التى أحرزها على الصعيد القومى والعالمى• وكيف حاربه الاستعمار للقضاء عليه •

ولعلى أكون قد وفيت عبد الناصر حقه ، وان كان ذلك بالأمر العسير على وعلى غيرى •

ويقينى أن عبد الناصر اذا كان قد رحل عنا ، فان مبادئه خالدة على مر العصور والأزمان •

الفصل الأول

الاستعمار القديم والجديد

« ... ان الاستعمار ما زال يريد بالطريق المباشر أو بالطريق غير المباشر ، أن يحتفظ باليد العليا فى القارة الافريقية ... لكى يسلب شعوب القارة المضمون الحقيقى لكل الانتصارات التى أحرزتها ضد الاستعمار فى شكله التقليدى القديم ، ويحاول نهب الثروات بالتفرقة العنصرية ، وبالارهاب المسلح بالمؤامرات المتوالية .. أن يفرض عليها نفس الاستغلال القديم ، لكن ، بأساليب متطورة وحديثة ... » .

جمال عبد الناصر

ان الحركة الاستعمارية بالمفهوم الذى نتناوله فى هذا البحث ظاهرة متكاملة الجوانب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الرأسمالى كوجهين لعملة واحدة ، قاما معا ، وتطورا معا من خلال ظروف تاريخية وحضارية أتاحت دائما امكانية تصدير الأزمات الداخلية للنظام الرأسمالى الاستغلالى الى المناطق المستعمرة • والواقع أنه لايوجد خلاف فى الجوهر بين الآثار العملية لظاهرة الاستعمار فى القرن الماضى ، وبين الآثار العملية لهذه الظاهرة فى وقتنا الراهن مهما اختلفت الأساليب والوسائل • فالاستعمار يقوم دائما على استنزاف ثروات الشعوب وناتج عملها الوطنى ، وتصدير أزمات النظام الرأسمالى الى خارج حدوده •

مراحل تطور الحركة الاستعمارية :

أصبح الاقتصاد الأوربى نتيجة لسياسة نظام الانتاج الرأسمالى فى القرن التاسع عشر فى حاجة الى مصدر للمواد الخام الرخيصة الثمن ، وسوق واسعة لتصريف المنتجات الصناعية • ومع نمو قوى الانتاج ، وعجز السوق الداخلية فى أوربا عن الوفاء بأى من هاتين الحاجتين ، الأمر الذى هدد النظم الرأسمالية بالانهيار المبكر ، يقابل ذلك أن المناطق المتخلفة البكر فى قارات آسيا وافريقيا

وأمريكا اللاتينية خارج أوربا تزخر بالثروات التى تشكل الاحتياطى الضخم الذى استطاع تاريخيا أن يحل متناقضات النظام الرأسمالى الأوربى، حيث وفرت له المصدر الرخيص للمواد الخام والسوق غير المحدودة لتصريف الانتاج فى وقت واحد • ومع استمرار النظام الرأسمالى فى غرب أوربا ودخوله الى أعتاب الاحتكارية داخل كل دولة على حدة ، تطورت أشكال التعامل بين النظم الرأسمالية المختلفة لتصبح عملية تصدير واستيراد رؤس الأموال الأجنبية هى الواجهة التى يتم من خلالها كل شىء •

وكان اتساع القارة الافريقية ، كفيلا بحل المنازعات بين انجلترا وفرنسا، ومرجئا لقيام أى خلاف بين ألمانيا وايطاليا • وكذلك كان حال القارة الآسيوية• وسارعت الدول الاستعمارية الى القارتين لتحقيق غاياتها الاقتصادية واغتصاب ثرواتها الزراعية والمعدنية ، ومن ثم فقد عمل الاستعمار على أن يجعل من افريقيا وآسيا امتدادا طبيعيا اقتصاديا لاقتصاديات دول أوربا ، وربط ثروات القارتين بالاقتصاد الغربى •

وقد اتسم النظام الاستعمارى فى هذه المرحلة التاريخية بسمتين أساسيتين :

- تصدير واستيراد رؤس الأموال الأجنبية بصورها المختلفة •
- احتلال عسكرى لأراضى المناطق المتخلفة لحماية استثماراتها •

لذا يمكن القول بأن الاستعمار فى صورته القديمة هو قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها الاقتصادية أو السياسية خارج حدودها على شعوب أجنبية عنها غير راغبة فى ذلك بهدف امتلاك الأرض وثرواتها واستغلال السكان • وكان الاستعمار بصورته الكاملة يشمل الى جانب السيطرة السياسية والاقتصادية، الاحتلال العسكرى ، والهجرة بقصد التوطن فى أقاليم المستعمرات واحلال رعايا الدولة الاستعمارية وأشخاص من الأجانب محل السكان الأصليين أو باخضاعهم لظروف معيشية قوامها التحكم والتمييز •

ولعل فى القاء نظرة على تاريخ بعض الدول الاستعمارية ما يوضح لنا المبررات التى يعلنها الاستعمار القديم فى سبيل تحقيق هدفه الأساسى وهو بسط السيطرة والنفوذ والاستغلال الاقتصادى • فقد ادعت فرنسا أن احتلالها للجزائر كان على سبيل الانتقام لاهانات لحقت بها ، وادعت بريطانيا أن احتلالها لمصر كان لمساندة الخديوى ومساعدته على اخماد التمرد ، كما ادعت الدول الاستعمارية أن احتلالها لأفريقيا وآسيا كان لنشر حضارة الرجل الأبيض ومدنيته !!

ونظرا لتصاعد حركات التحرر الوطنى بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة لتنكر الدول الاستعمارية للوعود التى بذلتها للشعوب بمنحها حق تقرير المصير عقب انتهاء الحرب مقابل مساعدتها على احراز النصر ، فقد حدثت بعض التطورات كان لها أبلغ الأثر على ظاهرة الاستعمار العالمى وتطوره أهمها : بدء ظهور طبقة رأسمالية ناشئة داخل المستعمرة ساهم الاستعمار فى خلقها واعدادها لدور معين ، وتبلور صورة تقسيم العمل على المستوى الدولى بين دول منتجة أساسا للمواد الخام والدول الصناعية • فأصبحت هناك دول فقيرة ودول غنية ، دول متخلفة ودول متقدمة ، وأصبح هذا الواقع الاقتصادى الدولى يفرض نفسه على كل صور الحياة الأخرى •

الاستعمار الجديد :

حاول الاستعمار عقب الحرب العالمية الثانية تكرار ما فعله عقب الحرب العالمية الأولى ، ولكن اشتعال حركة التطور الوطنى وكفاحها المسلح أجبره على اجلاء قواته العسكرية ، ونالت كثير من الدول استقلالها السياسى • وقد اضطر الاستعمار لذلك ، لابدافع انسانى ، وانما بعد حسابات وموازنات حكمتها أربعة عوامل :

- ان حركات التحرر الوطنى نتيجة لصمودها فى الكفاح المسلح جعلت وجود الاحتلال الأجنبى على أراضيها أمرا له تكاليفه الباهظة للغاية بشريا وماديا •

- بلوغ الاحتكارات العالمية وخاصة المنتمية الى الاقتصاد الأمريكى المتقدم تكنولوجيا ، مرحلة السيطرة الكاملة على اقتصاديات المناطق المستعمرة •
- ضمان الاستعمار لوجود طبقـات رأسماليـة ـ كان قـد خلقها فى تلك المناطق ـ لتعمل كواجهة أمامية له وتقوم بحماية مصالحه مقابل الاستفادة من الفتات المتبقى على مائدته من دم الشعب •
- بروز قوة الرأى العـام العالمى المعـادية للاستعمار وتعاظم قوة الدول الاشتراكية المساندة لحركات التحرر الوطنية •

وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى تطور الظاهرة الاستعمارية ، وأخذت الدول الاستعمارية تعمل على ابتكار أساليب جديدة للاستعمار ، الغرض منها دوام سيطرتها واستغلالها لشعوب أجنبية عنها • وظهر الاستعمار فى قناع جديد •

فالاستعمار الجديد لا يرفض اعـلان اسـتقلال المستعمرات والاعتراف بوجودها كدول ذات سيادة ، طالمـا أنه يكفل لنفسه الظروف التى تمكنه من فرض ارادته على تلك الشعوب واستمرار استغلاله لها • كما أن الاستعمار أصبح لا يرتبط لزوما بعمليات التوطين أو الاحتلال العسكرى الأجنبى • وليس من الضرورى أن تقوم الدولة بتنفيذ سياستها الاستعمارية بنفسها بل من الجائز أن يقوم الأفراد أو الشركات أو الهيئات بتنفيذ هذه السياسة بتأييد من الدولة •

اساليب الاستعمار الجديد :

ويزحف الاستعمار الجديد لاستغلال الشعوب متبعا وسائل عديدة فضحها الزعيم المناضل جمال عبد الناصر وأهمها :

- استغلال مشكلات الدول للتدخل فى شئونها والسيطرة على مقدراتها مثل التناقضـات الطبيعيـة ـ والتى كان للاستعمار الفضـل الأول فى تجسيدها ـ سنواء أكانت دينية أم قبلية مثال نيجريا والاقليم الشرقى (بيافرا) •

« ... ان الاستعمار مازال يريد بالطريق المباشر أو بالطريق غير المباشر أن يحتفظ باليد العليا فى القارة الافريقية ، وهو يحاول استغلال التناقضات الطبيعية فى القارة ، ومشاكل ما بعد الاستقلال .. لكى يسلب شعوب القارة المضمون الحقيقى لكل الامتيازات التى أحرزتها ضده فى شكله التقليدى القديم ... »

ـ العمل على ابقاء الدول فى حالة تخلف اقتصادى ، وحصر اقتصادها القومى فى الصناعات الزراعية والاستخراجية والاستهلاكية الخفيفة مع احتفاظها معه بعلاقات غير متكافئة فى الميدان الاقتصادى تخضع بمقتضاها للاستغلال الأجنبى أو تحرم من حريتها فى التصرف فى بعض شئونها الداخلية ، كعقود الامتياز والضغط المستمر بتخفيض أسعار المواد الخام مقابل رفع أسعار المواد المصنوعة . وتتعاون الدول الاستعمارية فى هذا المجال عن طريق الاتفاقات الاحتكارية واقامة التكتلات الاقتصادية .

« ... لقد آن الوقت الذى يتعين فيه أن تراجع عقود الامتياز القديمة ، التى تسلم ثروات بلاد كثيرة الى بلاد غيرها بدون ثمن عادل .. لقد آن الأوان لكى نلح فى رفع أسعار المواد الخام التى نعطيها، أو يعطيها معظمنا ، بحيث تتناسب مع أسعار المواد المصنوعة التى نحاول ، أو يحاول معظمنا أن يحصل عليها تنفيذا لآماله فى التنمية ... » (١) .

ـ اتخاذ السبل الكفيلة بابقائها على حالة من التخلف العلمى والفنى لضمان استمرار سيطرته عليها ومن صور ذلك منع المعونة العلمية والاكتشافات الحديثة ، وتشجيع الكفاءات العلمية من أبنائها على الهجرة للعمل بالدول الاستعمارية ، والسيادة على بعض اللجان الفنية مثل لجنة التعاون الفنى الأفريقى (C. C. T. A.) التى تكونت عام ١٩٤٩ باشتراك بعض الدول الأوربية والأفريقية بهدف تبادل المعلومات

(*) من كلمة عبد الناصر بمقر المجلس التنفيذى ببلغراد فى ٢ سبتمبر ١٩٦٥

من خطاب عبد الناصر فى افتتاح مؤتمر دول عدم الانحياز الثانى بالقاهرة فى ٥ أكتوبر ١٩٦٤

والخبرات الفنية من أجل استغلال موارد القارة فتقدم أبحاثها العلمية في مجال الصناعة للاحتكارات الغربية ولا تقدم للدول الأفريقية الا ما يساعدها على انتاج المحاصيل الجيدة لحساب هذه الاحتكارات . وقد فكرت منظمة الوحدة الأفريقية فى شراء هذه المؤسسة فلم تجد فيها سوى مكتبة ، بينما استولت الشركات الاحتكارية على الأبحاث العلمية المتقدمة .

« . . . ان العلم هو طريق الحرية الحقيقية . . والجهل هو أشد ألوان العبودية ظلاما ، كما أن قيوده وسلاسله هى أثقل القيود والسلاسل . . بل ان الظواهر فى العالم من حولنا لتوحى أن احتكار العلم سوف يصبح الشكل الجديد للاستعمار . . . » .

- ضرب تضامن الدول والشعوب النامية لأنه يشكل الخطر الأكبر ضد مصالحه ويحرمه من نهب ثرواتها والسيطرة على مقدراتها .

« . . . ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة له أثره على الدول الصغيرة . . فهو يعزلها . . ويفرق فيما بينها . . كما يضعف الروابط والتعاون الذى يكون قائما بينها . . وبذا تقع السيطرة الأجنبية . . . » (٢) .

- العمل على ابقاء الشعوب فى حالة تخلف اجتماعى لا يصون كرامة الفرد وحريته استمرارا لاستعباده واستغلاله .

« . . . ان شعوبنا لا تصنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة . . ولكنها تريد الى جانب ذلك . . أن يكون للاستقلال مضمون اجتماعى ، يصون كرامة البشر . . كما يصون الاستقلال كرامة أرضهم . . . (٣)

(١) من خطاب عبد الناصر فى افتتاح مجلس الامة فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧

(٢) من خطاب عبد الناصر أمام مؤتمر باندونج فى ١٩ ابريل ١٩٥٥

(٣) من خطاب عبد الناصر امام مؤتمر القمة الافريقى الثانى فى ١٧ يوليو ١٩٦٤

- تدبير الانقلابات والمؤامرات ، واثارة الحروب الأهلية ، واغتيال العناصر الوطنية ، واقامة حكومات عميلة موالية له . وقد لاقى هذا الأسلوب رواجا فى الوقت الحالى .

« . . . اننا نشهد ظواهر خطيرة من حولنا . . تتفاقم بغير علاج . . ان الحروب الصغيرة تشتعل فى أكثر من مكان فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . . وانقلابات الداخل الموجهة والمدبرة من جانب الأجهزة الخفية للقوى الكبرى تتكرر أمامنا كل يوم . . ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية يجرى التمهيد لها على قدم وساق . . بل ونجد كيانات لها شكل الدول ، وهى فى الحقيقة مجرد قناع وشعار . . وتجارة الجنود المرتزقة الأجانب تمارس الآن بغير شرف وبغير خجل . . وفى ظروف يمكن أن ينتج عنها أوخم العواقب . . . » (١) .

- ابقاء الجيوش الوطنية بشتى الوسائل على حالة من التخلف والضعف لا تستطيع معه حماية استقلالها السياسى اذا مادعا الأمر لذلك ، والاكتفاء بجعلها قوة بوليسية ذات بأس شديد لحماية عملائه الجالسين على قمة السلطة بالداخل ولضرب وقمع الحركات الوطنية .

- تسليم مقاليد الحكم فى الدولة الى حكومة من الأقلية البيضاء ، تمارس التمييز العنصرى وتعمل لاستغلال الغالبية العظمى من الشعب «الملون» !!

« . . . ان مشكلة روديسيا ليست بعيدة عنا . . بل لربما كنا نحن أقرب اخواننا الأفريقيين الى فهم طبيعتها . . فهى فى صميم الأمر تكرار لمؤامرة اسرائيل . . أقلية غريبة تدعى لنفسها عنصريا حقا فى وطن شعب آخر . . وتحت ظل الاستعمار . . تتقدم لتمسك بمفاتيح الثورة الوطنية والسلطة الفعلية . . ثم تفرض بالقوة سيطرتها الى حد اعلان استقلال مزعوم . . ويتظاهر الاستعمار بعدم الرضا ، مع أنه

---

(١) من خطاب عبد الناصر أمام مؤتمر دول عدم الانحياز الثانى فى ٥ اكتوبر ١٩٦٤

يملك فرصة التغيير ووسائله • • ولكنه فى الواقع شريك نفس المخطط العدوانى مهما تظاهر ومهما كان التنويع فى الأدوار •••» (١)

ـ استغلاله لأشكاله القديمة التى تمثلت فى زرع عملائه من المستوطنين فى المناطق الاستراتيجية على حدود الدول المتحررة فتقوم بمناوأتها والتهديد بالاعتداء عليها لاجبارها على تخصيص نسبة متزايدة من دخلها القومى لمواجهة أعباء الانفاق العسكرى لحمايتها ، هادفا من ذلك اعاقتها عن السير قدما فى طريق التنمية الاقتصادية لدعم الاستقلال السياسى • ولعل فى دعم اسرائيل أوضح مثال لذلك بالنسبة للدول العربية ، وكذلك الحال بالنسبة لجنوب أفريقيا وروديسيا فى مواجهة الدول الأفريقية المتحررة •

ـ تفتيت الوحدة القومية متبعا جميع الأساليب المحققة لذلك ، ففى قيامها قضاء على نفوذه وانهاء لمصالحه ، وتاريخ الاستعمار حافل بالمخططات الاستعمارية ضد القومية العربية •

« • • • سيحاول الاستعمار بكل وسيلة من الوسائل أن يبذر بذور الشر والفتنة بين الدول العربية •• وسوف يقول ان مصر تريد نفوذا ما فى جهة ما • • هذا هو كلام الاستعمار • • وهذه هى طريقته • • فرق تسد • • التى استعملها بين الأفراد والأحزاب • • ويستعملها اليوم بين الدول • • • »(٢)

ـ محاولة التغلغل الثقافى للوصول الى عقول الجماهير والتسلل المباشر وغير المباشر بأساليب عدة ، منها السيطرة على أجهزة الاعلام ، واقامة مراكز اجتماعية بالريف والمدن ، وتقديم المنح للدراسة • ومازال ماثلا أمامنا ما حدث مؤخرا فى بعض البلاد الأفريقية التى قامت بطرد فرق السلام الأمريكية من أرضها بعد كشف حقيقتها الاستعمارية •

(١) من خطاب عبد الناصر أمام مجلس الأمة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥

(٢) من خطاب عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى الثانى فى ١ يونيو ١٩٥٦

- شن الحرب النفسية ضد الشعوب المناهضة للاستعمار بجميع أساليبها مثل حرب الاشاعات لبث الفرقة بينهم وبين قياداتهم ، وحرب التشهير ، والدس بينهم وبين الدول الاشتراكية المناصرة لحركات التحرر العالمى بدعوى التخويف من الشيوعية ، وبهذا يصل الى تثبيت نفوذه ، بالاضافة الى ما يحققه ذلك من تفتيت الجبهات الداخلية .

« ... عندهم فى هذا أساليب لا أول لها ولا آخر . أساليب التزييف ، تزييف الوثائق .. وأساليب الاذاعات .. وأساليب الصحف .. وأساليب الدس .. وأساليب الخطابات .. وأساليب أعوان الاستعمار .... » (١)

- التآمر على قضايا الشعوب فى الهيئات الدولية ، وقد جاهد الاستعمار العالمى فى تحويل هذه الهيئات لخدمة مصالحه ، بتكتل الدول الاستعمارية والحكومات العميلة التابعة لها لاحباط محاولات عرض الشعوب لقضايا كفاحها الوطنى واستقلالها ، بل وتجاوز الحد الى استخدام عمليات الأمم المتحدة ذاتها لحفظ السلام وبرامج معونتها كوسيلة للوصول الى أغراضه وممارسة الضغط والسيطرة وفرض أنظمة استعمارية كالتدويل .

« ... واليوم نجد أن الكونغو بداية الاستعمار المقنع الذى لايتورع حتى عن محاولة استغلال الأمم المتحدة ذاتها .. شعارا يخفى وراءه مطامعه .. ويقوم من خلف ظهره بمناورات لتحقيق أغراضه ... » و « ... هكذا وجدنا أن للمحاولة الاستعمارية فى الكونغو ضحيتين : شعب الكونغو والأمم المتحدة ... (٢)

---

(١) من خطاب عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨

(٢) من خطاب عبد الناصر امام هيئة الامم المتحدة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠

ـ اقامة قواعد عسكرية وأحلاف استعمارية ـ بناء على اتفاقات قانونية دولية مع الحكومات العميلة ـ بحجة الدفاع عن خطر مستقبل وحقيقتها أنها وسيلة للضغط والتهديد والارهاب على الرغم من ارداة الشعوب ٠

« ٠ ٠ ٠ الاستعمار الجديد يحاول أن يحقق نفس الأهداف الاستغلالية للاستعمار القديم ٠٠ بوسائل تبدو فى مظهرها أكثر مسايرة لروح العصر ٠٠ وفى هذا المجال أصبحت الأحلاف العسكرية موجهة الى الجبهات الداخلية لشعوب تتطلع الى الثورة على أوضاعها وتحقيق آمالها ٠ ٠ أكثر منها أدوات لمواجهة العدوان الخارجى ٠٠٠ » (١)

وقبل أن تنتهى من هذا العرض السريع للاستعمار وتطوره ، وأساليبه المتعددة ، نود أن نؤكد أنه يتلون بتغير الظروف المحيطة بالدول ، ويبتكر من الوسائل ما يمكنه من بسط سيطرته ونفوذه على الدول الأخرى ، هادفا احتواء حركات التحرر الوطنية ، والقضاء عليها ، ضمانا لتحقيق مصالحه العسكرية والاستغلالية ٠ ولعل فيما كتبه الثائر « كوامى نكروما » ـ والذى تعرض لانقلاب رجعى أبعده عن السلطة فى غانا ـ عن تطور الظاهرة الاستعمارية فى كتابه « الاستعمار الجديد » ما يلقى الضوء عليه وعلى مصيره فيقول :

يعتبر الاستعمار الجديد أسوأ ألوان الامبريالية ، فهو يعنى لمن يمارسونه سلطة دون تحمل المسئولية ، ويعنى لمن يقاسونه استغلالا دون تعويض ٠ ففى أيام الاستعمار القديم كان على الدول الامبريالية أن تبرر

---

(١) من خطاب عبد الناصر امام مؤتمر الدول غير المنحازة فى ١ سبتمبر ١٩٦١

أعمالها فى الخارج أمام شعبها ، أما فى المستعمرة نفسها فقد كان من يخدمون الحاكم الامبريالى يتطلعون الى أن تقوم الدولة الامبريالية بحمايتهم ضد أى عدوان من خصـومهم ، أما فى حالة الاسـتعمار الجـديد فلا يوجـد أى من الوضعين •

ان الاستعمار الجديد مثل الاستعمار القديم ، محاولة لتصدير الصراع الاجتماعى الموجود فى البلاد الرأسمالية • ان النجاح المؤقت لهذه السياسة يمكن أن نراه فى توسيع الهـوة التى تفصـل بين الدول الغنية والدول الفقيرة • • • •

والحقيقة أن الاستعمار الجديد سيقع فريسة متناقضاته ، فحتى يبدو الاستعمار الجديد جذابا فى عين أهل المستعمرة ، يجب أن يظهر بمظهر النظام الذى يرفع من مستوى معيشتهم • فكيف يتم ذلك ، وهدف الاستعمار الجديد الاقتصادى هـو الهبوط بمستوى المعيشة لصلحة المستعمر ، واذا فهمنا هذا التناقض أمكننا أن نفسر السر فى فشل برامج المعونة الكثيرة • •

الفصل الثانى

الاستعمار فى فكر عبد الناصر

طالبا ثائرا ضابطا

« ... لقـد كان اعظم الملامح فى تجربتنا الفكرية والروحيـة .. اننـا لم ننهمك فى النظريات بحثـا عن حياتنـا ، وانمـا انهمكنا فى حياتنـا ذاتها بحثـا عن النظريات ... ».

جمال عبد الناصر

شهدت مدينة الاسكندرية مولد جمال عبد الناصر فى ١٥ يناير ١٩١٨ وسـط أسرة متوسطة الحال ومن صميم الشعب فوالده كان يعمل موظفا بمصلحة البريد المصرية وقد تنقل الابن مع والده الى عدة مدن • واستقر به المقام مع عمه « بخان الخليلى » أحد أحياء القاهرة القديمة الدينية ، والتحق بمدرسة النحاسين الابتدائية ، وكان لاقامته بهذا الحى أثره الكبير فى تشبعه بالقيم الدينية التى تنادى بالحرية والعـدل والمساواة ومحاربة القهر والظلم والاستغلال • وقد انعكست هذه القيم على حياة عبد الناصر الشاب فنهل ضمن قراءاته الواسعة من سيرة سيدنا محمد (صلعم) فيقول « • • • وعندما كنت صبيا أتلقى دروس الديانة فى المدرسة ••استحوذ سيدنا محمد عليه السلام على كل اعجابى وتقديرى • • فقد كان قائدا وزعيما • • كرس حياته لخدمة قومه وتحريرهم من ظلمة الجاهلية وضلالها • • • » (١)

ويعلق جورج فوشيه(٢) على هذه الفترة من حياته بتأثيرها الواضح فى تكوين شخصية الزعيم فقوت من روحه النضالية لما يحيطه من مظاهر الايمان بالدين والقيم الروحية والأخلاقية •

---

(١) من أقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٧٠)

(٢) كتاب « جمال عبد الناصر » وصحبه « جورج فوشيه » مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

من متظاهر الى ثائر :

وأثناء دراسته الثانوية بمدرسة رأس التين بمدينة الاسكندرية ، بعد نقل والده اليها ، لم يكن بالطالب العادى فساهم فى العمل الوطنى لمحاربة الاستعمار البريطانى بأقصى ما يمكن للطلبة المساهمة به فى هذه الفترة ، فاشترك فى المظاهرات الهاتفة بالجلاء والاستقلال . وفى عام ١٩٣٠ خرجت مظاهرة من مدرسته تهتف بالحرية لمصر وواجهها الانجليز باطلاق الرصاص ، وتساقط الشهداء والجرحى من حوله .(١) وتعددت المظاهرات التى اشترك فيها جمال. ولم يكن من المهم لديه أن يبدأ مع المظاهرة فى مسيرتها بل كان يجد نفسه مدفوعا للمشاركة فى أى مظاهرة يقابلها فى طريقه تعبيرا عن السخط المترسب فى أعماقه . ويؤيد ذلك ما قرره عبد الناصر بشأن مظاهرة اشترك فيها عام ١٩٣٣ « ... ولم أتردد فى موقفى .. فلقد انضممت على الفور للمتظاهرين دون أن أعرف أى شىء عن السبب الذين كانوا يتظاهرون من أجله . . هوت على رأسى عصا من عصى البوليس تلتها ضربة ثانية . . سقطت . . ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من رأسى . . . . . . سألت عن سبب المظاهرة فعرفت أنها مظاهرة للاحتجاج على سياسة الحكومة . . . «و» . . . بعد اشتراكى فى المظاهرة السياسية الأولى . . دخلت الميدان بكل جوارحى وأصبحت رئيس لجنة لتنظيم المقاومة ... » (٢) ويشير جورج فوشيه الى هذه الفترة من حياة الزعيم ـ ونحن نؤيده ـ بأنها كانت فترة تحول عبد الناصر من متظاهر الى ثائر .

كانت مصر أثنـاء مرحلة دراسته الثانوية (بمدرستى رأس التين بالاسكندرية والنهضة بالقاهرة ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥) تمر بفترة عصيبة من حياتها السياسية فانفعل بها جمال وتعمق مفهومه السياسى ، فقوات الاحتلال البريطانى على أرض الوطن ، والملك فؤاد يلغى العمل بدستور ١٩٢٣ ، وعلى الأثر قامت أزمة سياسية طاحنة وتنازع السياسيون فى سبيل الحكم ونادوا

---

(١) من خطاب عبد الناصر امام الجماهير بالاسكندرية فى ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤

(٢) من اقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة اكتوبر ١٩٧٠) .

بوجوب عودة الدستور ، وقامت ثورة الشباب تطالب بالوحدة الوطنية لمواجهة المستعمر وطغيان دكتاتورية الملك • وحدثت فى هـذه الفترة مذبحة كوبرى عباس الأولى سنة ١٩٣٥ حينمـا خرج ألوف الشـباب فى مظـاهرة ضخمة احتجاجا على تصريح السير/صمويل هور ، وزير خارجية بريطانيا بأن موقع مصر الجغرافى فى طريق مواصلات الامبراطورية سوف يربطهـا الى الأبد بالامبراطورية البريطانية • وقاد الطـالب الثائر جمـال عبد الناصر احـدى المظاهرات فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ بالقـاهرة للاحتجـاج على رئيس الوزراء توفيق نسيم لنقضه عهـده باعدة العمل بدستور ١٩٢٣ والمناداة بحياة مصر وسقوط الاحتلال الذى أطلقت قواته الرصاص فسقط الشهداء والجرحى • ولما علم جمال باحتجاز بعض رفاقه بسجن الموسكى تجلت شجاعته بقيـادة مظاهرة أخرى للعمل على الافراج عنهم ، وواجه الثـائر الشجاع طلقـات الرصاص مرة أخـرى وأصيب فى رأسـه وكتفه وضمدت جراحه فى دار جريدة الجهاد التى صدرت فى اليوم التالى واسم الطالب جمال عبد الناصر من مدرسة النهضة الثانوية ضمن أسماء المصابين • (١) وقد عكست خطاباته لأصدقائه فى هذه الفترة ما تكشف له ، وهو فى سنه الصغير ، عن مدى الظلم الواقع على الشعب من الاحتلال البريطانى وبحثه عن الطريق للحرية •

« ••• قال الله تعالى •• وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة •• » فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم ؟ ••• ان الموقف دقيـق ، ومصر فى موقف أدق ، ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت ، فان بناء اليأس عظيم الأركان ، فأين من يهدم هذا البناء ؟ ••• (٢) ••• ان فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة ، فأين من يغير هذا الحال ؟ •• والدستور معطل ، والحمـاية على وشك الاعلان ، فأين من يقول للاستعمار : قف عند حدك ؟ •• ان فى مصر رجالا ذوى كرامة لا يريدون أن يموتوا كالأنعام •• « و » •• ان الجميـع يتمسحون بالاستعمار ، ولا يعـرفون الا الملق والتزلف •• أين ذلك البلسم الذى تستظل بظله الوطنية ؟ •• ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع

(١) مقال « ابن مصر » اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

(٢) من فلسفة الثورة : جمال عبد الناصر •

وهم أثبت من الأطود رأيا وقلبا .. اذا عز النصر ، وخيف الزيغ ، وأرهبته القوة الغشوم .. أين وطنية ١٩١٩ ... » (١) .

وهنا نجد أن سبيل عبد الناصر فى محاربة الاستعمار من واقع فكره فى هذا الخطاب قد تجاوز الحدود الذهنية لمعظم أقرانه من الشباب الذين كانوا ينادون بالاستقلال والجلاء ، ولا يتعمقون بوجوب التخلص أولا من السلطة الحاكمة القائمة على الفساد والرشوة ، والقضاء على أعوان الاستعمار المتمسحين به والمتزلفين اليه . لقد اكتشف عقل الشاب الثائر ووعيه ، مدى ما تعانيه مصر من فراغ فى حياتها السياسية رغم كثرة محترفى السياسة بها ، لفشلهم ومنازعاتهم ولعدم ارتفاعهم الى مستوى الأحداث . وتجاوز وعيه الفكرى النطاق الوطنى الى الوطن العربى حيث تابع الأحداث الدامية فى فلسطين لثورة العرب على اليهود ، وما كان يرتكبه الاستعمار الفرنسى من جرائم ضد الوطنيين « ... وبدأت طلائع الوعى العربى تتسلل الى تفكيرى .. وأنا طالب فى المدرسة الثانوية ، عندما كانت مشاعرى تهتز واحساساتى تتفاعل مع كل ما يدور فى الوطن العربى من أحداث .. وكانت أهم الأحداث التى ملكت على تفكيرى فى ذلك الوقت هى ثورة العرب فى فلسطين ثم الفظائع التى كان يرتكبها الفرنسيون فى سوريا ... » (٢) .

ثقافة عبد الناصر الفكرية :

لم يكن الوعى العميق والفكر المستنير للطالب جمال عبد الناصر وليد حماس فائر ووطنية جارفة ... فقد كان فى المرتبة الأولى نتيجة حتمية لقراءاته العميقة . وعرف عنه استخدامه للقلم أثناء القراءة ، ووضعه خطوطا تحت العبارات التى تثير نفسه وتستوقفه للتأمل والتفكير ، ويعلق عليها بكلمات من عنده . ويؤيد ذلك أنه وضع خطوطا تحت المحادثة التى دارت بين عالم الآثار الفرنسى ومهندس الرى المصرى «فى رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم»

---

(١) من نص الخطاب المنشور بمقال « ابن مصر » اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

(٢) من أقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة ــ اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

حول الشعب المصرى وافتقاره الى قائد مخلص يلتف حوله . . (١)
كما عرف عنه استيعابه للكتب والمؤلفات التى تتعرض لأفكار وسير العظماء والفلاسفة ، مثل غاندى ، وفولتير ، وفيكتور هيجو ، والاسكندر الأكبر ، ونابليون ، وجان جاك روسو فيلسوف الثورة الفرنسية . كما نهل من كتب الوطنية مثل كتاب « المدافعون عن الاسلام » الذى نشره وقدمه الزعيم مصطفى كامل يذكر فيه الأمة بمجدها السالف ويلقى الضوء على معالم الحضارة العربية وروعتها ، ويدعو أبناء الأمة الى احياء المجد القديم . وكتاب « طبائع الاستبداد » للكاتب الوطنى السورى عبد الرحمن الكواكبى الذى عانى من الاضطهاد التركى ولجأ الى لبنان ثم مصر ، والذى كان ثورة عارمة على الاستعمار والاقطاع والطغيان . وكتاب « مجددى الاسلام » تأليف أحمد أمين الذى تناول فيه سير وكفاح المفكرين المناضلين مثل جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، (٢) . ويتحدث عبد الناصر عن ثقافته الفكرية منذ كان طالبا فيقول : « ... أذكر أنى أعجبت بعدد كبير من الأبطال .. لقد أعجبنى غاندى كثيرا .. « و » ... ومنذ عام ١٩٣٤ بدأت أقرأ الكثير عن مصطفى كامل ، قرأت تاريخ حياته ومقالاته الوطنية الحماسية ثم شرعت فى قراءة مؤلفات توفيق الحكيم وطه حسين ... وكنت أجد متعة عند قراءة الكتب عن الثورة الفرنسية ... أعجبنى فولتير ... وقرأت لتشارلز ديكنز ... وعندما كنت طالبا بالمدرسة الابتدائية ساءنى أن أقرأ فى كتاب التاريخ أن نابليون قد غزا مصر ، وأنه قد وضع مدافعه فوق تلال المقطم وأمطر القاهرة بوابل من القنابل ... (٣) .

وبدراسة الشاب للثورات ، وتفهمه لسير الأبطال ، ونضالهم ضد الاستعمار نضج وعيه السياسى وعرف ما هو الاستعمار وتأصلت فيه روح الحرب ضده . ولعلنا نكشف عن تعطشه للحرية وتطلعه اليها ، باعجابه

---

(١) مقال « ابن مصر » اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

(٢) من مقال ابن الأرض الطيبة يوسف الشريف مجلة صباح الخير العدد ٧٦٩

(٣) من أقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة — اكتوبر سنة ١٩٧٠)

بالفيلسوف الفرنسى فولتير فكتب بشأنه مقالا أثناء دراسته بمدرسة النهضة الثانوية بمجلة المدرسة ، والذى نشرت صورته مؤخرا بالصحف والمجلات المصرية ، فنجده يصف فولتير بأنه رجل الحرية وأعرب عن اعجابه به لمحافظته على استقلاله ككاتب ، ويختم المقال بحديثه عن الثورة ضد التقاليد فى حياة فولتير وأنه مهد مع آخرين لقيام الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩

مفهوم الوحدة الوطنية لدى الطالب عبد الناصر :

واستمرارا لاستعراض حياة مصر خلال فترة شبابه نجد أن العمل الايجابى الوطنى كان سبيله لمواجهة الأحداث وجاء بكتابه فلسفة الثورة فى هذا الشأن : « ... أصبح العمل الايجابى فى رأيى أن يجتمع كل زعماء مصر ليتحدوا على كلمة واحدة وطافت جموعنا الهاتفة الثائرة ببيوتهم واحدا واحدا تطلب اليهم باسم شباب مصر أن اجتمعوا على كلمة واحدة ... »(١) وأصبحت الوحدة الوطنية حقيقة واقعة الا أنها تمخضت عن توقيع معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا (معاهدة الاستقلال !!) والتى اعترفت بالاحتلال وجمدت كفاح مصر ضد الاستعمار لفترة طويلة ، واصطف فيها جميع زعماء مصر السياسيون المعروفون وأعلنوا عهد الصداقة والتحالف مع المستعمر البريطانى ، عدو البلاد ، الذى قدم هذه المعاهدة عن طيب خاطر ، لادراكه أن يوم المواجهة مع المانيا النازية وايطاليا الفاشية قريب ، وأنه فى حاجة شديدة لتأمين ظهره فى صراعه المقبل مع دول المحور متبعا فى ذلك سياسة ربط المستعمرات بمعاهدات قانونية ، بدلا من الاحتلال السافر ضد أمانى الشعوب .. وأصيب الشباب بخيبة أمل عظيمة ، وتبين له أن الوحدة الوطنية لمواجهة الاستعمار لا تؤتى ثمارها بتحالف الساسة والطبقات الممتازة فقط بل يجب أن تكون تحالفا بين جميع فئات الشعب صاحب المصلحة الحقيقية فى مواجهة الاستعمار. ولعل هذا هو الوقت الذى نبعت فيه أفكاره عن خطر الحزبية فى بلد محتل والى ما نفذه فيما بعد عند ثورته بحل الأحزاب السياسية وانشاء هيئة التحرير لتمثل الوحدة الوطنية الحقيقية لجمع قوى الشعب لمحاربة الاستعمار

---

(١) من فلسفة الثورة ، جمال عبد الناصر .

ونواصل مع جمال عبد الناصر سرده لما أسفرت عنه الوحدة الوطنية التى كان يطالب بها فيقول « ... ولكن اتحادهم على كلمة واحدة ، كان فجيعة لا يمانى فان الكلمة الواحدة التى اجتمعوا عليها كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ (١)

من هنا ولهذه الأسباب كان عبد الناصر على قناعة تامة كما يقول « جورج فوشيه » بأن مصر لن تحصل على استقلالها بالخطب والمرافعات بل يجب أن تقابل القوة بالقوة ، والاحتلال العسكرى بجيش وطنى .. وقرر أن يكون ضابطا .

عبد الناصر والجيش :

والتحق الطالب الثائر بالكلية الحربية وتخرج بعد سنتين، وبدأ الضابط الشاب يلمس عن قرب شدة ضعف الجيش المصرى ولهو الضباط ، وبدأ بحثه عن الرفاق الجادين المخلصين للوطن . وكانت نواة الثورة فى معسكرات منقباد مع الذين تلاقوا معه فى أفكاره ضد المستعمر والفساد ، وتنقل فى عدة وحدات عسكرية بمصر والسودان الى أن عمل مع جيش الاحتلال فى العلمين فتأججت فى نفسه الرغبة فى التخلص منه ويعبر عن ذلك قائلا : « ... بعد نشوب الحرب بزمن وجيز ، نقلت الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال . بالقرب من العلمين ، وكان ذلك بقصد التدريب لعدة أشهر ، وكانت أول مرة أحتك فيها احتكاكا حقيقيا بالبريطانيين كجنود وأشخاص ... كان شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن » (٢)

اثر حادث ٤ فبراير على عبد الناصر :

ووقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كانت بريطانيا تقاتل والحرب تمر بمرحلة حيوية فى الصحراء الغربية وصمم البريطانيون على قيام حكومة مصرية تؤازرهم وذهب السفير البريطانى « السير/مايلز لامبسون » لمقابلة

---

(١) من فلسفة الثورة جمال عبد الناصر .

(٢) من اقوال الزعيم الخالد . كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة — اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

الملك فاروق وسلمه انذارا يخيره فيه بين اسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس (رئيس حزب الوفد) مع اعطائه الحق فى تشكيل مجلس متعاون مع بريطانيا ، وبين الخلع ، وقد سلم الملك بلا قيد أو شرط ... وكان للحادث أثره العميق فى اذكاء روح الوطنية والفداء بين ضباط الجيش . وكان وقع صداه مؤلما فى نفس الضابط الشاب جمال عبد الناصر ، وهنا يصف مشاعره فى خطاب أرسله لصديق قائلا : « .... ان خطابك هز مشاعرى ... وهز كيانى ... وجعلنى أغلى غليانا مرا ... اننى أشعر بالخزى والعار لمن سكت على هذا الاعتداء وارتضاه ... ولكننى الآن سعيد فبعد أن كان ضباطنا يتحدثون ويشغلون أوقاتهم بالحديث عن ساعات اللهو والمسرات ... بدأوا يتحدثون عن الانتقام ، لا من أجل القصر ولكن من أجل مصر ... » (١) و « ... ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين ، ... (٢) وأحس عبد الناصر أن تطورا الى أفضل حدث بين ضباط الجيش ، الذى لم يعد كما كان يراد له مجرد أداة للأمن الداخلى والاستعراضات ، فلم يعد ضباطه يلهون بالدنايا ، وأصبحوا يفكرون فى الانتقام والثأر لكرامة مصر وكرامتهم ، ويتبلور فكر عبد الناصر عن تكوين نواة لتنظيم الضباط الأحرار الذين عاهدوا الله على القضاء على المستعمر وأعوانه من الخونة . وكان عام ١٩٤٥ بالنسبة لعبد الناصر « ... أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب ... فقد شهد بداية حركة الضباط الأحرار (٣)

حرب فلسطين وعبد الناصر :

فى مايو عام ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وأعلن قيام دولة اسرائيل . ودخلت الجيوش العربية أرض فلسطين وشارك الضابط الثائر فى القتال . وكانت فترة حاسمة فى حياته فتبلورت عقيدته الفكرية ، ورأى بجلاء ووضوح طريقه لثورة التحرير وتوصل الى أن وطنه « مصر » محاصر

---

(١) من مقال (ابن مصر) اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

(٢) من فلسفة الثورة — جمال عبد الناصر .

(٣) من أقوال الرئيس الخالد — كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة — اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

بالأعداء وأن المعركة الحقيقية يجب أن تبـدأ به • ويقـول مستعرضا لفترة حصاره فى الفالوجا « •••• وطننـا هو الآخر حـاصرته المشـاكل والأعداء وغرر به ، ودفع الى معركة لم يعد لها ، ولعبت بأقداره مطامع ومؤامرات وشهوات ••• كان أحمد عبد العزيز (قائد المتطوعين) يقـول دائمـا : ان المعركة الحقيقية فى مصر ••• » و « ••• لقد اتضح لى عنـدئذ أن المعركة الحقيقية هى بالفعل فى مصر ، فبينما كنت ورفاقى نحارب فى فلسطين ، كان السياسيون المصريون يكدسـون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسـدة التى اشتروها رخيصة وباعوها للجيش •• (١) » .

ولم ينس عبد الناصر خلال الحرب أن عدوه الأول هو الاسـتعمار ثم صنيعته اسرائيل • وحاول إن يتلمس الطريق السـليم فى سـبيل حربه المستقبلة ضده ، بدراسة خطى من قاوموه وانتصروا عليه • فلم يجد حرجا من سؤال أعدائه فى المعركة عن أسلوبهم فى مقاومة الانجليز أثناء الانتداب البريطانى لفلسطين ، ونستشهد فى ذلك بما قرره الزعيم الخالد من حـديث لأحد الضباط الاسرائيليين نشر بجريدة « جويشن أوبزرفر » بأنه أثناء لقائه مع عبد الناصر فى مباحثات عن الهدنة كان الموضوع الذى يطـرقه عبد الناصر معه دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز وكيف نظموا حركة المقاومة السرية فى فلسطين وكيف استطاعوا أن يجندوا الرأى العـام فى العـالم وراءهم فى كفاحهم ضدهم » (٢)

وبانتهاء معارك الجيوش العربية بفلسطين وعودة عبد الناصر الى مصر ، كان قد تأكد وضوح الرؤية لديه • وتبلورت فكرة القومية العربيـة وتحددت نهائيا فى ذهنه ، بضرورة قيام الوحدة العربية باعتبارها سلاحا لايخيب فى حربه ضـد الاستعمار ، وأيدت ذلك دراسـته بكليـة أركان الحرب للمشكلات الاسـتراتيجية فى الشرق الأوسـط ويقـول فى ذلك : « ••• كنت قد قرأت

---

(١) من أقوال الزعيم الخالد ــ كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة ــ أكتوبر سنة ١٩٧٠) .

(٢) من فلسفة الثورة ــ جمال عبد الناصر .

تاريخ العرب منذ أقدم العصور ، وعرفت أنه عندما كان العرب وحدة متماسكة، استطاعوا رد المعتدين على أعقابهم كما حدث أيام الحروب الصليبية ، ولكن بعد أن فرق المستعمرون بين العرب أصبحوا عرضة للهزيمة وفريسة للسيطرة الأجنبية . وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عينى طوال فترة المناقشة فى العام السابق للثورة سنة ١٩٥١ — التى كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر — ولأول وهلة اتضح لنا ، أن مصر مثلها فى ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، لا يمكن أن تضمن سلامتها الا مجتمعة مع كل شقيقاتها فى العروبة ، فى وحدة قوية متماسكة ... » (١)

ومن المحقق أن عبد الناصر كان مهيئا لأداء دوره فى السياسة العالمية ، فقد ناقش فى كتابه فلسفة الثورة المجالات التى يمكن أن تقوم فيها مصر بدور ايجابى فتحدث عن أرض مصر ومكانها من العالم ، وذلك الموقع الاستراتيجى الهام ، الذى يعتبر ملتقى طرق العالم ومعبر تجارته وممر جيوشه . واهتدى الى الدوائر الثلاث المعروفة : العربية والافريقية والاسلامية « ... ولقد مضى عهد العزلة ... » و « ... ولم يعد مفر أمام كل دولة من أن تجيل البصر حولها تبحث عن وضعها وظروفها فى المكان . وترى ماذا تستطيع أن تفعل فيه وما هو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ودورها الايجابى فى هذا العالم المضطرب ... » (٢)

هكذا تكونت عقيدة عبد الناصر فى معاداته للاستعمار ، وتبلور فكره ، وخرجت مبادئه الى حيز الوجود ، عند قيامه بثورته . فأعلن الحرب على الاستعمار ، وكشف حيله وأساليبه ، وتصدى لها ، وقاومها فى كل زمان ومكان دون أن يخشى بأسه أو يلين لتهديده ، أو تغريه عروضه ووعوده . فكان قائدا وطنيا محاربا للاستعمار ، ليس فى مصر والوطن العربى فحسب بل فى العالم كله على الوجه الذى سنوضحه .

---

(١) من أقوال الزعيم الخالد — كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكى بالقاهرة — اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

(٢) من فلسفة الثورة — جمال عبد الناصر .

الفصل الثالث

حرب عبد الناصر

ضد الاستعمار البريطانى فى مصر ونضاله لتدعيم الاستقلال

« ... ان هذا الجيل من شعب مصر على موعد مع القدر فمنذ أكثر من ألفى سنة ووطننا يحكمه الغزاة ... والحلم الضائع لابنائه ان يعود وطنهم يوما اليهم . وقد قدر لهذا الجيل ان يعيش ليرى عودة الحلم الضائع ... » .

جمال عبد الناصر

فى صباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لاحت فى أفق الحياة المصرية نسمات الحرية باعلان السيد/أنور السادات من محطة الاذاعة المصرية بيان الثورة الأول التى أعد لهـا وكافح فى سبيل نجاحها وقادها الضابط الثائر جمال عبد الناصر .

الثورة سلاحه الأول ضد الاستعمار :

لقد شهر الزعيم الخالد أول أسلحته ضد الاستعمار باعلان الثورة فكان هذا اليوم « بداية مرحلة جديدة ومجيدة فى تاريخ النضال المتواصل للشعب العربى فى مصر » (*) وكان من الطبيعى أن يعلن البطل أول مبدأ لثورته فى مواجهة جيوش الاحتلال البريطانى الرابضة فى منطقة قناة السويس ، وهو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين . ولايمانه بأن الشعوب لاتبنى مستقبلها فى الحياة الحرة الكريمة الا بتحرير الفرد من الظلم الاجتماعى وتحرير الأرض من الاستغلال فكان مبدأ الثورة الرابع هو اقامة العدالة الاجتماعية والتى لن تتحقق الا بالقضاء على الاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم . وهما المبدآن الثانى والثالث للثورة . وحماية للجبهة الداخلية والاستقلال السياسى كان لابد من اعلان المبدئين الخامس والسادس للثورة وهما اقامة الجيش الوطنى واقامة الحياة الديمقراطية السليمة .

(*) ميثاق العمل الوطنى .

ويهمنا هنا فى هذا الفصل حربه ضد الاستعمار البريطانى ، وكان مرشده الأول فيها كفاح الشعب المستمر ضده ، ويعبر عبد الناصر عن هذا أبلغ تعبير فيما أورده بالميثاق وقائلا :

« ... ان قوة الاحتلال البريطانى العسكرية ومؤامرات المصالح الاحتكارية الأستعمارية والاقطاع الذى أقامته أسرة محمد على باحتكارها للأرض أو اقتسام جزء منها بين أصدقائها أو أصدقاء المستغلين الأجانب . ذلك كله لم يستطع أن يطفىء شعلة الثورة على الأرض المصرية .

ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية ... » و « .... لقد سكت أحمد عرابى . ولكن صوت مصطفى كامل بدأ يجلجل فى آفاق مصر ... » ويستمر الثائر فى عرض كفاح الشعب الى أن قامت ثورة ١٩١٩ ، ويوضح أن الأسباب التى أدت لفشلها أمام المستعمر كانت هى نفس الأسباب التى حركت حوافز ثورته ، ولخصها فى : « اغفال القيادات التى تصدت فى مقدمة الموجة الثورية للجوانب الاجتماعية من محركات الانفجار الثورى » فلم تستطع أن تتبين بوضوح أن الثورة لا تحقق غاياتها بالنسبة للشعب الا اذا مدت اندفاعها الى ما بعد المواجهة السياسية الظاهرة من طلب الاستقلال ووصلت الى أعماق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية » (١) . هذا بالاضافة الى عجزها عن تحديد موقع الشخصية المصرية فى نطاق القومية العربية بالرغم مما كان واضحا من أن أسباب نجاح المستعمر فى مواجهته للأمة العربية كان لتعامله معها « أمة عربية ممزقة الأوصال مفتتة الجهد » (٢) وأخيرا فقد انخدعت هذه القيادات بالتنازلات الشكلية التى يمنح بها الاستعمار « من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ومن الحرية شعارها واغتصب حقيقتها ، وهكذا انتهت الثورة باعلان استقلال لا مضمون له ، وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال . » (٣)

---

(١) ، (٢) ، (٣) ميثاق العمل الوطنى .

لقد كان لنفاذ رؤية عبد الناصر أثره الحاسم فى النتيجة الايجابية الباهرة التى انتهت بانتصاره على الاستعمار البريطانى فى مصر . فقد تعددت أسلحته من قضاء على أعوانه ، وتحرير للفرد من الظلم الاجتماعى والاقتصادى ، وتجميع لقوى الشعب فى وحدة وطنية ، وتضامنه مع الدول العربية ، وبالكفاح المسلح . ولم يكن استعماله لهذه الأسلحة مرحليا فقد فطن الى وجوب السير فيها كوحدة متكاملة .

القضاء على اعوان الاستعمار :

كان فى تحالف القصر الملكى والرأسمالية المتحكمة والاقطاع المستبد والأحزاب السياسية الزائفة أكبر عون لاستمرار الاحتلال . فبدأ عبد الناصر بطرد الملك قمة التحالف البغيض فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، واعتقل عددا كبيرا من الاقطاعيين ومحترفى السياسة ورجال الحكم السابقين من الخونة فى سبتمبر ١٩٥٢ ، وتشكلت محاكم الغدر فى ديسمبر ١٩٥٢ لمحاكمة من استخدم نفوذه للاثراء غير المشروع . وتم حل الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها ومحاكمة عدد من رجالها حاولوا القيام بمؤامرة ضد الثورة فى يناير ١٩٥٣ ، وبهذا فقد الاستعمار أعوانه وركيزة وجوده فى مصر .

« ... وبعد النصر الثورى العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفى طريق الشعب الى التقدم الثورى ، داست الجموع المنتصرة بأقدامها بقايا العهد الملكى الدخيل ودكت حصون الاقطاع واجتثت جذور الرجعية .

لقد كانت تلك هى الركائز التى ثبت الاستعمار عليها وجوده فوق أرضنا وبانقضاض شعبنا عليها وتدميرها فان الوجود الاستعمارى فقد حلقات اتصاله بأرض الوطن الطاهرة ... » (١)

---

(١) ميثاق العمل الوطنى .

الوحدة الوطنية :

وايمانا من عبد الناصر بوجوب الوحدة الوطنية بتحالف جماهير الشعب الذى تطلع وناضل طويلا فى سبيل الحرية ، ونبعا من فجيعته بالوحدة الوطنية التى تمثلت فى تحالف الزعماء والطبقات الممتازة والتى تمخضت عن توقيع معاهدة ١٩٣٦ (معاهدة الاستقلال ؟؟) فكان أمله كبيرا ـ بعد قضائه على أعوان الاستعمار وتحرير الفرد من الاستغلال بالقضاء على الاقطاع ـ فى اعلان تأسيس هيئة التحرير فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ بعد حل الأحزاب السياسية وتكونت تحت شعارى « الاتحاد والنظام والعمل » و « وكلنا أعضاء فى هيئة التحرير ». وقد عبرت هذه الهيئة فى حركتها عن خروج الثورة من نطاق العمل فى الجيش الى حدود العمل وسط الجماهير الشعبية بآفاقها الواسعة .

وبعد القضاء على أعوان الاستعمار وقيام الوحدة الوطنية لم يكن أمام المستعمر بد من أن يبدأ مباحثات الجلاء فى أبريل ١٩٥٣ خاصة وقد فوت عبد الناصر عليه فرصة المساومة على مشكلة استقلال السودان الشقيق ـ والتى كانت العهود السابقة تتمسك بها شكلا لا حقيقة ـ وذلك بتوقيع الاتفاق المصرى البريطانى فى فبراير ١٩٥٣ ويضمن للشعب السودانى حق تقرير مصيره .

الكفاح المسلح :

عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ بدأ الكفاح المسلح مرحلته الأولى ضد قوات الاحتلال البريطانى فى قاعدة قناة السويس ، ولما كانت السلطة الحاكمة آنذاك غير جادة فى حربها ضد الاستعمار فهو حاميها وسندها ، لذا فقد تعرض الفدائيون الى حملات الاعتقال وبدأت السلطات فى تصفيتهم .

وبقيام الثورة وانتقال السلطة وقمة جهاز الدولة الى القوى الثورية بقيادة جمال عبد الناصر ، بدأت مرحلة جدية وحاسمة فى حركة الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال . وكان لدور القائد المناضل ولمن عاونه فيها من الرجال الشرفاء المخلصين ولمن استشهدوا فى سبيل الوطن ، الأثر الكبير فى نجاح الكفاح وتتويجه بالنصر .

وقد تميزت هذه الحركة بعدة خصائص أساسية نعرضها فى ايجاز :

- تناسقت حركة الكفاح المسلح مع موقف المفاوض الانجليزى من قضية الجلاء بهدف ضغط المقاومة عليه لاجباره على تقديم تنازلات عند تشدده •

- توحيد عمليات المقاومة تحت قيادة واحدة مما أدى الى توحيد جهودها وعمق أثرها الايجابى فى نشاطها ضد قوات الاحتلال •

- قدمت المخابرات المصرية « خدمة معلومات كاملة » لقيادات المقاومة تمثلت نتائجها فى :

× مد المقاومة بجميع المعلومات عن قوات الاحتلال وأماكنها وامكانياتها البشرية والمادية والميكانيكية •

× مراقبة نشاط المخابرات البريطانية والحد منه وكشف العملاء مما سهل اختطافهم ومحاكمتهم •

× شن حرب سيكلوجية على أفراد القوات البريطانية عن طريق المنشورات والاذاعة من « محطة خاصة » بهدف تحطيم معنوياتهم •

وتجلى نشاط الكفاح المسلح بمنطقة قناة السويس قاعدة الاحتلال ، فى نسف المنشآت وتخريب المطارات واشعال الحرائق بالمخازن وتكبيد قوات الاحتلال خسائر متوالية فى الأفراد والسلاح واختطاف المعدات سليمة متكاملة واعادة استعمالها ضده •

وأمام مراوغة الجانب البريطانى واصراره على البقاء تعثرت المفاوضات وأعلن عبد الناصر فى مايو ١٩٥٣ وقف المباحثات من جانب مصر • واستمر عبد الناصر فى حربه ضد المستعمر والضغط عليه لاجباره على الرحيل :

- فى المجال الدبلوماسى تم سحب السفير المصرى من لندن فى مايو ١٩٥٣ وابتعد عبد الناصر عن الدخول فى معارك جانبية لالهائه عن معركته

ضـــد الاستعمار برفض مناورتين ، احـــداهما بريطانيـــة والأخرى نيوزيلندية ، فى صورة مشروعين قدمتهما بريطانيا ونيوزيلندا لمجلس الأمن بطلب السماح لاسرائيل بالمرور بقناة السويس ومشكلة خليج العقبة •

— فى مجال التضامن العربى بدأت اذاعة صوت العرب فى ارسالها فى يوليو ١٩٥٣ تعلنها حربا شعواء على الاستعمار فى الوطن العربى وتفضح أساليبه • وعقد مؤتمر لرؤساء أركان حرب الجيوش العربية بالقاهرة فى يناير ١٩٥٤ • وعقد اجتماع لرؤساء الوزراء العرب بالقاهرة ، أعلن أن أساس السياسة الخارجية تحرير البلاد العربيّة من كل نفوذ أجنبى وصدر بيان مجلس الدفاع المشترك للدول العربية يؤكد أن القـــوات المسلحة للبلاد تعمل على تأمين الدول العربية وســلامتها • واندلعت ثورة الجزائر فى نوفمبر ١٩٥٣ وأعلنت مصر مساندتها •

— وفى مجال الكفاح ، فقد صدر فى نوفمبر ١٩٥٣ قرار بحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع القوات البريطانية فى مصر هادفا الى تجويع قوات الاحتلال ، وتولت المقاومة عملية وضع هذا القرار موضع التنفيذ • وزاد الكفاح المسلح من ضغطه على قوات الاحتلال بالقناة حتى بلغت الى حد اعلان وزير الحرب البريطانى « بأن الغارات المصرية المسلحة التى قامت بها المقاومة المصرية بلغت ١٣٠٠ غارة خلال عام ١٩٥٣ » وأعلن وزير الخارجية البريطانى ايدن « أن الجلاء عن قاعدة السويس أفضل بكثير من الابقاء على ثمانين ألف جندى محاصرين من شـعب معادلهم » •

وازاء هذا كله لم يجد المستعمر أمامه الا أن يعلن على لسان وزير خارجيته فى مارس ١٩٥٤ رغبة الحكومة البريطانية فى استئناف المفاوضات • وكان رد عبد الناصر أن المفاوضات لن تستأنف الا على أساس التسليم بحقوق مصر كاملة • وفى يوليو ١٩٥٤ استؤنفت المفاوضات برئاسة عبد النـاصر لوفد مصر والسفير البريطانى لوفد بريطانيا •

وكان لموقف عبد الناصر من المفاوضات ، برفضه المناورات السياسية واصراره على أن يكون أساس المباحثات تنظيم الجلاء الكامل عن منطقة السويس دون المناقشة فى مبدأ الجلاء نفسه ، أثره الحاسم فى نتيجتها بتراجع المفاوض البريطانى وهزيمة الاستعمار والتوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق ترضخ فيه بريطانيا لارادة الأمة ، وتوافق على انهاء الاحتلال — الذى جاوز
ترضخ فيه بريطانيا لارادة الأمة ، وتوافق على انهاء الاحتلال — الذى جاوز
السبعين عاما — بجلاء قواتها نهائيا عن أرض مصر . وتم توقيع اتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ولعل من أهم ماورد بها ، بعد جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الأراضى المصرية خلال عشرين شهرا ، هو الاعتراف بأن قناة السويس البحرية جزء لايتجزأ من مصر ، وكأن الزعيم الخالد بانتزاعه لهذا الاعتراف الصريح من فم الاستعمار ينوى مواجهته ومواجهة العالم به عند تأميمه لقناة السويس فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦

حرب عبد الناصر لاقامة الجيش الوطنى :

وبدأت القوات البريطانية فى تنفيذ مراحل الجلاء عن أرض مصر وكان لابد فى نظر القائد البطل من تدعيم هذا الاستقلال ببناء الجيش الوطنى القوى . وبدأت حربه ضد دول الغرب الاستعمارية من أجل تسليح الجيش ، وكانت معركته لكسر احتكار السلاح ولعل أبلغ وصف لمعركته هذه ما سنقدمه من مقتطفات من خطابه فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ : (*)

« ... فرنسا كانت تساومنا دائما ، تساومنا على شمال أفريقيا وتقول لنا دائما اننا نعطيكم السلاح على شرط ألا تنتقدوا موقفنا فى شمال أفريقيا ، على شرط أن تتخلوا عن عروبتكم ، على شرط أن تتخلوا عن انسانيتكم ، على شرط أن نرى المذابح التى تحدث فى شمال أفريقيا ونسكت عليها ... » و « ... كنت دائما أهدد بقطع السلاح ..... أهدد بتموين اسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر ... »

(*) من خطاب عبد الناصر فى معرض القوات المسلحة .

« ... قصة أمريكا ، منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح ، ونحن نوعد بالسلاح ، وماذا كانت النتيجة ؟ .. كانت الوعود ، وعودا مرتبطة بشروط ، نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على ميثاق أمن متبادل ...... نوقع على حلف من الأحلاف ، ورفضنا ... »

« ... كانت انجلترا تقول لنا أنها مستعدة لتموينا بالسلاح ...... وماذا كانت النتيجة ؟ .. لقد موتتنا انجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذى قامت هذه الثورة من أجله ...... كان الجيش المناوىء لنا ، يمون بالأسلحة من دول متعددة من العالم ... »

« ....حينما رأينا هذا التحكم ...... قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيد ولا شرط ... » و « ... الى أمريكا ، الى انجلترا ، الى فرنسا الى روسيا ، الى تشيكوسلوفاكيا ، الى باقى الدول .... وصلتنى ردود من بعض هذه الدول بأننى يمكننى أن أسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط ورفضت هذه الشروط ... »

ويقرر عبد الناصر بعد ذلك بأن تشيكوسلوفاكيا أبدت استعدادها بتموينا بالسلاح حسب حاجة الجيش المصرى على أساس تجارى بحت ووقعت اتفاقية تجارية بذلك . وهاجت الدول الاستعمارية وأبرزت أجهزة دعايتها أن مصر دخلت دائرة النفوذ الشيوعى بقبولها لهذه الأسلحة وتبادل البعثات مع الدول الشيوعية . وقد فند الرئيس الخالد مزاعمهم باعلانه « ان سياستنا الاقتصادية تقوم على الاستقلال التام ، وأساسها حرية التجارة مع أى دولة ، وفى أى مكان ، ذلك لأننا لا نفرق بين شرق وغرب فى السياسة أو الاقتصاد ... » و « ... وفيما يتعلق بهذه الأسلحة فهذه اتفاقية تجارية بحتة بيننا وبين تشيكوسلوفاكيا وهى لا تتعارض مطلقا مع سياستنا الدولية ، بل انها برهان على سياستنا الاستقلالية ..... » (١)

---

(١) من حديث عبد الناصر مع مراسل محطة الاذاعة الأهلية الأمريكية فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٥

وواصل القائد جهاده بالرغم من وجود قوات الاحتلال ولم ينتظر جلاءها للقيام بثورته الاجتماعية والصناعية لتدعيم الاستقلال وضمان الحرية للفرد الحر فى الوطن الحر . فبعد قضائه على الاقطاع بقانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، تم اعتماد ملايين الجنيهات للمشروعات الاجتماعية والانتاجية ، وانطلاقا منه للصناعات الثقيلة باعتبارها أساس الاستقلال الاقتصادى تم الاتفاق مع احدى الشركات الألمانية لاقامة مصنع لانتاج الحديد والصلب ، وتم تمصير الشركات المساهمة ، واخضاع رؤوس أموالها للتنظيم القومى ، وتطلعا منه الى مواكبة عصر الذرة تم عقد اتفاق مع الاتحاد السوفيتى لانشاء معمل ذرى ، وصدر بيان بشأن تمويل مشروع السد العالى عماد التنمية الاقتصادية .

ولم يتوان عبد الناصر خلال هذه الفترة عن القيام بمحاولات جادة فى سبيل احياء القومية العربية وجمع شمل هذه الأمة ضد الاستعمار فأعلن « اعتراضه على أية معاهدة دفاعية عن الشرق الأوسط ، تكون الدول الكبرى مشتركة فيها وقرر أن العرب يعملون لتنظيم الدفاع عن كيانهم والوقوف فى وجه أى اعتداء يوجه اليهم وأن أى نظام للدفاع عن الشرق الأوسط تساهم فيه بريطانيا وأمريكا لا يمكن قبوله وشعوبنا ضده وتعده نوعا من الاستعمار المقنع » (٢) واجتمع رؤساء الدول العربية بالقاهرة فى يناير ١٩٥٥ لبحث السياسة التى أعلنها عبد الناصر بمعارضة الأحلاف العسكرية نتيجة لاعلان حكومة العراق تحالفها مع تركيا (حلف بغداد) ودعوتها بعض الدول العربية الأخرى للانضمام اليها .

كما لم يفت المناضل العظيم دور مصر فى العالم وتأييده لنضال الشعوب من أجل الحرية فتقابل مع نهرو رئيس وزراء الهند بالقاهرة فى فبراير ١٩٥٥

---

(٢) من حديث عبد الناصر لمراسل مجلة « ذى يونيتد ستيتس نيوز آند وورلد ريبورت » فى ٣٠ اغسطس ١٩٥٤

وأيدا نضال الشعوب والجهود المبذولة لتحريرها وكانت انطلاقته الكبرى في عالم التحرر الوطني برئاسته لوفد مصر مع عدد من رؤساء الدول الافريقية والآسيوية في مؤتمر باندونج صيحة الحرية الأولى العالمية التي طالبت بحق تقرير المصير للشعوب وتأييد قضية الحرية والاستقلال واستنكار استعمار الشعوب • وكان صوته أول صوت عربي ينادي بحقوق شعب فلسطين في مؤتمر دولي ، ونادى عبد الناصر بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز •

جلاء قوات الاحتلال :

توجت جهود عبد الناصر برحيل آخر جندي بريطاني من أرض مصر في الثالث عشر من يونيو ١٩٥٦ وتحقق حلم الأجيال بالقضاء على الاستعمار • واحتفل الزعيم الخالد برفع العلم المصري على مبنى البحرية في بور سعيد في الثامن عشر من يونيو ١٩٥٦ • وألقى خطابا تاريخيا استعرض فيه نضال شعب مصر المتواصل في سبيل بلوغه هذا النصر وأشار الى مراحل الكفاح المستقبلة قائلا : « ••• ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية ، انه طريق بعيد المدى ، بمداه مدى الحياة نفسها ، كلما بلغ منه الشعب مرحلة ، لاحت أمامه في المنى مراحل • ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد ساعة النصر ولا تتراخى • انها في ذروة شعورها بالقوة تدرك خاتمة المطاف • تلك هي حكمة طريق الكفاح • ذلك أنه في نفس الوقت الذي تتحقق فيه للشعوب أمانيها القديمة ، ترسب وتتجمع في ضميرها ووجدانها أمان جديدة • ان كفاح الشعوب طاقة دائمة مستمرة متجددة العمر ، خالدة البقاء ••• هذا هو موعد جيلنا مع القدر • فرحة بنصر شهدناه يبلغ غايته ، ومسئولية غايات جديدة لابد لها من كفاح ••• » •

الفصل الرابع

سياسة عبد الناصر فى محاربة الاستعمار على الصعيد العالمى

« ... اننا لندرك ، أن القوى المعادية لحرية الشعوب ، لن تستطيع ايقاف ساعة التاريخ .. ولن تستطيع اعادة عقاربها الى الوراء ...
وان اقصى ما تستطيعه هذه القوى ، المعادية لحرية الشعوب ، لا يمكن أن يكون أكثر من عارض عابر ...
ومع ذلك فاننا لا نستطيع ان نعتمد على حركة التاريخ وحدها ... وانما لا بد من تدعيمها بنضال مشترك عميق ومتسع » .

جمال عبد الناصر

دأب الاستعمار على أن يجعل من أفريقيا وآسيا امتدادا طبيعيا واقتصاديا لدول أوربا ، وربط ثروات القارتين بالاقتصاد الغربى ، بالاضافة الى الأهمية السياسية والاستراتيجية للقارتين بعد الحرب العالمية الثانية ، وانقسام العالم الى كتلتين . وساعد الاستعمار على استمرار حالة التخلف التى كانت تعانيها شعوب القارتين ، الأمر الذى جعل سكانهما أرقاء للمستعمرين ، وكان ينظر الى شعوبهما على أنهم ليسوا أكثر من سلع اقتصادية رخيصة يستغلها كما يشاء، ويمتص دماء الحياة من شرايينها دون مراعاة للآدمية أو الانسانية .

ومع استمرار الغزوات الاستعمارية للقارتين أدركت شعوبهما المرامى والغايات القريبة والبعيدة للسياسة الاستعمارية ، مما حفزها على الاستيقاظ ، وبث فيها الوعى الوطنى . ونتيجة لذلك ظهرت الحركات التحررية التى تدعو الى الحرية ، وتحقيق الاستقلال والخروج من نطاق النفوذ والتبعية .

مضت الأحداث العالمية فى سرعة ، وأخذت التفاعلات الوطنية تعمل فى النفوس بشدة ، كما بدأت الدعوة الى التضامن بين الشعوب المغلوبة على أمرها . وعندئذ ، وجد الاستعمار لزاما عليه أن يساير هذا الشعور المتيقظ

ولا يقف فى طريق الحركات الثورية والنضج السياسى . وأخذت الامبراطوريات الاستعمارية تتهاوى تحت ضغط التحرر الوطنى ، وحققت ثورات الشعوب انتصارا فى كل مكان .

وجدت الدول النامية ـ التى تخلفت زمنا طويلا من الاستغلال الاستعمارى فى أبشع صوره ـ وجدت نفسها أمام مسئوليات جديدة ، وأعباء كثيرة فى مستهل عهدها بالاستقلال وكان الطريق أمامها بناء على تجاربها المريرة السابقة هو الابتعاد عن مناطق النفوذ والتبعية بكل صورها وأشكالها ، وقطع صلتها بكل صراع اقتصادى أو سياسى قائم بين المعسكرين المتصارعين اللذين يسعيان ويتصارعان لكسب صداقتها شكلا واستغلالها موضوعا ، الأمر الذى يهدد حريتها واستقلالها .

مؤتمر باندونج : ابريل ١٩٥٥ :

يعد يوم ١٨ ابريل ١٩٥٥ يوما خالدا فى حياة عبد الناصر السياسية بل يوما مشهودا فى حياة العالم كله . لقد كان نقطة البدء التى تبلورت بعد ذلك فى سياسة عدم الانحياز التى أصبح لها وزنها فى المجتمع الدولى ، وجعلت من عبد الناصر بطل عدم الانحياز بل جعلته من أبرز زعماء العالم الثالث .

وقف الزعماء الثلاثة عبد الناصر مصر ، ونهرو الهند ، وتيتو يوغسلافيا يعلنون عداءهم للاستعمار ، ويمجدون الاستقلال الذى تحقق حديثا لبعض الدول ، ويطالبون بالحرية للبلاد والشعوب التى ما زالت تعانى من التبعية والاستغلال من الدول الاستعمارية ، وأعلنوا أن اتباعهم لسياسة الحياد أمر اقتضته الحاجة والمصلحة القومية والمبادىء الخلقية السامية ، ومصلحة السلام العالمى .

وكان شعار المؤتمر « عش ودع غيرك يعش » وارتفع الصوت يدوى فى باندونج ليدعم السلام والتعاون بين الدول ، ويعبر عن رغبة الشعوب فى أن تصنع بنفسها مصيرها ، وتبنى مستقبلها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، متحررة من أى قيد أو تبعية ، متعاونة تعاون الند للند وفى غير ما سيادة دولة على

أخرى . ارتفع هذا الصوت ينادى لا أحلاف ، ولا استعمار ، بل حياد لصالح السلام والانسانية . وارتفع صوت عبد الناصر كأول صوت لزعيم عربى فى المجتمع الدولى باسم شعب فلسطين « الذى طرد من وطنه ليحل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا .. وكل هذا حدث على مرآى من هيئة الأمم المتحدة بل بمساعدتها وموافقتها ... » . ارتفع هذا الصوت بينما دول الاستعمار تقيم العقبات فى طريق نجاح المؤتمر وأوحت الى عملائها باثارة ما أسموه بالاستعمار الشيوعى . ولكن بالجهود المتوالية لعبد الناصر وزعماء السلام نجح المؤتمر .. وانتهى الى اعلان قراراته ويهمنا منها :

- تصفية الاستعمار بكافة أشكاله ، اذ هو استغلال للشعوب الضعيفة وتسخير لمواردها .

- نبذ سياسة الأحلاف العسكرية لأنها تساعد على تحويل الحرب الباردة الى حرب ساخنة وتؤخر اقرار السلام .

- تطبيق ميثاق الأمم المتحدة نصا وروحا فى تعامل الدول بعضها مع بعض .

- تأكيد مبدأ الحياد الايجابى لأنه العامل المخفف للتوتر الدولى .

وكان من نتائج المؤتمر :

- احساس شعوب القارتين الافريقية والآسيوية بأن لهم قوة فعالة فى توجيه السياسة العالمية ، بعد أن كانت هذه الشعوب بعيدة عن المجال الدولى .

- حمل دول الاستعمار على نبذ سياستها القديمة ، وتغيير معاملتها لشعوب هاتين القارتين .

- ثبوت كذب نظرية الفراغ التى تؤكد وجوب سيادة الرجل الأبيض .

- خفضت سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز من حدة التوتر الدولى وأبعدت شبح الحرب .

هـذا ، وقد قام الرئيس جمال عبد الناصر بدور بارز فى المؤتمر • وبذل جهودا كبيرة ليحقق المؤتمر أغراضه ، الأمر الذى أثار اعجاب ساسة العـالم وتقـديرهم •

ودعا عبد الناصر الى :

- تصفية الاستعمار وبدء مرحلة جديدة من التعاون بين الشعوب « فقد استيقظ فى الشعوب وعى جديد لا يمكن معه وقف تيـــار القومية والنهوض » •
- نزع السـلاح وتحريم أسلحة الدمار الشامل ، وتحـويل الأموال المخصصة للتسليح لانفاقها فى سبيل رفع مستوى الشعوب •
- القضـاء على التفرقة العنصرية المنافية لميثـاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان •
- التزام الأمم المتحدة لميثاقها والعمل على رفع الظلم عن شعب فلسطين الذى تعرض للعـدوان •
- احترام الدول لالتزاماتها والتخلى عن سياسة القوة والضغط على الدول الصـغيرة •
- الاعتراف بحق كل بلد فى اختيار نظمه السياسية والاقتصادية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر واحترام سيادة أراضى كل دولة ووحدتها •

كما تبلورت جهود عبد الناصر فى عزل اسرائيل تماما عن التسلل الى مؤتمرات وتجمعـــات الحرية بصفتها حقيقة عدوانية عنصرية استعمارية رغم ادعائها بأنها دولة مستقلة بالقارة الآسيوية •

وفى ٢٤ أبريل ١٩٥٥ انتهى مؤتمر باندونج وأنصت العالم الى قراراته التى تناولت أهم الشئون الدولية ، والمشكلات التى تواجه الشعوب الآســيوية والأفريقية •

ومن ذلك التاريخ أخذت فكرة الحياد الايجابى وعدم الانحياز تكتسب لنفسها بالتدريج ، وبصورة دائمة ، قوة فعالة وعمقا جديدا ، وبدأت تمارس فاعليتها على ميزان القوى السياسية فى العالم لاقرار السلم العالمى •

وقد حظيت هذه السياسة لدى الدول النامية والحديثة الاستقلال بكل اهتمام وتقدير • اذ أن التيارات السياسية المختلفة التى تتنازع العالم هى الدافع الى انتهاج هـذه السياسة بعد أن عرفت الدول الحديثة حقيقة المبـادىء التى تنادى بها كلتا الكتلتين •

وقد عرض عبد الناصر بعد ذلك تصوره لأعمال مؤتمر باندونج عرضا رائعـا فى خطابه التاريخى الذى ألقـــاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحـــدة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ طالبا منها أن تقر مبادىء باندونج •

مؤتمر بريونى يوليو ١٩٥٦ :

ومرة أخرى بعد مؤتمر باندونج التقى زعماء الحياد الثلاثة عبد الناصر ونهرو وتيتو ، فى بريونى بيوغسـلافيا واستأنفوا مباحثاتهم فيمـا يهم بلدانهم والسلام العالمى ، وأكدوا مرة أخرى قرارات مؤتمر باندونج ، وجاء فى بيانهم المشترك أنهم يدركون أن النزاع والتوتر الدولى قد أديا الى ما يسود العالم من الخوف فى الحاضر والمستقبل ، وأنه طالمـا ظلت هذه المخاوف تســيطر على العالم فانه لا يمكن ارساء السلام على قواعد ثابتة •

مؤتمرات الشعوب ديسمبر ١٩٥٧ :

فى ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ فتحت القاهرة ذراعيها لتستقبل وفودا شـــعبيه لأربعة وأربعين بلدا آسيويا وأفريقيا فى أعظم مؤتمر دولى شهده التاريخ حتى ذلك الوقت وكان مؤتمر الشعوب فى القاهرة انعكاسا حيا لآمال البلدان الآسيوية والأفريقية وترجمة أمينة لارادتها وأهدافها •

وقد انتهى المؤتمر الى اصدار قرارات ثورية تتجاوب مع رغبة شعوب آسيا وأفريقيا فى التحرر والتطلع لحياة أفضل • وجاء فى قراراته :

- اقرار حق المستعمرات والمحميات فى الاستقلال التام وانهاء وصاية الأمم المتحدة على البلدان الخاضعة للوصاية واتخاذ الخطوات العاجلة لتحقيق استقلالها •
- جعل أراضى آسيا وأفريقيا منطقة سلام خالية من كل سلاح نووى أو صاروخى وتحريم التجارب النووية كخطوة نحو تحريم الأسلحة النووية ونزع السلاح •
- استنكار الأحلاف والتدخل الأجنبى والتآمر على الحكومات الوطنية والقواعد الأجنبية والمعونات المخلة بالسيادة الوطنية •
- القضاء على عدم التكافؤ بين الدول المتقدمة والأقطار المتخلفة ، وتأكيد حق شعوب آسيا وأفريقيا فى تأميم مصادر ثرواتها ودعم التبادل التجارى والتنمية الاقتصادية على أساس التخطيط •

ودعا المؤتمر مختلف الحكومات لالغاء القوانين والنظم التى تجيز التفرقة العنصرية • كما تناولت قراراته المسائل الاجتماعية والثقافية فى تحقيق التضامن بين الأمم واستخدام الاكتشافات العلمية فى الأغراض السلمية وتأييد مبادىء مؤتمر باندونج والتعايش السلمى •

ثم عقد المؤتمر الثانى بغينيا فى ابريل ١٩٦٠ والثالث بتانزانيا فى فبراير ١٩٦٣ وتوالت مؤتمرات الشعوب ، وفى الوقت نفسه عقدت بالجمهورية العربية المتحدة والبلدان الحرة بآسيا وأفريقيا عديد من المؤتمرات النوعية على النطاق الأفريقى والآسيوى مثل مؤتمرات الكتاب والأدباء والأطباء وكان للقاهرة دورها الايجابى فى كل منها •

مؤتمر الدار البيضاء يناير ١٩٦١ :

فى يناير ١٩٦١ عقد مؤتمر الدار البيضاء ، واشترك فيه الرئيس جمال عبد الناصر وكان عقد المؤتمر ضروريا لتوثيق العلاقات بين دول عدم الانحياز الأفريقية ، ومواجهة الأخطار الاستعمارية التى تهدد الدول المستقلة حديثا فى أفريقيا • بالاضافة الى ما حققه المؤتمر من تقارب بين الدول الأفريقية التى حاول الاستعمار دائما الفصل بين ما سماه أفريقيا البيضاء وأفريقيا السوداء ، وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن مهمة المؤتمر فى عام ١٩٦١ هى تثبيت الاستقلال بعد أن كان عام ١٩٦٠ عام استقلال أفريقيا لحصول سبع عشرة دولة أفريقية على استقلالها خلاله •

وتمثلت المشكلة بعد الاستقلال فى الحركات الانفصالية التى دبرها الاستعمار ونصب لقيادتها بعض العملاء •

ولا ننسى مشكلة التفرقة العنصرية فى « جنوب أفريقيا » واتحاد وسط أفريقيا الذى تطالب شعوبه بحله واعلان الاستقلال •

وكان على المؤتمر أن يعالج هذه المسائل الحيوية بالنسبة لأفريقيا ، وغيرها من المسائل المتعلقة بوضع دول عدم الانحياز وقضايا التحرر والسلام العالمى •

هذا وقد عنى الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد معالجته لقضايا الجزائر والكونغو وغيرها من القضايا الأفريقية بتركيز الضوء على حقيقة اسرائيل وقيامها بدور القاعدة الاستعمارية وسط العالم العربى ، وقرر أن مشكلة العرب معها ليست مقصورة على مجرد وجود اللاجئين الفلسطينيين المشردين من أراضيهم • كما أوضح سيادته خطورة تعاون فرنسا مع اسرائيل فى المجال الذرى فى محاولة من جانب الاستعمار وعميلته لارهاب الشعوب العربية والأفريقية والسيطرة عليها •

ودق ناقوس الخطر بالتحذير من التسلل الاسرائيلى فى أفريقيا الذى يخفى وراءه مصالح استعمارية تزود اسرائيل ، بالسلاح والاعانات والقروض •

وأعلن الزعيم الراحل أن الجمهورية العربية المتحدة تواجه اسرائيل ، وتحمى البوابة الشمالية الشرقية من القارة الأفريقية ، وأن على دول أفريقيا المتحررة أن تضع حدا للتوسع الصهيونى الاستعمارى فى القارة . وبذلك طرحت مشكلة فلسطين فى أول مؤتمر لرؤساء الدول غير المنحازة فى أفريقيا ، وأصبحت قضية فلسطين قضية أفريقية لأول مرة . وقد أسفر المؤتمر عن وضع ميثاق أفريقيا ويتضمن :

- عدم انحياز الدول الأفريقية لأية كتلة ، وازالة القواعد العسكرية الأجنبية التى تهدد التحرر الأفريقى .
- انشاء قيادة أفريقية (عليا) مشتركة تتألف من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة للدول الأعضاء لضمان الدفاع الجماعى عن أفريقيا ضد أى عدوان على القارة ، وللدفاع عن كل دولة على حدة .
- انشاء لجان لتوحيد سياسة الدول الأفريقية وتنسيقها فى كافة المجالات .
- اعتبار اسرائيل أداة للاستعمار الجديد فى أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط واستنكار تواطىء اسرائيل مع فرنسا فى ميدان التجارب الذرية .
- ضرورة ايجاد حل عادل لقضية فلسطين .

وكان رائعا أن يعلن الزعيم جمال عبد الناصر فى الجلسة الختامية للمؤتمر أن الصحراء أصبحت جسرا ولم تعد فاصلا بين الدول الأفريقية .

وهكذا تبلورت سياسة الدول غير المنحازة فى أفريقيا ، واتخذت ارادتها فى العمل من أجل التحرر والسلام .. ووضعت أسس الوحدة الأفريقية على أساس سليم .

مؤتمر بلغراد سبتمبر ١٩٦١ :

منذ مؤتمر باندونج ١٩٥٥ بدأت الجهود تبذل ، والاجتماعات تتوالى من أجل دعم قضية السلام وقضية الحرية ، وتبلورت أخيرا فى دعوة الى مؤتمر يضم أقطاب الدول غير المنحازة ، وقام بتوجيه هذه الدعوة الرئيسان جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا لتبادل الرأى بشأن الموقف الدولى واقرار وتدعيم السلام والأمن الدوليين .

وفى يونيو عام ١٩٦١ ، انعقد بالقاهرة مؤتمر تمهيدى لوضع خطة مؤتمر القمة لأقطاب الدول غير المنحازة ، ووضع شروط الاشتراك فى المؤتمر .

وقد لقيت الدعوة الى هذا المؤتمر استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب، خاصة وأن العالم فى هذه الفترة كان يمر بمرحلة دقيقة من الحرب الباردة التى كادت تنقلب الى حرب ساخنة مدمرة .. فقد كانت العلاقات الدولية بين الشرق والغرب متوترة بشكل مرعب مخيف ، حتى أن الاتحاد السوفيتى فى صبيحة اليوم الأول للمؤتمر فجر قنبلته الذرية المشهورة ، وجاءت بمثابة انذار للعالم بأن الشرق يملك وسائل التدمير ، ويحسن أن تحل المشاكل الدولية عن طريق السلام بدلا من طريق افناء البشرية .

وبالاضافة الى ذلك ـ فقد اجتمع المؤتمر وقد توقفت محادثات نزع السلاح ، والأمم المتحدة تواجه أكبر تحدياتها فى الكونغو باغتيال لومومبا الزعيم الكونجولى تحت سمع وبصر العالم أجمع وتحت علم الأمم المتحدة لأنه كان ينادى بحرية بلاده واستقلالها ، وكانت الجزائر ما زالت تناضل من أجل استقلالها ، ودول أفريقية كثيرة مازالت ترزح تحت وطأة الاستعمار وحكومة جنوب أفريقيا وروديسيا تمارسان التفرقة العنصرية ، واستعباد أصحاب البلاد الوطنيين .

وقد صدرت عن هذا المؤتمر عدة قرارات تعالج كل المشكلات العالمية التى تهدد البشرية بفناء تام ، والقرارات فى واقعها دعوة للسلام ، صادرة عن مشاعر صادقة لنصف شعوب الأرض ممثلة فى المؤتمر ، وأغلب شعوب

العالم أجمع ولو لم تكن ممثلة فى المؤتمر ولكنها تحس هذه المشاعر وتتجاوب مع هذه الأحاسيس وكان انبثاق هذه القرارات من واقع المبادىء التى تعتنقها الدول والشعوب الممثلة فى المؤتمر ـ الأمر الذى أضفى عليها واقعية وجدية وقد تضمنت القرارات :

ـ وجوب تجنب الحرب ، واستبعادها كوسيلة من وسائل فض المنازعات الدولية .

ـ وضع حد للحرب الباردة ، بل يجب أن تتوقف تماما .

ـ يمكن تحقيق التعايش السلمى بين مختلف الشعوب وان اختلفت أنظمتها .

ـ يجب وضع حق تقرير المصير موضع التطبيق ، وأن تقوم العلاقات الدولية على أساسه .

ـ يجب القضاء على أسباب الحروب ، وفى مقدمتها الاستعمار الذى يجب أن يزول .

وقد حقق المؤتمر الأغراض التى عقد من أجلها ، وهو وان كان لا يمكن فرض السلام الا أنه بذل غاية ما يستطيع له ورسم الطريق الموصل اليه .

نتائج المؤتمر الايجابية :

أسفر المؤتمر عن عقد المؤتمر الاقتصادى للدول النامية فى القاهرة فى يوليو ١٩٦٢ لمواجهة نتائج التكتلات بالنسبة للدول النامية الآخذة بأسباب التطور الاقتصادى لمواجهة الاستعمار الجديد فى سياسته نحو التمييز التجارى ضدها ، وهبوط أسعار مواردها الأولية فى الوقت الذى يرفع فيه الغرب أسعار منتجاته الصناعية مما يشكل عقبة فى سبيل التبادل التجارى العالمى بوجه عام ، وكان هذا مما مهد السبيل لعقد مؤتمر يضم الدول المتقدمة أيضا تحت اشراف الأمم المتحدة .

هذا ، وقد عالج الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى خطابه أمام أقطاب مؤتمر بلجراد الشئون الدولية معالجة واقعية ، وكان يردد صيحة الشعوب العربية ، وغيرها من الشعوب المناضلة للتحرر من الاستعمار وأدان الصهيونية

والتفرقة العنصرية ، ودعا للتعايش السلمى والسلام القائم على العدل ، واتاحة الفرصة أمام الشعوب الناهضة والمتخلفة لاستكمال نموها ، وتقريب التفاوت بين مستويات المعيشه فى مختلف البلدان •

وتقدم عبد الناصر بالاقتراح الخاص بتوجيه الدعوة الى كل من الرئيس جون كنيدى ونيكيتا خروشوف (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى) للتفاوض بينهما فى كل المشكلات المعلقة بين بلديهما ، الأمر الذى يساهم فى دعم السلام العالمى ووافق المؤتمر على اقتراح الزعيم الخالد •

وأعرب عبد الناصر فى خطابه فى مؤتمر بلجراد عن ثقته فى قدرة الدول غير المنحازة على خدمة السلام فقال « ان هذه الدول أقدر على الحركة الطليقة المتجردة ، تقريبا لأسباب الخلاف بين الكتلتين ، ودعما لأسباب التفاهم ، كما أن هذه الدول تتحمل مسئولية خاصة تجاه السلام » •

وبنـاء على جهود عبد الناصر فى المؤتمر لكشف اسرائيل وحقيقتها الاستعمارية العنصرية العدوانية فى الشرق الأوسط •

كان قرار المؤتمر بالتنديد بالسياسة الاستعمارية فى هذه المنطقة ، وتأييد اعادة جميع حقوق الشعب العربى فى فلسطين •

كما أوضح سيادته مفهوم التعايش السلمى فى خطابه أمام المؤتمر قائلا : « ان التوتر الدولى الذى تعكسه الحرب الباردة بين الكتل هو نتيجة واضحة لعدم الايمان الكافى بضرورة التعايش السلمى ، والتعايش السلمى لا يمكن أن يكون هدنة مسلحة ، وانما التعايش السلمى بمفهومه الحقيقى هو التعاون الخلاق المثمر بين كافة الدول ، وبين كافة الأنظمة الاجتماعية لتستطيع جميعا أن تثبت جدارتها فى خدمة الانسان الحر ، ثم ليكون بينهما التفاعل القادر على دفع التطور المستمر لشعوب العالم جميعا ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا » •

ومن الجدير بالذكر أن عبد الناصر تقدم بعدد من الاقتراحات كان لها أثرها فى انجاز المؤتمر لجدول أعماله فى الوقت المحدد له (١ — ٦ سبتمبر ١٩٦١) •

وهكذا ، كانت دعوة عبد الناصر لعقد المؤتمر ، وجهوده المضنية فى سبيل نجاحه ورأيه المخلص لوضع قراراته موضع التنفيذ من أهم العوامل التى أدت الى أن يصبح هذا المؤتمر انتصارا تاريخيا كبيرا لدعوة عدم الانحياز ، ودليلا صادقا على قوة هذه الدعوة ، ومدى انتشارها ، وجدوى مبادئها السلمية التقدمية واستنكارا للاستعمار ووجوب القضاء عليه .

فقد كانت دول عدم الانحياز وراء قضايا التحرر ، وفى مقدمتها قضايا الجزائر وايريان وعمان .

وقد استقلت الجزائر ، وانتقلت ادارة ايريان للأمم المتحدة تمهيدا لتسليمها لاندونيسيا فى عام ١٩٦٣

كما ساهمت الدول غير المنحازة بقدر كبير فى الجهود التى أدت الى توصية الأمم المتحدة بمنع استخدام الأسلحة النووية فى نوفمبر ١٩٦١ ، والتوصية الخاصة بجعل أفريقيا منطقة مجردة من الأسلحة النووية ، واستنكار الجمعية العامة لسياسة التفرقة العنصرية فى جنوب القارة الأفريقية ، كما كان لجهودها أكبر الأثر فى دفع خطر الحرب النووية الذى نجم عن اعلان الولايات المتحدة لحصارها البحرى على كوبا .

وعندما استأنفت الولايات المتحدة الأمريكية تجاربها النووية فى الجو فى ابريل ١٩٦٢ ضغطت الدول غير المنحازة على الاتحاد السوفيتى حتى لا ينسحب من مؤتمر نزع السلاح ثم دعت لوقف جميع التجارب النووية فى الحال أو فى موعد أقصاه يناير ١٩٦٣ حتى يتم توقيع معاهدة لحظر هذه التجارب .

ونسجل هنا كلمات الدكتور محمود فوزى — وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة فى ذلك الوقت فى مؤتمر جنيف فى ٢١ مارس ١٩٦١ ، لأنها تعبر عن ضمير مصر عبد الناصر ، وموقف جميع الشعوب من قضية نزع السلاح فقد قال :

« ان لشعوب العالم الحق فى أن تسألنا أو تسأل بعضا منا : ألم تنتجوا فعلا من الأسلحة ما يكفى تدمير البشرية بأسرها ؟ ألم تلوثوا الجو بتجارب

أسلحتكم النووية ، ألم تسمموا الهواء الذى نتنفسه ، اللبن الذى نشربه ، والطعام الذى نتناوله ، ومن الذى أعطاكم تصريحا لتفعلوا هذا ؟ .

ينبغى لذلك أن نوقف مرض التسليح النووى حتى لا يصبح وباء ، وأن نبذل كل جهودنا لنزع السلام » .

وتوجت جهود عبد الناصر فى عالم عدم الانحياز حينما انعقد مؤتمر القمة الثانى فى القاهرة .

مؤتمر عدم الانحياز الثانى ــ القاهرة ٥ اكتوبر ١٩٦٤ :

منذ عقد مؤتمر بلغراد تغير وجه العالم نتيجة أحداث هامة وتطورات بارزة . فقد خفت حدة التوتر الدولى بالاتفاق الجزئى لنزع السلاح ــ وزاد تمثيل الدول الافريقية والآسيوية فى منظمات الأمم المتحدة ، واستقل عدد كبير من الدول الافريقية ، ورسمت لنفسها طريق عدم الانحياز فى علاقاتها الدولية ــ وكان نتيجة ذلك أن هدأت الحرب الباردة ، والفضل فى ذلك لسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وافتتح المؤتمر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر بخطاب أعلن فيه مبادىء تدعيم السلام والتعاون الدولى والسلوك الدولى فى المرحلة الجديدة التى يواجهها العالم ، وهى مرحلة بناء السلام ، وأطلق الرئيس جمال عبد الناصر على مؤتمر باندونج أنه مواجهة شرور الاستعمار وفى رأيه أن مؤتمر بلغراد كان مؤتمر مواجهة خطر الحرب . . واقترح أن يكون مؤتمر القاهرة ــ هو مؤتمر تدعيم السلام عن طريق التعاون الدولى وأعلن أمام المؤتمر الكبير مبادىء خمسة لتدعيم السلام ، وهذه المبادىء هى :

ــ أن السلام ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وانما هو التسوية فى الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها .

ــ أن تحقيق الشروط والأحوال اللازمة للسلام هو أمر يهم جميع الدول ويعزز اشتراكها جميعا فى المسئولية .

- أن العدل وحده سيصنع السلام •
- أن السلام لا يستقر اذا استند على تجميد الأوضاع الظالمة ، وأن المعاهدات الجديرة بالاحترام هى معاهدات الحرية والاختيار التى لا تخالف مبادىء الأمم المتحدة •

- أن التعاون الدولى بين الشعوب لا يتحقق الا اذا تلاشت الفوارق فى مستويات الحياة بينها ، وتأكدت لها جميع حقوقها المسلوبة •

وأوضح عبد الناصر الظروف المتغيرة التى عقد فيها هذا المؤتمر • ثم عدد التغيرات التى حدثت منذ مؤتمر بلجراد ، وأبرزها الهدوء النسبى فى الحرب الباردة والانتصارات المستمرة ضد الاستعمار وأسفر ذلك عن أمرين :

- أن ميزان الرعب النووى ، مضافا اليه ضغط الضمير العالمى ، حقق هدنة محققة فى المجال الدولى ، وهى وان كانت ظاهرة مشجعة ، الا أنها ليست السلام الذى يدوم ولذا سميت بالهدنة القلقة •
- أن المفهوم الحقيقى لعدم الانحياز هو العمل من أجل سلام يدوم ومعنى ذلك أن يقوم على العدل ، وعلى شركة الرخاء بين الشعوب •

كما أبرز الزعيم الراحل أن معالم الطريق الى السلام تبدو فى :

- أن الاستعمار يجب أن يزول بجميع أشكاله وألوانه ، وتحت عنوان الاستعمار توضع سياسة القمع للمستعمرات البرتغالية ، والجنوب العربى المحتل وعدن وعمان ، وسياسة الأحلاف العسكرية ، وسياسة الاستيلاء على أرض الشعوب ، كما نرى فى فلسطين ، وسياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا •

- أن عملية نهب ثروات الشعوب يجب أن تتوقف ـ وأن مطلب العدل الاجتماعى الذى يؤدى الدور الأكبر فى تحريك الحوادث داخل كل الوطن يوشك الآن أن يؤدى دوره على مستوى العالم كله •

— أن الفوارق المؤلمة فى مستويات معيشة الشعوب تضع العـــالم على فوهة بركان لا يهدأ ولا يستقر • • فلا يستطيع الفقر والغنى أن يعيشا فى سلام جنبا الى جنب •

— يجب أن تترك للشعوب فرصة لاعادة صنع حيـــاتها من جـديد ، وأن الحروب الصغيرة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينيـــة وانقلابات الداخل المدبرة من الأجهزة الخفية للدول الكبرى التى تتـكرر أمام الشـعوب بلا خجل ، ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية التى يجرى التمهيد لها بوسائل متعددة وتجارة الجنود المرتزقة ، ومحـاولات التأثير النفسى على الشعوب التى ترفض الخضوع والتبعيـــة — يجب أن تتوقف كلهـا جميعا •

تم لمس عبد الناصر مسائل بالغة الخطورة والحساسية :

— عقود الامتياز القديمة وضرورة مراجعتها •

— الضغط المستمر على أسعار المواد الخام وتخفيضها •

— ضرورة التعاون بين المتقدمين والمتخلفين •

وتعرض الزعيم الخالد فى خطابه الى ميثاقالأمم المتحدة ووجوب تطويره بما يناسب التغييرات العالمية التى طرأت على العالم منذ وضع الميثاق حتى الآن ، وحتمية مسايرة الميثاق للأحداث الدولية حتى يكون مطابقا للواقع وأكثر تمثيلا للحقائق العالمية ، وأكثر قدرة على حفظ السلام العالمى والتوازن الدولى •

ونادى بوجوب نزع السلاح تأكيدا للسلام ، وتعميقا لمعناه ، وأن توجه اعتمادات التسليح الى مشاريع التنمية الخلاقة •.

وأبرز عبد الناصر قضية فلسطين ، كصورة بشعة من صور الاستعمار الحديث ، وعملية قرصنة دولية ، وسببا من أسباب التوتر الدولى لا فى الوطن العربى فحسب بل فى العالم كله وأشار اليها بقوله :

« ان الاستعمار اغتصب متخفيا وراء الحركة الصهيونية العالمية المتحالفة معه قطعة من قلب الأمة العربية ، وطرد شعبها ، وأقام عليها وسط الأرض العربية قاعدة عدوانية مسلحة تهدد مطلب الحرية العربية ومطلب الوحدة العربية ومطلب التقدم العربى • •

هكذا وقف عبد الناصر فى كل مناسبة يدعو الى تصفية كل آثار الاستعمار وتقديم كل عون لجميع الشعوب المناضلة ضد الاستعمار القديم والجديد ، ومن ذلك يتضح أن مبادىء الحياد الايجابى وعدم الانحياز لا تقتصر على المفهوم السياسى فقط ، وانما تتعدى ذلك الى كل نواحى التبعية وفى مقدمتها التبعية الاقتصادية • فالموقف الحيادى يحتم على الدول الممارسة له أن تحرر نفسها من أى تبعية اقتصادية أو قبول أى معونات مشروطة ، وأن تبتعد عن ميادين الحرب الاقتصادية الباردة ، وتبنى اقتصادها المستقل وتطوره بسرعة لتعوض مافاتها من سنوات القهر والاستغلال ، وتحقق التغيرات الاجتماعية الثورية وتبدأ نموها الاقتصادى المتحرر •

ولما كانت الدول الاستعمارية قد اتخذت موقفا اقتصاديا موحدا نحو الدول النامية فى علاقاتها الاقتصادية معها بما يتفق ومصلحتها ، وليس لمصلحة هذه الشعوب فان الدول النامية قد أدركت ما تهدف اليه وحدة الدول الاستعمارية من منع الشعوب النامية من تحقيق استقلالها الاقتصادى ، ولهذا رسمت سياستها غير المنحازة على أساس تحرير اقتصادها من أى تبعية ، ثم محاربة كل التكتلات الاقتصادية التى تهدف الى تحقيق مصالح الدول الكبرى على حساب التضحية بمصالح الدول الصغرى • وضرب عبد الناصر المثل فيما قام به فى بلاده فى هذا المجال •

هذا ، وتعتبر مجموعة دول عدم الانحياز نتاجا طبيعيا لسياسة التعايش السلمى ، وتزايد عدد هذه المجموعة حتى أمكن تثبيت مبادىء التعايش السلمى بما حقق المزيد من التقدم الانسانى والحضارى •

من ذلك يتضح أن تدعيم مبادىء التعايش السلمى ، واتساع نطاق الدول المؤمنه بهذه المبادىء سيؤدى الى المنافسة السلمية بين الدول فى مبادىء الحضارة للتنمية الاقتصادية وتوجيه الصراع الى ميادين البناء السلمى، مما يوفر للشعوب قدرات وطاقات متزايدة لسد حاجات الانسان المادية والمعنوية ورفع مستوى معيشته ، وتمكينه من ممارسة حقوقه السياسية والاقتصادية على أوسع نطاق •

ان التعايش السلمى هو الطريق لخلق الانسان الجديد والعالم الجديد والقيم الانسانية المثالية •

عبد الناصر والوحدة الافريقية :

كان لعبد الناصر دوره الايجابى فى تنظيم الجهود وانشاء المنظمات لتحقيق الوحدة الافريقية ، وترسيخ الوعى بالانتماء الى افريقيا كقارة ،وكان يندد دائما بمؤامرات الاستعمار لعزل مصر عن افريقيا لمحاولة ايجاد تناقض مصطنع بين عروبة مصر وافريقيا ،ومحاولة تصوير حوافز الوحدةالعربية باعتبارها متعارضة مع حوافز الوحدة الافريقية •

فمنذ قيام ثورة عبد الناصر فى ١٩٥٢ ، اشتركت مصر اشتراكا فعالا فى مساندة الحركات التحررية فى القارة ، وأصبحت القاهرة قلعة للثائرين الافريقيين ، وقاعدة لقادة الحركات القومية فى نضالهم ضد الاستعمار ، كما كانت دواما بالنسبة لنضال الشعب العربى •

فقد كان عبد الناصر يرى أن قضية الحرية لا تتجزأ وأن نضال شعوب آسيا وافريقيا لا يجرى فى عزلة عن نضال الأمة العربية (*)

(*) من كلمة عبد الناصر فى ٩ مايو ١٩٦٤

وقف عبد الناصر الى جانب شعب الكونغو ، كما وقف قبلها الى جانب شعب الجزائر والشعوب العربية فى شمال افريقيا حتى تحررت • وقف الى جانب نضال كينيا ، وقف ضد محاولة الانفصال فى نيجيريا وأسهم فى صندوق تمويل هذه الحركات التحررية ، وأدان التفرقة العنصرية فى روديسيا وجنوب أفريقيا وقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا تضامنا منه مع بعض الدول الافريقية التى اتخذت مثل هذا القرار لميوعة موقف الحكومة « البريطانية » عندما أعلنت حكومة الأقلية البيضاء فى روديسيا استقلالها على حساب الغالبية العظمى من شعب روديسيا المناضل •

وكانت لجهود عبد الناصر وقادة الدول الافريقية الأثر الايجابى فى جمع الاتحادات الافريقية المحدودة مثل ما أطلق عليه مؤتمر مونروفيا الذى ضم بعض الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية ومؤتمر أكرا ومؤتمر الدار البيضاء •

وفى ٢٥ مايو ١٩٦٣ وفى ختام اجتماعات المؤتمر الافريقى بأديس أبابا وقع عبد الناصر مع أربعة وعشرين زعيما أفريقيا ميثاق منظمة الوحدة الافريقية، وكان مؤتمر القمة الأفريقى الثانى بالقاهرة ، واستمرت الدول الأفريقية فى اللقاء سنويا من خلال منظمة الوحدة الافريقية هادفة الى محاربة الاستعمار وتدعيما لكفاح الشعوب فى نضالها فى سبيل التحرر •وتحققت أمنية عبد الناصر فى أن تسير مصر نحو الوحدة الافريقية مسيرتها فى طريق الوحدة العربية الشاملة • فقد كتب عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة قائلا :

« • • • اننا لن نستطيع بحال من الأحوال حتى لو أردنا — أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتى مليون من الأفريقيين •

لا نستطيع لسبب هام وبديهى • هو أننا فى افريقيا •

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين تعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله •••

ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهو أبرز سمات القرن العشرين .. »

هكذا كان لعبد الناصر رصيده الضخم فى نضاله ضد الاستعمار ومن أجل تصفية مواقعه فى العالم الثالث . فان حربه المستمرة ضد الاستعمار رسمت المعالم الرئيسية لصورة عبد الناصر فى سجل التاريخ ، وأكسبته مكانا عالميا ، ومنحته شرف عداوة الاستعمار العالمى .

لقد ناضل عبد الناصر بشجاعة نادرة ، وصبر لا حدود له دون ما تردد فكانت مؤامرات الاستعمار تحاك ضده فى أكبر عواصم العالم ، للتخلص من نظامه والقضاء على حياته . وحفظ الله جمال عبد الناصر وباءت كل المؤامرات بالفشل ، فقد كان فى قلوب الملايين من شعوب العالم المناضلة والمتطلعة الى الحرية والعزة والكرامة فقد ارتفع صوت عبد الناصر فى كل مناسبة معبرا عما يجيش فى صدورها .. صوتا قويا شجاعا مهيبا ..

كانت مبادئه صامدة كالطود الشامخ تنادى بالحرية وترفض التبعية ، وقف يهاجم الغرب الاستعمارى دائما ، وهاجم الشيوعية الدولية عندما حاولت التدخل فى شئوننا الداخلية للنيل من القومية العربية ، وذلك عندما لاح لها فى العراق ركيزة لنشر عقيدتها فى الوطن العربى عامى ١٩٥٨/١٩٥٩

كان جريئا على الرغم من مساندة الاتحاد السوفيتى فى جميع المجالات لمصر المستقلة ووقوفه بجانبها فى معاركها دائما ضد الاستعمار الغربى .

ولقد كان لموقف عبد الناصر وثباته ووضوح مبادئه أن اكتسب الاتحاد السوفيتى كأشرف الأصدقاء ، اكتسبه الى جانب مبادىء الحق والعدل ومناصرا لجميع حركات التحرر العالمية .

الفصل الخامس

حرب عبد الناصر ضد الاستعمار في الوطن العربي

« .. رفضنا الدعوة الى الاحلاف ... وقلنا لنا فكرة نؤمن بها كل الايمان .. لان أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة .. فطلبنا من الدول العربية أن تتضامن تحت لواء الدفاع المشترك .. لان هذه الأحلاف .. هى احلاف الذئب مع الحمل .. ولا بد أن يأكل الذئب الحمل .. » .

جمال عبد الناصر

كان الوطن العربى دائما فى حساب القوى الاستعمارية ، وقامت الثورة المصرية فى يوليو ١٩٥٢ والبلاد العربية دون استثناء ، اما محتلة بقوات دول الغرب الاستعمارية ، واما مستقلة استقلالا سياسيا زائفا يتربع على قمم السلطة فيها حكام رجعيون من عملاء الاستعمار .

ولم تكد أقدام الثورة المصرية التى فجرها جمال عبد الناصر ترسخ على أرض مصر ، حتى بدأ المناضل يطلق نداءاته المدوية ، داعيا الى العمل العربى الموحد والثورة العربية فى مواجهة الاستعمار . « ... ما دامت المنطقة واحدة ... وأحوالها واحدة ... ومشاكلها واحدة ... ومستقبلها واحد ... والعدو واحد مهما يحاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة ـ فلماذا تشتت جهودنا ؟ (*)

كان لدعوة القومية العربية التى تحققت فعلا بالوحدة بين مصر وسوريا أثرها فى قيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ التى أطاحت بالنظام الملكى وأعلنت الجمهورية العراقية ، وأسقطت حلف بغداد وكانت تأكيدا للشخصية العربية التى أبرزها عبد الناصر فى مؤتمر باندونج ، كما كانت كشفا

(*) من فلسفة الثورة ـ جمال عبد الناصر .

للعناصر الرجعية وتفجيرا للشرارة الثورية التى أمكن على ضوئها أن يرى الانسان العربى حقيقة الاستقلال الاجتماعى •

ومضى المد الثورى بعدها يجرف الاستعمار والرجعية فانتصر شعب الجزائر فى معركة التحرير ، وسقط الحكم الملكى الاقطاعى فى اليمن ••• وقامت ثورة السودان •• ثم ثورة ليبيا •• وكلها بفضل مساندة عبد الناصر ودعمه السياسى والعسكرى والاقتصادى •• فرفعت كلها شعارات ناصر « فى الحرية والاشتراكية والوحدة » •

وتعددت أسلحة عبد الناصر فى حربه الدءوب ضد الاستعمار فى الوطن العربى وبدأ يفضح أساليبه ، فكانت حربا شعواء على الاستعمار وأعوانه من اذاعة صوت العرب بالقاهرة منذ يوليو سنة ١٩٥٣

ووقف عبد الناصر يساند النضال العربى لدول حركة التحرر الوطنى بكل الوسائل الممكنة ، سواء من خلال العلاقات المباشرة بينها أو من خلال المنظمات والمؤتمرات الدولية ، فلم يبخل عليها بالقروض والمعونات والدعم المادى والعسكرى • وأبرز القضايا العربية فى المؤتمرات العالمية وخاصة قضية فلسطين •

هكذا وقف عبد الناصر يساند الشعوب والدول العربية فى كل زمان ومكان ، وان استعراض مواقفه الايجابية فى هذا المجال لا يتسع لها هذا البحث بل تحتاج الى مزيد من البحوث كى نوفيها حقها فى العرض •

لقد كانت مساندة عبد الناصر للأمة العربية فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والديبلوماسية تكاد تكون كل يوم بل وكل ساعة وفى كل مناسبة وتحت أى ظروف ، وعلى كل المستويات الرسمية والشعبية وفى المحافل والمؤتمرات الاقليمية والدولية •

ويهمنا فى هذا الفصل الاشارة الى نضال عبد الناصر ومقاومته لحلف بغداد الاستعمارى ومسانداته البارزة للدول والشعوب العربية وسنعرض فى الفصل السادس نضاله ضد الأحلاف الأخرى التى أقامها الاستعمار بوصفها حربا منه للقضاء على زعامته واسقاطه •••

الجـــزء الأول

حلف بغداد

قامت الثورة المصرية وانتصرت بقيادة عبد الناصر على قوات الاحتلال البريطانى وتم جلاء قواته . وأراد الاستعمار اعادة فرض سيطرته ونفوذه على المنطقة العربيـة بفرض حلف سمى بحلف بغـداد نسبة الى عاصمة العـراق التى تم التوقيع عليه فيها .

وفى عام ١٩٥٤ بدأت المباحثات والاتصالات بين تركيا (عضو منظمة حلف الاطلنطى) والعراق بحجة تنظيم الأمن فى الشرق الأوسـط استنادا الى معاهدة الصداقة المبرمة بين البلدين عام ١٩٤٦ . وفطن عبد الناصر الى هذه التحركات المريبة فتوجه وزير الارشاد المصرى الى الدول العربية للتفاهم معها فى هـذا الشأن حرصـا على وحـــدة العرب ، وأن مصالحهم لن تتحقق بالتحالف مع آخرين خارج المنطقة وأن السبيل الى ذلك تحـويل معاهـدة الضمان الجماعى العربى الى حقيقة واقعة بتدعيمها بواسطة الدول العربيـة نفسها مع تدعيم الجامعة العربية واتاحة جميع الامكانيات التى تمكنها من القيام بدورها الأساسى وهو تكتل العرب وجمع كلمتهم وانبثاق أمن المنطقة من داخلها . وأقر جميع المسئولين بالبلاد العربية وجهة نظر عبد الناصر القومية عدا رئيس وزراء العراق نورى السعيد العميل الاستعمارى الذى حضر الى القاهرة فى أغسطس سنة ١٩٥٤ وتباحث معه عبد الناصر بشأن تقوية ميثاق الضمان الجماعى للدول العربية واتضح من مناقشته أبعاد المؤامرة الاستعمارية المستقبلة حيث أشار بتوسيع نطاق هذا الضمان بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيـا وايران وأصر على رأيه . وســارع جمال عبد الناصر للاجتماع بوزراء الخارجية العرب فى مجلس جامعة الدول العربية فى ديسمبر

١٩٥٤ وأكد لهم أن سياسة الدول العربية وسيادتها يجب أن تقوم على أساس تدعيم ميثاق الضمان الجماعى العربى واتاحة الامكانيات اللازمة لجعله أداة فعالة مع تقوية الجامعة العربية ، وطلب الوزراء استشارة حكوماتهم على أن يعودوا للاجتماع فى منتصف يناير عام ١٩٥٥ ، وقبل هذا التاريخ أراد نورى السعيد عميل الاستعمار أن يضع الدول العربية أمام الأمر الواقع وصدر بيان تركى عراقى مشترك بشأن عزم الدولتين على عقد ميثاق للتعاون بين الدولتين وبادر عبد الناصر الى اتخاذ خطوات ايجابية لمواجهة هذا الخطر الاستعمارى الجديد فأرسلت مصر على الفور فى دعوة رؤساء الدول العربية الموقعة على ميثاق الضمان الجماعى للاجتماع فى القاهرة فى يناير ١٩٥٥ ، ولم يدع مناسبة على الصعيد الشعبى والعربى الا وفضح سياسة الأحلاف ورفض مصر لسياسة ربط العرب بأى دولة أجنبية وأنها مصممة على الدفاع عن نفسها وعن العرب بجهاز ينبثق من ارادتها وارادة الشعوب العربية الا أن نورى السعيد أصر على موقفه وأوفد وزير خارجيته الدكتور فاضل الجمالى الى سوريا ولبنان فى منتصف فبراير ١٩٥٥ لاقناعهما بالانضمام الى الحلف ، وأمام ثورات جماهير الشعب العربى فى كل مكان لم تكلل جهوده بالنجاح فتم توقيع الحلف التركى العراقى فى بغداد فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ، وظهر مدى تبعية هذا الحلف للاستعمار الغربى فوصفه وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية فى اليوم التالى بأنه يعتبر مساهمة ايجابية فى الدفاع عن الشرق الأوسط . وأعلن ايدن رئيس وزراء بريطانيا أمام مجلس العموم البريطانى فى ٣٠ مارس أن الهدف من الحلف هو تكوين رابطة جديدة مع العراق ، وأن فى انضمام بريطانيا اليه تعزيزا لنفوذها ورفعا لصوتها فى شئون الشرق الأوسط ، وانضمت اليه رسميا فى ابريل بموجب اتفاق خاص مع العراق حل محل معاهدة سنة ١٩٣٠ السابقة وتبعتها باكستان فى يوليو وايران فى نوفمبر وظلت الولايات المتحدة مكتفية بالمراقبة فى لجان الحلف ومساعدته

اقتصـــاديا وانتهى الأمر بهـــا بالانضمام رسميا الى لجنتــه العسـكرية فى يونيو ١٩٥٧(*)

وواصل عبد الناصر مهاجمته لحلف بغداد فاضحا أبعاده ومقاصده ، ولما عيلت الدوائر الاستعمارية والرجعية صبرا من اقناع حكومتى الأردن وسـوريا سياسيا ودبلوماسيا بالدخـول فى الحلف ، بدأت المؤامرات لقلب الحكومتين بتهريب الاسلحة والأموال للعملاء لاشعال الفتن الداخلية واشتعلت الثـورة الوطنية بالأردن فى نهـاية عام ١٩٥٥ وانتهى الأمر بطرد جلوب قائد الجيش الأردنى ، الانجليزى الجنسية ، وقاومت سوريا حكومة وشعبا فقـام الاستعمار بتدبير المظاهرات العسكرية على الحدود السورية بحشد القـــوات التركية والعراقية بدعوى القيام بمناورات عسكرية • وأمام اصرار الحكومة الوطنية السورية على عـدم الانحياز لسياسة الأحـلاف الاسـتعمارية وثورة الشعب السورى العارمة ومساندة عبد الناصر تحطمت أسطورة ضم سـوريا الى حلف بغداد • وهفت القلوب السورية الى الوحدة مع مصر عبد الناصر وأعلن مجلس النواب السورى فى يوليو ١٩٥٦ مطالبة الشعب السورى باقامة اتحاد فيدرالى مع مصر ، وشن الاستعمار عدوانه الثلاثى على مصر ، ورفـع الستار عن حقيقة حلف بغداد عندما وضعت القواعد البريطانية فى الحبانيـة بالعراق فى خدمة القـوات المعتدية • وقامت الجمهورية العربية المتحدة باتحاد الاقليمين السورى والمصرى فى فبراير سـنة ١٩٥٨ واستمر الاسـتعمار فى حربه ضد عبد الناصر لاسقاطه ، وقد أوضحنا ذلك تفصيلا فى الفصل السادس من حلف استعمارى أمريكى (مشروع أيزنهاور) الى تدبير مؤامرة الانفصال الرجعية فى سوريا وممارسة الضغوط بالحصار الاقتصادى ثم الحلف الاسلامى وعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧

(*) كتب قومية ـ احلاف العدوان الأمريكية فؤاد دواره •

الجــزء الثانى

مساندة الشعوب والدول العربية فى نضالها

ايمانا من عبد الناصر بالوحدة العربية وأنها الطريق الى تحرير الأمة العربية من طغيان الاستعمار وتحكمه فى مقدراتها فانه لم يدع شعبا الا وسانده فى ثورته ومقاومته لطغيــان الاســتعمار • وتحرر السودان وتونس والمغرب والجزائر والــكويت واليمن وجنوب اليمن والأردن ، وقامت الثورات التقدمية فى سوريا والعراق والسودان وليبيا للقضاء على النظم اليمينية وسياستها الموالية للإستعمار وبرز الكيان الفلسطينى الى الوجود معلنا حقيقة اسرائيل صامدا فى معركته المريرة القاسية للقضاء عليها •

السودان :

منذ قام عبد الناصر بثورته وهو يساند الشعب السودانى لنيل اسـتقلاله وجلاء القوات البريطانية عن أرضه وكان دور الزعيم الخالد عظيما • فقــد عمل على استقلال السودان قبل استقلال مصر واستخدم كل الحذق والمهــارة السياسة فتمكنت الثورة المصرية من عقد اتفاق مع الأحزاب السودانية سجل فى وثيقة أصبحت أساسا للمفاوضات مع بريطانيا وحطم عبد الناصر الصخرة التى طالمــا تحطمت عليها مباحثات الجلاء عن مصر بالموافقة على اعطاء الشعب السودانى حقه فى تقرير المصير • ووقعت اتفاقية السودان فى فبراير ١٩٥٣ مع الجانب البريطانى ونصت على تهيئة الجو المحايد الحر الذى لابد من توفره لتقرير المصير • وخلال فترة الانتقال بادرت بريطانيا بسحب قواتها المسلحة وانسحب الجيش المصرى تاركا أسلحته الثقيلة هدية لجيش السودان وأعلن استقلال السودان فى أول يناير ١٩٥٦ • وساند عبد الناصر الثورات التى قامت به لمحاولة التخلص من قــوى الرجعية ، وأيد ثورته الأخيرة بقيــادة اللــواء جعفر نميرى فى مايو ١٩٦٩ الذى أعلن أهدافها الثورية التقدمية • والتقت ثورته مع ثورة عبد الناصر الأم الى أن تم اعلان ميثاق طرابلس بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا على طريق الوحدة والحرية والاشتراكية •

تونس :

تحررت تونس من الاستعمار الفرنسي عام ١٩٥٥ واحتفظت فرنسا بقاعدة عسكرية لها فى بنزرت • ورغم هجوم مندوبها السافر ضد شخص عبد الناصر في حفل مجلس اتحاد دول الجامعة العربية ترحيبا بقبول تونس عضوا بها عام ١٩٥٨ الا أن المناضل العربى لم يتقاعس عن مناصرة الشعب التونسى وحكومته ضد العدوان الفرنسى فى قاعدة بنزرت وأعلن فى يوليو ١٩٦١ تقديم الامدادات العسكرية الى تونس لصد القوات الفرنسية فى عدوانها على الشعب التونسى وطالبت الجمهورية العربية المتحدة مجلس الأمن بجلاء القوات الفرنسية عن الأراضى التونسية وقامت بتقديم مساعدات بحوالى ٢٠ ألف جنيه لأسر ضحايا العدوان الفرنسى • وتم جلاء فرنسا فى ديسمبر ١٩٦٣ ودعت الحكومة عبد الناصر البطل لزيارتها فكان الاستقبال الشعبى الحماسى له تقديرا لنضاله •

المغرب :

كان لتأييد مصر عبد الناصر الأثر الفعال فى استقلال المغرب وتحريرها من الاستعمار الفرنسى بناء على الاتفاقية المغربية الفرنسية عام ١٩٥٥ • فقد أيد عبد الناصر ثورة شعب المغرب بقيادة السلطان محمد الخامس الذى نفاه المستعمر الفرنسى الى جزيرة مدغشقر وأقام بدلا منه «الجلاوى» أحد عملائه • وأمام الارادة الشعبية ومساندات عبد الناصر للحركة الوطنية المغربية رضخ الاستعمار وأعاد السلطان الى المغرب وتحقق استقلالها • وقد شارك السلطان الثائر فى مساندة ثورة الجزائر عندما اتفق معه عبد الناصر على أن تكون المغرب قاعدة انطلاق لثورة الجزائر وحملت البواخر المصرية الأسلحة الى المغرب وتم تهريبها الى ثوار الجزائر لمواصلة نضالهم ضد الاستعمار الفرنسى وقد حضر السلطان الى الجمهورية العربية المتحدة وشارك عبد الناصر فى اطلاق اشارة بدء العمل فى مشروع السد العالى فى يناير ١٩٦٠

الجزائر :

كانت مساندات عبد الناصر لثورة الجزائر غير محدودة منذ اندلاع شراراتها الأولى فى نوفمبر ١٩٥٣ فقدم لها العون السياسى والاعلامى والمادى والعسكرى الى أن تحقق استقلالها ، وثاب الاستعمار الفرنسى الى رشده أمام الثورة العارمة ووقعت فرنسا مع الحكومة الجزائرية المؤقتة اتفاقية ايفيان فى مارس ١٩٦٢ تمهيدا لاستقلالها • وسارع عبد الناصر الى دعمها ماديا فى مرحلة الاستقلال الأولى بأيفاد مصريين فى يناير سنة ١٩٦٣ لتشغيل المصانع التى توقفت بعد الهجرة التخريبية للمستوطنين الفرنسيين • وعقد اتفاقية صناعية معها لاقامة مصنع للنسيج بحوالى ٨ مليون جنيه • وتقرر منحها قرضا قيمته ١٠ مليون جنيه لتنفيذ مراحل بناء الاقتصاد القومى • وعاد عبد الناصر لمساندتها عسكريا بارسال قوات من الجيش المصرى اليها فى نوفمبر ١٩٦٣ لمشاركة جيشها وشعبها فى حمايتها من المؤامرات والتحرشات العسكرية المغربية على حدودها بحجة المطالبة بجزء من أرضها •

الكويت :

وقف عبد الناصر بجانب الكويت الى أن رحلت قوات الاستعمار البريطانى عنها ولما أعلن عبد الكريم قاسم حاكم العراق فى عام ١٩٦١ ضم الكويت للعراق بالقوة وسارعت القوات البريطانية باحتلالها بحجة حمايتها من التهديد العراقى ، طالبت مصر مجلس الأمن بجلائها • وفى اطار جامعة الدول العربية تم احلال قوات مصرية تحت علم الجامعة محل القوات البريطانية الاستعمارية صيانة لاستقلال الكويت وأعلنت القاهرة سحبها لقواتها فى أكتوبر ١٩٦١ عندما استقرت الأمور وتوقف العراق عن تهديده •

اليمن :

قامت ثورة تقدمية فى اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢ للقضاء على الرجعية وعهد القرون الوسطى ، وأيدها عبد الناصر على الفور • وطلبت مساندتها ضد قوات السعودية الرجعية الموالية للاستعمار ، فأرسل قوات من الجيش المصرى لحمايتها واستمر فى مساندتها اقتصاديا وأعلن القائد العام للقوات المسلحة

المصرية فى فبراير ١٩٦٥ أن شهداءنا باليمن تجاوز عددهم خمسة عشر ألفا من الضباط والجنود خلال عامين وتم خلالها انفاق ٣ مليون جنيه استرلينى بالاضافة الى ١٥ مليون جنيه مصرى سنويا . ولعل فى هذا ما يوضح لنا تصريح رالف بانش مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة عقب زيارته لليمن :
« ان ما يفعله عبد الناصر هناك . . . لهو خدمة للانسانية . . . . »
وانتقلت جمهورية اليمن من العصور الوسطى الى مشارف القرن العشرين . وحقنا للدماء العربية سافر عبد الناصر الى جدة وعقد اتفاقية للسلام مع فيصل ملك المملكة العربية السعودية لانهاء القتال فى اليمن واستمرار لثورته .

جنوب اليمن :

انطلقت ثورة جنوب اليمن المسلحة من ردفان فى أكتوبر سنة ١٩٦٣ فى مواجهة الاحتلال البريطانى . وكان عبد الناصر أول من ساندها عسكريا بالأسلحة وتدريب الثوار الذين خاضوا معارك باسلة أذهلت المستعمر ، وأعلن الزعيم الخالد فى زيارته لليمن عام ١٩٦٤ أن كافة امكانيات بلادنا بشريا وماديا وعسكريا تحت تصرف الثورة من أجل التحرر والنصر . ومنذ طرحت قضية الاستقلال فى الأمم المتحدة وهو يقوم بدور فعال لتسهيل مهمة لجنة تصفية الاستعمار التى تبحث فى القضية وأفسحت القاهرة صدرها لاستقبالها ومقابلتها لممثلى الثورة الموجودين بها بعد أن وضعت بريطانيا العراقيل فى سبيل اللجنة ومنعتها من دخول البلاد . وتضامن جيش الجنوب مع الثورة الشعبية المسلحة فى يونيو ١٩٦٨ ولم يكن أمام الاستعمار سوى التسليم للارادة الشعبية وقامت جمهورية جنوب اليمن المستقلة فى نوفمبر ١٩٦٧

الخليج العربى :

عاش الاستعمار البريطانى فى امارات ومشيخات الخليج العربى طويلا ووضع سورا سميكا من الصمت حول المنطقة مستغلا ثرواتها البترولية وقامت الثورة المصرية وقائدها عبد الناصر الذى التف حوله الشعب العربى من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى ، وثار شعب الخليج العربى ضد الاستعمار البريطانى فى المنطقة . وفكر الاستعمار فى محاولة احتواء ثورته داخل حلف

بغداد فقـوبل الوزير البريطانى للبحرين بثورة وطنية عارمة تزعمها العمال والشباب المثقف عنـد زياراته للامارات داعيـا للحلف • وقامت ثورة عمان وتولت الجمهورية العربية المتحدة تقديم الارشاد الفنى والتدريب العسكرى لها • وبلغت الثورة أوجها فى عام ١٩٥٧ وأصبحت القضية ناضجة لطرحهـا على هيئة الأمم المتحدة ونجحت الجمهورية العربية المتحدة بادراجها فى جدول أعمال الهيئة عام ١٩٦٢ رغم معارضة بريطانيا الشديدة وحلفائها • وفى عام ١٩٦٤ رأت مصر عبد الناصر أن الحالة تستدعى المساندة من الدول العربية فان امارات الخليج وان لم يكن ينقصها المـال فانها فى حاجة الى الخبرات فى سـبيل النهضة والتقدم والا فانها سـوف تلجـأ الى معونة ايران ذات المطامع الاستعمارية فى المنطقة والتى تنادى دائمـا بأن الخليج فارسى وليس بعربى • وبناء على جهود مصر قررت الجامعة العربية تكوين لجنـة تشترك فيهـا مع السعودية والـكويت والعراق لمساعدة الامارات والمشيخات ، والحـق بهـا صندوق لتمويل المشروعات العمرانية بالمنطقة • واذا ما تتبعنا جهود عبد الناصر فى مباحثاته مع رؤساء الدول الاشتراكية والآسيوية والأفريقية فاننا نجد دائما خروجه بقضية الخليج العربى الى المجال العالمى فى سبيل تحريرها من الاستعمار البريطانى ، ولقد كانت القاهرة هى منبر « السلطان أحمد الفضلى » رئيس المجلس الأعلى لمحميات الجنوب العربى الذى أعلن منه المؤامرات الاستعمارية التى حاكها الاستعمار فى مؤتمر لندن عام ١٩٦٤ بشأن المنطقة •

وأمام هذا كله وضغط الثوار فى الجنوب لم يجد الاستعمار البريطانى أمامه بدا من الرضوخ للرغبة العارمة فى الاستقلال فأعلنت الحكومة البريطانية (حزب العمال) استعدادها للجلاء عن المنطقة عام ١٩٧١ • ومازالت بريطانيا تقوم بمناوراتها فى سبيل اقامة اتحاد بين الامارات والمشيخات يخدم مصالحها ونقضت الحكومة البريطانية (حزب المحافظين) عهدها باعلانها عزمها البقـاء بالمنطقة وسترتفع راية الحرية حتما على الخليج العربى •

سوريا ولبنان والعراق والأردن :

لعلنا في عرضنا في الجزء الأول من هذا الفصل قد أوضحنا جهود عبد الناصر وكفاحه المستمر ضد حلف بغداد الاستعماري الذي حاول ضم الأردن ولبنان وسوريا الى دائرة نفوذه فقد ساند البطل شعوب وحكومات هذه الدول في نضالها ضد الأساليب والمؤامرات والتهديدات الاستعمارية التي وجهت ضدها لاعادة السيطرة عليهم • وبدأ الاستعمار في سبيله لاقامة أحلاف أخرى ، واضحة وصريحة مثل مشروع ايزنهاور ، ومقنعة تحت ستار الاسلام مثل الحلف الاسلامي للقضاء على زعامة عبد الناصر وقيادته للأمة العربية وكان لمساندة عبد الناصر لشعوب هذه الدول أكبر الأثر في تجميد هذه الأحلاف والقضاء عليها • ووصلت مساندته الى حد ارسال قوات من الجيش المصري للوقوف بجانب سوريا ضد المؤامرات الاستعمارية وسنوضح ذلك تفصيلا في الفصل السادس الخاص بحروب الاستعمار ضد عبد الناصر •

ليبيا :

قامت الثورة التقدمية في ليبيا في سبتمبر سنة ١٩٦٩ بقيادة الثائر العقيد معمر القذافي ضد الرجعية والقواعد العسكرية الأجنبية والاستغلالالاستعماري لقد آمن القذافي بثورة عبد الناصر ومبادئه والتقت ليبيا الثورة مع الثورة المصرية الأم ووضع الزعيم الخالدكل امكانيات الجمهورية العربية المتحدة تحت تصرف الثورة الليبية في سبيل الحفاظ عليها وحمايتها • ونجحت الثورة وهزم الاستعمار ورحلت قواته المحتلة عن قواعده العسكرية الأمريكية بهويلس والانجليزية بالعظم • وغادر الأجانب ليبيا بعد استغلال دام طويلا للشعب الليبي •

والتقت الثورة الليبية والثورة السودانية معالقائد الخالد جمال عبد الناصر في جميع المجالات الى أن تم اعلان ميثاق طرابلس بين الثورات الثلاث على طريق الوحدة والحرية والاشتراكية •

فلسطين :

عاش جمال عبد الناصر مأساة فلسطين وكان لها الأثر العميق فى وجدانه منذ كان طالبا ـ يقول فى كتابه فلسفة الثورة « ... وأنا أذكر فيما يتعلق بنفسى أن طلائع الوعى بدأت تتسلسل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية أخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر نوفمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود . ومنحتهم به وطنا قوميا فى فلسطين اغتصبته ظلما من أصحابه الشرعيين .. » وقامت دولة اسرائيل وحارب عبد الناصر على أرض فلسطين وارتوت أرضها بدماء الشهداء من أصدقائه خلال عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ . لذا كانت نقطة المنطلق من ثورته هى قضية فلسطين والتهديد الاسرائيلى المستمر للأرض العربية كلها وكان اعلانه واضحا صريحا « ... ان اسرائيل يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة أى حرية ، ويعتبرها مزرعة لمصالحه الخاصة كما هى خطة الاستعمار دائما فى القضاء على الأمة العربية جميعا وهى ليست خطة قصيرة الأجل ، بل خطة طويلة الأجل تهدف الى القضاء على العروبة كلها » .

وكان نضاله المستمر فى سبيل استنفار كل القوى العربية داعيا الى وقفة موحدة فى النضال ضد الاستعمار وصنيعته اسرائيل ، نضال محوره الأساسى تحرير أرض فلسطين المغتصبة واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى وازاء التناقضات التى يطفح بها الواقع العربى لم يدع عبد الناصر أى صيغة ممكنة لعمل عربى مشترك فى مواجهة العدو المشترك الا وطرحها ابتداء من اتفاقيات الدفاع الثنائية والثلاثية بين البلاد العربية المحيطة باسرائيل ، وانتهاء بمؤتمرات القمة العربية لمواجهة توسع اسرائيل واستغلالها للمياه العربية وبرغم ما تعرض له العمل العربى من عثرات ، نراه أشد ما يكون اصرارا وثقة ووضوح رؤية بالنسبة للقضية فى كل أبعادها فيقول : ... ان قضية فلسطين بالدرجة الأولى هى عدوان استعمارى لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، بل لنثق أن يقظة الضمير الانسانى لن تجعل له مثيلا فى المستقبل أيضا . هو عدوان بغير سابقة فى التاريخ وهو فى نفس الوقت عدوان لا يمكن أن يتكرر (*)

(*) من كلمة جمال عبد الناصر امام ملك ماليزيا فى زيارته الى ج.ع.م فى ٢٣ابريل١٩٦٥

وانطلاقا من ادراك عبد الناصر المبكر للحقيقة الواضحة بأن وقوف قوى التحرر العربية بمعزل عن تيار التحرر العالمى ، سيؤدى الى حرمانها من قوى التحرر العالميـــة فى مواجهة الاستعمار والصهيونية العالميـــة واسرائيل ، كان خروجه بقضية فلسطين الى المجال الدولى والعالمى . ولعلنا فى عرض ما قاله فى خطابه أمام هيئة الأمم المتحدة ورسالته الشهيرة الى جون كنيدى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ما يؤكد لنا مطالبته باعادة النظر فى القضية الفلسطينية عـلى ضوء كونها حقيقة عنصرية عدوانيـة اســتعمارية من الدرجة الأولى وليست بمشكلة لاجئين فيقول فى الأمم المتحدة فى الدورة الخامسة عشر فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٠ « ... لست أريد هنا استدرار الدموع على أحـوال اللاجئين من شعب فلسطين وانما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع . وان التعلل بالأمر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب فى حق المبادىء ... ان الأمر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون المعوج يجب على المجتمع تقويمه وتلافيه ... » وفى رسالته الى كنيدى أعلن الحقيقة بقوله ... لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ثم استطاع الاثنان (من لا يملك ومن لايستحق) بالقوة والخديعة أن يسلبا صـــاحب الحق الشرعى حقـه فيمـا يملكه وفيمـا يستحقه ... » كما نجح عبد الناصر فى أول مؤتمر للحرية للدول الآسيوية والافريقية باندونج عام ١٩٥٥ فى عزل اسرائيل الاستعمارية تماما عن التسلل الى حركات التحرير العالمية رغم ادعائها بأنها دولة آسـيوية مسـتقلة . وكان صوته أول صوت لزعيم عربى فى مؤتمر عالمى للحرية يعلن حقيقـة اسرائيل العنصرية ويطالب بتأييد حق الشعب الفلسطينى فى الحرية والعـودة الى وطنه السليب ..

وفى كل تجمع للحرية ضم جمال عبد الناصر مع زعماء العالم نرى دائما ادانة لاسرائيل وتأييدا للحق العربى فى فلسطين .

لقد أعلن الزعيم الخالد دائما أن ليس من حق الدول العربية أو احداها أن تتصرف فى قضية فلسطين بعيدا عن صاحب الحق الأول فيهـا وهو الشعب الفلسطينى ، فكرس كل جهوده من أجل ابراز كيانه للوجود . وأحبط جميع

المحاولات الاستعمارية والرجعية الهادفة الى تصفية الوجود الفلسطيني رافضا مشروعات توطينه خارج أرضه ، وعرف قطاع غزة هويته الفلسطينية وبتوجيهه ورعايته تمت فى عام ١٩٥٤ فى القطاع أول محاولة لتحويل شعب فلسطين من لاجئين الى مقاتلين ، وكانت أولى كتائب المقاومة الفلسطينية عام ١٩٥٥ من أبناء غزة • وعقد المؤتمر الفلسطيني بالقدس فى مايو ١٩٦٤ لبحث الكيان الفلسطيني وأسفر عن تكوين منظمة التحرير الفلسطينية ، وبمبادرة عبد الناصر وجهده المستميت فى مؤتمر القمة العربى الثانى المنعقد بالاسكندرية فى سبتمبر ١٩٦٤ برز الكيان الشرعى الفلسطيني لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ ، وبتقديمه المساندات المادية والعسكرية تم بناء جيش التحرير الفلسطيني •

وبالرغم من النصر العسكرى لاسرائيل فى عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ واحتلالها لجزء كبير من أراضى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن فان عبد الناصر يطالب وينادى بفلسطين أولا رافضا الضغوط الأمريكية لتجزئة القضية ويطالب بالقدس قبل سيناء ••• الضفة الغربية قبل سيناء ••• غزة قبل سيناء ••• الجولان قبل سيناء •

لقد أثمر كفاح عبد الناصر حقا من أجل الشعب الفلسطيني واصراره على الابقاء عليه ، فلم تكد اسرائيل تقيم أفراحها احتفالا بالنصر فى العدوان حتى سمع العالم صوت المقاومة الفلسطينية مدويا فى أرض فلسطين فى كفاحها المسلح ضد الغزاة وزاد لهيب المقاومة اشتعالا بعد العدوان • وأمام المؤامرات الاستعمارية المدبرة بالتعاون مع الرجعية العربية لتصفية المقاومة الفلسطينية والقضاء عليها فى قواعد تدريبها وانطلاقها بالأردن ولبنان ، أعلن عبد الناصر أن الارادة الفلسطينية يجب أن تترك بغير اعتراض ويجب أن تكون لها الفرصة كاملة لتحقيق آمالها ولا ينبغى أن تكون هناك أى وصاية على تصرفاتها وتمثلت مساعداته الايجابية بشأن ذلك فى اتفاق القاهرة الذى عقد بين المقاومة ولبنان

لايقاف الأزمة الدامية بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية فى أكتوبر سنة ١٩٦٩

وكانت خاتمة أعمال المناضل الخالد ، بذله لآخر نفس من أنفاس حياته فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ بعد نجاح جهوده فى سبيل ايقاف نزيف الدم فى الأردن ولانقاذ الشعب الفلسطينى من مذبحة الافناء المدبرة له ، لقد عاش من أجل فلسطين ... ومات شهيدا من أجل فلسطين فمنحته الثورة الفلسطينية أرفع أوسمة شهدائها .

الفصل السادس

حروب الاستعمار ضد عبد الناصر

« لم يكن عملنـا فى يوم من الايام سـهلا ولا هينـا فقـد كان علينـا أن نواجـه ألوان المخاطر السياسية والاقتصادية والعسكرية وكان كل انتصار حققناه نتيجة لمشاق ومصاعب صبرنا عليها وتحملنا أعباءها ... » •

جمال عبد الناصر

ان نضال عبد الناصر ضـد الاسـتعمار فى مصر والوطن العربى ، وعلى الصعيد العالمى ، كان نابعا من ايمانه بأن الاسـتعمار ، وخاصة الجـديد منه ، يتميز بالجماعية • فلم تعد الدول الاستعمارية تعمـل على تحقيـق مصـالحها منفردة ، خاصة بعد اشتعال حركات التحرر واجبـار المستعمر على الاعتراف باستقلال دولها •

فقد كا نلظهور النظم الاحتكارية الدولية التى جمعت بين مصالح الدول الاستعمارية ولقائها على طريق استغلال ثروات الدول النامية ، ما أيقظ هـذه الدول لخطورة الاستعمار على استقلالها الاقتصـادى ، وأوجب عليهـا ضرورة توحيد جهودها لمواجهة هذا الخطر الذى يهدد كيـانها • ومن هنـا وجد عبد الناصر أنه لا مناص من المقاومة الجماعية ،والنضال الدولى ، ضد هذه النظم الاستعمارية لمقابلة تكتلاتها بتكتلات وطنية مستقلة •

ولو قدر لعبد الناصر أن يغض النظر عن هذه التكتـلات الاسـتعمارية ويغلق الباب على نفسه ، لتمكن الاستعمار من النيل من ثورته ، ولأمكنه ضرب كل الثورات التحررية ، الواحدة تلو الأخرى ، دون أن يعمل حسابا لاحداها ، هذا بالاضافة الى أنه لن يتركه سائرا فى طريق تقدم بلاده اجتماعيا واقتصاديا ، لأن فى ذلك خطورة على وجوده ، وافسادا لهدفه الأساسى ، وهو الاستغلال •

ولو تركه وشأنه لأعطى عبد الناصر المثل الأعلى لباقى الدول المتحررة لتحذو حذوه • ومن هنا كانت طبيعة الصراع بين عبد الناصر والقوى الاستعمارية •

وعانى الاستعمار من حرب عبد الناصر ضده فى جميع الجبهات الداخلية والقومية والعالمية ، لتقويض دعائمه والقضاء عليه • فكان لزاما عليه ـ دفاعا عن نفسه واستمرارا لبقائه ـ أن يشن الحرب ضد المناضل العالمى الأول لاسقاطه ، لتحطيم الرمز العالمى المعاصر لقضايا التحرر والاستقلال السياسى والوطنى والاقتصادى • المناضل الذى أوضح لشعوب العالم الثالث المغلوبة على أمرها حقائق الاستقلال الكامل بجميع أبعاده ، البطل الذى نادى بتحرير جميع الشعوب من ربقة الظلم والاستغلال المتمثلة فى طغيان الاستعمار القديم والجديد ، الثائر الذى قدم من ثورته المثل الأعلى للشعوب المتطلعة للحرية والتخلص من الاستعمار • وتعددت أسلحة الاستعمار للقضاء على عبد الناصر ، من : مؤامرات حيكت فى الظلام لاغتياله ومنها مؤامرة الاخوان المسلمين فى صيف ١٩٦٥ ، الى دس الفتن بينه وبين أجهزة الحكم فى البلاد العربية ، ونشر الدعايات المغرضة ضد نظامه الاقتصادى ركيزة الاستقلال السياسى ، الى محاولة القضاء على زعامته باقامة أحلاف عميلة ، وفرض الحصار الاقتصادى على مصر ، وغير ذلك من أساليب بلغت ذروتها عند عودته الى أسلوبه التقليدى بالعدوان العسكرى المسلح •

وسنتناول فى هذا الفصل أهم الحروب التى شنها الاستعمار ضد عبد الناصر فى ستة أجزاء : الأول عن العدوان الثلاثى ، ونوضح فى الثانى مشروع أيزنهاور وأبعاده ، ونشير فى الثالث الى مؤامرة الانفصال السورية الرجعية ، ونتناول فى الرابع الحصار الاقتصادى الأمريكى ، والجزء الخامس خاص بالحلف الاسلامى ، ثم ننتهى الى الجزء السادس الذى عاد فيه الاستعمار الى أسلوبه التقليدى القديم وهو عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ ••••

الجزء الأول

العدوان الثلاثى

أكتوبر / ديسمبر سنة ١٩٥٦

بعد تتويج كفاح عبد الناصر فى حربه الأولى ضد الاستعمار البريطانى فى مصر بخروج آخر جندى بريطانى من قاعدة قناة السويس والاحتفال بيوم الجلاء فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، عاجله الاستعمار العالمى بحرب سافرة ضده وضد ثورته فى العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦

استعراض تاريخى :

فى مايو ١٩٥٥ صدر أول بيان لثورة مصر عبد الناصر بشأن تمويل مشروع السد العالى باصدار سندات وأذون على الخزانة المصرية • انه الحلم الذى راود عبد الناصر لبناء الاقتصاد الوطنى الحر باعتباره فى هذا الوقت ، احدى القمم فى طريق التنمية الاقتصادية بزيادة الرقعة الزراعية فى مصر ، وارتفاع الدخل القومى ، والطريق لبناء الصناعات الثقيلة بما سيوفره من طاقات كهربائية هائلة • وأعلنت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أنهما عرضتا على مصر تقديم المساعدات المادية لتيسير البدء فى تنفيذ المشروع ، وانتهى الأمر الى سحبهما لمساعداتهما المشروطة بعد رفض عبد الناصر السقوط فى فخ للسيطرة على استقلالنا الاقتصادى • وعرض الاتحاد السوفيتى استعداده للاشتراك فى تمويل المشروع وأعلن وزير خارجيته مساعدة بلاده لمصر فى جميع الميادين بقروض طويلة الأجل دون ما قيد أو شرط •

وكان رد عبد الناصر على الاستعمار فى خطابه الشهير بالاسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية لتحقيق الصرح الحقيقى للسيادة المصرية • وأعلن « • • • أننا لن نمكن منا المستعمرين أو المستبدين ••• اننا لن نقبل أن يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى

اننا قد اتجهنا قدما الى الأمام لنبنى مصر بناء قويا متينا ••• نتجه الى الأمام نحو استقلال سياسى واستقلال اقتصادى ••• واقتصاد قومى ••• من أجل مجموع هذا الشعب ••• » •

وكانت اللطمة الكبرى للاستعمار العالمى فى احدى شركاته العالمية المستقلة فأعلن حربه الكبرى فى جميع المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية وتبلور ذلك فى العدوان المسلح بجيوشه وسنعرض فيما يلى يوميات موجزة (*) لما قام به الاستعمار ومواقف جمال عبد الناصر البطولية ودور دول عدم الانحياز فى نطاق هيئة الأمم المتحدة بالاضافة الى ما ساهم به الشعب العربى والكفاح المسلح لمدينة بور سعيد الخالدة ضد قوى البغى والعدوان :

– ٢٧ يوليو ١٩٥٦ رفضت مصر تسلم الاحتجاج البريطانى الخاص بمعارضة تأميم شركة قناة السويس •

– ٢٨ يوليو : بريطانيا وفرنسا تهددان باحتلال مصر ، وينذرهما عبد الناصر بأن مصر ستقابل القوة بالقوة ، العدوان بالعدوان ويعلن التعبئة العامة •

– ٢٩ يوليو : أعلنت بريطانيا وفرنسا حربهما الاقتصادية بتجميد الأرصدة والأموال المصرية ، وتجميد ممتلكات شركة قناة السويس فى كل من الدولتين •

– ٣٠ يوليو : اعلان عدد كبير من دول العالم والاتحاد السوفيتى تأييد مصر فى موقفها وحقها فى التأميم وشرعت الولايات المتحدة الأمريكية فى ممارسة ضغطها الاقتصادى بوضع جميع الأموال التى لحساب الحكومة المصرية لديها وكذلك أموال شركة القنال المؤممة ، تحت الرقابة المؤقتة •

– ٣١ يوليو : صدرت الأوامر الى الجيش البريطانى بالاستعداد ، والى الأسطول البريطانى بأن يكون قريبا من قناة السويس •

(*) يوميات الثورة — مجلة الطليعة العدد ٧ عام ١٩٦٥

- أول أغسطس : تعهدت بريطانيا وفرنسا بعدم استخدام القوة ضد مصر وأعلن فى لندن فكرة دعوة مصر لعقد مؤتمر دولى لبحث المشكلة يحضره الاتحاد السوفيتى الذى كرر تقديم عرضه لتمويل مشروع السد العالى وأنذر عبد الناصر دول الغرب بأننا نعرف كيف ندافع عن وطننا وكيف نرد الغاصبين .

- ٣ أغسطس : تم فتح باب التطوع لتكون الكتائب الشعبية فى مصر .

- ٨ أغسطس : بدأت مؤامرة تعطيل الملاحة فى القناة بتحريض بريطانيا وفرنسا المرشدين الأجانب على الاضراب عن العمل .

- ٩ أغسطس : أصدر عبد الناصر قرارا بانشاء جيش التحرير الوطنى من الحرس الوطنى وكتائب التحرير والشباب والمتطوعين .

- ١٢ أغسطس : رفضت مصر الدعوة الى حضور مؤتمر لندن لبحث مشكلة تأميم القناة ، والنظر فى أمر تدويلها .

- ١٨ أغسطس : رفضت مصر فكرة تدويل القناة التى نادى بها مؤتمر لندن وأعلنت أن التدويل محاولة لفرض السيطرة الاستعمارية العالمية وأنه تعبير مهذب عما ينبغى تسميته بالاستعمار الدولى .

- ٢٥ أغسطس : تشكلت لجنة خماسية منبثقة من مؤتمر لندن سميت لجنة منزيس نسبة الى اسم رئيس وزراء استراليا للتفاوض مع مصر .

- ٥ سبتمبر : حشدت بريطانيا وفرنسا قوات كبيرة فى جزيرة قبرص .

- ٦ سبتمبر : أعلنت مصر رفضها لمقترحات لجنة منزيس الدولية بشأن تدويل القناة بعد عقد اجتماعها مع عبد الناصر .

- ٨ سبتمبر : سحبت بريطانيا وفرنسا وبعض الدول الغربية مرشديها من قناة السويس بقصد تعطيل الملاحة .

- ١٥ سبتمبر : انتظمت الملاحة فى القناة وأعلنت مصر فشل مؤامرة سحب المرشدين .

- ١٧ سبتمبر : مصر تطلب عقد مجلس الأمن للنظـر فى التهديدات البريطانية الفرنسية باستخدام القوة •

- ٢٠ سبتمبر : عقـدت بريطانيا مؤتمرا ثانيا فى لنـدن واقترح وزير الخارجية البريطانية تشكيل (جمعية المنتفعين بالقناة) تقوم بارسـال سفن اختبار مزودة بالمرشدين وتطلب المرور فى القناة دون دفـع رسوم للهيئة المصرية • وقد فشل المشروع لاصرار مصر على مقاومته ورفض كثير من الدول لفكرته •

- ٧ أكتوبر : أعلنت مصر فى مجلس الأمن تصميمها على المحافظة على سيادتها الكاملة على القناة •

- ٢٧ أكتوبر : تلقت مصر رسالة من داج همرشلد السكرتير العـام للأمم المتحدة يقترح فيها عقد اجتماع يوم ٢٩ أكتوبر فى جنيف •

- ٢٨ أكتوبر : أمرت أمريكا رعايا فى الشرق الأوسط بمغادرة المنطقة وأعلنت اسرائيل تعبئة قواتها العسكرية •

- ٢٩ أكتوبر : هاجم الجيش الاسرائيلى ســيناء ، ودخلت قواته عن طريق القسيمة ورأس النقب ، والكونتيلا ، وأعلنت بريطانيا أنها لن تستغل القتال الدائر بين مصر واسرائيل للتدخل •

- ٣٠ أكتوبر : وجهت بريطانيا وفرنسا انذارا الى مصر تطلبان فيـه انسحاب القـوات الى مسافة عشرة أميال من قنـاة السويس وهددتا بالتدخل بالقوة •

- ٣١ أكتوبر : أعلنت مصر رفض الانذار بقطع العلاقات الدبلوماسـية بين الدولتين وبدأت القوات البريطانية والفرنسية تهاجم مصر ، وقدم السكرتير العام للأمم المتحدة استقالته احتجاجا على العدوان •

- أول نوفمبر : أعلن عبد الناصر أن مصر ستقاتل حتى النصر وطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة سحب استقالته من أجل السلام •

ـ ٢ نوفمبر : تم اغراق سفينة آسمنت مصرية بالقناة وتعطلت الملاحة ودمرت القوات المصرية جزءا من السلاح الجوى الاسرائيلي وأصدر عبد الناصر أمره بانسحاب الجيش المصرى من سيناء حتى لا يقع في المصيدة الموضوعة من قبل القوات الاستعمارية وتوحيدا لجبهة القتال والمقاومة • وأسقطت المدفعية المصرية بعض الطائرات الفرنسية والبريطانية ، وأعلن عبد الناصر فى الأزهر أن الشعب سيقاتل حتى آخر قطرة فى دمه •

ـ ٣ نوفمبر : فشلت القوات البريطانية والفرنسية فى النزول الى السويس وأغرقت بعض قطع الأسطول البريطانى •

قام العمال العرب فى بعض البلاد العربية بنسف أنابيب البترول لمنعه عن دول الغرب وتضامنا مع مصر فى مواجهة العدوان •

ـ ٤ نوفمبر : مدينة بور سعيد تقاوم الغزو البريطانى الفرنسى ببسالة تذهل العالم وتم توزيع السلاح على جميع أفراد الشعب •

ـ ٥ نوفمبر : وجهت مصر نداء الى جميع شعوب العالم بطلب العون المادى والأدبى ضد العدوان ـ وأنذر الاتحاد السوفيتى باستخدام القوة ضد المعتدين •

ـ ٦ نوفمبر : أصدر مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار •

ـ ٧ نوفمبر : وافقت الأمم المتحدة على ارسال قوات طوارىء دولية حتى يتم انسحاب المعتدين •

ـ ٩ نوفمبر : أعلن عبد الناصر مرة أخرى بالجامع الأزهر أن الاستعماريين فرضوا علينا القتال ولن يفرضوا الاستسلام •

ـ ٤ ديسمبر : بدأ انسحاب القوات الانجليزيةوالفرنسية من بور سعيد•

ـ ٢٣ ديسمبر : وتم جلاء القوات المعتدية عن بور سعيد وحطم الأهالى تمثال فرديناند ديليسبس •

ـ ٢٦ ديسمبر : بدأت اسرائيل الانسحاب من سيناء •

ـ أول يناير ١٩٥٧ : ألغت مصر اتفاقية الجلاء المعقودة مع بريطانيا فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ باعتبارها منتهية منذ يوم العدوان ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦

ـ ٧ يناير : توحدت جهود المعسكر الاستعمارى فى الضغط الاقتصادى على مصر بتجميد الولايات المتحـــدة الأموال المصرية الموجودة بها تضامنا مع بريطانيا وفرنسا •

ـ ٩ يناير : اســـتقال أنتونى ايـدن رئيس وزراء بريطانيــا لفشله فى السياسة الخارجية لبلاده •

ـ ١٤ يناير : انسحبت القوات الاسرائيلية من العريش وتسلمتها القوات المصرية •

ـ ١٩ يناير : وافقت ٧٤ دولة فى منظمة الأمم المتحـــدة على وجوب انسحاب اسرائيل فورا بعد تلكئها •

ـ ٢٤ يناير : حذر عبد الناصر الغرب من اثارة اضطرابات اذا حاول استخدام قوات الأمم المتحدة بتدويل غزة والعقبة •

ـ ٨ فبراير : طالبت الكتلة الافريقية الآسيوية فى الأمم المتحدة بفرض عقوبات على اسرائيل لتأخرها فى الانسحاب مر ،

ـ ٦ مارس : تم انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة وشرم الشيخ •

ـ ١٨ مارس : وزعت قوات الطوارىء الدولية على خطوط الهدنة •

ـ ٩ أبريل : تم تطهير القناة واستؤنفت الملاحة تحت ادارة الهيئة المصرية وقامت الدول بعد ذلك جميعا بدفع رسوم مرور سفنها بالقناة الى مصر•

العدوان الثلاثى بهدف اسقاط عبد الناصر :

هل كان تأميم قنـاة السويس هو السبب الأول للعدوان كما روجت له الدعايات الغربية الاستعمارية ؟ لقد كان التأميم ذريعة الاستعمار للعدوان وليس للتأميم نفسه ... وقد تكفل رئيس وزراء بريطانيا بفضح ذلك ، عندما أعلن أنهم ليسوا فى نزاع مع مصر ، وانما النزاع مع عبد الناصر . كما أيد ذلك أحد قادة حملة العدوان « جنرال بوفر الفرنسى » فى حديث له مع قائد الثورة الليبية العقيد معمر القذافى أثناء زيارته ليبيا فى فبراير سنة ١٩٧٠ ، بأنه كان يريد احتلال القاهرة بأمل اسقاط حكم عبد الناصر .

وقد أوضح لنا البطل الخالد ــ فى ايجاز لـماذا كان العـدوان وذلك فى خطابه أمام الجماهير ببور سعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦ قائلا :

« ... ايه كان قصدهم من هذه المؤامرة ... كانت بريطانيا تريد ضرب مصر لتعيدها الى مناطق نفوذها ... بعد الثورة صممنا على الجلاء وخرجنا من مناطق النفوذ وتصدينا لحلف، بغداد ... وكانت بريطانيا ترى بعد جلاء قواتها أنه لابد أن تضرب مصر لتعود مرة أخرى الى مناطق النفوذ البريطانية . وكانت بريطانيا تريد الحيلولة دون قيام قوة ذاتية وطنية فى مصر اقتصادية وسياسية وعسكرية ... بعد الثورة بدأنا نبنى بلدنا سياسيا وبدأنا سياسيا نكون فعـلا أحرارا ثم بدأنا اقتصاديا نبنى بلدنا ونعمل على تصنيعها ثم بدأنا عســكريا فى اقامة الجيش الوطنى القوى . . . ونكسر احتكار السلاح ، كانت بريطانيا أيضا تريد عزل مصر عن تأثيرها وتأثرها بالأمة العربية ... » .

« ... كانت فرنسا تريد أن تحول دون مصر وأداء دورها المشروع والحق فى تأييد ثورة شعب الجزائر ، كانت فرنسا تريد اخضـاع القاهرة وكانت تعتقد أنها بذلك تستطيع اخضاع الثورة الجزائرية ... » .

« ... كانت اسرائيل تريد أن تجعل مصر جسدا هامدا لا روح فيه ولا مقاومة ، وأيضا كانت تريد أن تضرب دعوة القـومية العربية التى أعلنتها مصر بعد الثورة ... » .

من هنا كان العدوان الثلاثى ـ رغم ما تمثلت فيه من صور الاستعمار القديم من غزو عسكرى ـ بمثابة اعلان الحرب من جانب الاستعمار الجديد بصورته الجماعية المميزة لاسقاط عبد الناصر • ان الاستعمار فى تطوره بعد انتشار حركات التحرر الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية ولضمان سيطرته على الشعوب المتحررة واستغلالها ، اتبع أساليب جديدة متعددة سبق أن أشرنا اليها فى الفصل الأول ، فى جميع المجالات اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكريا وقوميا ودوليا • وقد كشف الزعيم الملهم عن هذه الأساليب الخفية وساهم ايجابيا فى فضحها على المستوى العالمى وكانت ثورته مجال تطبيق مفاهيمه عنها بما قام به فى جميع هذه المجالات قبل العدوان الثلاثى :

ـ فى المجالين السياسى والاجتماعى قضى عبد الناصر على أعوان الاستعمار وهى الطبقة التى خلقها أثناء الاحتلال القديم لتكون امتدادا لنفوذه واستغلاله فأعلن ثورته الاجتماعية لتحرير الفرد من الظلم الاجتماعى • فقضى على الاقطاع وتحكم رأس المال وتم اعتماد ملايين الجنيهات للمشروعات الاجتماعية والصحية •

ـ وفى المجال الاقتصادى رفض عبد الناصر بحسم واضح ربط بلاده بالكتل الاقتصادية الكبرى التى يسيطر عليها الاستعمار ، وأعلن مسيرة مصر فى طريق الاستقلال الاقتصادى فى العيد الرابع للثورة •

وكانت مسيرته فى هذا الطريق منذ قيامه بالثورة بانشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج ، واعتماد ملايين الجنيهات للمشروعات الانتاجية العديدة وطرح سندات لتمويل مشروع السد العالى والاتفاق على اقامة مصنع للحديد والصلب ومنع تحكم رأس المال الأجنبى فى مشروعات التنمية الاقتصادية باصدار قانون بتنظيمه وعقد اتفاقا مع الاتحاد السوفيتى لانشاء مفاعل ذرى •

ـ فى المجال الثقافى لم يكن عبد الناصر الاستعمار من التسلسل الى عقول الجماهير عن طريق أجهزة الاعلام وبالطرق غير المباشرة وأعلن بوجوب التخلص من الاستعمار الفكرى (*) •

(*) كلمة جمال عبد الناصر فى معسكر تدريب للشباب فى ١٨ سبتمبر ١٩٥٣

ـ وفى المجال العسكرى تجلت قدرة عبد الناصر فى اقامة الجيش الوطنى القوى بعد معركته فى سبيل كسر احتكار السلاح والخروج بعيدا عن دائرة النفوذ الغربى الاستعمارى والحصول عليه من دول المعسكر الشرقى دون ما ضغوط أو شروط ماسة بالاستقلال ٠

ـ وعلى المستوى القومى ناضل عبد الناصر فى سبيل احياء القومية العربية ونادى بوحدة الأمة العربية لمواجهة الاستعمار والقضاء عليه ٠ وكان نضاله فى مجال الاشتراك فى الأنشطة الايجابية لجامعة الدول العربية وحربه ضد الأحلاف العسكرية بالاضافة الى مساندته الأدبية والمادية والعسكرية للثورات العربية وخاصة فى الجزائر ٠ وتوجت جهوده باعلان مجلس النواب السورى ومجلس الوزراء رغبة الشعب السورى فى اقامة اتحاد فيدالى مع مصر ٠

ـ وفى المجال الدولى أعلن عبد الناصر حربه على الاستعمار فى جميع صوره سواء فى اجتماعاته ومباحثاته مع قادة حركة التحرير فى العالم أو عن طريق اشتراكه فى المؤتمرات السياسية العالمية وأدواره الايجابية فيها ٠ ودعا الى وحدة شعوب ودول العالم الثالث وتضامنها وتأييده ودعمه لثورات الحرية ومناداته بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ٠

ولهذه الحرب الدائمة المستمرة فى جميع الجبهات والمجالات كان العدوان الثلاثى لاسقاط عبد الناصر ٠

وقد قوبل هذا العدوان بمساندة دولية منقطعة النظير بهيئة الأمم المتحدة بقيادة الدول الاشتراكية والأفريقية والآسيوية والولايات المتحدة الأمريكية ـ التى لم تكن على اتفاق مع دول العدوان ليس فى اسقاط عبد الناصر ولكن فى اتباع أسلوب العدوان ـ والاتحاد السوفيتى وانذاره الشهير باستخدام القوة ضد بريطانيا وفرنسا اذا لم يوقفا العدوان ويسحبان قواتهما ٠

وتحركت روح التضامن العربى وقامت الشعوب العربية فى ثورة عارمة من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ، غير عابئة بمحاولات بعض الحكومات العميلة فى اخمادها وتم نسف أنابيب البترول لمنعه عن الدول الغربية الاستعمارية ٠

كما قاد عبد الناصر شعبه خلال المعارك بروح مناضلة ترفض الاستسلام وأصدر أمره بتوزيع السلاح على الشعب ، وتأكدت حوله وحدة قوى الشعب الوطنية وأعلنها مدوية من فوق منبر الجامع الأزهر .. سنقاتل ولن نسلم .. سأقاتل معكم ضد أي غزو ، وسنقاتل الى آخر نقطة دم ، لن نسلم أبدا ، وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا .

وقاوم الشعب المصرى فى مدينة بور سعيد ببسالة أذهلت العالم واستمرت المقاومة رغم دخول قوات الاحتلال للمدينة ، واستمرت المقاومة حتى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ يوم الانسحاب . ويصف الصحفى الهندى كارنجيا هذه الأيام بالمدينة الخالدة بقوله « صبغت جدرانها بدماء الشهداء . . . وامتلأت شوارعها بشظايا القنابل المتطايرة وارتفعت صور عبد الناصر على هذه الجدران . . . المصبوغة بالدم بعد أن تم قذف المعتدين الى البحر » . (*)

وانتصرت مصر بقيادة أملها وحاضرها ومستقبلها جمال عبد الناصر وخرجت القوات الغازية بخزى عظيم وكان للنصر دويه العظيم ولم يكن النصر الا مقدمة لانتصارات أخرى :

فى المجال الوطنى :

ببراعة السياسى الوطنى رأى عبد الناصر استغلال العدوان للتخلص من الخيط الذى كان يربطنا ببريطانيا ، فأصدر قرارا باعتبار اتفاقية الجلاء كأن لم تكن منذ العدوان وكانت تتضمن مساعدة مصر لبريطانيا فى تهيئة القاعدة الحربية وادارتها ادارة فعالة فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة فى الخارج على تركيا أو البلدان الموقعة على معاهدة الدفاع المشترك من بين دول الجامعة العربية .. وواصل عبد الناصر مسيرته فى ثورته الاجتماعية والاقتصادية وتحرير الاقتصاد الوطنى بتمصير الشركات الأجنبية ثم تأميمها لصالح الشعب وأرسى قواعد الصناعة الثقيلة وبدأ بناء السد العالى وتوسع فى مجالات التعاون

(*) كيف نجح عبد الناصر (كارنجيا) ايام خالدة فى حياة عبد الناصر د. جمال المطيفى « سلسلة كتب اقرأ » .

مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية والدول النامية وفى يوليو ١٩٦١ آكد مسيرته نحو التحول الاشتراكي ويقول فى الميثاق • « • • • ان الحرية الاجتماعية طريقها الاشتراكية • • • » و « • • • وان الاشتراكية بدعاميتها من الكفاية والعدل هى طريق الحرية الاجتماعية • ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر وصول ثورى الى التقدم ، لن يكون افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى دائما وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع ، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين وان التجارب الرأسمالية فى التقدم تلازمت تلازما تاما مع الاستعمار فقد وصلت بلدان العالم الرأسمالى الى مرحلة الانطلاق الاقتصادى على أساس الاستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها ••• » •

فى المجال العربى :

واصل القائد البطل مسيرته بمساندة الدول العربية وشعوبها وحذر الاستعمار من أى تدخل فى شئونها ، وقاوم الأحلاف الاستعمارية ، وأيد ثورات الشعوب العربية وساندها ، وتخلص العراق من حلف بغداد واستجاب المناضل لنداء ثورة اليمن وتحررت المغرب والجزائر وتونس ، وتعددت مؤتمرات القمة العربية بناء على دعوته لمواجهة أخطار الصهيونية واسرائيل ، وبرز الكيان الفلسطينى الى الوجود باعلان قيام منظمة تحرير فلسطين واتحدت مصر وسوريا •

وقامت الجمهورية العربية المتحدة :

كان جمال عبد الناصر أمل الأمة العربية فى احياء القومية وتحقيق الوحدة الشاملة فى مواجهة الاستعمار ومؤامراته ونادت الشعوب العربية بها • وتجددت رغبة الشعب السورى العارمة فى تحقيق الوحدة فيما أعلنه مجلس النواب السورى ومجلس الوزراء فى يوليو ١٩٥٦ بابداء رغبة سوريا فى اقامة اتحاد فيدرالى مع مصر ، وبتصفية آثار العدوان الثلاثى تجدد حديث الوحدة • وتآمرت قوى الاستعمار والرجعية ضد سوريا لاحتوائها داخل حلف بغداد

الاستعمارى ، فقاومت شعبا وحكومة وفضحت مؤامرات تهريب الأسلحة اليها بضبطها على حدودها مع الأردن • وأعلن عبد الناصر مساعدتها الى غير ما حد • وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لفرض مشروع أيزنهاور عليها • وأوهمت العالم بارتماء سوريا فى أحضان الشيوعية الدولية ، وحشدت القوات التركية والاسرائيلية والعراقية على حدودها وظهر الأسطول السادس الأمريكى أمام شواطئها وأعلن عبد الناصر أن جميع امكانيات مصر تسند سوريا في معركتها وسارع الى نجدتها بارسال قوات من الجيش المصرى للاشتراك مع الجيش السورى فى حمايتها من العدوان • وأصر الشعب السورى على الوحدة ، وفى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ شهد وفد من أعضاء مجلس الأمة برئاسة السيد / أنور السادات جلسة مجلس النواب السورى فى دمشق وصدر قرار مشترك يتضمن أن نواب المجلسين يعلنون رغبة الشعب العربى فى مصروسوريا فى اقامة اتحاد فيدرالى بين القطرين ويدعون الحكومتين للدخول فورا فى مباحثات مشتركة لاستكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد ، الا أن الجماهير العربية ألحت فى طلب وحدة كاملة شاملة برئاسة جمال عبد الناصر فتقرر تلبية رغبتها وأن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطيا وسياسيا وأن يكون لهـا مجلس تشريعى واحد وعلم واحد وجيش واحد •

ودعى الشعب العربى فى القطرين للاستفتاء على الوحدة ورئيس الجمهورية فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨ وكانت النتيجة مايشبه الاجماع على الوحدة وانتخاب عبد الناصر رئيسا للجمهورية • وتوجه عبد الناصر الىسوريا وكانت لقاءاته مع شعبه عارمة اجمعت وكالات الأنباء العالمية على أنه لم يحدث لها مثيل فى تاريخ سوريا وما أبلغ تعبيره حين قال :

« ••• ان هذا الجيل من شعب مصر من تلك الأجيال التى واعدها القدر لتعيش لحظات الانتقال العظيم التى تشبه مهرجان الشروق ، لقد عشنا

ساعة الفجر ورأينا انتصار النور الساطع على ظلمات الليل الطويل لقد عشنا وشاهدنا فجر الاستقلال لقد عشنا وشاهدنا فجر الحرية ، وعشنا ورأينا فجر العزة والكرامة وعشنا ورأينا فجر القوة ، وعشنا ورأينا الأمل فى بناء المجتمع الجديد واليوم نعيش ونرى فجرا جديدا رائعا ... لقد بدأ مشرق الوحدة وقامت دولة كبرى فى هــــذا الشرق . . . . ، . . . تحمى ولاتهدد تصون ولا تبدد تقوى ولا تضعف توحد ولا تفرق تسالم ولا تفرط . تشد أزر الصديق ترد كيد العدو لاتتحزب ولا تتعصب ولا تنحرف ولا تنحاز تؤكد العدل تدعم السلام توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ماتتحمل وتطيق(*) .

فى المجال الدولى :

كانت نتائج العـــدوان الثلاثى وبالا على الاستعمار العـالمى . يقـــول القائد المعلم فى الميثاق .. « ... ان الهزيمة التى منى بها الاستعمار فى حرب السويس أنهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة .. ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا .... » وتزايدت حركات التحرر فى العالم ، ونالت دول كثيرة استقلالها وواصل المناضل مسيرته فى محاربة الاستعمار العالمى محذرا من أساليبه وتسللاته ومساندا للشـــعوب المناضلة وتعددت لقاءاته مع قادة الحرية فى العالم وتعددت مؤتمرات الحرية ومناصرة الشعوب وأجمعت قراراتها على ادانة الاســـتعمار وتقديم كل عون لحركات التحرر العالمى ونبذ سياسة التفرقة العنصرية وتأييد سياسة الحيـــاد الايجابى والدعوة الى التعايش السلمى واقرار السلام العالمى .

(*) من خطاب عبد الناصر امام مجلس الأمة فى ٥ فبراير ١٩٥٨

الجزء الثانى

مشروع ايزنهاور

بعد العدوان الثلاثى أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية رائدة الاستعمار العالمى فى يناير سنة ١٩٥٧ أحد أحلافها الاستعمارية المسمى بمشروع أيزنهاور بحجة أن هناك فراغا فى الشرق الأوسط فى مواجهة الزحف الشيوعى بعد خروج القوات البريطانية من المنطقة . وكأنما كانت تريد تقاضى ثمن شجبها للعدوان فى الأمم المتحدة فكان رد عبد الناصر عليها « . . . . لو كان هذا الفراغ المزعوم موجود حقا لاستطاع المعتدون البريطانيون والفرنسيون والاسرائيليون أن يملئوه ، ولكنهم باءوا بالفشل والهزيمة وأجبرناهم على الانسحاب بلا شرط (١)..... »

وأعلن القائد على الشعوب العربية مايلى « ... فى ٥ يناير أعلن مبدأ أيزنهاور وتضمن هذا المبدأ تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية ، ولكننا لم نقبل مبدأ أيزنهاور لأنه يتضمن قيودا سياسية تجعلنا نرتبط بالسياسة التى ترسمها وزارة الخارجية الأمريكية (٢) . . . » وكان رأى عبد الناصر أن المشروع « يستهدف نفس ما كان يستهدفه عدوان بريطانيا وفرنسا »(٣) ولم يقبل الاستعمار الأمريكى أن يكون مصير هذا الحلف التجميد كحلف بغداد ، وكانت أحداث الأردن هى الحلقة الأولى من سلسلة الأعمال العدوانية لمبدأ أيزنهاور ، فأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية الأسطول السادس الى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وأعلنت وكالة اليونيتدبرس « أن الأسطول الأمريكى يقوم بمظاهرة تأييدا للملك حسين ، ولما كان الأردن خاليا من الشواطىء فان هذه المظاهرة تقتصر على تحليق الطائرات النفاثة وقاذفات القنابل

---

(١) من حديث عبد الناصر للصحفى الهندى كرانجيا فى مارس سنة ١٩٥٧

(٢) من خطاب عبد الناصر بالاسكندرية فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٧ .

(٣) حديث عبد الناصر لمجلة نيوزويك الامريكية فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧

وتعنبر تمهيدا لتنفيذ مشروع أيزنهاور فى حالة الضرورة(١) وأفلحت المؤامرات بعد تدفق الأموال للعملاء وسقطت الحكومة الوطنية برئاسة النابلسى بالأردن وقامت حكومة يمينية وقد تنبأت بذلك صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية قبل سقوط الحكومة بحوالى شهر فقالت « ان انقلابا سيتم فى الأردن يلعب فيه الرفاعى والمفتى دورا كبيرا »(٢) .

وقد شجع هذا النجاح الاستعمار الأمريكى واتجه الى سوريا وكلف الجيوش العراقية (حلف بغداد) والتركية (حلف الأطلنطى) والاسرائيلية بحشد قواتها على الحدود السورية وتوالت التحرشات العسكرية وأخذ الأسطول السادس الأمريكى يجوب البحر الأبيض المتوسط بالقرب من الشواطىء السورية وصورت الدعايات الاستعمارية للعالم أن سوريا ارتمت فى أحضان الشيوعية الدولية وأصبحت قاعدة عسكرية سوفيتيه الأمر الذى يضرب مصالحها فى الشرق الأوسط ويخشى من امتداد النفوذ الشيوعى ليشمل المنطقة بأسرها وبادر عبد الناصر عندما لاحت له مقدمات العدوان الى مساندة سوريا وشعبها المناضل وحكومتها الوطنية فأرسل فى أكتوبر سنة ١٩٥٧ قوات من الجيش المصرى لمساندتها تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين عام ١٩٥٥ وفشلت الخطة الاستعمارية فى ضم سوريا الحرة لهذا المشروع الاستعمارى وفى مواجهة هذه المؤامرات تمت الوحدة بين البلدين وقامت الجمهورية العربية المتحدة .

أما فى لبنان فقد كانت هناك حكومة عميلة تساير الاستعمار وتسيطر على دفة الحكم ورغم رفض الجماهير اللبنانية للمشروع الأمريكى فقد استقبلت الحكومة مبعوث أيزنهاور (المستر جيمس ريتشاردز) وانتهت زيارته بانضمام لبنان رسميا الى السياسة الأمريكية.ومنذ أعلن كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية فى ذلك الوقت أنه سيعدل فى الدستور لتجديد مدة رئاسته ست سنوات أخرى ، هب الشعب اللبنانى فى ثورته المجيدة ولعبت الدعاية الأمريكية دورها فى تصوير الأمر على أن هذه الثورة كانت لتدخل الجمهورية العربية المتحدة ،

---

(١) امريكا والشرق العربى ميشيل كامل سلسلة كتب قومية .

(٢) نفس المرجع السابق .

وأوحت للحكومة العميلة بتقديم شكوى الى مجلس الأمن ضد الجمهورية العربية المتحدة تتهمها بالتدخل فى شئونها ، وأعلن دالاس وزير الخارجية الأمريكى عزمه على ارسال جنود أمريكيين الى لبنان وتدفقت الأسلحة الى أعوان الاستعمار لضرب الثورة الوطنية وتحرك الأسطول السادس الى الشواطىء اللبنانية . وأعلن عبد الناصر . « ..... اننا نحمى استقلال لبنان واذا اعتدى أى فرد على لبنان واذا اعتدت اسرائيل على لبنان فاننا سنقوم بالتعاون مع لبنان ومساندة لبنان ..... » (١)

كما أدلى الرئيس بحديث صحفى(٢) ردا على الدعايات الاستعمارية أوضح فيه أن « الثورة اللبنانية قامت واستمرت منذ أعلن أن السيد / كميل شمعون رئيس الجمهورية سيعدل الدستور من أجل تجديد مدة رئاسته ، وأن التوتر مستمر منذ ارتباطه بالأحلاف الأجنبية . وأن حكامه اتهموا الجمهورية العربية المتحدة بأن الثورة اللبنانية نتيجة تسلل منها وأنها تمدها بالأسلحة . وتناسى مندوب لبنان حين تحدث بذلك فى مجلس الأمن أن حمل السلاح فى لبنان أمر قانونى وأن الجمهورية العربية المتحدة لم تعارض قرار مجلس الأمن بارسال هيئة مراقبين تابعة للأمم المتحدة لما سيترتب عليه من توضيح للحقيقة ». وطالب حكام لبنان الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا باحتلال لبنان لقمع الثورة الوطنية ، وتفاقم الموقف وأعلن « نيل مالكيرى» وزير الدفاع الأمريكى فى مؤتمر صحفى (٣) أنه لن يتردد فى استخدام القاذفات ب ـ ٤٧ (التى تحمل قنابل ذرية) فى الشرق الأوسط اذا تدخلت أى مؤثرات أخرى فى لبنان .

وكان من المقرر أن يجتمع رؤساء الدول الموقعة على حلف بغداد فى أنقرة فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ لبحث شئون الشرق الأوسط التى تتضمن تنظيم عملية التدخل فى لبنان للقضاء على ثورة شعبها وتثبيت دعائم حكم كميل شمعون .

---

(١) من خطاب عبد الناصر فى ١٦ مايو ١٩٥٨

(٢) من حديث صحفى مع عبد الناصر لجريدة الشعب نشر فى ٢٩ يونيو ١٩٥٨

(٣) امريكا والشعب العربي « ميشيل كامل ».

وفجأة ارتفعت فى هذا اليوم راية للحرية وصحا العالم على ثورة جيش العراق وشعبه فحطم أسوار سجنه الكبير وقضى على الرجعية وعادت للشعب حريته وسقط حلف بغداد وأصبح حلفا بلا بغداد•وفقد الاستعمار صوابه ونزلت القوات الأمريكية فى لبنان والقوات البريطانية فى الأردن تمهيدا لتوسيع نطاق عملياته العدوانية الى الجمهورية العراقية الفتية والاقليم السورى بالجمهورية العربية المتحدة • كان عبد الناصر فى ذلك الوقت فى زيارة ليوغوسلافيا ومن المقرر عودته الى القاهرة بطريق البحر • وكان العالم يرقب الباخرة الحرية وهى تسير فى هدوء فى البحر الأبيض المتوسط فى طريق عودتها الى الاسكندرية بينما الأحداث كلها في المنطقة العربية تسير بسرعة الصاروخ•الا أن عبدالناصر كان قد اتخذ أحد قراراته التاريخية ، وسافر الى الاتحاد السوفيتى وفجأة قطع راديو دمشق اذاعته وأعلن نبأ وصوله الى دمشق قادما من موسكو وسارع قادة ثورة العراق الى لقاء البطل الخالد فى دمشق فأعلن انطلاق القومية العربية من عقالها واكد مساندته وتأييده لثورة العراق وأعلن للشعب العربى(*) أن مباحثاته فى موسكو تناولت تطورات الموقف الدولى والعمل على وقف العدوان ضد الوطن العربى والمحافظة على السلام واستقلال البلاد العربية وقد أصدر رئيس الاتحاد السوفيتى بيانا يدعو فيه الى اجتماع مؤتمر للأقطاب لبحث تطورات الموقف الدولى والقضاء على التوتر وابعاد شبح الحرب • لقد كان عبد الناصر صادقا فى نبوءته التى تحققت (سوف تنتصر بيروت بعون الله) وكانت الوفاة الحتمية لمشروع ايزنهاور بسقوط حكم كميل شمعون فى لبنان وانتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية فأعاد الاستقرار الى بلاده والتقى بالرئيس الخالد على الحدود السورية اللبنانية •

(*) من خطاب عبد الناصر فى ميدان الجمهورية فى ٢٢ يوليه ١٩٥٨

الجزء الثالث

مؤامرة الانفصال السورية الرجعية

لم يستسلم الاستعمار واستمر فى حربه ضد عبد الناصر فكان هدفه الأكبر ضرب وحدة الأمة العربية ودبرت المؤامرة بفصل الاقليم السورى عن الاقليم المصرى ونفذت بقيام تمرد عسكرى انفصالى رجعى قامت به وحدة عسكرية من معسكر قطنه بدمشق فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ فاحتلت القيادة العامة للجيش والاذاعة وأعلنت الانفصال • وهب الشعب فى جميع أنحاء سوريا للذود عن ثورته وقوميته ، لجأ المتآمرون الى محاولة للتمويه وكسب الوقت بحجة أن لهم مطالب تخص الجيش ، وأنهم يريدون حلا وسطا وأعلن عبد الناصر رفضه للمساومة • وكانت الطعنة قاسية للقائد الخالد وعندما أشار عليه البعض بسحق العصيان قرر أن الوحدة ارادة شعبية ولن يحولها من جانبه الى عملية عسكرية وأوقف جميع العمليات العسكرية التى كانت قد بدأت لمناصرة الجموع الشعبية الثائرة ضد الحركة الانفصالية • وطلب من الأمة أن ترتفع فوق جراحها الى مستوى الموقف • ورغم ماوجه اليه من افتراءات واهانات من قادة الانفصال والرجعية العربية فقد كان على المستوى القومى وأعلن أن الوحدة الوطنية داخل سوريا يجب أن تحتل المكانة الأولى وألاتقف مصر فى وجه حكومة الانفصال عند عرضها لطلب قبول سوريا عضوا فى الأمم المتحدة أو الجامعة العربية وأن ذلك هو الطريق الوحيد لاجتماع الأمة العربية • ويواصل عبد الناصر نضاله معلنا • • • « خدعتنا الرجعية ••• وأخذنا الغرور ••• واعتقدنا أن الكفاح قد انتهى وعلينا أن نحول النكسة الى اندفاعة للأمام ••• »(*)

(*) من خطاب جمال عبد الناصر فى ٢ اكتوبر سنة ١٩٦١

وكان انتصارا للرجعية والاستعمار هللا له طويلا • الا أنه كان انتصارا مؤقتا فتعددت الانقلابات فى سوريا ، كلها تنادى وتهتف بشعارات الوحدة • ومازال الشعب السورى على قوميته وايمانه بالوحدة الى أن قام الفريق حافظ الأسد بانقلابه الأخير بعد وفاة الزعيم الخالد ، ونادى بالوحدة وبدأ فى اتخاذ الخطوات الايجابية نحو تحقيقها مع الثورات الوطنية الثلاث فى الجمهورية العربية المتحدة وليبيا والسودان •

الجزء الرابع

الحصار الاقتصادى

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية حربهـا الاقتصـادية على الجمهورية العربية المتحدة فى يوليو ١٩٦٤ بمنع ارسـال القمـح الى مصر بعـد هجوم عبد النـاصر عليها وفضح ضغوطها للنيل من استقلالنـا • ولنستعرض هـذه الحرب من واقع خطابى الرئيس الخالد : الأول فى عيد الناصر فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٦٤ والثانى فى ٢٢ يوليو ١٩٦٥ وحديثـه لمحطة تليفزيون واذاعـة كولومبيا الأمريكية فى ٩ يوليو ١٩٦٥ :

- كانت الولايات المتحدة الأمريكيـة تعطى القمـح لمصر كمسـاعدة اقتصـادية بشرائه بالعملة المصرية على سـبيل المعونة بمقتضى قرض يسدد على ٣٠ سنة بفائدة ٤٪

- تسلمت مصر القمح بكميات محدودة عـام ١٩٦٠ وتضـاعفت حتى عام ١٩٦٣ وبلغت قيمتها حوالى ٦٠ مليون جنيه •

- اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية رائدة الاستعمار العالمى أن هذه المعونة أصبحت سيفا مسلطا على رقبة جمال عبد الناصر وبدأت فى فى امـلاء شروطها والا كانت المجاعـة للشعب المصرى ، فطلبت من عبد الناصر التعهد بعدم انتاج الأسلحة الذرية والصواريخ مع منحها حق التفتيش فى بلادنا لضمان ذلك كما طلبت تجميد الجيش المصرى على الحالة التى وصل اليها •

- أعلن عبد النـاصر للشعب فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٤ هـذه الحرب الاقتصادية وشروط أمريكا التى رفضها قطعيا وقرر •••• أننا لا نبيع

استقلالنا بثمانين مليون جنيه ولا بثمانية آلاف مليون جنيه ولا نقبل تدخلا مهما كان الثمن •

- عقب هجوم عبد الناصر على الضغط الأمريكى فى هذا الخطاب أوقفت الولايات المتحدة الأمريكية ارسال القمح ، وكان الايقاف عندما كان احتياطى البلاد منه يكفى لمدة خمسة وأربعين يوما وبدأت المفاوضات مع بعض الدول لاستيراده •

لقد كان هدف الايقاف الضغط الى أقصى الحدود اقتصاديا على جمال عبد الناصر وشهر سلاح التجويع فى وجهه • وأصر على موقفه وبعث برسالة للسيد / رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى وصدرت الأوامر فورا للبواخر التى تحمل القمح من كندا واستراليا لتوصيله الى روسيا بالتوجه الى بلادنا ولم تبحث أى شروط بين الدولتين ولم يعقد أى اتفاق تجارى بل ولم يكن هناك اتفاق على سعر القمح وكانت الهزيمة للولايات المتحدة الأمريكية رائدة الاستعمار العالمى •

الجزء الخامس

الحلف الاسلامي

لم يعد خافيا على الجماهير العربية أهداف السياسة التوسعية للاستعمار بمحاولاته المتكررة ، لربطه بها ابقاء عليها في دائرة نفوذه واستغلاله وكان الفضل في ذلك يعود للمناخ الثوري الذي أشاعه جمال عبد الناصر في جميع أرجاء الوطن العربي وكشفه لحيل وأساليب الاستعمار في سبيل تسلله الى المنطقة العربية ، وانتهت محاولاته بالفشل الذريع . وكان لابد للاستعمار من الاختفاء وراء ستار يحجب مطامعه وسيطرته ، ووجده في الدعوة الاسلامية للقضاء على القومية العربية ونزع زمام الزعامة من بطلها عبد الناصر . وقد كشف عن ذلك أنتونى ناتنج الوزير البريطاني السابق اذ كتب عقب جولة قام بها في العالم بعد هزيمة العدوان الثلاثي على مصر أن « الوسيلة الفعالة للتفاهم مع القومية العربية يجب أن تكون عن طريق اقامة جامعة اسلامية في المنطقة . وعندئذ تخرج هذه البلاد عن حيز القومية العربية الضيق الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع حيث ينسى التركي والعربي والايراني والباكستاني جنسياتهم ولا يفكرون الا في الاسلام وعندئذ يمكن التفاهم مع الغرب وحتى مع اسرائيل » (١) .

ولجأ الاستعمار الجديد الى قناع الاسلام للتستر خلفه للسيطرة على الأمة العربية وكان الحلف الاسلامي ـ وتكفل القائد المناضل بفضح هذا الحلف وخلع القناع الاسلامي الزائف عن وجهه أمام الشعوب العربية في

(*) كتب قومية .

خطاب له بمناسبة عيد الوحدة فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٦ فاستعرض ما نشر بصحافة الدول الاستعمارية حتى تكون ادانة الاستعمار من فمه :

- نشرت الصحافة البريطانية فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٥ أن فيصل ملك المملكة العربية السعودية أوفد أحد أصدقائه فى مهمة سرية الى دول المغرب العربى للدعوة الى انشاء حلف اسلامى مقدس يتصدى للثورات التقدمية بالمنطقة العربية ولمكافحة الشيوعية ، كما نشرت صحيفة لاتريبون فى تعليق لها أن واشنطن كلفت فيصل وشاه ايران بالقيام بمهمة تشكيل الحلف الاسلامى • ثم أذاعت وكالة رويتر من طهران أن ملك السعودية سيبحث مع شاه ايران شئون الشرق الأوسط والوحدة الاسلامية • ونشرت صحيفة كومبا الفرنسية أن فيصل انتهز الهدنة فى اليمن لوضع أسس لتحالف ايرانى سعودى فى جميع المجالات وانشاء جمعية اسلامية متحدة •

- ثم عقدت صفقة أسلحة بريطانية مع السعودية علقت عليها مجلة جين أفريك الأمريكية بأن لها صلة بزيارة فيصل ودعوته لتحالف اسلامى وأن الصفقة والدعوة فيهما بعث لمشروع أيزنهاور الفاشل ، وتحقيق لحلم بريطانى أمريكى بقيام جبهة تخلف الحلف المركزى (حلف بغداد) للوقوف فى وجه القومية العربية والحياد الذى يجتاح الشرق الأوسط •

- فى ١٨ يناير سنة ١٩٦٦ ورد بصحيفة الديلى تلجراف البريطانية أنه طالما أن الشرق الأوسط حانوت مغلق من الدول العربية فان القاهرة تظل بلا جدال عاصمته السياسية ولكن وجود حلف اسلامى تشترك فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان يغير الوضع ، وكثير من الزعماء المسلمين يرددون أن الحلف الاسلامى يمكن أن يكون

أقوى نفوذا من القومية العربية فى الشئون العالمية • ويعلق الرئيس على ذلك بأن هذا النفوذ بالطبع لموالاة الغرب وأنه قام بعرض أمر هـذا الحلف عليهم لتوعية الجماهير المكافحة المناضلة فى البلاد العربية •

وثارت الجماهير العربية ضـد هذا الحلف الاستعمارى وتكشفت أبعاده أمامهم كما وصـفه عبد الناصر فى حـديث صحفى بأنه امتداد للاستراتيجية الاستعمارية « لمحاربة الثورة لتمكين الاستعمار الجديد تحت ستار الخوف من الغول الشيوعى • ولكنهم اليوم قد أعطوا هذا الاستراتيجية طلاء دينيا زائفا» (*) •

وأمام ثورة الجماهير ضد أى أساليب الاستعمار فى سبيل بسط نفوذه وسيطرته سقط الحلف الاستعمارى وانتصر عبد الناصر •

وأمام ثورة الجماهير ضد أى من أساليب الاستعمار فى سبيل بسط نفوذه الأمريكية للقضاء على عبد الناصر والنيل من زعامته ، لم يكن أمامه بد من ضربة كبرى تطيح بالبطل وتذهب به بعيدا فى وادى النسيان فلجأ الى صنيعته اسرائيل لتنفيذ أغراضه ، دون كشف سافر لأمره كما حدث فى العـدوان الثـلاثى • وكان عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧

(*) حديث عبد الناصر للصحفى الهندى كارنجيا فى ٨ مايو ١٩٦٦

الجزء السادس

عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧

ان اسرائيل تعد ثمرة ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن من النشاط الفكرى والسياسى والاقتصادى الذى مارسته الصهيونية العالمية • • فقد أكد المؤتمر الصهيونى السابع الذى انعقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٩٠٥ فكرة استقرار اليهود على أرض فلسطين العربية • • وكان من المستحيل أن يتحقق هذا الحلم الا بمساندة قوى السيادة العالمية فى ذلك الوقت ، فاتجهت الصهيونية الى الدول الاستعمارية الأوربية وعلى رأسها بريطانيا التى كانت تمثل أكبر قوة بحرية ، والتقت مصالحها مع مصالح الصهيونية ، اذ كانت فى حاجة الى تطوير أسلوب تواجدها فى الشرق العربى لضمان استمرار استنزاف خيرات المنطقة العربية ، وكان لقاؤهما التاريخى على أرض فلسطين فصدر وعد بلفور بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين لتصبح قاعدة للاستعمار تخدم مصالحه الاقتصادية والعسكرية فى هذا الجزء الحيوى من العالم •

ولعل أصدق تحليل لهذا الوعد ما كتبه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر فى رسالته الى جون كنيدى الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية فيقول :

« لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لايستحق ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق بالقوة وبالخديعة ، أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه ، وفيما يستحقه » •

والصهيونية كحركة منظمة ، ومخطط له مطامعه ، أدركت أنه لضمان بقائهايجب أن تكون هناك صلة عضوية بينها ، وبين دولتها اسرائيل ، وبين أكبر قوى الاستعمار العالمى ، تكون لها أطماعها فى المنطقة العربية • ومن هذا المنطلق كان تحالفها مع بريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى أكبر قوة استعمارية فى هذا الوقت ، ولكنها سرعان ما اتجهت نحو الولايات

المتحدة الأمريكية عندما تزايدت قوتها فى الربع الثانى من القرن العشرين وامتدت أطماعها فى الوطن العربى واقتحمت موارده البترولية والاقتصادية • فمارست الصهيونية مختلف الضغوط عليها لتحقيق آهدافها •• ولئن كانت بريطانيا قد قامت بدور المنجب والممهد للكيان الصهيونى فى قلب الوطن العربى ، فقد جاءت مرحلة الفطام لهذا الكيان ثم تغذيته ودعمه على يد الاستعمار الأمريكى (١) •

وهكذا كانت اسرائيل قاعدة استعمارية ، زرعت فى قلب الوطن العربى لتكون رأس جسر للاستعمار يستخدمها كأداة لتمزيق وحدته ، ومصدر ضغط وتوتر دائم فى منطقة الشرق الأوسط يستخدمها كلما تأزمت علاقاته مع شعوبها ضمانا لوضع الأرض العربية من الخليج الى المحيط تحت سيطرته حتى يتمكن من مواصلة استغلالها ونهب ثرواتها • • اذ تعتبر اسرائيل ، بما لا يدع مجالا للشك ، تجسيدا حيا للاستعمار المتعدد الأغراض فى شتى صوره : من استعمار استيطانى قام على طرد السكان الشرعيين واغتصاب وطنهم دون سند ، واستعمار استراتيجى عسكرى يبغى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم لما تتمتع به من موقع استراتيجى هام ، واستعمار استغلالى اقتصادى يقتحم موارده الطبيعية والاقتصادية الوفيرة • ومن ثم فان دولة اسرائيل تقوم على العنصرية ، والتوسع ، والعدوان • فالكيان عنصرى يهدف الى التوسع ووسيلته منطقيا هى العدوان والارهاب •

ونستطيع أن نلمس بصمات الالتقاء المباشر بين المصالح الصهيونية والاستعمارية بوضوح فى العدوان الثلاثى وبصورة أوضح فى عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ •• ذلك العدوان الاستعمارى الصهيونى تحت علم اسرائيل على البلاد العربية •• فهناك التداخل الأمريكى الاسرائيلى حربيا واقتصاديا وسياسيا ، وهناك القواعد العسكرية والأساطيل وأسلحة الضغط الاقتصادى ، وهناك الكم الهائل والأنواع المتطورة تكنولوجيا من

(*) كتاب الاستعمار الصهيونى فى فلسطين د . فايز صايغ .

الأسلحة التقليدية • • بهدف ضرب حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى التى بدأت تتعاظم بآفاقها الاشتراكية بزعامة عبد الناصر ، مهددة المصالح الأمريكية فى المنطقة • • • من هنا كان طبيعيا أن تركز القوى الاستعمارية ضرباتها اليوم ضد هذه النظم بهدف تصفيتها وعزلها والتخلص منها •

والخلاصة أن الاستعمار هو العدو الأساسى ، وهو جوهر القضية • وأن الجمهورية العربية المتحدة قاعدة النضال العربى والعالمى أصبحت هدفا لبطش الاستعمار المباشر الذى ينقض بكل قوته ليقضى على حركة التطور العربية والعالمية وعلى قياداتها ، وهو فى ذلك يستعمل اسرائيل قاعدة للبطش وأداة للعدوان •

ان تاريخ اسرائيل مع الجمهورية العربية المتحدة بالذات ليبين أنها قد تعرضت لسلسلة من الاعتداءات الاسرائيلية دون أى استفزاز من جانبها يوجب ذلك ـ وأن الاعتداءات على العوجة والكونتيلا والصبحة خلال سنوات ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩٥٥ يبرر بما لا يدع مجالا للشك كيف أن هذه الاعتداءات الاسرائيلية كانت لتحقيق توسع على حساب العرب أو لتهديدهم والضغط عليهم بهدف الالتجاء الى الاستعمار باعتباره الوسيلة الأساسية للحماية من اسرائيل ، ودفع الجمهورية العربية المتحدة الى الارتماء فى أحضان حلف بغداد الاستعمارى ، الذى رفض عبد الناصر ومعه الأمة العربية الانضمام اليه ، وفى نفس الوقت رفضت دول حلف الأطلنطى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تسليح جيش مصر •

ثم كان تحطيم مصر لاحتكار السلاح وفشل الاستعمار فى الوصول الى أهدافه • وبدأت السياسة المصرية تتجه اتجاها واضحا الى تحقيق الاستقلال الوطنى الكامل بما فى ذلك الاستقلال الاقتصادى والتحرر

من مناطق النفوذ • وأخذ عبد الناصر يلعب دورا هاما فى قيادة الحركة العربيه الوطنية المتصاعدة ، التى ترفض الخضوع للاستعمار وتسعى الى التحرر والوحدة • وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تضغطان على مصر لاجبارها على تغيير مسلكها عن طريق سحب تمويل مشروع السد العالى وتدخل الاستعمار سافرا فى صورة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ • ولكن الصراع العربى من أجل الاستقلال تصاعد واستمر •

مقدمات عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ :

ان المرحلة التالية للعدوان الثلاثى شاهدت اعادة تشكيل الأوضاع فى المنطقة العربية :

- فمن ناحية بدأت الولايات المتحدة الأمريكيه تحاول أن تحتل فى المنطقة المكانة التى كان يحتلها الاستعمار البريطانى والفرنسى • وأخذت تلعب دورا قياديا بدأته بمشروع ايزنهاور فى مواجهة حركة الثورة العربية المتصاعدة وتنسق بين القوى المختلفة المضادة لمسار هذه الثورة وتخطط لها •

- ومن ناحية ثانية اشتد ساعد قوى الثورة العربية ، وحققت عديدا من الانتصارات فى العراق ، واليمن ، وسوريا ، والجزائر ، والجنوب العربى ، والسودان وفى الجمهورية العربية المتحدة تأكدت المسيرة فى طريق التحول الاشتراكى لتحقيق التنمية الهادفة لبناء دولة صناعية زراعية متقدمة ، وتحقيقا للعدل الاجتماعى •

وكان من نتيجة استقطاب القوى الرجعية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لوقف تيار الثورة العربية من جانب ، وللتطور المستمر لهذه الثورة من جانب آخر دور هام فى زيادة حدة الصراع الوطنى والقومى والاجتماعى فى الفترة السابقة للعدوان مباشرة •

وقد تميزت هذه الفترة بعدد من الاتجاهات العامة التى يمكن تلخيصها فيما يلى :

- اتباع الاستعمار لاستراتيجية الهجوم على النطاق العالمى ـ (العدوان الأمريكى على فيتنام وعلى جمهورية الدومينكان) والتدخل فى العديد من الدول الأفريقية والآسيوية ، ومساندة الانقلابات الرجعية فى أندونسيا وغانا . وفى اطار من هذه السياسة العامة كانت أمريكا تتحرك فى الشرق الأوسط ، تحاول أولا تغيير الأوضاع فيه عن طريق الضغوط الاقتصادية ، فكان التوقف عن امداد مصر بالقمح ، ثم محاولة ثانية لايجاد تكتل من القوى العربية الرجعية لمواجهة قوى الثورة مستترا باسم « الحلف الاسلامى ، ومن ناحية ثالثة كانت هناك محاولات التجسس الأمريكية خلال عامى ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ بعد أن فشلت مؤامرة الاخوان فى ١٩٦٥

وأثر فشل هذه المحاولات ، زاد الحديث فى الصحافة الأمريكية عن احتمالات الحرب فى المنطقة الشرق الأوسط ، وأخذ الأسطول السادس يتحرك فى البحر المتوسط ، وأعلن أشكول أن جونسون أبلغه أن الأسطول السادس موجود لحماية اسرائيل .

- وفى هذا الوقت كان هناك العديد من القوى تتحرك فى منطقة الشرق الأوسط كما أن المحاولات التى بذلت لتصفية الخلافات بين الدول العربية فى مؤتمرات القمة العربية لم تحقق نجاحا يذكر ، والمحاولات التى بذلت لتصفية حرب اليمن لم تأت بنتيجة . وبالتالى فشلت الجهود العربية لمواجهة اسرائيل ومنع محاولاتها لتحويل نهر الأردن .

وكانت تحركات الاستعمار وأعوانه فى المنطقة بهدف عزل عبد الناصر وتشتيت قوى الجمهورية العربية المتحدة فى أكثر من مواجهة ،

واتخذت هذه التحركات والجهود أشكالا متعددة من مساعدات طائلة بالمال والسلاح للمرتزقة فى اليمن ، الى المناداة بالاعتراف بسياسة الأمر الواقع فى وجود اسرائيل .

وهكذا كانت القوى المضادة للثورة العربية تتحرك فى مخطط منسق من أجل وقف نموها وهزيمتها ، وايجاد أوضاع جديدة فى البلاد العربية تسمح باستمرار السيطرة الاستعمارية واستقرار أنظمة الحكم الرجعية .

- وقد كان للنضال العربى دور بارز فى الحركة العالمية للتحرر الوطنى واستطاع عبد الناصر بثورته فى ٢٣ يوليو أن يحقق الاتصال بالثورات التحررية فى القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، مؤكدا دورها المؤثر فى مرحلة طلب استقلال السياسى أو فى مرحلة تدعيم الاستقلال السياسى عن طريق بناء الاستقلال الاقتصادى بالتنمية الشاملة والمستمرة لثروات مصر الوطنية .

ويمكن تناول العلاقة بين النضال العربى ونضال الحركة العالمية للتحرر الوطنى فى نقطتين :

الأولى :

هى اصرار النضال العربى بقيادة عبد الناصر على تقديم المثل على الأرض العربية لكل الشعوب الثائرة ، فقد تصدى دون تردد لكل المؤامرات الاستعمارية التى تزايدت منذ قيام ثورة عبد الناصر .

الثانيـة :

هى مساندة النضال العربى لدول حركة التحرر الوطنى بكل الوسائل الممكنة سواء من خلال العلاقات المباشرة للجمهورية العربية المتحدة ، أو من خلال المنظمات والمؤتمرات الدولية . وكان لعبد الناصر دوره البارز فى هذا المجال ، فلم تبخل الجمهورية العربية المتحدة على دول التحرر الوطنى بالقروض

والمعونات فى حدود امكانياتها الاقتصادية المتاحة ، فوقعت اتفاقيات قروض مع غينيا ومالى وغيرهما من الدول المتحررة . كما وقفت بصلابة مع الحركة الوطنية فى الكونغو فمدتها بالمعونات ، وأدنت العدوان الأمريكى فى فيتنام . وساندت الشعب الأفريقى فى المستعمرات البرتغالية فى أنجولا وموزمبيق .

هذا كله علاوة على دورها فى مؤتمرات التنمية الدولية سعيا الى تجميع كلمة دول الثورة الوطنية من أجل وقفة موحدة ضد ألاعيب الدول الاستعمارية لتحطيم هذه المؤتمرات ، واحباط جهود الدول النامية للحصول على فرص متكافئة لاحراز التقدم .

اهداف العدوان ووسائله :

يلتقى الاستعمار العالمى والصهيونية فى هدف عام مشترك فى الوطن العربى يمكن تلخيصه فى الحيلولة دون نجاح الثورة العربية فى بناء الدولة العربية الواحدة الديمقراطية الاشتراكية ، وينبع من هذا الهدف العام هدف خاص يتمثل فى تحقيق السيطرة السياسية والاقتصادية على المنطقة ، وفرض السيطرة على اقتصاديات الوطن العربى يقتضى نوعا من السيطرة السياسية يضمن تهيئة المناخ والأوضاع الممكنة لاستمرار وتدعيم الاستغلال الاقتصادى الاستعمار ، ووسيلة كل من القوتين المعاديتين لتحقيق هذه السيطرة السياسية والاقتصادية تتمثل فى العمل من أجل بقاء الأوضاع فى الوطن العربى على ما هى عليه من حيث التخلف ، لضمان الاحتكارات البترولية فى المنطقة فى ظل حماية سلسلة من القواعد العسكرية أقامها الاستعمار على امتداد الأرض العربية ، مع بقاء حالة التجزئة والتمزق السياسى باشاعة الفرقة ، واقامة الحدود والحواجز المصطنعة ، وقاعدته اسرائيل . هكذا تبلورت أهداف الاستعمار والتقت مع هدف اسرائيل والصهيونية فى :

- ضرب حركة القومية العربية ، والقضاء على حركة التحرر فى الوطن العربى خاصة بعد نجاح ثورة اليمن ، واشتداد الثورة فى جنوب اليمن والخليج العربى .

ـ القضاء على حركة تحرير فلسطين التى أخذت تشتد بعد انشاء منظمة التحرير الفلسطينية وبناء جيش فلسطين •

ـ تلافى الاستعمار فى تدعيمه لاسرائيل هذه المرة أخطاءة السابقة فى العدوان الثلاثى بأمل ألا تفتضح نواياه ، وحتى يتجنب غضبة الشعوب العربية وآثارها البعيدة على مصالحه الاقتصادية فى المنطقة وعلى أمل وجوده فيها •

وبالرغم من ذلك ، فلم يعد خافيا مقدار الدعم العسكرى الذى قدمته أمريكا وبريطانيا لاسرائيل فى العدوان من طائرات ومعدات وحماية بحرية وجوية ، ومتطوعين واستخدام أجهزة التشويش لاعاقة أجهزة الانذار ، وكذلك أجهزة التجسس •

واختارت اسرائيل ضربتها قبل أن يبدأ مفعول اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن والعراق •

ويهدف الاستعمار من ضربته بواسطة اسرائيل الى :

ـ اسقاط عبد الناصر رمز الوحدة العربية ومحاولة بث روح اليأس فى العرب واقناعهم بأن اسرائيل قادرة ، وقواتها لاتقهر • واقناعهم فى نفس الوقت بأنهم عاجزون وعليهم أن يقبلوا الأمر الواقع ، وفرض السيطرة الاستعمارية عليهم •

ـ ايهام الدول النامية والمتحررة التى كانت تتخذ الجمهورية العربية المتحدة مثلا ، بأنه لا سبيل الى الحياة أمامها الا بالارتماء فى أحضان الغرب والخضوع لسيطرته •

وتحركت اسرائيل فى اطار الاستراتيجية العامة للاستعمار الأمريكى ، وبتحالف وثيق معه • فان كان الاستعمار يهدف أساسا الى تصفية الثورة العربية ، فان لاسرائيل أهدافها الذاتية فى التوسع وفرض الصلح على البلاد

العربية . والتفت مصالح الطرفين فيما يتعلق بتوجيه ضربة قاصمة للدول التحررية فى العالم العربى وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة .

وقد استطاعت اسرائيل فى اطار من الانقسام القائم بين النظم التقدمية والرجعية فى العالم العربى ، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحول الى معسكر مسلح . وحصلت على مساعدات ضخمة فى شكل أسلحة مجانية من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية ، وأعدت بالفعل خططها للهجوم على المنطقة العربية ، وبدأت سلسلة من التحرشات الواضحة ابتداء من أوائل عام ١٩٦٧

المؤامرات الاستعمارية السابقة للعدوان :

ان العدوان المدبر على قرية السموع الأردنية سنة ١٩٦٧ كان بداية للتحرشات الاسرائيلية ولسياسة الارهاب الاسرائيلى ، وكانت اسرائيل قد تحولت بالفعل الى معسكر مسلح . واختارت ــ ظاهريا ــ الأردن وسوريا لممارسة سياستها وكانت الحقيقة أن هدفها الرئيسى الذى يشاركها فيه الاستعمار العالمى ، هو جمال عبد الناصر عدوهما الأول ، ويعلمون أنه لن يسكت عن مساندة البلاد العربية موضع الاعتداء ، فتتهيأ الظروف للدخول معه فى معركة ، اعدتها اسرائيل فى احكام وتدبير . لقد برز هذا الاتجاه بوضوح فى السياسة الصلبة التى اتخذتها اسرائيل وخاصة ازاء سوريا ، فبعد عدوان مدبر بالطائرات على دمشق تردد أكثر من تصريح لمسئولين اسرائيليين عن استعداد اسرائيل للزحف على دمشق ، وتغيير الأوضاع القائمة فيها بالقوة المسلحة .

وليس من المعقول أن يقف عبد الناصر موقف المتفرج ازاء التهديدات والاعتداءات الاسرائيلية على الأردن وسوريا ، والا حدث التفكك السريع فى قوى الثورة التقدمية العربية . فتحركت القوات المصرية الى سيناء لمجابهة تحرشات اسرائيل والاستعمار . وطالبت الجمهورية العربية المتحدة بسحب قوات الطوارىء الدولية ، وأغلقت خليج العقبة فى وجه اسرائيل .

وبدأت السياسة الأمريكية عملية من أكبر عمليات التمويه والخداع :

- اتصلت أمريكا بالاتحاد السوفيتى باعتباره أقوى الأصدقاء للعرب زاعمة أن واشنطن وموسكو تستطيعان بذل جهود مشتركة لحل الأزمة فى الشرق الأوسط حلا سلميا ، وهى بهذا تتظاهر بمظهر الدولة الحريصة على السلام فى المنطقة .

- وجه الرئيس جونسون نداء الى الجمهورية العربية المتحدة،واسرائيل يطلب فيه ضبط النفس حتى لا تكون احداهما هى البادئة باطلاق النار . وبلغت مسرحية نداءات ضبط النفس حدا هائلا ، فاستدعى مستشار الرئيس جونسون سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن وأبلغه رسالة من جونسون الى الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يرى فى هذه الظروف ألا يترك شيئا للمصادفات ، وأنه من الضرورى ضبط النفس حتى لا تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة الى التدخل ضد مصر . وفى نفس الوقت كان الرئيس الأمريكى جونسون يتصل بالرئيس السوفيتى اليكسى كوسجين يرجوه أن يبذل مساعيه الحميدة لدى القاهرة حتى لا تبدأ بالهجوم .

- وكانت النتيجة أنه فى نفس الليلة التى وصلت فيها رسالة الرئيس جونسون الى الرئيس عبد الناصر ليلة **٢٦** مايو **١٩٦٧** من سفيرنا فى واشطن توجه السفير السوفيتى بعد منتصف هذه الليلة الى مقابلة عبد الناصر مبلغا اياه رسالة الرئيس كوسيجين بضبط النفس .

وازاء هذا أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أنه لن يكون البادىء بالعدوان ... ولم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية بهذا التظاهر بالحرص على السلام ، بل راحت تقوم بنشاط سياسى واسع المدى يوحى بأنها تبحث عن حلول أخرى غير الصدام المسلح .

- وفى أثناء هذه التحركات السياسية الأمريكية كانت زيارات أبا ايبان « وزير خارجية اسرائيل » المشبوهة لكل من واشنطن ولندن .

ووراء ذلك كله كان التدبير الحقيقى للعدوان يستكمل استعداداته بطريقة سرية وسريعة ودقيقة ، ولم تكن هـذه المناورات السياسية سوى غطاء لمـا يدبر فى الخفاء مع اسرائيل من جهة ، ولاعطائهـا فرصة للاستعداد والقيام بالضربة الغادرة المفاجئة من جهة أخرى •

ولم يكن من المعقول أن تقف الولايات المتحدة الأمريكية موقف الحياد من النزاع الاسرائيلى العربى رغم كل ماتدعيه • فهى صاحبة اليد الطولى فى خلق اسرائيل والابقاء عليها عن طريق المعونات والمساعدات بطريق مباشر وغير مباشر • ولكنها فى هذا الادعاء تهدف الى تغطية الدور الحقيقى الذى تمارسة فى تواطئها مع اسرائيل • • هذا الدور الذى تكشفه أقوال المسئولين من الأمريكيين والاسرائيليين فى الأيام السابقة للعدوان :

– ففى ٢٣ مايو أعلن الرئيس جونسون أن اشراف مصر على الملاحه فى خليج العقبة عمل غير مشروع ، وتهديد خطير للسلام •

– وفى ٢٤ مايو : أعلن ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل بأنالأسطول السادس فى خدمة اسرائيل •

– وفى ٢٩ مايو : تعهـــد الرئيس الأمريكى لاسرائيل بتوفير البترول ومساعدات عسكرية ضخمة • كما صرح وزير خارجية اسرائيل بأن اسرائيل واثقة من أنها لن تجتاز هذا الأسبوع الامتحان بمفردها كما بعث نائب الرئيس الأمريكى الى اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية الأمريكية برســالة جاء فيها : ان اسرائيل شـقيقة أمريكا وشريكتنـا وصديقتنا التى نحرص عليها •

– وفى ٣٠ مايو : صرح متحدث رسمى باسم وزارة الدفاع الأمريكية بأن شحناتمن الذخيرة تنقلها الطائراتمن ترسانات الجيش الأمريكى الى اسرائيل مباشرة •

العدوان المسلح :

وقفت أمريكا الى جانب اسرائيل وتكفلت حاملات الطائرات البريطانية والامريكيـة فى البحر الأبيض المتوسط بحمـاية الأجواء الاسرائيلية أثنـاء المعركة ، وحقق ذلك هدفين لاسرائيل :

- أن تكون القوة الاسرائيلية الجوية كلها مخصصة للهجوم على الجبهات العربية ٠

- ألا يكون هناك مجال لاسقاط طائرة أمريكية فى أى عملية خارج اسرائيل حتى لا يكشف التواطؤ ٠

وتولت طائرات « يو ٢ » الأمريكية الشـهيرة أعمـال التجسس الجوى فى الفضاء العالى باستكشاف الدفاع الجوى المصرى ، وتحديد ممرات الأمان التى يمكن للقوة الاسرائيلية الجـوية أن تسلكها فى هجوم مفاجىء على القوات الجوية العربية ٠

- وقامت اسرائيل بتوجيه ضربتها المفاجئة فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ للطـيران المصرى وشلت فاعلية قواتنـا المسلحة وتحقق لهـا النصر السريع الذى فاق كل أحلامها ٠

ويؤكد الزعيم الخالد فى خطابه التاريخى فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، كيف تفوق العدو ٠ ٠ ٠ بمساعدة من تواطئوا معه :

« ٠٠٠ ان العدو غطى فى وقت واحد جميع المطارات العسـكرية والمدنية فى الجمهورية العربية المتحدة ٠٠ ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية لحماية أجوائه من أى رد فعل من جانبنا ، كما كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصـل عليهـا ٠٠ ومع ذلك فالثابت الآن أن حامـلات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شـواطىء العـدو تساعد مجهوده الحربى ٠٠٠ » ٠

- وظهر التواطؤ الأمريكى الاسرائيلى جليا حين اكتشف أمر باخـرة التجسس «ليبرتى» التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية عندما هاجمتها الطائرات الاسرائيلية اعتقادا منها أنها مصرية ، وكانت تقف بالقرب من الشواطىء المصرية فى سيناء لالتقاط جميع الاشـــارات الصادرة من غرفة عمليات القيادة المصرية وحل رموزها والتدخـــل للتأثير على الاتصالات بين القيادة المصرية وقواتها فى جبهة القتال .

- كما افتضح أمر الدعم العسكرى غير المحدود لاسرائيل ، وامدادهـا بالمتطوعين من الطيارين والملاحين الأمريكيين .. ووضع الأســطول السادس والأسطول البريطانى ، والقواعد الأمريكية والانجليزية فى خدمة العمليات الحربية الاسرائيلية .

ووقفت أمريكا فى مجلس الأمن ضـــد الاقتراح السوفيتى بادانة أعمال اسرائيل العدوانية والمطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية فورا وبلا شرط .. وادعت أمريكا أن فى ذلك خطوة الى الوراء !! ولأول مرة يصدر عن مجلس الأمن قرار بايقاف اطلاق النار دون أن ينص على انسحاب القوات المعتـدية وفقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة .

كما حاولت أمريكا عرقلة اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة خشية عدم تمكنها من خدمة مصالح اسرائيل كما تفعل فى مجلس الأمن ، وحينمـا فشلت ، حاولت فى أول جلسة للجمعية العامة فى ١٧ يونيو أن توسع المناقشة بهدف تمييعها ، وتعطيل الأمم المتحدة عن ادانة العدوان .

ومن هنا يتضح لنا فى جـلاء أن قضية التواطؤ الســياسى ، والتدخل العسكرى لم تعد فى حاجة الى ما يؤكدها .. وأنها ليست فى حاجة الى أقوال الأسرى الصريحة الذين اشتركوا فى العدوان المسلح ، والتى قد يقال ، انها صدرت فى ظروف غير عادية فى ظل الأسر .

ماذا حقق العدو من انتصاره :

ونتيجة للخطأ فى تقدير القوى من جانب ، والمخادعة الأمريكية من جانب آخر ، والأخطاء التى ارتكبتها قيادة القوات المسلحة المصرية ، تمكنت اسرائيل من تحقيق النصر العسكرى ، وتخيل الاستعمار العالمى واسرائيل أن الأوان قد آن فعلا لتحقيق كل الأهداف التى يسعيان اليها فى المنطقة العربية ، وهى تصفية الثورة العربية والقضاء على رمز آمالها جمال عبد الناصر ، مع دعم النظم التقليدية ، وتثبيت الانقسام بين أجزاء الوطن العربى ، وحماية الاستثمارات البترولية بما يؤدى الى مزيد من الأرباح للشركات الاحتكارية ، والى السيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة بما يدعم المركز العسكرى بصفة عامة ، كما أتيحت للاستعمار نقطة هجوم قريبة من الاتحاد السوفيتى وباقى دول المعسكر الاشتراكى ، والى جانب هذه الأحلام التى راودت الاستعمار ، فقد خيل لاسرائيل أنها أصبحت قادرة على فرض الصلح على العالم العربى ، وعلى توسيع رقعة أراضيها توطئة لبلوغ هدفها النهائى فى تكوين دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات ، لقد بدا بعد الهزيمة أن الأمة العربية لابد وأن ينتهى بها الأمر الى القبول بكل طلبات الاستعمار والى الاذعان الى كل ما تطالب به اسرائيل ،

كانت هذه هى خطة الاستعمار واسرائيل التى فى اطارها وقع عدوان يونيو ١٩٦٧ ، فترك على واقع الصراع بصمات جديدة تشكل مجموعة من النتائج المباشرة السلبية والايجابية التى تكون مع بعضها الواقع الذى انتهى اليه العدوان والذى يسعى كلا الطرفين لدفع نتائجه الايجابية خطوات الى الأمام ،

واستطاعت اسرائيل والاستعمار العالمى أن يحرزا نصرا عسكريا ، واحتلت اسرائيل بالفعل مساحات كبيرة من الأراضى العربية فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن ، وأصبحت جيوشها فى موقع دفاعى أفضل ، بعد أن بعدت خطوط وقف اطلاق النار عن حدودها ، واحتمت بعوائق طبيعية فى قناة السويس ، ونهر الأردن وهضبة الجولان ، وقد أدت المعركة الى خسائر اقتصادية جسيمة بالبلاد العربية التى احتلت اسرائيل أرضها ، فأغلقت

قناة السويس أهم مصادر النقد الأجنبى فى مصر ، واحتلت سيناء بمصادرها البترولية والتعدينية الهامة • وتنحى عبد الناصر عدو الاستعمار الأول ، الذى اعتقد أن أهدافه قد تحققت • ولكن الهبة الشعبية الواسعة النطاق التى شملت كل البلاد العربية يومى ٩ ، ١٠ يونيو منذ لحظة سماع خبر تنحى عبد الناصر ، والتى بلغت أقصاها فى الجمهورية العربية المتحدة سرعان ما شتتت أحلام الاستعمار واسرائيل • واستطاع ايمان الشعب بزعيمه أن يحول قسوة الأيام التى عشناها بعد ٥ يونيو ومرارتها الى طاقة تفجرت بالاصرار على المقاومة والنصر •

لقد وصف عبد الناصر موقف الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو بأنه كان « • • • بعثا للثورة وتجديدا لشبابها ، والهاما لا يخيب ، وضوءا لا يخبو أمام طريق المستقبل • • • » •

عبد الناصر رمز النضال :

هب الشعب العربى كله ليعلن على العالم أجمع أنه يرفض الاستسلام ، ويرفض الهزيمة ، ويصر على أن الهزيمة العسكرية هزيمة فى معركة واحدة من معارك نضاله الطويل فى مواجهة اسرائيل والاستعمار بقيادة عبد الناصر •

لقد أذهلت المفاجأة قوى الاستعمار واسرائيل التى لم تكن تتوقع مثل هذا الحدث ، وبدأ الاستعمار يلعب دوره لتحقيق أهدافه النهائية عن طريق المبالغة فى ابراز النكسة وأبعاد الهزيمة ، والصعوبات الاقتصادية ، التى لابد وأن تتعرض لها البلاد التى أحتلت أراضيها ، وما يتطلبه ذلك من تضحيات يقع عبؤها على الشعب والتشكيك فى موقف الاتحاد السوفيتى • كل ذلك بهدف محاولة فتح ثغرة تؤثر فى العلاقات بين العرب والدول الصديقة ، وتمزيق الوحدة العربية ، وتفتيت الوحدة الوطنية بين الجيش والشعب ، تلك الوحدة التى كانت من أعظم مكاسب الثورة • وأخذ الأعداء يستخدمون كل الوسائل لبث السموم ، وخلق البلبلة ، واثارة الشائعات فى الداخل وزعزعة الثقة فى كفاءة القوات المسلحة وقدرتها ، ومحاولة ايقاف عملية التنمية وبناء المجتمع ، والقضاء على عناصر القوة الذاتية قبل أن تكتمل •

الدعم العربي في مواجهة العدوان :

بدأ الشعب العربي ، بعد الهزيمة مباشرة في اعادة تنظيم صفوفه لمواجهة الأوضاع الجديدة • وفي مؤتمر القمة بالخرطوم الذى اشترك فيه عبد الناصر أمكن تحقيق الاجماع العربي على عدم الصلح مع اسرائيل ، وعدم المفاوضة معها ، وعدم الاعتراف بها ، والسعى بكل الطرق لازالة آثار العدوان ، مع عدم المساس بحقوق شعب فلسطين • كما أمكن تصفية الخلافات العربية المتعلقة بحرب اليمن ، وأخيرا أمكن الاتفاق على أن تدعم أهم الدول البترولية (الكويت والسعودية وليبيا) البلاد العربية التي تحملت العدوان اقتصاديا بتعويضها عن تلك الخسائر التي ترتبت على احتلال أراضيها وأمكن بذلك العمل على استمرار الأوضاع الاقتصادية التي كان الاستعمار قد تنبأ بانهيارها في مدة لاتتجاوز الشهور الستة •

وتعاقبت الأحداث في سرعة على جبهة القتال الممتدة شرقا وغربا حول اسرائيل تؤكد أن ثمة تطورا يحدث كل يوم على هذه الجبهات •

درس النكسة :

كان من نتائج العدوان كشف مواقف الامبريالية ، اذ أن كثيرا ممن خدعوا في نوايا الدول الاستعمارية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وانزلقوا بسذاجة الى دعوى الفصل بين مصالح الاستعمار ومصالح الصهيونية، ظهر لهم بجلاء أن اسرائيل ليست الا جنديا مرتزقا في الكتيبة الاستعمارية تحارب لتكسب الكتيبة ، ويكسب هو •

ان السياسة الدولية لاتحكمها المجاملات والعواطف ، فمصالح أمريكا تدافع عنها اسرائيل ، وبالتالي فان أمريكا لا تتخلى عن اسرائيل ، ولن تتخلى عنها ، والدليل على ذلك أنه غداة حريق المسجد الأقصى لم تجامل أمريكا أصدقاءها من الحكام العرب الذين يحمون مقدسات الاسلام ، وطالما دعوا الى الحلف الاسلامي بل على العكس من ذلك تماما أعلنت عن تزويدها اسرائيل بطائرات الفانتوم وسلمتها صفقة منها بالفعل •

ولم تجامل انجلترا حلفاءها التقليديين فى المنطقة على حساب ما تعتقد أنه مصلحتها ، بل تتخذ من الخطوات ما يدل فى وضوح على تمسكها الكامل بمساندة اسرائيل مع ما فى ذلك من الاضرار بمن كانوا يعتبرونها الدولة الحامية لهم •

وافتضح تخاذل الأنظمة التقليدية العربية ، وعدم قدرتها على رؤية ماهو أبعد من مصالحها الشخصية دون النظر الى تطلعات جماهير الشعوب حتى فى أولى قضايا العرب المصيرية ، قضية ازالة آثار العدوان ، والوقوف موقفا حاسما من القوى الاستعمارية المفتضحة فى موقفها السافر مع العدو •

وظهرت بوضوح سلبيات الاعلام للرأى العام العالمى فيما قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأن العمل والاقناع الهادىء والحقائق العلمية هى البديل الوحيدللخطب الرنانة ، والانفعالاتالعاطفية ، وأن المحاولات المستمرة المتعددة والمتطورة الأساليب للاقتراب من قطاعات الرأى العام العالمى فى كل دول العالم الصديقة والمحايدة والعدوة ، أجدى بكثير من تركها لتسيطر عليها الدعاية الصهيونية •

فرضت المقاومة الباسلة لشعب فلسطين قضيته العادلة على الرأى العام العالمى ، واكتسبت أزمة الشرق الأوسط بعدا جديدا يطرح حقوق هذا الشعب الذى يناضل فى أصعب الظروف وأقساها •

ظهر بوضوح دور أصدقاء العرب فى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الذين قدموا للنضال العربى ، وما زالوا يقدمون ، كل أشكال العون السياسى والاقتصادى والعسكرى • وفى تصريحات عبد الناصر مايغنى عن كل تعليق فى مجال تقدير موقف السوفيت والمعاونة الصادقة من الحكومات والشعوب فى البلدان الاشتراكية التى لم يكن لها أى شروط مقابل دعمها للنضال العربى المصيرى ، انطلاقا من التقاء المصالح فى مواجهة الامبريالية العالمية والعنصرية •

جهود عبد الناصر لازالة آثار العدوان :

اذا كانت أحداث صيف عام **١٩٦٧** قد أدت الى هزيمة عسكرية بدلا من النصر ، فان عبد الناصر بجهوده الخلاقة وتحركة الدءوب فى كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والقومية قد حال دون هدف العدو فى استسلام الشعوب العربية ، وسقوط الحكومات التقدمية فى الوطن العربى ، وفرض العدو لارادته .

فقد أعاد عبد الناصر القضية القومية والوطنية لتصبح هى القضية الأولى التى تواجه الشعوب العربية فى سبيل تحرير الأرض المحتلة وتحقيق السيادة القومية والوطنية على الأراضى العربية .

وأشار بعد ذلك الى بعض العوامل التى شابت مسيرتنا الثورية ، وبعض العناصر التى انحرفت عن هذه المسيرة .

ثم رفع شعاره : يد تبنى ويد تحمل السلاح .

وفى أقل من عام كانت الجمهورية العربية المتحدة قد انتهت من مرحلة نقد النفس ، ونفضت الغبار الذى لحق بها ، والذى كان من بين عوامل الهزيمة. فالقوات المسلحة تعيد بناء نفسها ، والأمة العربية تملك من ارادة التصميم مالم تملكه فى يوم من الأيام ، وتصاعد كفاح المقاومة الفلسطينية ، والرأى العام العالمى أصبح يرى من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى أكثر وضوحا .

وقال عبد الناصر (*)

« . . . ان العدو فى هذه السنة فاتته ثلاث فرص محددة تصور أنها سوف تأتيه بالنتيجة السياسية للعمل العسكرى الذى بدأه يوم ٥ يونيو ..

ــ فرصة مفاجأة الهزيمة : وقد تصورها من الناحية النفسية والمعنوية قادرة على تحطيم ارادة المقاومة لدى شعبنا واجباره على الركوع . لكن جماهير ٩ و ١٠ يونيو غيرت اتجاه التيار وكانت المفاجأة للعدو ذاته .

(*) خطاب عبد الناصر فى الذكرى الاولى لخمسة يونيو .

- فرصة الضغط الاقتصادى : وقد تصور العدو أن هذا الضغط سوف يحقق فعله فى شهر ديسمبر الماضى •• لكن تضامن الأمة العربية وتكافلها الى جانب المنجزات المحققة التى بناها الشعب المصرى ، عززت كلها ارادة المقاومة السياسية بسند اقتصادى سليم متين •

- ثم فرصة تمزق الجبهة الداخلية المصرية •• قد تصورها العدو قريبة من بداية هذا العام ، لكن العدو أخطأ فى تفسير تململ الجماهير فى حين كانت هذه الجماهير تطلب التغيير والتصحيح اصرارا على مبادئها وأهدافها ، فلقد ظن العدو أن هذا التململ بداية للتخلى والمقدمة للقعود •••

وفى يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ ألقى عبد الناصر بيانا على المواطنين عرض فيه برنامج عمل محدد « ••• يكفل وصولنا الى الأهداف القريبة لنضالنا ، ويقرب منا يوم الوصول الى الأهداف البعيدة لهذا النضال ••• » وتضمن برنامج العمل المقترح ، جانبا يتعلق بحشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو ولتحرير الأرض وتحقيق النصر ، وجانبا يتعلق بتعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كاملة من أجل واجبات التحرير والنصر ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر • وجاءت موافقة الشعب عليه بما يشبه الاجماع ، وأصبح وثيقة سياسية هامة الى جانب ميثاق العمل الوطنى •

ومضى عبد الناصر فى طريق تنفيذ برنامج ٣٠ مارس مؤكدا : « ان بيان ٣٠ مارس من وضع الجماهير ومن صنعها • فقد كان صدى لصوت الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو حين خرجت الجموع معلنة رفض الهزيمة ومطالبة بالصمود وبالوحدة الوطنية » •

وبسرعة تفوق الخيال شهد لها العدو قبل الصديق ، تمكن عبد الناصر من اعادة بناء قواتنا المسلحة تنظيما وتدريبا وتسليحا وقيادة ، وسط ظروف بالغة الصعوبة ليس أقلها أنه كان على قواتنا المسلحة أن تتحمل خلال عملية بنائها واجب الدفاع عن قلب الوطن ضد عدو منتش بحماقة القوة ، وغرور الانتصار السريع الذى حمل قواته الى مواقع شديدة القرب من قلب الوطن •

وفي سبيل مواصلة البناء الاجتماعي أعلن عبد الناصر في حزم أن النضال شامل لأن الثورة شاملة والمعركة العسكرية على جبهة القتال ليست بعيدة عن مشاكل التطور ، فحربنا ضد الاستعمار هو جزء من حربنا ضد التخلف • وقد تضمن برنامج ٣٠ مارس تخطيطا محددا في سبيل بناء الدولة الحديثة والتنمية الشاملة واقامة الصناعات الثقيلة •

وأعلن عبد الناصر تعبئة الجماهير بالوسيلة الديمقراطية من أجل المعركة ، ومن أجل بناء المجتمع الاشتراكي ، وأعيد تكوين الاتحاد الاشتراكي لتدعيم واستكمال بنائه وسط مواقع الجماهير ومن خلال المعركة •

وعلى الصعيد العربي قدم الزعيم الخالد الكثير من أجل حشد كل القوى العربية لتحقيق الصمود ، ولاتمام الاستعدادات اللازمة لمواجهة العدو وحصره • لقد أشار في عام ١٩٦٧ أن المعركة تقتضي أمة عربية واحدة •• وفي عام ١٩٦٩ أشار في المؤتمر القومي الى أن المعركة لم تعد في حاجة الى مجرد الدعم المادي وانما تحتاج الى تفكير مشترك ، وتخطيط مشترك لأن الخطر يهدد شعوبها كلها ، لا يستثني من ذلك أحدا •

كان عبد الناصر يدرك تماما أن تحقيق هذه المهام انما يتطلب مرحلة تاريخية بأكملها • ومن هنا كان رأيه يتلخص في :

ان العمل السياسي بين الدول العربية يمكن أن يتقدم مهما كان البطء الذي يتقدم به ، وأنه يمكن أن يقوم عمل عربي موحد بين الدول العربية رغم اختلاف النظم السياسية والاجتماعية •

وأن تقدم كل دولة عربية جهودها في المعركة وفقا لتصوراتها ودون توريط •

وأن تقدم الى المقاومة الفلسطينية كل المساعدات المادية والسياسية والعسكرية بدون شروط .

وتعددت لقاءات عبد الناصر العربية سواء من خلال مؤتمرات القمة أو من خلال اللقاءات الرسمية والشعبية لارساء دعائم العمل العربى المشترك من أجل التحرر والنصر .

وتحرك عبد الناصر على المستوى العالمى لاحداث تحولات واسعة وعميقة داخل الرأى العام العالمى ، وداخل جميع الدول بغض النظر عن أنظمتها السياسية والاجتماعية . وأعلن على العالم أجمع أننا لا نسعى ، ولا نريد أن تتطور أزمة الشرق الأوسط ، الى مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، كما أوضح أنه يدخل دائما فى الاعتبار مواقف ومصالح الأصدقاء. ونجح عبد الناصر من خلال العمل السياسى والديبلوماسى والشعبى على المستوى الدولى فى كسب أصدقاء جدد ، وازدياد تعاطف الرأى العام العالمى فى صف القضية العربية ، وحق شعب فلسطين فى وطنه ، وعزل اسرائيل كدولة معتدية أمام قطاعات كبيرة من الرأى العام العالمى . كما تزايد الدعم السوفيتى لنا عسكريا ، واقتصاديا ، وساندتنا البلدان الاشتراكية فى كافة المجالات .

ومجمل القول أن جهود عبد الناصر المضنية فى كافة الميادين والجبهات الوطنية والقومية والعالمية ، قد كللت بالنجاح بحيث أحبطت خطة اسرائيل والاستعمار فى فرض شروط الاستسلام على البلاد العربية . بل على العكس فإن حركة الجماهير العربية من أجل ازالة آثار العدوان كانت تكسب مع كل يوم زخما جديدا لتقدمها . وقد تمخضت هذه الحركة ، التى زادتها مرارة النكسة اصرارا ، عن ثورة الشعب السودانى ، ودخل السودان العربى فى مجال التأثير الايجابى لحركة الثورة العربية ، كما كان أحدث مولود لهذه الحركة

ثورة الشعب الليبى التى أخرجته ، ولأول مرة ، من جب العزلة التى فرضها عليه الاستعمار والحكم الرجعى الى ساحة التأثير الثورى العربية بآفاقها التحررية والتقدمية والوحدوية •

والتقى زعماء الثورات الثلاث التقدمية عبد الناصر ونميرى والقذافى حول اتفاق طرابلس فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٦٩ تمهيدا للوحدة العربية ، كان المغزى العظيم لهذا اللقاء اقامة جبهة عربية ثورية تنطلق بقدرات ليبيا ومصر والسودان، ودعما ماديا للثورة الفلسطينية الباسلة والحق المشروع لشعب فلسطين فى استعادة حقوقه •

وقد وضح تضامن الثورات الثلاث حينما وقعت فتنة مارس سنة ١٩٧٠ من صنع الاستعمار وعملائه لضرب الثورة السودانية فوقفت مصر وليبيا الى جانبها احساسا بمسئولياتهما فى المرحلة الراهنة ، كما تجلى هذا التضامن حينما بدأ العقيد القذافى جهوده لتكون المعركة ضد اسرائيل على المستوى العربى كله تحقيقا لقومية المعركة •

وبدأ التنسيق بين سياسة البلدان الثلاثة فى تحركاتها السياسية على خريطة العالم العربى ، بعد المبادرة الأمريكية وتجاه الأحداث الدامية التى وقعت فى الأردن خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٧٠

واقترحت تونس أن يعقد فى القاهرة مؤتمر قمة عربى ، ووافق عبد الناصر على الفور ، وفى هذه الأثناء كانت اسرائيل قد بدأت تتحفز الى التحرك ، وكانت الولايات المتحدة قد بدأت تعد العدة للتدخل •

وبدأت اجتماعات القمة العربية وانتهت فى مساء ٢٧ سبتمبر بالتوصل الى اتفاق بانهاء العمليات العسكرية من جانب المقاومة والجيش الأردنى فورا ، كما تقرر تكوين لجنة عليا لمتابعة تنفيذ الاتفاق •• وكان يوما حافلا •• سجل

فيه عبد الناصر آخر أدواره التاريخية الحاسمة .. رغم أن أطباءه طلبوا منه أن يخفف من الجهد المضنى الذى كان يبذله ، وكان رد عبد الناصر « فى كل دقيقة يمكن أن يقتل عشرات من الرجال والنساء والأطفال فى عمان .. ألا ترون أننا فى سباق مع الموت .

وبدأ يودع الملوك والرؤساء العرب الذين شهدوا الاجتمـــاع التاريخى وكان وداع أمير الكويت .. آخر واجب رسمى قام به .. فكان الوداع الأخير .

ويوم يكتب تاريخ الثورة العربية سيعرف العـالم أنه ما من علم شريف يرفرف على الأرض العربية الا وكانت يد عبد الناصر أولى الأيدى التى امتدت لترفعه .. فقد كان عبد الناصر أول من أرسى دعائم المقـاومة الفلسطينية لتبقى ... واستشهد عبد الناصر وهو يكافح من أجل فلسطين التى وهبها حياته .

خاتمـــة

... أما وقد انتهينا من عرضنا لدور الزعيـم الخـالد جمال عبد الناصر في نضاله مع الاستعمار ، وكيف حاربه الاستعمار محاولة منه لايقاف تيار ثورته الجارف نحو الحرية والكرامة والعدل والمساواة .

فقد أرسى عبد الناصر أسسا جديدة فى التعامل الأخلاقى والانسانى بين الدول والشعوب والأفراد فكانت مبادئه وتعـــاليمه نقطة تحول . . . ليس فى تاريخ مصر فحسب . . . وليس فى الوطن العربى فقط ، ولـكن فى تاريخ العالم كله .

وليس هذا البحث ، بطبيعة الحال ،كل ملامح الصورة لنضال عبد الناصر فى كل الجبهات ... انما هو جزء ضئيل منها ... فقـد تحمـل عبد الناصر تبعات عدة منها .. بعث القومية العربية ... تحقيق الثورة الاجتماعية لشعبه .

... ان عبد الناصر مفكر وزعيم

مفكر ... لأن مبادئه وأفكاره لم تقف عند حدود وطنه وأمته . كمـا أنها ظلت باقية بعد رحيله

وزعيم ... لأنه لم يسبق لغيره من أبناء وطنـه أو أمته ، أن كان رمزا وأملا كما كان عبد الناصر . كما أن وطنه وأمته ، لا يزالان يسيران على مبادئه وينبضان بوحى من الهامه وروحه بعد رحيله .

... ان عظمة عبد الناصر تكمن فى أنه مصـدر قلق وازعاج للاستعمار وعملائه فى حياته وبعد مماته .

كان مصدر قلق له فى حياته لأنه واجه تحديات الاستعمار وحربه السياسية والاقتصادية والعسكرية فى شجاعة وايمان •

شجاعة وايمان المفكرين والزعماء

وسيظل عبد الناصر مصدر قلق وازعاج للاستعمار وعملائه بعد مماته ، لأنه ترك وراءه رفاقا واخوة وتلاميذ فى الكفاح والنضال على الصعيد الوطنى والقومى والدولى ، كلهم يؤمنون بمبادئه • سائرون على نهجه •

••• اذا كان عبد الناصر قد مات ••• فان مبادئه حية لن تموت ••• وستبقى أعلام الحرية ترفرف على أرجاء وطننا وأمتنا وغيرها من الأوطان ••• التى اختارت طريق عبد الناصر ••• طالما بقيت الحياة •

• • • وسيسجل التاريخ لعبد الناصر صفحات ••• وصفحات تشكل هديا لمن يليه من المفكرين والزعماء •

رحم الله عبد الناصر •

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » •

صدق الله العظيم

مراجع البحث

مجمـوعات خطب وتصريحات وبيـانات الرئيس ـ مصلحة الاستعلامات

فلسـفة الثورة

جمال عبد الناصر

الميثــاق

جمال عبد الناصر

بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨

جمال عبد الناصر

عبد الناصر والثـورة ـ من أقوال الزعيـــم الخالد ـ منظمـة الشـباب الاشتراكى ـ أكتوبر ١٩٧٠

كوامى نكروما

الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية ـ ترجمة عبدالحميد حمدى

ر . ج . هاريسون تشرش

الاستعمار الحديث ـ ترجمـة د . دولت صادق ، محمـد السيد غراب

د . محمد عوض محمد

الاستعمار والمذاهب الاستعماريه ـ ١٩٥٧

د . أبو الفتوح رضوان

القومية العربية

عبد الرحمن عبد المتعال يوسف

مؤتمر القمة العربى الثانى

لواء سيد عبد الحميد مرسى ـ محمد محمود مكرم

سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز والتعايش السلمى

حسن فهمى مصطفى

سياسة عدم الانحياز فى المجال الدولى

ميشيل كامل

أمريكا والشرق العربى — وزارة الثقافة

فؤاد دواره

أحلاف العدوان الأمريكية — وزارة الثقافة

د . جمال العطيفى

أيام خالدة فى حياة عبد الناصر — سلسلة كتب اقرأ ١٩٧٠

عبد القادر البندارى — نجيب برسوم

ثورة الحرية (عرض وتحليل لثورة ٢٣ يوليو) — سلسلة كتب قومية

د . وليم سليمان

الاستعمار الجديد فى افريقيا — ندوة افريقيا — اكتوبر ١٩٦٦

سعد زهران

الاستعمار الجديد فى افريقيا — ندوة افريقيا — اكتوبر ١٩٦٦

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الاستعمار الجديد فى افريقيا — ندوة افريقيا — اكتوبر ١٩٦٦

مجلة الطليعة — يوليو ١٩٦٥/يناير ويوليو واغسطس وديسمبر١٩٦٦/ ديسمبر ١٩٦٧ / نوفمبر ١٩٧٠

مجلة السياسة الدولية — يناير ويوليو ١٩٦٦ / ابريل ١٩٦٩

د . لويس عوض

ملحمة المثقفين — جريدة الأهرام — ٩ أكتوبر ١٩٧٠

سلسلة محاضرات وكتيبات الاتحاد الاشتراكى العربى — لجنة الثقافة والفكر والاعلام

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل الوزارة

علي سلطان علي

رئيس مجلس الإدارة

رقم الإيداع ٣٦٣٢/١٩٧١

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٨٦٤ب ١٩٧٠ – ٦٥٠٠٠


معهد تدريب ضباط الشرطة
١٩٧١